هو العزيز

معرفة الإمام (١٢)

بحوثٌ تفسيريّةٌ ، فلسفيّةٌ ، روآئيّةٌ ، تاريخيّةٌ ، اجتماعيّةٌ
حَوْلَ الإمامةِ و الولايَةِ عُمُوماً؛
و حَوْلَ إمامةِ و ولايةِ أميرالمؤمنين علىّ بن أبيطالبٍ و الأَئِمّةِ المعصومينَ سلامُ الله عليهم أجمعين خصوصاً
دُروسٌ إستِدلاليّةٌ و علميّةٌ مُتّخَذَةٌ من القرءانِ الكريم و رواياتٌ مأْثورةٌ عن الخاصّةِ و العامّةِ ؛ و أَبحاثٌ حَلّيّةٌ و نَقدِيّةٌ حَوْلَ الوِلايَةِ
لمؤلّفه الحقير:
السيّد محمّد الحسين الحسينيّ الطهرانيّ عُفِيَعنه

حول العلوم الغيبيّة لأمير المؤمنين عليه السلام

القسم ١
القسم ٢
القسم ٣

علم أمير المؤمنين بالمنايا والبلايا والأعمار والملاحم والفتن

القسم ١
القسم ٢

العلوم المختلفة والمتنوّعة التي ظهرت من أمير المؤمنين عليه السلام

القسم ١
القسم ٢
القسم ٣

أمير المؤمنين عليه السلام عالم بالتوراة والإنجيل وهو القائل: سَلُونِي

القسم ١
القسم ٢
تعليقات

الدرس السادس والستّون بعد المائة إلى السبعين بعد المائة: حول العلوم الغيبيّة لأمير المؤمنين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللهُ على محمّد وآله الطّاهرين

ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلّا مَنِ ارْتَضَى مِن رّسُولٍ فَإِنّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لّيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَلَتِ رَبّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلّ شَىْءٍ عَدَدًا . (١)

يخبرنا صدر الآية أنّ الله تعالى وحده عالم الغيب ، بل عالم بجميع أنواع الغيب . بخاصّة أنّه جعل الاسم الظاهر الغيب مكان الضمير ، فلم يقل : فَلَا يُظْهِرُ عَلَيْهِ ، بل قال : فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ . وهذا المعنى ملحوظ في الآية المذكورة . ثمّ قال : إنّه يُطْلع على غيبه كلّ من ارتضاه من أنبيائه ورسله إلى خلقه ، ويمكّنه من عالم الغيب ويرفع الحجاب عن بصره . فهو تعالى يلهمه من غيبه شيئاً .

وعندما يرفع الله عنهم الحجاب ويظهر رسله على الغيب ، فإنّه يجعل عليهم فريقين من الرصد والمراقبين :

الأوّل : فريق من الملائكة يجعلهم بين أيديهم بعد الوقوف على الغيب كي لا توسوس لهم الشياطين في أداء تلك المهمّة وإبلاغ ذلك العلم للناس ، ولا تكدّر ذلك العلم الصافي الخالص بالهواجس النفسانيّة والأهواء الشيطانيّة .

الثاني : فريق من الرصد المحافظين يجعلهم بين مصدر الوحي والتنزيل وبينهم من خلفهم قبل الوقوف على الغيب ليظلّ الوحي مصوناً من تدخّل مخلوقات العالم العلويّ خلال سيره النزوليّ في عوالمه إلى أن يصل إلى قلب الرسول . ويتكوّن هذا الفريق من ملائكة هم شركاء في إنزال الوحي وسيره في مراتبه ودرجاته حتّى يُبَلّغ به الرسول .

إنّ الهدف من جميع هذا المراقبات والمراقبين هو أن يتحقّق إبلاغ رسالات أُولئك الرسل بنحو صائب صحيح ، إذ إنّ من الواضح أنّ قوله : لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا يُشعِر بعلم الله الفعليّ لا علمه الذاتيّ . والعلم الفعليّ هو نفس تحقّق الأُمور الخارجيّة ، وعين الواقعيّة والحقيقة في الخارج ، وليس منفصلاً عن نفس التحقّق الخارجيّ ، لأنّ علم الله بالموجودات ليس حصوليّاً ، بل حضوريّاً محضاً . ومعنى العلم الحضوريّ هو وجود

المعلوم وتحقّقه عند العالم به . وعلى هذا ، فمعنى لِيَعْلَمَ : لِيَتَحقّقَ . أي : أنّ حضور هذين الفريقين من الملائكة أمام الرسل وخلفهم هو للاطمئنان على تحقّق إبلاغهم ، إذ يبلّغون الناس ما يتلقّونه من الوحي . (٢)

إنّ هذا الأُسلوب من الإرسال يشبه أُسلوب السلاطين والحكّام في بعث الرسائل إلى ممثّليهم ورسلهم كي يبلّغونها الناس . فهم أوّلاً : يحافظون على رسالتهم بواسطة عدد من الحرّاس حتّى تصل إلى ذوي العلاقة . وثانياً : يجعلون الحرّاس في هذا المسير لأداء هذه المهمّة كي لا تمتدّ إليها يد التغيير والتبديل بعد وصولها ، وقبل إبلاغها للناس .

ولمّا كان ينبغي في القسم الأوّل ، أعني : إرسال الله علم الغيب إلى رسله ، أن لا يظهر فيه أيّ تصرّف وتبدّل ، وكذلك الأمر في القسم الثاني المتجسّد في إبلاغ الناس علم الرسل ، إذ يجب أن لا يطرأ عليه أيّ تغيير أيضاً . فإنّ هذا يتوقّف أوّلاً : على تلقّي الرسول الوحي والغيب كما هو على حقيقته . ثانياً : يحفظه جيّداً بعد التلقّي الصحيح . ثالثاً : يبلّغه الناس بلا زيادة ولا نقصان بعد التلقّي الصحيح والحفظ الجيّد . ولابدّ من توفّر هذه المراحل الثلاث من العصمة في الرسل . وهي في مرحلة الأمام ، أو بتعبير القرآن الكريم : مِن بيْنِ يَدَيْهِ ، مضافاً إلى العصمة السابقة ومرحلة الخلف ، أو بتعبير القرآن : مِنْ خَلْفِهِ .

يضاف إلى ذلك ، أنّ الآية تخبرنا أنّ الله قد أحصى كلّ شيء من صغير وكبير ، ومُلكيّ وملكوتيّ ، ومادّيّ ومعنويّ ، وطبعيّ وطبيعيّ ومثاليّ . وهو عليم بمقدار ذرّاتها وهويّتها . وهو خبير مطّلع على ما عند الرسل من الأُمور النفسيّة والاعتقاديّة ، والمنهاج والسنّة ، والمعارف اليقينيّة والعلوم الغيبيّة ، وما عند المرسَل إليهم ــ الناس ــ من قابليّات وإمكانيّات ، ومواقع اجتماعيّة ، واستعدادات ، أنّه خبير مطّلع على ذلك كلّه . وعلى هذا الأساس جعل وجودهم مرضيّاً عنده ، وأظهرهم على عوالم غيبه بمقدار رضاه عنهم . وينبغي التذكير هنا بعدد من الأُمور :

الأوّل : أنّ جميع العلوم ــ ومنها علم الغيب ــ مقصورة على الله تعالى ولا سبيل لأحد إليها ، إلّا بالاستقلال والأصالة . وأنّ كافّة العلوم التي تفضّل بها الله على غيره إفاضة منه جلّ شأنه . وأنّ لكلّ كائن من الكائنات بحسب مستواه علماً معيّناً ، لكنّه بالتبعيّة وبإفاضة الله وإعطائه . وحينئذٍ لا منافاة ولا تضارب بين الآيات الكريمة التي تحصر علم الغيب بالله كالآية :

وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَبٍ مّبِينٍ . (٣)

والآية:

قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى السّمَوَ تِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيّانَ يُبْعَثُونَ . (٤)

والآية : وَلِلّهِ غَيْبُ السّمَوَ تِ وَالْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ السّاعَةِ إِلّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنّ اللّهَ عَلَى كُلّ شَىْءٍ قَدِيرٌ . (٥)

وبين هذه الآية الكريمة التي ترى أنّ الرسل يعلمون الغيب ، وتفتح لهم الطريق إلى الغيب .

وقد ورد مثل هذا الاستقلال والتبعيّة ، إمّا ذاتيّ وعرضيّ ، أو أصليّ وظلّيّ ، كثيراً في القرآن الكيم كالآية : اللّهُ يَتَوَفّى الْأَنفُسَ (٦) الدالّة على الحصر ، مع الآية : حَتّى إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفّتْهُ رُسُلُنَا . (٧) وكالآية : فَإِنّ الْعِزّةَ لِلّهِ جَمِيعًا ، (٨) مع الآية : وَلِلّهِ الْعِزّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنّ الْمُنَفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ . (٩)

وهذه الآية تجعل العزّة لرسول الله وللمؤمنين ، مضافاً إلى الله تعالى .

وفي ضوء ذلك ، نجد أنّ علم الغيب أمر ضروريّ وحتميّ لرسل الله ، ولا يغاير اختصاصه تعالى به .

الثاني : نلحظ في كثير من الآيات القرآنيّة أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ينفي علمه بالغيب كما نقرأ في الآية:

قُل لّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئنُ اللّهِ وَلَآ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنّى مَلَكٌ إِنْ أَتّبِعُ إِلّا مَا يُوحَى إِلَىّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَفَلَا تَتَفَكّرُونَ . (١٠)

والآية:

قُلْ لّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرّا إِلّا مَا شَآءَ اللّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسّنِىَ السّوءُ إِنْ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ . (١١)

والآية:

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مّنَ الرّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتّبِعُ إِلّا مَا يُوحَى إِلَىّ وَمَآ أَنَا إِلّا نَذِيرٌ مّبِينٌ . (١٢)

هذه الآيات كلّها وما يماثلها تخبرنا أنّ رسول الله ينفي علمه بالغيب استقلالاً لا تبعيّةً . أي : أنّ العلم للّه وحده ، وأنا لم آت به مستقلّاً من عندي كما لم يمنحنيه الله تفويضاً . أنا مرآة وآية من علم الله . وعلمه الاستقلاليّ تقدّس ذكره ينحصر فيه ، ويتجلّى فيّ أنا المرآة ، ولذلك لا أعلم الغيب ، بل لا أعلم شيئاً . فجميع علومي من الله ، وقد تجلّت فيّ بكلّ مقدارٍ أراده ، وفي كلّ زمان شاءه . وإذا ما انطوى زمانه ، فهو يعود إليه . فالمصدر هو نفسه ، والمبدأ هو عينه ، والمنتهى هو ذاته . وعلى هذا فإنّي لا أملك علماً من عندي ، كما لا أملك قدرة ، ولا نفعاً ، ولا ضرّاً ، ولا موتاً ، ولا حياة ، ولا نشوراً . فكلّ هذه الصفات للّه وحده لا يشاركه فيها أحد ، ومرجعها إلى الله . والعارية في هذه الحياة تُعطَى كعارية ، ثمّ تعود إلى أصلها .

جاء في سورة الأعراف:

قُلْ لَآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرّا إِلّا مَا شَآءَ اللَهُ . (١٣)

وورد في سورة يونس:

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِى ضَرّا وَلَا نَفْعًا إِلّا مَا شَآءَ اللَهُ . (١٤)

الثالث : لمّا كان عموم الآية موضع بحثنا المذكورة في مطلع الكلام : عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحْدًا ، قد تخصّصت في الرسل المرضيّين عند الله ، وقد استُثني هؤلاء الرسل من مفاد قوله : فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ بأداة الاستثناء إلّا في قوله : إِلّا مَنِ ارْتَضَى مِن رّسُولٍ ، فلا مانع حينئذٍ من تخصيص سائر الأنبياء الذين هم أنبياء فحسب ، وليسوا رسلاً . ونرى في هذه الحالة أنّ الله ــ وفقاً للآيات القرآنيّة ــ أوحى إلى الأنبياء الذين هم في قبال الرسل ، وأطلعهم على الغيب : إِنّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَى نُوحٍ وَالنّبِيّينَ مِن بَعْدِهِ . (١٥)

ومن الطبيعيّ أنّ هذا يتحقّق عندما يتخصّص لفظ الرسول في قوله : مَنِ ارْتَضَى مِن رّسُولٍ بالأنبياء المرسلين ، وإلّا إذا كان أعمّ منهم ومن الأنبياء غير المرسلين ، فلا حاجة إلى الاستثناء وإلى تخصيص آخر ، وقوله : إِلّا مَنِ ارْتَضَى وحده يخرج جميع الأنبياء والمرسلين من قوله : لَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ ، ويذيق الجميع حلاوة علم الغيب .

وأمّا الإمام بالمعنى الذي استعمله القرآن الكريم للفظ الإمام ، فإنّنا نرى من جهة أنّ الله يصف الأئمّة بالصبر واليقين:

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِاَيَتِنَا يُوقِنُونَ . (١٦)

ومن جهة أُخرى يجعل انكشاف غطاء الغيب ورؤية ملكوت السماوات والأرض مقدّمة لبلوغ مقام اليقين:

وَكَذَ لِكَ نُرِى إِبْرَ هِيمَ مَلَكُوتَ السّمَوَ تِ وَالْأَرْضِ.

(ليقرّ بوحدانيّة الله وصفاته ، ويسلّم لربّ العالمين ، وينظر إلى آزر وقومه الذين يعبدون الأصنام وهم في غيّهم وضلالهم .) وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ . (١٧)

ويرى أيضاً في سورة التكاثر أنّ رؤية الجحيم ومشاهدة ملكوت جهنّم يلازمان علم اليقين ، ولذلك فإنّ شروط علم اليقين كشف حجاب الغيب ، وطيّ بساط الاعتبار والكثرة ، والدخول في عالم التوحيد ووحدة ذات الحقّ .

كَلّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ * لَتَرَوُنّ الْجَحِيمَ . (١٨)

وعلى هذا ، فقد اجتاز جميع الأئمّة وسالكي سبيل معرفة الذات الأحديّة المتأسّين بهم مراحل عالم المادّة والطبع ، وقطعوا شوطاً في المنهاج القويم والصراط المستقيم لتزكية النفس ، فكان كشف الحجب الظلمانيّة والنورانيّة أمراً ضروريّاً لهم ، وتحقّق لهم معنى ومفهوم قوله تعالى:

فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ. (١٩)

وتيسّر لهم ما عسر أو استحال على الناس العاديّين .

الرابع : أنّ المراد من الغيب في هذه الآية الكريمة هو الغيب المخفيّ الذي لا تدركه حواسّنا الظاهرة على البسيطة في هذه الحياة الدنيا ، وإن كان لا يخفى على البعض الآخر الذين يدركونه بحواسّهم . مثلاً وقائع الغد غيب لنا ولكنّها شهود لمن يأتون في غضون الغد . والإخبار عن الأشياء المشاهدة في الخارج غيب للأعمى والأصمّ ، بَيْدَ أنّه شهود للبصير والسميع .

وأنّ ما تشهده الملائكة وتعلمه في العوالم العِلْويّة غيب للساكنين في نشأة الطبيعة ، إذ ينبغي أن يلاحَظَ المشهود والغيب على أساس الظروف والنشآت التي تنال حظّها من البحث . وأنّ عالم القيامة وما يجري على الأموات غيب في ضوء النصّ القرآنيّ ، وعدّ القرآن الإيمان بالمعاد إيماناً بالغيب ، مع أنّ ما يجري على الأموات من حوادث هو عين الشهود :

ذَ لِكَ يَوْمٌ مّجْمُوعٌ لّهُ النّاسُ وَذَ لِكَ يَوْمٌ مّشْهُودٌ . (٢٠)

الخامس : أنّ جميع الكائنات في ضوء الأُصول الاعتقاديّة للإسلام ومنطق القرآن هي أسماء الحقّ جلّ وعلا وصفاته . وأنّ الخلقة ــ بمعنى إيجاد الشيء ــ غير منفصلة عن نطاق الذات الأحديّة واسمها وصفتها وفعلها ، وهي تعني ظهور الذات المنزّهة الظاهرة الجليّة وتجلّيها وآيتها ودلالتها . وكلّ كائن يوجد ويرتدي خلعة الوجود اسم من أسمائه تعالى . فهو الحيّ من حيث الوجود والحياة ، وهو القادر من حيث قدرة الحقّ بالحجم الذي يتّسم فيه بالقدرة . وهو العالم من حيث علم الحقّ بالقدر الذي يستوعبه من العلم ، وهكذا بالنسبة إلى سائر أسماء الباري تعالى شأنه العزيز وصفاته . فهو يكون تحت الأسماء الكثيرة ويطلق عليه السميع ، والبصير ، والحكيم ، والمريد ، والمختار ، وغيرها .

لذلك ، فإنّ علم الأشخاص بالغيب الإلهيّ بإذنه تعالى لايعني أنّهم أنفسهم صاروا عالمين بالغيب في مقابل ذات الحقّ ، فيكون ذلك مغايراً للتوحيد ، بل يعني أنّه عين علمه الذي ظهر فيهم حقيقةً . وهذا هو عين التوحيد . وأنّ الله لا يعطي الغير مستقلّاً مثقال حبّة من خردل من علمه اللامتناهي ، ولا يمكن أن يعطيه ، لأنّ هذا العطاء يستلزم نقصان علمه اللامتناهي ، بل نقصان ذاته ، تَعَالَى اللَهُ عَنْ ذَلِكَ . أمّا العطاء غير المستقل ، فلا ينافي التوحيد ، بل هو التوحيد نفسه .

إنّ العطاء غير المستقلّ يعني الظهور والتجليّ والإشعاع والتأ لّق كالشمس التي تبسط نورها وأشعّتها في العالم ، وتنشر ضوءها في كلّ مكان وعلى كلّ كائن اعتباراً من الذرّة حتّى الدّرّة ، ومن البسيطة إلى الأفلاك والمجرّات . وكلّ يأخذ منها النور والحرارة فينشأ وينمو بمقدار سعته وحجم ما يستوعبه وجوده ، بَيْدَ أنّ النور لا ينفصل عن الشمس ، كما أنّها لا تظلّ مشعّة إلى الأبد على الموجودات والكائنات التي تعطيها ضوءها . فما دامت

الشمس في كبد السماء ، فإنّها تضيء الأشياء ، ولا تهب الأشياء النور ، بل لها إشعاع ذو طابع إعاريّ مؤقّت . وإذا ما حان الليل ، وغاب منبع النور تحت الأُفق ، فإنّه يأخذ معه التألّق والنور والظهور ، ويترك الأشياء خالية من نوره .

وما ضرّ هذه الشمس التي لا تفصل النور عن نفسها ، ولا ينقص نورها في نطاق ذاتها وفعلها أن تمنح النور بمقدار ذرّة ، أو تمنحه فيشمل جميع عوالم الطبيعة والفضاء غير المرئيّ والكواكب التي لا حدّ ولا حصر لها ؟ فالشمس ليست بخيلة ، وهي تمنح الجميع نورها ، وتلقي شعاعها ، وتبسطه بكلّ سخاء . بَيْدَ أنّ كلّ شيء من الأشياء يأخذ نصيبه منها حسب استعداده ، فالذرّة تنال حظّها بمقدار صغرها ، وهكذا بقيّة الأشياء كالجبل ، والصحراء ، والسهل ، والبحر ، والمحيط ، والفضاء الواسع ، فكلّ واحد من هذه الأشياء يأخذ نصيبه بما يتمتّع به من استيعاب ، وقابليّة ، واستعداد .

ويجري علم الله جلّ شأنه على هذا النسق . فالكائنات مرايا وأوعية لتجلّي علم ذاته وتألّقه . وهو تعالى غير ضنين أن يمنّ على الآخرين بعلومه في طابع الظهور واللمعان ، سواء كان شعوريّاً ، بأن يمنّ بها على ذبابة ، أم علميّاً بأن يمنّ بها على الناس العاديّين ، والجنّ ، والملائكة ، والحيوانات ، أم علميّاً أيضاً فيفيض بها من خزانته الخاصّة على الإمام والرسول . وإذا ما أطلع أُولئك على علم الغيب ، وغيب الغيب ، والسرّ ، والسرّ المستور ، والسرّ المستسرّ ، والخزائن المخفيّة التي لا تصل إليها يد البشر والملائكة ، فهو أمر اعتياديّ ، ولا ينقص من كبريائه وعظمته حتّى بمقدار سمّ الخياط ، بل إنّ ذلك هو عين كبريائه وعظمته وجماله المطلق ، إذ يجعل كائناً من الكائنات في عوالم الإمكان مرآة لظهور جميع صفاته .

الإمام مرآة ، وآية ، واسم . غاية الأمر أنّه مرآة تامّة لظهور صفات الباري ، ومن مفردات هذه المرآة التامّة علم الباري .

وَلِلّهِ الْأَسْمَآءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الّذِينَ يُلْحِدُونَ فِى أَسْمَئِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . (٢١)

السادس : أنّ جميع الكائنات في عالم الطبيعة سواء كانت جماداً أم حيواناً أم إنساناً تتّصف بالوحدة على الرغم من الاختلاف الملحوظ بين أفرادها . وبغضّ النظر عن خصوصيّات الزمان والمكان وسائر العوارض والأعراض المؤدّية إلى تميّزها وتفرّدها وتحقّقها الخارجيّ ، فإنّ ذلك الأمر الوحدانيّ موجود . وأنّ كافّة هؤلاء الأشخاص المختلفين يوجدون ، وينمون ويقطعون الطريق في مسير تكاملهم بواسطة ذلك الأمر الوحدانيّ المشترك بين الجميع .

وذلك الأمر الوحدانيّ المنبعث من عالم الأمر والملكوت هو الذي عبّر عنه الشرع المقدّس بملَك التدبير ، وعبّرت عنه الفلسفة ب المُثُلِ الإفلَاطُونِيّةِ . وبرهن عليه المرحوم

الملّا صدرا الشيرازيّ أعلى الله مقامه الشريف في أسفاره الأربعة ، وذكرناه نحن أيضاً في المجلس السابع عشر الوارد في الجزء الثالث من كتاب «معرفة المعاد» الصادر ضمن سلسلة دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، وأثبتنا هناك أنّ العلوم التي يظفر بها البشر ــ في ضوء النظريّة الإسلاميّة ــ إنّما تتحقّق بواسطة ملائكة العلم . وكلّ من كان له علم ، فهو يُفاض عليه عبر مَلَكِ العلم ، حتّى يبلغ العلم الكلّيّ للحقّ تعالى الذي يُمنَح بواسطة جبرائيل والروح .

وكلّ إنسان يزيد علمه ، يخضع لملك أقوى وأعلى حتّى يبلغ درجة يُوكّل فيها جبرائيل على علومه ، والأعلى من ذلك أنّ الروح الأمين ، ومقامه واحد ، ودرجته أعلى من درجة جميع الملائكة المقرّبين يمسك زمام أُموره . وأنّ الرسل والأئمّة الذين يعلمون الغيب يُمَوّنُونَ من قبل جبرائيل الأمين ، وبعضهم يُمَوّن من قبل الروح الأمين .

السابع : أنّ الاستثناء الوارد في الآية التي هي مثار بحثنا : إِلّا مَنِ ارْتَضَى مِن رّسُولٍ يشمل كافّة الأقسام الخاصّة بتبليغ رسالة الرسول . أي : أنّ الله يربط قلب رسوله المرضيّ عنده بالغيب في كلّ ما يتوقّف عليه إبلاغ رسالته ، سواء كان ذلك متن رسالته ، كالمعارف الاعتقاديّة والشريعة والأحكام والقصص والاعتبارات والمواعظ والحكم ، أم كان من آيات رسالته وأشراطها ، أم من المعجزات الدالّة على صدقه .

كما نقرأ في القرآن الكريم أنّ الله تعالى يصف الكلام الغيبيّ الذي قاله نبيّه صالح لقومه بقوله:

فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتّعُوا فِى دَارِكُمْ ثَلَثَةَ أَيّامٍ ذَ لِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ . (٢٢)

ونقرأ كلام عيسى ابن مريم على نبيّنا وآله وعليهما الصلاة والسلام الذي قاله لليهود وبني إسرائيل:

وَأُنَبّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ إِنّ فِى ذَ لِكَ لَأَيَةً لّكُمْ. (٢٣)

(لا يعلم أحد بما تأكلون وما تدّخرون غيركم) .

وما ورد في القرآن الكريم من مواعيد الأنبياء بالملاحم والإخبار بالغيب ، وقد وقع ذلك كلّه ، كوعيد نوح بحدوث الطوفان ، وإنذار هود ، وشعيب ، ولوط بوقوع العذاب .

ونقرأ في سورة الروم معجزة من معجزات رسول الله ، وهي إخباره بانهزام الفُرس على يد الروم:

الم * غُلِبَتِ الرّومُ * فِى أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِى بِضْعِ سِنِينَ لِلّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤمِنُونَ . (٢٤)

وعن «الخرائج والجرائح» (٢٥) للقطب الراونديّ روى محمّد بن الفضل الهاشميّ ، عن الإمام الرضا عليه السلام أنّه نظر إلى ابن هذّاب فقال : إن أنا أخبرتك أنّك ستُبتلى في هذه

الأيّام بدم ذي رحم لك ، لكنت مصدّقاً لي ؟ قال : لا ، فإنّ الغيب لا يعلمه إلّا الله تعالى . قال الإمام : أَوَ ليس أنّه يقول:

عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ.

فرسول الله صلّى الله عليه وآله عند الله مرتضى . ونحن ورثة ذلك الرسول الذي أطلعه الله على ما يشاء من غيبه . فعلّمنا ما كان ويكون إلى يوم القيامة . (٢٦)

والأخبار الواردة في هذا الموضوع تفوق حدّ الإحصاء . ومفادها ومدلولها أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخذ علم الغيب بوحي من ربّه ، وأنّ الأئمّة الطاهرين عليهم السلام أخذوه بالوراثة منه صلّى الله عليه وآله . وأنّ العلوم الغيبيّة المأثورة عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، والواردة في كتب الأحاديث ، والتواريخ ، والتفاسير . والسّيَر ، والسنن ، والتي اعترف بها الخاصّة والعامّة ، وعدّوها من المسلّمات اليقينيّة كثيرة . ولمّا كانت هذه كلّها تفوق العدّ ، نكتفي فيما يأتي بمختصر منها :

ذكر في «مروج الذهب» في وقائع سنة ١٨٣ ه : حجّ هارون الرشيد في هذه السنة ، وهي آخر حجّة حجّها . ولمّا انصرف منها ، واجتاز بالكوفة ، قال أبو بكر بن عيّاش ــ وكان من علية أهل العلم ــ : لا يعود إلى هذا الطريق ، ولا خليفة من بني العبّاس بعده أبداً .

فقيل له : أضرب من الغيب ؟ قال : نعم . قيل : بوحي ؟! قال : نعم . قيل : إليك ؟ قال : لا ، إلى محمّد صلّى الله عليه وآله . وكذلك أخبر عنه أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام المقتول في هذا الموضع وأشار إلى الموضع الذي قتل فيه عليّ عليه السلام بالكوفة . (٢٧)

إنّ صاحب كتاب «مروج الذهب» هو عليّ بن الحسين المسعوديّ المتوفّى سنة ٣٤٦ ه . صنّف كتابه المذكور في حدود سنة ٣٠٠ ه . أي : ثلاثمائة وخمسون سنة قبل انقراض الدولة العبّاسيّة على يد هولاكو ، وقتل المستعصم بالله الذي كان آخر حاكم عبّاسيّ . وذكر أبو بكر بن عيّاش هذا الخبر عن أمير المؤمنين عليه السلام سنة ١٨٢ ه ، في أواخر القرن الثاني الهجريّ . أي ٤٦٨ سنة قبل تقويض حكومتهم والعجيب هنا أنّه خلال هذه المدّة التي تناهز خمسة قرون لم يذهب حاكم عبّاسيّ إلى حجّ بيت الله الحرام .

وروى القطب الراونديّ في كتاب «الخرائج والجرائح» عن دِعبل الخُزاعيّ ، قال : حدّثنا الرضا عن أبيه ، عن جدّه عليهم السلام ، قال : كنتُ عند أبي الباقر عليه السلام إذ دخل عليه جماعة من الشيعة وفيهم جابر بن يزيد فقالوا : هل رضي أبوك عليّ بن أبي طالب بإمامة الأوّل والثاني ؟ قال : اللهمّ لا . قالوا : فلم نكح من سبيهم خولة الحنفيّة إذا لم يرض بإمامتهم ؟

فقال [الإمام] الباقر عليه السلام : امض يا جابر بن يزيد إلى منزل جابر بن عبد الله الأنصاريّ فقل له : إنّ محمّد بن عليّ يدعوك . قال جابر بن يزيد : فأتيتُ منزله وطرقت عليه الباب . فناداني جابر بن عبد الله من داخل الدار : اصبر يا جابر بن يزيد . فقلتُ في نفسي : من أين علم جابر بن عبد الله أنّي جابر بن يزيد ، ولا يعرف الدلائل إلّا الأئمّة من آل محمّد صلّى الله عليه وآله ؟ والله لأسألنّه إذا خرج إليّ . فلمّا خرج قلتُ له : من أين علمتَ أنّي جابر بن يزيد ، وأنا على الباب ، وأنت داخل الدار ؟!

قال : أخبرني مولاي الباقر عليه السلام البارحة أنّك تُسأل عن الحنفيّة في هذا اليوم ، وأنا أبعثه إليك يا جابر بكرة غدٍ وأدعوك . فقلتُ : صدقتَ .

قال [جابر بن عبد الله] : سر بنا . فسرنا جمعياً حتّى أتينا المسجد . فلمّا بصر مولاي الباقر عليه السلام بنا ونظر إلينا ، قال للجماعة : قوموا إلى الشيخ فاسألوه ، حتّى ينبّئكم بما سمع ورأى .

فقالوا : يا جابر ! هل راضٍ إمامك عليّ بن أبي طالب بإمامة من تقدّم ؟ قال : اللهمّ لا . قالوا : فلم نكح من سبيّهم خولة الحنفيّة إذا لم يرض بإمامتهم ؟

قال جابر : آه آه ! لقد ظننتُ أنّي أموت ولا أُسأل عن هذا ، فالآن إذ سألتموني ، فاسمعوا وعوا . حضرتُ السبيّ وقد أُدخلت الحنفيّة فيمن أدخل ، فلمّا نظرتْ إلى جميع الناس ، عدلتْ إلى تربة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فرنّت وزفرت وأعلنتْ بالبكاء والنحيب ، ثمّ نادت : السّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَهِ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ مِنْ بَعْدِكَ ! أُمّتَكَ سَبَتْنَا سَبيَ النّوبِ وَالدّيْلَمِ ، وَاللَهِ مَا كَانَ لَنَا إلَيْهِمْ مِنْ ذَنْبٍ إلّا المَيْلُ إلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فحُوّلَتِ الحَسَنَةُ سَيّئَةً ، وَالسّيّئَةُ حَسَنَةً ، فَسُبِينَا . ثمّ التفتت إلى الناس ، وقالت : لِمَ سبيتمونا وقد أقررنا بشهادة أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله ؟ قال أبو بكر : منعتم الزكاة !

قالت : هب الرجال منعوكم ، فما بال النسوان ؟ فسكت المتكلّم كأنّما أُلقم حجراً . ثمّ ذهب إليها خالد [بن غسّان] وطلحة يرميان في التزويج إليها ، ورميا عليها ثوبيهما . فقالت : لستُ بعريانة فتكسونني . قيل : إنّهما يريدان أن يتزايدا عليكِ ، فأيّهما زاد على صاحبه ، أخذك من السبي .

قالت : هيهات ! لا يكون هذا أبداً ولا يملكني ولا يكون لي ببعلٍ إلّا من يخبرني بالكلام الذي قلته ساعة خرجتُ من بطن أُمّي ! فسكت الناس ونظر بعضهم إلى بعض ، وورد عليهم من ذلك الكلام ما أبهر عقولهم ، وأخرس ألسنتهم ، وبقى القوم في دهشة من أمرها . فقال أبو بكر : ما لكم ينظر بعضكم إلى بعض ؟ قال الزبير : لقولها الذي سمعت .

فقال أبو بكر : ما هذا الأمر الذي أحصر أفهامكم . إنّها جارية من سادات قومها ولم يكن لها عادة بما لقيت ورأت ، فلا شكّ أنّها داخَلها الفزع وتقول ما لا تحصيل له .

قالت : رميتَ بكلامك غير مرميّ ! والله ما داخلني فزع ولا جزع ، ووالله ما قلتُ إلّا حقّاً ، وما نطقتُ إلّا فصلاً . ولابدّ أن يكون كذلك وحقّ صاحب هذه البنيّة ، ما كذبت . ثمّ سكتت .

وأخذ خالد [بن غسّان] وطلحة ثوبيهما . وهي قد جلست ناحية من القوم فدخل عليّ بن أبي طالب عليه السلام [المسجد] فذكروا له حالها ، فقال : عليه السلام : هي صادقة فيما قالت . وكان من حالها وقصّتها كيت وكيت في حال ولادتها . وقال : إنّ كلّ ما تكلّمت به في حال خروجها من بطن أُمّها هو كذا وكذا . وكلّ ذلك مكتوب على لوح معها . فرمت باللوح إليهم لمّا سمعت كلامه عليه السلام . فقرأوا ذلك على ما حكى عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، لا يزيد حرفاً ولا ينقص .

فقال أبو بكر [للإمام] : خُذها يا أباالحسن . بارك الله لك فيها .

فوثب سلمان ، فقال : والله ، ما لأحد هاهنا منّةٌ على أمير المؤمنين عليه السلام ، بل للّه المنّة ولرسوله ولأمير المؤمنين . والله ما أخذها [عليّ عليه السلام] إلّا لمعجزه الباهر ، وعلمه القاهر ، وفضله الذي يعجز عنه كلّ ذي فضل .

ثمّ قام بعده المقداد فقال : ما بال أقوام قد أوضح الله لهم الطريق للهداية فتركوه ، وأخذوا طريق العمى ؟ وما من قوم إلّا وتبيّن لهم فيه دلائل أمير المؤمنين [عليه السلام] !

وقال أبو ذرّ : وا عجباً لمن يعاند الحقّ ! وما من وقت إلّا وينظر إلى بيانه . أيّها الناس ، قد تبيّن لكم فضل أهل الفضل ، ثمّ قال : يا فلان ! أتمنّ على أهل الحقّ بحقّهم . وهم بما في يديك أحقّ وأولى ؟!

وقال عمّار : أُناشدكم الله ! أما سلّمنا على أمير المؤمنين هذا عليّ بن أبي طالب عليه السلام في حياة رسول الله بإمرة المؤمنين ؟

فزجره عمر عن الكلام ، فقام أبو بكر ؛ فبعث عليّ عليه السلام خولة إلى بيت أسماء بنت عميس ، وقال : خذي هذه المرأة وأكرمي مثواها . فلم تزل خولة عندها إلى أن قدم أخوها ، فتزوّجها عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فكان الدليل على علم أمير المؤمنين وفساد مايورده القوم من قولهم أنّ الإمام تزوّج بها من طريق السبي . فالإمام عليه السلام تزوّج بها نكاحاً لا استرقاقاً وسبياً .

فقالت الجماعة لجابر : أنقذك الله من حرّ النار كما أنقذتنا من حرارة الشكّ . [٢٨]

ورواها السيّد هاشم البحرانيّ مفصّلاً في «مدينة المعاجز» عن كتاب «سِيَر الصحابة» بسنده المتّصل عن الباقر عليه السلام . [٢٩]

كما رواها ابن شهرآشوب في مناقبه ، باب إخباره بالفتن والملاحم ، مرسلاً عن الإمام الباقر عليه السلام . وورد فيها أنّ خالداً وطلحة لمّا طرحا عليها ثوبين ، قالت : يا أيّها

الناس ! لستُ بعريانة فتكسوني ، ولا سائلة فتتصدّقون عَلَيّ ! فقال الزبير : إنّهما يريدانك .

فقالت : لا يكون لي بعل إلّا من خبّرني بالكلام الذي قلته ساعة خرجت من بطن أُمّي . فجاء أمير المؤمنين عليه السلام وناداها : يا خولة ! اسمعي الكلام وعي الخطاب ! لمّا كانت أُمّك حاملة بك وضربها الطلق واشتدّ بها الأمر ، نادت : اللهمّ سلّمني من هذا المولود سالماً ! فسبقت الدعوة لك بالنجاة . فلمّا وضعتك ، ناديتِ من تحتها : لَا إِلَهَ إِلّا اللَهُ ، مُحَمّداً رَسُولُ اللَهِ . يا أُمّاه ! لم تدعين عَلَيّ وعمّا قليل سيملكني سيّد يكون لي منه ولد .

فكتبتْ أُمّك ذلك الكلام في لوح نحاس ، فدفنته في الموضع الذي سقطتِ فيه . فلمّا كانت في الليلة التي تغيّبت أُمّك فيها (قبضت روحها ــ خ ل) ، أوصت إليك بذلك . فلمّا كان وقت سبيك ، لم تكن لكِ همّة إلّا أخذ ذلك اللوح ، فأخذتيه وشددتيه على عضدك ! هاتي اللوح فأنا صاحب اللوح ! وأنا أمير المؤمنين ، وأنا أبو ذلك الغلام الميمون واسمه محمّد ــ إلى آخر الرواية ، وفيها : فلم تزل عندها (أي عند أسماء) إلى أن قدم أخوها فَتَزَوّجَهَا مِنْهُ وَأَمْهَرَهَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السّلَامُ وَتَزَوّجَهَا نِكَاحاً . (٣٠)

وقال ابن شهرآشوب هنا وهو ينقل هذا الخبر وسائر الأخبار الغيبيّة لأمير المؤمنين عليه السلام : وهذه كلّها أخبار بالغيب أفضى إليه النبيّ صلّى الله عليه وآله ممّا أطلعه الله عزّ وعلا عليه ، كما قال الله تعالى:

عَلِمُ الغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلّا مَنِ ارْتَضَى مِن رّسُولٍ فَإِنّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا * لِيَعْلَمَ أَن قَدْ أَبْلَغُوا رِسَلَتِ رَبّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلّ شَىْءٍ عَدَدًا .

ولم يشحّ النبيّ صلّى الله عليه وآله وصيّه بذلك كما قال تعالى : وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَنِينٍ . (٣١) ولا ضنّ عليّ عليه السلام على الأئمّة من ولده عليهم السلام . وأيضاً لا يجوز أن يخبر بمثل هذا إلّا من أقامه رسول الله صلّى الله عليه وآله مقامه من بعده . (٣٢)

ولمّا كان الجدّ الأعلى لخولة حَنَفِيّة بن لجيم ، قيل لها : خولة الحنفيّة . وقيل لابنها محمّد : ابن الحنفيّة تميّزاً له عن سائر أولاد أمير المؤمنين عليه السلام بخاصّة الحسنين عليهما السلام . وإذا استثنينا الحسنين عليهما السلام ، فهو أشجع أولاد الإمام وأعلمهم وأزهدهم . وكان لواء أبيه بيده يوم الجمل وصفّين .

وذكر ابن خَلّكان نسب أُمّه خولة كالآتي : خولة بنت جعفر بن قَيْس ابن مَسْلَمَة بن عبد الله بن ثعلِبَة بن يَرْبُوع بن ثَعْلِبَةِ بن الدّوَل بن الحَنفِيّة بن لجيم . وقال ابن أبي الحديد بعد هذا السرد : ابن صَعْب بن عليّ بن بكر ابن وائل . (٣٣) وأُسرت خولة في حروب الردّة أيّام أبي بكر ، وسيقت إلى المدينة . وعرفنا ما جرى لها .

من الجدير ذكره أنّ حروب الردّة التي وقعت في عهد أبي بكر كانت على ضربين : الأوّل : حروب الردّة الحقيقيّة عن الإسلام ، كحرب مسيلمة الكذّاب ، والأسود العنسيّ الكذّاب وطُليحة ، وغيرهم . والثاني : حروب قامت بسبب عدم انقياد أصحابها لخلافة أبي بكر .

وآية الضرب الأوّل من تلك الحروب أنّ أصحابها كانوا لا يقيمون الصلاة ، ولا يؤذّنون ، ولا يطبّقون سائر شعائر الدين . أمّا آية الضرب الثاني منها فهي أنّ أصحابها كانوا يؤذّنون ويقيمون ويؤدّون الصلاة ، بَيدَ أنّهم امتنعوا عن دفع الزكاة إلى الحاكم آنذاك ، وكانوا يقولون : إنّ النبيّ نصب وصيّاً له ، ونحن ندفع زكاتنا إلى وصيّه . وما لم يقبل الوصيّ منّا ذلك ، فإنّا لا ندفعها إلى صندوق الخليفة المزيّف المفروض . وكانت حرب خالد بن الوليد مع قبيلة بني يربوع ، وهم الحنفيّة الذين ينتمي إليهم مالك ابن نُوَيْرَة من هذا الضرب . علماً أنّ خولة الحنفيّة أُسرت في هذه الحرب .

قدم مالك بن نُوَيْرة المدينة أيّام رسول الله صلّى الله عليه وآله وتشرّف بالإسلام بين يديه ، وطلب من رسول الله أن يوصيه . فأوصاه بأمير المؤمنين عليه السلام . وهو نفسه سمع من رسول الله إمامة أمير المؤمنين ووصايته وخلافته . وكان ــ من جهة أُخرى ــ رئيس قبيلته ، وشاعراً منيعاً رفيع الهمّة .

ولمّا توفّي رسول الله صلّى الله عليه وآله ، جاء إلى المدينة مع جماعة من بني تميم ورأى أبا بكر على منبر رسول الله ، فقال له : مَنْ أرْقَاكَ هَذَا المِنْبَرَ وَقَدْ جَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلِيّاً وَصِيّهُ وَأَمَرَنِي بِمُوالَاتِهِ ؟

فأمر أبو بكر بإخراجه من المسجد . فأخرجه قُنفُذ بن عمير ، وخالد ابن الوليد . وعاد إلى قبيلته ونصح قومه الذين كانوا يريدون الامتناع عن دفع الزكاة وقال : إنّا مسلمون وقد اعتنقنا هذا الدين فتربّصوا بزكاتكم حتّى نوصلها إلى وصيّ محمّد صلّى الله عليه وآله .

فوجّه إليه أبو بكر خالد بن الوليد وقال له : أنت تعلم ما قال لنا مالك أخيراً ؟ ولستُ آمن أن يفتق علينا فتقاً لا يلتئم ، فاقتله .

قدم خالد البطاح فلم يجد من خالفه وقال له جنوده : رأينا هؤلاء القوم يؤذّنون ويقيمون الصلاة . وممّن شهد على ذلك عند خالد بن الوليد أبو قُتادة الحارث بن رِبعي حليف بن سلمة ، قال : أنا رأيت وسمعت صلاتهم وأذانهم . فلم يسمع كلامه . فلمّا جنّ الليل وآمنهم خالد وطلب منهم أن يضعوا أسلحتهم لأنّهم مسلمون ! وضعوا أسلحتهم على الأرض فضرب خالد أعناقهم ، وكان مع مالك بن نويرة عدد من بني ثعلبة بن يربوع ، وفيهم عاصم ، وعبيد ، وعَرين ، وجعفر . وجعل رؤوسهم أثافي لقدورهم طبخوا عليها طعامهم . وفي تلك الليلة تزوّج خالد بزوجة مالك ، وهي أُمّ تميم بنت المنهال ، وكان قد رآها

وفتن بجمالها . وقيل : إنّها كانت من أجمل نساء عصرها . وقال لها مالك عند قتله : أنتِ قتلتيني بعرض نفسك !

وقال أبو قتادة لخالد : قتلت مسلماً بريئاً ونزوت على امرأته في تلك الليلة ، والله لا أسير تحت لواء خالد في جيش أبداً . وركب فرسه شادّاً إلى أبي بكر ، فقدم المدينة وأخبر أبا بكر بالقصّة ، فلم يقبل قوله .

وكان عمر صاحب مالك بن نويرة وحليفه في الجاهليّة فغضب لما فعل خالد ، ومضى إلى أبي بكر وحرّضه على قتل خالد ورجمه ، لأنّه قتل مسلماً وزنى بزوجته . فقال أبو بكر : هِيهِ يَا عُمَرُ ! تَأَوّلَ وَأَخْطَأَ ، فَارْفَعْ لِسَانَكَ عَنْ خَالِدٍ . فقال عمر : إن لم تقتله ، فاعزله من إمارة الجيش ! فقال أبو بكر : لَا ، يَا عُمَرُ ! لَمْ أَكُنْ لَأَشِيمَ سَيْفَاً سَلّهُ اللَهُ عَلَى الكَافِرِينَ .

ولمّا رجع خالد ، دخل المسجد وعليه قباء غشاه صدأ الحديد وقد غرز في عمامته أسهماً ، فقام إليه عمر فانتزعها ، فحطّمها وقال له : أَرِيَاءٌ ؟ قَتَلْتَ امْرِءَاً مُسْلِمَاً ثُمّ نَزَوْتَ عَلَى امْرَأَتَهُ ! وَاللَهِ لَأَرْجُمَنّكَ بِأَحْجَارِكَ . وخالد لا يكلّمه ، يظنّ أنّ رأي أبي بكر مثله . ودخل على أبي بكر ، فعذره أبو بكر وتجاوز عنه . ولمّا خرج خالد من عنده ، التفت إلى عمر وقال : هَلُمّ إِلَيّ يَابْنَ أُمّ شَمْلَةَ . يُعرّض بذلك بعمر .

وجملة القول أنّ أبا بكر أعطى دية مالك بن نويرة من بيت المال . ويرى أصحابنا رضوان الله عليهم أنّ هذه الحادثة من مطاعن أبي بكر . وقدحوا فيها من عدّة جهات . منها : لو فرضنا أنّ مالكاً وجب قتله بمنع الزكاة ، فلا ريب في إسلام النساء والذراري . وليس ارتداد الرجال بمنعهم الزكاة موجباً لكفر النساء والذراري .

وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى . (٣٤)

ولو فرضنا أنّ أبا بكر عذر خالداً لقتله مالكاً ، فما عذر خالد في سبي النساء والذراري ؟ وما عذر المدافع عنه أبي بكر ؟ هل يجوز غصب الفروج ، والزنا بامرأة مسلمة ، ونهب أموال القوم ؟

فلهذا مضافاً إلى أنّ عمر قد أقسم أن يقتصّ من خالد ويقتله إذا تقلّد أمر الحكومة ، فإنّه أقسم أيضاً أن يردّ السبايا مع الأموال المنهوبة إلى أصحابها . وكذلك فعل فيما يخصّ الأموال والسبايا . أوّلاً : لم يتصرّف في حصّته من الأموال . ثانياً : جمعها مع باقي الأموال والسبايا ، مع أنّ بعض النساء كنّ حوامل ، وكنّ قد أُشخصن إلى مناطق بعيدة كنواحي الشام وأطراف الروم ، جمعها كلّها وأرجعها إلى بني ثعلبة بن يربوع .

ولكن هل اقتصّ من خالد ورجمه ؟ أبداً . ومن هنا نفهم أنّ عتابه أبا بكر ومؤاخذته إيّاه لقتل مالك لم تنطلق من حسّ دينيّ وشعور بالذبّ عن شريعة سيّد المرسلين ، بل انطلقت من كونه صديقاً وحليفاً له في الجاهليّة .

ونقول في توضيح هذه المسألة : لمّا امتنع سعد بن عُبادة ، [٣٥] رئيس الخزرج ، وهم من أنصار المدينة ، من بيعة أبي بكر بعد حادثة سقيفة بني ساعدة ، وأراد المبايعون لأبي بكر أن يطالبوه بالبيعة ، قال لهم ولده قيس : إنّي ناصح لكم ، فاقبلوا منّي . قالوا : وما ذاك ؟ قال : إنّ سعداً حلف أن لا يبايعكم . وإذا حلف ، فعل . ولن يبايعكم حتّى يقتل . ولن يقتل حتّى يقتل معه ولده وأهل بيته . ولن يقتلوا حتّى تقتل الخزرج كلّها . ولن يقتلوا حتّى تقتل الأوس كلّها (ذلك أنّهما من الأنصار في مقابل المهاجرين) . ولن يقتل الأوس والخزرج ، حتّى تقتل اليمن كلّها . فلا تفسدوا عليكم أمراً قد كمل واستتمّ لكم . فسمعوا نصيحته وقبلوها ، ولم يتعرّضوا لسعد .

ثمّ إنّ سعداً خرج من المدينة إلى الشام ، فنزل في قرى غسّان من بلاد دمشق . وكان غسّان من عشيرته . وكان خروج سعد مثيراً لأنصار الخلافة ، بخاصّة أنّها أقلقت الأجواء من خلال معارضة أمير المؤمنين عليه السلام وعدم بيعته هو وجميع بني هاشم وكثير من الأنصار ، والوجهاء من المهاجرين . وكان خالد بن الوليد يومئذٍ بالشام . وكان ممّن يعرف بجودة الرمي ، وكان معه رجل من قريش موصوف بجودة الرمي . فاتّفقا على قتل سعد بن عبادة لامتناعه من البيعة لقريش ، فاستترا ليلة بين شجر وكرم . فلمّا مرّ بهما ، رمياه بسهمين ، وأنشدا بيتين من الشعر ونسباهما إلى الجنّ :

نَحْنُ قَتَلْنَا سَيِّدَ الخَزْرَجِ
سَعْدَ بْنَ عُبَادَه
وَرَمَيْنَاهُ بِسَهْمَيْنِ
فَلَمْ نُخْطِ فُؤَادَه

وقرأهما ليلة بالمدينة من داخل بئر فظنّ الناس أنّهما للجنّ ، وأنّ الجنّ قتلوه . ولمّا ملك عمر ، ورأى خالداً يوماً في بعض بساتين المدينة ، قال له : يا خالد ! أنت الذي قتلت مالك بن نويرة ؟ فقال خالد : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! إن كُنتُ قَتَلْتُ مَالِكَ بْنَ نُوَيْرَةَ لِهَنَاتٍ كَانَتْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، فَقَدْ قَتَلْتُ لَكُمْ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ لِهَنَاتٍ كَانَتْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُ . فسُرّ عمر بكلامه وأُعجب به ، وقام وضمّه إلى صدره ، وقال له : أَنتَ سَيْفُ اللَهِ وَسَيْفَ رَسُولِهِ.

ولم يتعرّض عمر لخالد بعد ذلك لأنّه علم أنّ قاتل سعد بن عبادة هو خالد نفسه ، فجعل دم مالك بدم سعد بن عبادة ، وتجاوز عن خالد ، وهو الذي أقسم في أيّام أبي بكر إنّه لو ملك ، لاقتصّ منه : وَاللَهِ لَئِنْ وُلّيتُ الأَمْرَ ، لَأُقَيِّدَنَّكَ بِهِ ! وعلى هذا استبان ممّا ذكرناه أنّ عمر لم يدافع عن مالك بن نويرة ، بل كان شريكاً في دمه . إذ لم يقتصّ في أيّام حكومته من خالد لأجل مصالحه الدنيويّة ! [٣٦]

وكانت مظلوميّة مالك منذ البداية موضع بحث واحتجاج بين علمائنا ومخالفينا . وهي مذكورة في الكتب الكلاميّة والتواريخ ، منها : «تاريخ الطبريّ» ، و«الكامل» لابن الأثير

الجَزَريّ ، و«روضة الأحباب» لعطاء الله ، و«نهاية العقول» للفخر الرازيّ ، و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، و«الاستيعاب» لابن عبد البرّ ، و«العِقد الفريد» لابن عبد ربّه ، و«المغني» للقاضي عبد الجبّار ، وكتب التفتازانيّ ، والقوشجيّ ، والشريف الجرجانيّ ، والشريف المرتضى في «الشافي في الإمامة» ، وكتب العلّامة الحلّيّ ، وكتب العلّامة المجلسيّ رحمه الله وغيرهم . وما نقلناه هنا مختصر من الطعن الخامس للمجلسيّ على أبي بكر ، الوارد في «بحار الأنوار» ، [٣٧] مع جمل من «تاريخ الطبريّ» . [٣٨]

قال الشيخ المفيد في «الإرشاد» : والذي كان من أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الصدد (أي الإخبار بالغيب) ما لا يستطاع إنكاره إلّا مع الغباوة والجهل والبهت والعناد . ألا ترى إلى ما تظاهرت به الأخبار ، وانتشرت به الآثار ، ونقلته الكافّة عنه عليه السلام من قوله قبل قتاله الفرق الثلاث بعد بيعته : أُمِرْتُ بِقِتَالِ النّاكِثِينَ وَالقَاسِطِينَ وَالمَارِقِينَ . (والمقصود من هؤلاء هم أصحاب الجمل ، وأصحاب معاوية ، وخوارج النهروان الذين قاتلهم في الجمل ، وصفّين ، والنهروان) فقاتلهم عليه السلام وكان الأمر فيما خبّر به على ما قال . [٣٩]

وقال عليه السلام لطلحة والزبير حين استأذناه في الخروج إلى العُمرة : وَاللَهِ مَا تُرِيدَانِ العُمْرَةَ وَإنّمَا تُرِيدَانِ البَصْرَةَ . وكان الأمر كما قال . [٤٠]

وقال عليه السلام لابن عبّاس يخبره عن استئذانهما له في العُمرة : إنّنِي أَذِنْتُ لَهُمَا مَعَ عِلْمِي بِمَا قَدِ انْطَوَيَا عَلَيْهِ مِنَ الغَدْرِ وَاسْتَظْهَرْتُ بِاللَهِ عَلَيْهِمَا وَإنّ اللَهَ تَعَالَى سَيَرُدّ كَيْدَهُمَا وَيَظْفُرُنِي بِهِمَا . فكان الأمر كما قال . [٤١]

وقال ابن شهرآشوب بعد الرواية الأُولى التي قال فيها عليه السلام : وَإنّمَا تُرِيدَانِ البَصْرَةَ : وفي رواية : إنّمَا تُرِيدَانِ الفِتْنَةَ . وقال عليه السلام أيضاً : لَقَدْ دَخَلَا بِوَجْهٍ فَاجِرٍ وَخَرَجَا بِوَجْهٍ غَادِرٍ ، وَلَا أَلْقَاهُمَا إلّا فِي كَتِيبَةٍ ، وَأَخْلَقُ بِهِمَا أَنْ يُقْتَلَا .

وفي رواية أبي الهَيْثَمْ بن التّيّهان ، وعبد الله بن رافع (أنّه عليه السلام قال لهما) : وَلَقَدْ أُنْبِئْتُ بِأَمْرِكُمَا وَأُرِيتُ مَصَارِعَكُمَا ؛ فَانْطَلَقَا وَهُوَ يَقُولُ ، وَهُمَا يَسْمَعَانِ:

«فَمَن نّكَثَ فَإنّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» . [٤٢]

ونقل المجلسيّ رضوان الله عليه عن «المناقب» لابن شهرآشوب ، عن ابن عبّاس ، أنّ الإمام عليه السلام قال يوم الجمل : لَنَظْهَرَنّ عَلَى هَذِهِ الفِرْقَةِ وَلَنَقْتُلَنّ هَذَينِ الرّجُلَيْنِ . وفي رواية : لَتَفْتَحُنّ البَصْرَةَ وَلَيأْتِيَنّكُمُ اليَوْمَ مِنَ الكُوفَةِ ثَمَانِيَةُ آلافٍ وَبِضْعٌ وَثَلَاثُونَ رَجُلاً . [٤٣] فكان كما قال . وفي رواية : ستّة آلاف وخمسة وستّون .

وقال الشيخ المفيد : وقال عليه السلام بذي قار وهو جالس لأخذ البيعة : يَأْتِيكُمْ مِنْ قِبَلِ الكُوفَةِ أَلْفُ رَجُلٍ لَا يَزِيدُونَ رَجُلاً وَلَا يَنقُصُونَ رَجُلاً يُبَايُعوني عَلَى المَوْتِ .

قال ابن عبّاس : فجزعتُ لذلك وخفتُ أن ينقص القوم عن العدد أو يزيدوا عليه فيفسد الأمر علينا . ولم أزل مهموماً دأبي إحصاء القوم ، حتّى ورد أوائلهم ، فجعلت أُحصيهم ، فاستوفيت عددهم تسعمائة رجل وتسعة وتسعين رجلاً . ثمّ انقطع مجيء القوم ، فقلتُ : إِنّا لِلّهِ وَإِنّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ . ماذا حمله على ما قال ؟

فبينا أنا مفكّر في ذلك إذ رأيت شخصاً قد أقبل ، حتّى إذا دنا ، فإذا هو راجل عليه قباء صوف ، معه سيفه وتُرسه وإداوته ، فقرب من أمير المؤمنين عليه السلام فقال له : أُمدُدْ يَدَكَ أُبَايِعْكَ .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : عَلَامَ تُبَايِعُنِي ؟

قال : عَلَى السّمْعِ وَالطّاعَةِ وَالقِتَالِ بَيْنَ يَدَيْكَ حَتّى أَمُوتَ أَوْ يَفْتَحَ اللَهُ عَلَيْكَ .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ما اسمك ؟ قال : أُوَيْس . قال : أَنْتَ أُوَيْسُ القَرَنِيّ ؟ قال : نعم .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : اللَهُ أَكْبَرُ ، أَخْبَرَنِي حَبِيبِي رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَنّي أُدْرِكُ رَجُلاً مِنْ أُمّتِهِ يُقَالُ لَهُ : أُوَيْسُ القَرَنِيّ ، يَكُونُ مِنْ حِزْبِ اللَهِ وَرَسُولِهِ ، يَمُوتُ عَلَى الشّهَادَةِ ، يَدْخُلُ فِي شَفَاعَتِهِ مِثْلُ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ ، اللَهُ أَكْبَرُ .

قال ابن عبّاس : فَسُرِيَ وَاللَهِ عَنّي . [٤٤]

وقال الشيخ المفيد أيضاً : ومن ذلك (أي إخباره عليه السلام بالغيب) قوله وقد رفع أهل الشام المصاحف ، وشكّ فريق من أصحابه ولجؤوا إلى المسالمة ودعوه إليها : وَيْلَكُمْ ، إِنّ هَذِهِ خَدِيعَةٌ وَمَا يُرِيدُ القَوْمَ القُرْآنَ لِأَ نّهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ قُرْآنٍ ، فَاتّقُوا اللَهَ وَامْضُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ فِي قِتَالِهِمْ ، فَإِن لَمْ تَفْعَلُوا تَفَرّقَتْ بِكُمُ السّبُلُ وَنَدِمْتُمْ حَيْثُ لَا تَنْفَعُكُمُ النّدَامَةُ .

فكان الأمر كما قال . وكفر القوم بعد التحكيم ، وندموا على ما فرط منهم في الإجابة إليه ، وتفرّقت بهم السبل ، وكان عاقبتهم الدمار . [٤٥]

وقال الشيخ المفيد أيضاً : وقال عليه السلام وهو متوجّه إلى قتال الخوارج : لَوْلَا أَنّي أَخَافُ أَنْ تَتّكِلُوا وَتَتْرُكُوا العَمَلَ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا قَضَاهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيّهِ عَلَيْهِ السّلَامُ فِيمَنْ قَاتَلَ هَؤُلَاءِ القَوْمَ مُسْتَبْصِراً بِضَلَالَتِهِمْ ، وَإِنّ فِيهِمْ لَرَجُلاً مَوْذُونَ [٤٦] اليَدِ ، لَهُ ثَدْيٌ كَثَدْيِ المَرْأَةِ ، وَهُمْ شَرّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ ، وَقَاتِلُهُمْ أَقْرَبُ خَلْقِ اللَهِ إِلَى اللَهِ وَسِيلَةً . [٤٧]

ولم يكن المُخْدِجُ [٤٨] (وهو ذو الثّدَيّة الذي كانت إحدى يديه ناقصة وهي كالثدي في جانب صدره) معروفاً في القوم . فلمّا قتلوا جعل (أمير المؤمنين) عليه السلام يطلبه في القتلي ، ويقول : وَاللَهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ . حتّى وُجد في القوم ، فَشُقّ قميصه فكان على كتفه سلعة كثدي المرأة ، عليها شعرات إذا جذبت انجذب كتفه معها . وإذا تُركت رجع كتفه إلى موضعه . فلمّا وجده أمير المؤمنين عليه السلام ، كبّر ، ثمّ قال :

إِنّ فِي هَذَا لَعِبْرَةٌ لِمَنِ اسْتَبْصَرَ . [٤٩]

قال المجلسيّ : روى ابن أبي الحديد أنّ أهل السير كافّة ذكروا أنّ عليّاً عليه السلام لمّا طحن الخوارج ، طلب ذا الثّديّة طلباً شديداً ، وقلّب القتلى ظهراً لبطن ، فلم يقدر عليه ، فساءه ذلك وجعل يقول : وَاللَهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِبْتُ ! اطلبوا الرجل وإنّه لفي القوم . فلم يزل يتطلّبه حتّى وجده و(هُوَ رَجُلٌ مُخْدِجُ اليَدِ كَأَنّهَا ثَدْيٌ فِي صَدْرِهِ) . [٥٠]

وروى إبراهيم بن ديزيل في كتاب «صفيّن» عن الأعمش ، عن زيد ابن وهب قال : لمّا شجر أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج بالرماح ، قال : اطلبوا ذا الثّديّة ، فطلبوه طلباً شديداً حتّى وجدوه في وهدة من الأرض تحت ناس من القتلى . فأُتي به وإذا رجل على يديه مثل سبلات [٥١] السّنّوْر ، فكبّر عليّ عليه السلام ، وكبّر الناس معه سروراً بذلك . [٥٢]

وروى مُسْلِم الضبّيّ أيضاً عن حَبّةَ العُرَنِيّ أنّ ذا الثّديّة كان رجلاً أسوداً منتن الريح ، له ثدي كثدي المرأة ، إذا مُدّت كانت بطول اليد الأُخرى . وإذا تُركت اجتمعت وتقلّصت وصارت كثدي المرأة عليها شعرات مثل شوارب الهرّة . [٥٣]

فلمّا وجدوه قطعوا يده ونصبوها على رمح . ثمّ جعل أمير المؤمنين عليه السلام ينادي : صَدَقَ اللَهُ وَبَلّغَ رَسُولُهُ . لم يزل يقول ذلك هو وأصحابه من العصر إلى أن غربت الشمس أو كادت . [٥٤]

وروى ابن ديزيل أيضاً ، قال : لمّا عيل صبر عليّ عليه السلام في طلب المخدج ، قال : آتوني ببلغة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فركبها ، وأتبعه الناس : فرأى القتلى وجعل يقول : اقلبوا . فيقلبون قتيلاً عن قتيل حتّى استخرجه ، فسجد عليّ عليه السلام شكراً . [٥٥]

وروى كثير من الناس أنّه لمّا دعا بالبغلة ، قال : ائتوني بها فإنّها هادية . فوقفت به على المخدج ، فأخرجه من تحت قتلى كثيرين . [٥٦]

وروى العوامّ بن حَوشَب عن أبيه ، عن جدّه : يزيد بن رويم ، قال : قال عليّ عليه السلام (بالنهروان) : يقتل اليوم أربعة آلاف من الخوارج أحدهم ذو الثديّة ، فلمّا طحن القوم ، ورام استخراج ذي الثديّة ، فأتعبه ، أمرني أن أقطع له أربعة آلاف قصبة . (وركب بغلة رسول الله وقال لي : اطرح على كلّ قتيل منهم قصبة) . [٥٧] فلم أزل كذلك وأنا بين يديه وهو راكب خلفي ، والناس يتبعونه ، حتّى بقيت في يدي واحدة .

فنظرت إليه وإذا وجهه أربد ، وإذا رجله في يدي ، فجذبتها ، وقلتُ : هذه رِجل إنسان ! فنزل عن البغلة مسرعاً ، فجذب الرّجل الأُخرى ، وجرّرناه حتّى صار على التراب فإذا هو المخدج . فكبّر عليّ عليه السلام بأعلى صوته ، ثمّ سجد فكبّر الناس كلّهم . [٥٨]

قال الشيخ المفيد : وروى أصحاب السيرة في حديثهم عن جُندب بن عبد الله الأزديّ أنّه قال : شهدتُ مع عليّ عليه السلام الجمل وصفّين ، لا أشكّ في قتال من قاتله ، حتّى نزلنا النهروان . فدخلني شكّ وقلتُ : قُرّاؤُنَا وَخِيَارُنَا نَقْتُلُهُمْ ؟ إنّ هَذَا الأَمْرَ عَظِيمٌ .

فخرجت غدوةً أمشي ومعي إداوة ماء حتّى برزتُ عن الصفوف ، فركزت رمحي ، ووضعت ترسي إليه واستترتُ من الشمس . فإنّي لجالس حتّى ورد عَلَيّ أمير المؤمنين عليه السلام فقال لي : يا أخا الأزد ! أمعك طهور ؟! قلتُ : نعم . فناولته الإداوة .

فمضى حتّى لم أره . ثمّ أقبل وقد تطهّر فجلس في ظلّ التّرس ، فإذا فارس يسأل عنه ، فقلتُ : يا أمير المؤمنين ! هذا فارس يريدك ! قال : فأشِرْ إليه ، فأشرتُ إليه ، فجاء ، فقال : يا أمير المؤمنين ! قَدْ عَبَرَ القَوْمُ ، وَقَدْ قَطَعُوا النّهْرَ . فقال (عليه السلام) : كَلّا ما عَبَرُوا . فقال : بَلَى وَاللَهِ لَقَدْ فَعَلُوا . قال : كَلّا مَا فَعَلُوا . قال : فَإنّهُ لَكَذَلِكَ . إذ جاء آخر ، فقال : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! قَدْ عَبَرَ القَوْمُ . فقال الإمام : كَلّا مَا عَبَرُوا .

قال : والله ما جئتك حتّى رأيتُ الرايات في ذلك الجانب والأثقال . فقال الإمام : وَاللَهِ مَا فَعَلُوا وَإنّهُ لَمَصْرَعُهُمْ وَمُهَرَاقُ دِمَائِهِم .

ثمّ نهض (أمير المؤمنين عليه السلام) ونهضتُ معه . فقلتُ في نفسي : الحمد للّه الذي بصّرني هذا الرجل ، وعرّفني أمره . هذا أحد رجلين : إمّا رجل كذّاب جريء أو على بيّنة من ربّه ، وعهد من نبيّه . اللهمّ إنّي أُعطيك عهداً تسألني عنه يوم القيامة : إن أنا وجدتُ القوم قد عبروا أن أكون أوّل من يقاتله ، وأوّل من يَطعنُ بالرمح في عينه . وإن كان القوم لم يعبروا ، أن أُقيم على المناجزة والقتال .

فدُفعنا إلى الصفوف ، فوجدنا الرايات والأثقال كما هي . قال : فأخذ (أمير المؤمنين عليه السلام) بقفاي ودفعني ، ثمّ قال : يَا أَخَا الأَزْدِ ! أَتَبَيّنَ لَكَ الأَمْرُ ؟ قلتُ : أجل يا أمير المؤمنين . فقال (أمير المؤمنين عليه السلام) : فَشَأْنَكَ بِعَدُوّكَ . فقتلتُ رجلاً من القوم . ثمّ قتلتُ آخر ، ثمّ اختلفتُ أنا ورجل آخر أضربه ويضربني فوقعنا جميعاً ، فاحتملني أصحابي فأفقتُ حين أفقتُ وقد فرغ من القوم .

قال الشيخ المفيد في ذيل هذه الرواية : وهذا حديث مشهور شائع بين نقلة الآثار ، وقد أخبر به الرجل عن نفسه في عهد أمير المؤمنين عليه السلام وبعده . فلم يدفعه عنه دافع ، ولا أنكر صدقه فيه مُنكرٍ . وفيه إخبار بالغيب ، وإبانة عن علم الضمير ومعرفة ما في النفوس . والآية فيه باهرة لا يعادلها إلّا ما ساواها في معناها من عظيم المعجزِ وجليل البرهان . (٥٩)

وذكر ابن شهرآشوب هذا الحديث بحذافيره ، ونقله المجلسيّ عنه . وفيه أنّ جُندباً قال : رَأَيْتُ أَصْحَابَ النّهْرَوَانِ وَلَهُمْ دَوِيّ كَدَوِيّ النّحْلِ مِنْ قِرَاءَةِ القُرْآنِ ، وفِيهِمْ أَصْحَابُ

البَرَانِسِ . والبرنس قلنسوة طويلة كانت تُلبَس في صدر الإسلام ، وهي للمشايخ والناس المحترمين .

وفي هذا الحديث أيضاً أنّ الإمام عليه السلام قال : مصرعهم ومهراق دمائهم في هذا الجانب من النهر . وفي رواية : لَا يَبْلُغُونَ إِلَى قَصْرِ بُورَى بِنْتِ كِسْرَى . (٦٠)

وقال الشريف الرضي في « نهج البلاغة » : لمّا عزم الإمام عليه السلام على حرب الخوارج ، وقيل له : إنّ القوم قد عبروا جسر النهروان ، قال : مَصَارِعُهُمْ دُونَ النّطْفَةِ . وَاللَهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ ، وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ . (٦١)

قال الشريف الرضيّ : يعني بالنطفة ماء النهر ، وهي أفصح كناية عن الماء وإن كان كثيراً جمّاً . وقد أشرنا إلى ذلك فيما تقدّم عند مضيّ ما أشبهه .

وقال ابن أبي الحديد في شرحه : هذا الخبر من الأخبار التي تكاد تكون متواترة ، لاشتهاره ونقل الناس كافّة له ؛ وهو من معجزاته وأخباره المفصّلة عن الغيب .

ثمّ قال : الأخبار على قسمين :

أحدهما : الأخبار المجملة ، ولا إعجاز فيها ، نحو أن يقول الرجل لأصحابه : إنّكم ستنتصرون على هذه الفئة التي تلقونها غداً . فإن نُصِرَ ، جعل ذلك حجّة له عند أصحابه ، وسمّها معجزة . وإن لم ينصر ، قال لهم : تغيّرت نيّاتكم وشككتم في قولي ، فمنعكم الله نصره ، ونحو ذلك من القول .

ولأنّه قد جرت العادة أنّ الملوك والرؤساء يعدون أصحابهم بالظفر والنصر ، ويُمنّونهم الدول ؛ فلا يدلّ وقوع ما يقع من ذلك على إخبار عن غيب يتضمّن إعجازاً .

والقسم الثاني : الأخبار المفصّلة عن الغيوب ، مثل هذا الخبر ، فإنّه لا يحتمل التلبيس لتقييده بالعدد المعيّن في أصحابه وفي الخوارج ، ووقوع الأمر بعد الحرب بموجبه من غير زيادة ولا نقصان . وذلك أمر إلهيّ عرفه من جهة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وعرفه رسول الله صلّى الله عليه وآله من جهة الله سبحانه . والقوّة البشريّة تقصُر عن إدراك مثل هذا . ولقد كان له (لأمير المؤمنين) عليه السلام من هذا الباب ما لم يكن لغيره . وبمقتضى ما شاهد الناس من معجزاته ، وأحواله المنافية لقوى البشر ، غلا فيه من غلا ، حتّى نُسب إلى أنّ الجوهر الإلهيّ حلّ في بدنه ، كما قالت النصارى في عيسى عليه السلام .

وقد أخبره رسول الله صلّى الله عليه وآله بذلك ، فقال : يَهْلِكُ فِيكَ رَجُلَان : مُحِبّ غَالٍ وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

وقال له تارة أُخرى :

وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَوْلَا أَنّي أُشْفِقُ أَنْ يَقُولَ طَوائِفُ مِنْ أُمّتِي فِيكَ مَا قَالَتِ النّصَارَى فِي ابْنِ مَرْيَمَ ، لَقُلْتُ اليَوْمَ فِيكَ مَقَالَاً ، لَا تَمُرّ بِمَلَأٍ مِنَ النّاسِ إلّا أَخَذُوا التّرَابَ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْكَ لِلبَرَكَةِ . (٦٢)

وروى ابن شهرآشوب عن ابن بطّة في «الإبانة» ، وأبي داود في «السنن» عن أبي مجلد في خبر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في الخوارج مخاطباً أصحابه : وَاللَهِ لَا يُقْتَلُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ .

وفي رواية أُخرى : وَلَا يَنْفَلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ وَلَا يَهْلِكُ مِنّا عَشَرَةٌ . فقُتل من أصحابه تسعة ، وانفلت من أهل النهروان تسعة : اثنان إلى سجستان ، واثنان إلى عُمان ، واثنان إلى بلاد الجزيرة ، واثنان إلى اليمن ، وواحد إلى مَوْزَن . (٦٣) والخوارج من هذه المواضع منهم .

وقال الأعثم : المقتولون من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام : رُوَيبَة بن وَبَر العجليّ ، وسَعد بن خالد السبيعيّ ، وعبد الله بن حَمّاد الأَرْحَبيّ ، والفيّاض بن خليل الأزديّ ، وكَيْسُوم بن سَلِمَة الجَهَنيّ ، وعُبَيد بن عُبَيد الخَوْلَانِيّ ، وجميع بن جشم الكِندِيّ ، وضَبّ بن عاصم الأَسديّ . (٦٤)

ونقرأ في «نهج البلاغة» خطبة للإمام عليه السلام فيها إخبار بِمُغَيّبات كثيرة . يقول عليه السلام :

أَمّا بَعْدُ ، أَيّهَا النّاسُ ! فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الفِتْنَةِ ، ولَمْ تَكُنْ لِيَجْرُأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا ، وَاشْتَدّ كَلَبُهَا . فَاسْأَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ؟ فَوَ الّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وبَيْنَ السّاعَةِ ، ولَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وتُضِلّ مِائَةً إلّا أَنبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا وقَائِدِهَا (٦٥) وسَائِقِهَا ومُنَاخِ رِكَابِهَا ومَحَطّ رِحَالِهَا ؛ ومَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا ، ويَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً .

ولَوْ قَدْ فَقَدْتُمونِي ونَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الأُمُورِ ، وحَوازِبُ الخُطُوبِ ، لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السّائِلِينَ وفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ المَسْؤولِينَ . وذَلِكَ إذَا قَلّصَتْ حَرْبُكُمْ وشَمّرَتْ عَنْ سَاقٍ ، وضَاقَتِ الدّنْيَا عَلَيْكُمْ ضِيقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيّامَ البَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتّى يَفْتَحَ اللَهُ لِبَقِيّةِ الأَبْرارِ مِنْكُمْ . إنّ الفِتَنَ إذَا أَقْبَلَتْ شَبّهَتْ ، وإذَا أَدْبَرَتْ نَبّهَتْ . يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ ويُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ ، يَحُمْنَ حَوْلَ الرّيَاحِ ، يُصِبْنَ بَلَداً ويُخْطِئْنَ بَلَداً .

أَلَا إنّ أَخوفَ الفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيّةَ ، فَإنّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمّتْ خُطّتُهَا وخَصّتْ بَلِيّتُهَا وأَصَابَ البَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا ، وأَخْطَأَ البَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وأَيْمُ اللَهِ لَتَجِدُنّ بَنِي أُمَيّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ كَالنّابِ الضّرُوسِ تَعْذِمُ بِفِيهَا وتَخْبِطُ بِيَدِهَا وتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا وتَمْنَعُ دَرّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إلّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . ولَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتّى لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إلّا كَانْتِصَارِ العَبْدِ مِنْ رَبّهِ ، وَالصّاحِبِ مِنْ

مُسْتَصْحِبِهِ . تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيّةً وَقِطَعاً جَاهِلِيّةً لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدَىً ، وَلَا عَلَمٌ يُرَى .

نَحْنُ أَهْلُ البَيْتِ [٦٦] مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ . ثُمّ يُفَرّجُهَا اللَهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً ، وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً ، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبّرَةٍ ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلّا السّيْفَ وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلّا الخَوْفَ .

فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدّ قُرَيْشٌ بِالدّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ اليَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي . [٦٧]

قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الخطبة : إنّما قال [أمير المؤمنين عليه السلام] : وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي ، لأنّ الناس كلّهم كانوا يهابون قتال أهل القبلة ، ولا يعلمون كيف يقاتلونهم ؟ هل يتبعون مولّيهم أم لا ؟ وهل يجهزون على جريحهم أم لا ؟ وهل يقسمون فيئهم أم لا ؟ وكانوا يستعظمون قتال من يؤذّن كأذاننا ، ويصلّي كصلاتنا ، واستعظموا أيضاً حرب عائشة وحرب طلحة والزبير لمكانهم في الإسلام ، وتوقّف جماعتهم عن الدخول في تلك الحرب ، كالأحنف بن قيس ، وغيره . فلولا أنّ عليّاً اجترأ على سلّ السيف فيها ما أقدم أحدٌ عليها .

ثمّ قال عليه السلام : سَلُوني قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُوني . روى صاحب كتاب «الاستيعاب» وهو أبو عمر محمّد بن عبد البرّ عن جماعة من الرواة والمحدّثين ، قالوا : لَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الصّحَابَةِ رَضِيَ اللَهُ عَنْهُمْ : «سَلُوني» إِلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وروى شيخنا أبو جعفر الإسكافيّ في كتاب «نقض العثمانيّة» عن عليّ بن الجعد ، عن ابن شُبْرمة ، قال : لَيْسَ لِأَحَدٍ مِنَ النّاسِ أَنْ يَقُولَ عَلَى المِنْبَرِ : «سَلُوني» إِلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السّلَامُ . ثمّ فتح ابن أبي الحديد فصلاً في أُمور غيبيّة أخبر بها الإمام عليه السلام ، فقال ما نصّه :

اعلم أنّ عليّاً عليه السلام قد أقسم في هذا الفصل بالله الذي نفسه بيده ، إنّهم لا يسألونه عن أمر يحدث بينهم وبين القيامة إلّا أخبرهم به . وإنّه ما صحّ من طائفة من الناس يهتدي بها مائة وتضلّ بها مائة ، إلّا وهو مخبر لهم ــ إن سألوه ــ برعاتها ، وقائدها ، وسائقها ، ومواضع نزول ركابها وخيولها ، ومن يُقتَلُ منها قتلاً ، ومن يموت منها موتاً .

وهذه الدعوى ليست منه عليه السلام ادّعاء الربوبيّة ، ولا ادّعاء النبوّة ؛ ولكنّه كان يقول : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخبره بذلك . ولقد امتحنّا إخباره عليه السلام ، فوجدناه موافقاً . فاستدللنا بذلك على صدق الدعوى المذكورة ، كإخباره عن الضربة التي يُضربُ بها في رأسه فتخضب لحيته .

وإخباره عن قتل الحسين ــ ابنه ــ عليهما السلام ، وما قاله في كربلاء حين مروره بها .

وإخباره بملك معاوية الأمر من بعده .

وإخباره عن الحجّاج [بن يوسف الثقفيّ] ، وعن يوسف بن عمر ، وما أخبر به من أمر الخوارج بالنهروان .

وما قدّمه إلى أصحابه من إخباره بقتل من يقتل منهم ، وصلب من يصلب ، وإخباره بقتال الناكثين والقاسطين والمارقين .

وإخباره بعدّة الجيش الوارد إليه من الكوفة لمّا شخص عليه السلام إلى البصرة لحرب أهلها .

وإخباره عن عبد الله بن الزبير ، وقوله فيه : خَبّ ضَبّ ، [٦٨] يَرُومُ أَمْرَاً وَلَا يُدْرِكهُ ، يَنْصِبُ حَبَالَةَ الدّينِ لِاصطِيَادِ الدّنْيَا ، وَهُوَ بَعْدُ مَصْلُوبُ قُرَيْشٍ .

وكإخباره عن هلاك البصرة لحرب أهلها . وهلاكها تارة أُخرى بالزنج ، وهو الذي صحّفه قوم ، فقالوا : بالريح .

وكإخباره عن ظهور الرايات السود من خراسان ، وتنصيصه على قوم من أهلها يعرفون ببني رزيق (بتقديم الراء المهملة على الزاي المعجمة) وهم آل مصعب الذين منهم طاهر بن الحسين وولده ، وإسحاق بن إبراهيم . وكانوا هم وسلفهم دعاة الدولة العبّاسيّة .

وكإخباره عن الأئمّة الذين ظهروا من ولده بطبرستان ، كالناصر ، والداعي ، وغيرهما ، في قوله عليه السلام : وَإِنّ لِآلِ مُحَمّدٍ بِالطّالَقَانِ لَكَنْزاً سَيُظْهِرُهُ اللَهُ إِذَا شَاءَ . دُعَاؤُهُ حَقّ ، يَقُومُ بِإِذْنِ اللَهِ فَيَدْعُو إِلَى دِينِ اللَهِ .

وكإخباره عن مقتل ذي النفس الزكيّة بالمدينة ، وقوله : إِنّهُ يُقْتَلُ عِنْدَ أَحْجَارِ الزّيْتِ . وكقوله عن أخيه إبراهيم المقتول بباب حمزة : يُقْتَلُ بَعْدَ أَنْ يَظْهَرَ وَيُقْهَرُ بَعْدَ أَنْ يَقْهَرَ .

وقوله فيه أيضاً : يَأْتِيهِ سَهْمُ غَرْبٍ يَكُونُ فِيهِ مَنِيّتُهُ . فَيَا بُؤْسَاً لِلرّامي ! شَلّتْ يَدَهُ ، وَوَهَنَ عَضُدُهُ .

وكإخباره عن قتلى وَجّ ، [٦٩] وقوله فيهم : هُمْ خَيْرُ أَهْلِ الأَرْضِ .

وكإخباره عن المملكة العلويّة بالغرب ، وتصريحه بذكر كتامة ، وهم الذين نصروا أبا عبد الله الداعي المعلّم . وكقوله وهو يشير إلى أبي عبد الله المهديّ : وَهُوَ أَوّلُهُمْ ، ثُمّ يَظْهَرُ صَاحِبُ القَيْرَوَانِ [٧٠] الغَضّ البَضّ ، ذُو النّسَبِ المَحْضِ ، المُنْتَجَبُ مِنْ سُلَالَةِ ذِي البَدَاءِ ، المُسَجّى بِالرّدَاءِ .

وكان عبيد الله المهديّ أبيضاً مترفاً مشرباً بحُمرة ، رخص البدن ، تارّ الأطراف . [٧١] وذو البداء إسماعيل بن جعفر بن محمّد عليهما السلام . وهو المسجّى بالرداء ، لأنّ أباه الصادق عليه السلام سجّاه بردائه لمّا مات . وأدخل إليه وجوه الشيعة يشاهدونه ، ليعلموا موته ، وتزول عنهم الشبهة في أمره .

وكإخباره عن بني بويه وقوله فيهم : وَيَخْرُجُ مِنْ دَيْلَمَانَ بَنُو الصّيّادِ . إشارة إليهم . وكان أبوهم صيّاد السمك يصيد منه بيده ما يتقوّت هو وعياله بثمنه . فأخرج الله تعالى من ولده لصلبه ملوكاً ثلاثة ، [٧٢] ونشر ذرّيّتهم حتّى ضربت الأمثال بملكهم . وكقوله عليه السلام فيهم : ثُمّ يَسْتَشْرِي أَمْرُهُمْ حَتّى يَمْلِكُوا الزّوْرَاءَ وَيَخْلَعُوا الخُلَفَاءَ . فقال له قائل : فكم مدّتهم يا أمير المؤمنين ؟ فقال : مِائَةٌ أَوْ تَزِيدُ قَلِيلاً .

وكقوله فيهم : وَالمُتْرَفُ ابْنُ الأَجْذَمِ ، يَقْتُلُهُ ابْنُ عَمّهِ عَلَى دِجْلَةَ . وهو إشارة إلى عِزّ الدّوْلَةِ بختيار بن مُعِزّ الدّوْلَةِ أبي الحسين . وكان مُعِزّ الدّوْلَةِ أقطع اليد ، قطعت يده للنكوص في الحرب . وكان ابنه عِزّ الدّوْلَةِ بختيار مترفاً ، صاحب لهو وشرب . وقتله عَضُدُ الدّوْلَةِ فَنّاخُسْرُو ابن عمّه بقصر الجُصّ على دجلة في الحرب ، وسلبه ملكه .

وأمّا خلعهم للخلفاء ، فإنّ مُعِزّ الدَوْلَةِ خلع المُسْتَكْفِيّ ، ورتّب عوضه المُطِيعَ لِلّهِ . وبَهَاءُ الدّوْلَةِ أبو نصر بن عَضُد الدّوْلَةِ خلع الطّائِعَ لِلّهِ ورتّب عوضه القَادِرَ بِاللَهِ . وكانت مدّة ملكهم كما أخبر به عليه السلام .

وكإخباره عليه السلام لعبد الله بن عبّاس رحمه الله تعالى عن انتقال الأمر إلى أولاده . فإنّ عليّ بن عبد الله لمّا ولد ، أخرجه أبوه عبد الله إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فأخذه ، وتفل في فيه وحنّكه بتمرة قد لاكها ، ودفعه إليه ، وقال : خُذْ إلَيْكَ يَا أَبَا الأَمْلَاكِ . هكذا الرواية الصحيحة . وهي التي ذكرها أبو العبّاس المبرّد في «الكامل» وليست الرواية التي يذكر فيها العدد بصحيحة ، ولا منقولة من كتاب معتمد عليه .

وكم له من الإخبار عن الغيوب الجارية هذا المجرى ، ممّا لو أردنا استقصاءه لكرّسنا له كراريس كثيرة . وكتب السير تشتمل عليها مشروحة .

فإن قلتَ : لماذا غلا الناس في أمير المؤمنين عليه السلام ، فادّعوا فيه الإلهيّة لإخباره عن الغيوب التي شاهدوا صدقها عياناً . ولم يغلوا في رسول الله صلّى الله عليه وآله فيدّعوا له الإلهيّة ، وأخباره عن الغيوب الصادقة قد سمعوها وعلموها يقيناً . وعلى هذا كان النبيّ أولى بذلك ، لأنّه الأصل المتبوع ، ومعجزاته أعظم ، وأخباره عن الغيوب أكثر ؟!

قلتُ : إنّ الذين صحبوا رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وشاهدوا معجزاته ، وسمعوا إخباره عن الغيوب الصادقة عياناً ، كانوا أشدّ آراءً ، وأعظم أحلاماً ، وأوفر عقولاً من تلك الطائفة الضعيفة العقول ، السخيفة الأحلام الذين رأوا أمير المؤمنين عليه السلام في آخر أيّامه ، كعبد الله بن سبأ وأصحابه ، فإنّهم كانوا من ركاكة البصائر وضعفها على حال مشهورة . فلا عجب عن مثلهم أن تستخفّهم المعجزات ، فيعتقدوا في صاحبها أنّ الجوهر الإلهيّ قد حلّه ، لاعتقادهم أنّه لا يصحّ من البشر هذا إلّا بالحلول .

وقد قيل : إنّ جماعة من هؤلاء كانوا من نسل النصارى واليهود ، وقد كانوا سمعوا من آبائهم وسلفهم القول بالحلول في أنبيائهم ورؤسائهم ، فاعتقدوا فيه عليه السلام مثل ذلك .

ويجوز أن يكون أصل هذه المقالة من قوم ملحدين أرادوا إدخال الإلحاد في دين الإسلام . فذهبوا إلى ذلك . ولو كانوا في أيّام رسول الله صلّى الله عليه وآله ، لقالوا فيه مثل هذه المقالة ، إضلالاً لأهل الإسلام ، وقصداً لإيقاع الشبهة في قلوبهم . ولم يكن في الصحابة مثل هؤلاء . ولكن قد كان فيهم منافقون وزنادقة ، ولم يهتدوا إلى هذه الفتنة ، ولا خطر لهم مثل هذه المكيدة .

وممّا ينقدح لي من الفرق بين هؤلاء القوم ، وبين العرب الذين عاصروا رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّ هؤلاء من العراق وساكني الكوفة ، وطينة العراق ما زالت تنبت أرباب الأهواء وأصحاب النحل العجيبة والمذاهب البديعة . وأهل هذا الإقليم أهل بَصَر وتدقيق ونظر ، وبحث عن الآراء والعقائد ، وشبه معترضة في المذاهب . وقد كان منهم في أيّام الأكاسرة مثل ماني ، ودَيصان ، ومزدك ، وغيرهم .

وليست طينة الحجاز هذه الطينة ، ولا أذهان أهل الحجاز هذه الأذهان . والغالب على أهل الحجاز الجفاء ، والعجرفة ، وخشونة الطبع . ومن سكن المدن منهم كأهل مكّة ، والمدينة ، والطائف ، فطباعهم قريبة من طباع أهل البادية بالمجاورة . ولم يكن فيهم من قبلُ حكيم ولا فيلسوف ، ولا صاحب نظر وجدل ، ولا موقع شبهة ، ولا مبتدع نحلة . ولهذا نجد مقالة الغلاة طارئة وناشئة من حيث سكن عليّ عليه السلام بالعراق والكوفة ، لا في أيّام مقامه بالمدينة ، وهي أكثر عمره .

بالمدينة ، وهي أكثر عمره .

ثمّ شرع ابن أبي الحديد بشرح ألفاظ الخطبة وكلماتها وعباراتها بمقدار غير قليل . وقال في شرح كلامه عن انقراض الحكومة الأمويّة : ثُمّ يُفَرّجُهَا اللَهُ عَنْكُم كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ : هذا الكلام إخبار عن ظهور المسوّدة ، وانقراض ملك بني أُميّة . ووقع الأمر بموجب إخباره صلوات الله عليه ، حتّى لقد صدق قوله : لَقَدْ تَوَدّ قُرَيْشٌ ... الكلام إلى آخره ؛ فإنّ أرباب السير كلّهم نقلوا أنّ مروان بن محمّد (مروان الحمار ، آخر حاكم أمويّ غاصب) قال يوم الزاب ، [٧٣] لمّا شاهد عبد الله بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس بإائه في صفّ خراسان : لَوَدِدْتُ أَنّ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ تَحْتَ هَذِهِ الرّايَةِ بَدَلاً مِنْ هَذَا الفَتَى . والقصّة طويلة وهي مشهورة .

وهذه الخطبة ذكرها جماعة من أصحاب السير ، وهي متداولة منقولة مستفيضة ، خطب بها عليّ عليه السلام بعد انقضاء أمر النهروان . وفيها ألفاظ لم يوردها الشريف الرضيّ رحمه الله . من ذلك قوله عليه السلام :

وَلَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا غَيْرِي وَلَوْ لَمْ أَكُ فِيكُمْ مَا قُوتِلَ أَصْحَابُ الجَمَلِ وَالنّهْرَوَانِ . وَأَيْمُ اللَهِ لَوْلَا أَنْ تَتْكِلُوا فَتَدَعُوا العَمَلَ لَحَدّثْتُكُمْ بِمَا قَضَى اللَهُ عَزّ وَجَلّ عَلَى لِسَانِ نَبِيّكُمْ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِمَنْ قَاتَلَهُمْ مُبْصِراً لِضَلَالَتِهِمْ ، عَارِفاً لِلْهُدَى الّذِي نَحْنُ عَلَيْهِ . سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَإِنّي مَيّتٌ عَنْ قَرِيبٍ أَوْ مَقْتُولٌ بَلْ قَتْلاً ، مَا يَنْتَظِرُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَ هَذِهِ بِدَمٍ ، وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ . (قوله : عارفاً للهدى ... أيّ مقامات ودرجات منحهم الله ، وإلى أيّ مدى رفع مقامهم ، وكرّم منزلتهم) .

ومنها في ذكر بني أُميّة : يَظْهَرُ أَهْلُ بَاطِلِهَا عَلَى أَهْلِ حَقّهَا ، حَتّى تَمْلَأَ الأَرْضَ عُدْوَاناً وَظُلْماً وَبِدَعاً إِلَى أَنْ يَضَعَ اللَهُ عَزّ وَجَلّ جَبَرُوتَهَا ، وَيَكْسِرَ عَمَدَهَا ، وَيَنْزِعَ أَوْتَادَهَا . أَلَا وَإِنّكُمْ مُدْرِكُوهَا ، فَانْصُرُوا قَوْماً كَانُوا أَصْحَابَ رَايَاتِ بَدْرٍ وَحُنَيْنٍ ، وَلَا تَمَالَئُوا عَلَيْهِمْ عَدُوّهُمْ ، فَتَصْرَعَكُمُ البَلِيّةُ وَتَحِلّ بِكُمُ النّقْمَةُ .

ومنها : إِلّا مِثْلَ انْتِصَارِ العَبْدِ مِنْ مَوْلَاهُ ، إِذَا رَآهُ أَطَاعَهُ ، وَإِنْ تَوَارَى عَنْهُ شَتَمَهُ . وَأَيْمُ اللَهِ لَوْ فَرّقُوكُمْ تَحْتَ كُلّ حَجَرٍ لَجَمَعَكُمُ اللَهُ لِشَرّ يَوْمٍ لَهُمْ .

ومنها : فَانْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيّكُمْ ! فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا وَإِنْ اسْتَنْصَرُوكُمْ فَانْصُرُوهُمْ ، فَلَيُفَرّجَنّ اللَهُ الفِتْنَةَ بِرَجُلٍ مِنّا أَهْلَ البَيْتِ . بِأَبِي ابْنُ خِيَرَةِ الإِمَاءِ ، لَا يُعْطِيهِمْ إِلّا السّيْفَ هَرْجاً هَرْجاً ، مَوْضُوعاً عَلَى عَاتِقِهِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ حَتّى تَقُولَ قُرَيْشٌ : لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ لَرَحِمَنَا . يُغْرِيه اللَهُ بِبَنِي أُمَيّةَ حَتّى يَجْعَلَهُمْ حُطَاماً وَرُفَاتاً

«مّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتّلُوا تَقْتِيلًا سُنّةَ اللَهِ فِى الّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنّةِ اللَهِ تَبْدِيلًا» . [٧٤]

فإن قيل : لماذا قال الإمام : «ولو لم أكُ فيكم ، لما قوتل أهل الجمل وأهل النهروان» ولم يذكر صفّين ؟

قيل : لأنّ الشبهة كانت في أهل الجمل وأهل النهروان ظاهرة الالتباس ، لأنّ الزبير وطلحة موعودان بالجنّة ، وعائشة موعودة أن تكون زوجة رسول الله صلّى الله عليه وآله في الآخرة ، كما هي زوجته في الدنيا . وحال طلحة والزبير في السّبْق والجهاد والهجرة معلومة . وحال عائشة في

محبّة رسول الله صلّى الله عليه وآله لها وثنائه عليها ، ونزول القرآن فيها (في قصّة الإفك) معلومة . [٧٥] وأمّا أهل النهروان فكانوا أهل قرآن وعبادة [٧٦]

واجتهاد ، وعزوف عن الدنيا ، وإقبال على أُمور الآخرة ، وهم كانوا قرّاء أهل العراق وزهّادهم . وأمّا معاوية فكان فاسقاً ، مشهوراً بقلّة الدين ، والانحراف عن الإسلام . وكذلك ناصره ومظاهره على أمره عمرو بن العاص ، ومن اتّبعهما من طَغام أهل الشام وأجلافهم وجهّال الأعراب . فلم يكن أمرهم خافياً في جواز محاربتهم واستحلال قتالهم ، بخلاف حال من تقدّم ذكره .

فإن قيل : ومن هذا الرجل الموعود به الذي قال عليه السلام عنه : بأَبي ابْنُ خِيَرَةِ الإِمَاءِ ؟ قيل : أمّا الإماميّة فيزعمون أنّه إمامهم الثاني عشر ، وأنّه ابن أَمَة اسمها نَرْجِس .

وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه فاطميّ يولد في مستقبل الزمان ، لأُمّ ولد (الأَمَة التي تنجب بعد مواقعة مولاها إيّاها) . وليس بموجود الآن .

فإن قيل : فمن يكون من بني أُميّة في ذلك الوقت موجوداً ، حتّى يقول عليه السلام في أمرهم ما قال من انتقام هذا الرجل منهم ، حتّى يودّوا لو أنّ عليّاً عليه السلام كان المتولّي لأمرهم عوضاً عنه ؟ قيل : أمّا الإماميّة فيقولون بالرجعة ، ويزعمون أنّه سيعاد قوم بأعيانهم من بني أُميّة وغيرهم ، إذا ظهر إمامهم المنتظر ، وأنّه يقطع أيدي أقوام وأرجلهم ، ويسمل عيون بعضهم ، ويصلب قوماً آخرين ، وينتقم من أعداء آل محمّد المتقدّمين والمتأخرّين .

وأمّا أصحابنا فيزعمون أنّه سيخلق الله تعالى في آخر الزمان رجلاً من ولد فاطمة عليها السلام ليس موجوداً الآن ، وأنّه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً ، وينتقم من الظالمين ، وينكّل بهم أشدّ النكال ، وأنّه لِأُمّ وَلَد كما قد ورد في هذا الأثر وفي غيره من الآثار ، وأنّ اسمه محمّد كاسم رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأنّه إنّما يظهر بعد أن يستولي على كثير من الإسلام ملك من أعقاب بني أُميّة ، وهو السفيانيّ الموعود به في الخبر الصحيح .

وهو من ولد أبي سفيان بن حرب بن أُميّة ، وأنّ الإمام الفاطميّ يقتله ويقتل أشياعه من بني أُميّة وغيرهم . وحينئذٍ ينزل المسيح عليه السلام من السماء ، وتبدو أشراط الساعة ، وتظهر دابّة الأرض ، ويبطل التكليف ، ويتحقّق قيام الأجساد عند نفخ الصور ، كما نطق به الكتاب العزيز .

فإن قيل : فإنّكم قلتم فيما تقدّم : إنّ الوعد إنّما هو بالسفّاح وبعمّه عبد الله بن عليّ ، والمسوّدة ، وما قلتموه الآن مخالف لذلك . قيل : إنّ ذلك التفسير هو تفسير ما ذكره الرضيّ رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام في «نهج البلاغة» . وهذا التفسير هو تفسير الزيادة التي لم يذكرها الرضيّ ، وهي قوله : بِأَبِي ابْنُ خَيرَةِ الإِمَاءِ . وقوله : لَوْ كَانَ هَذَا مِنْ وُلْدِ فَاطِمَةَ لَرَحِمنَا . فلا مناقضة بين التفسيرين . (٧٧)

نقلنا هذا الشرح كلّه عن ابن أبي الحديد في شرحه ، لأنّه وثيقة قويّة ومعتبرة ــ من حيث السند ــ لمعجزات أمير المؤمنين عليه السلام وإخباره بالغيب ، وإن كان ابن أبي الحديد عامّيّ المذهب ، معتزليّ الأُصول ، شافعيّ الفروع ، بَيدَ أنّ له مقاماً شامخاً حقّاً من حيث سعة الاطّلاع ، والقدرة الأدبيّة ، والتمكّن من العربيّة والشعر والعلم ، والإلمام بالتأريخ والكلام والجدل ، وحبّ أمير المؤمنين عليه السلام وعرفانه عرفاناً يفوق الوصف . اللّهُمّ احْشُرْهُ مَعَ مَنْ يَتَولّاهُ وَيُحِبّهُ ، وَأَبْعِدْهُ مِمّنْ يَتَبَرّأُ مِنْهُ وَيُبْغِضُهُ !

وذكر المجلسيّ رضوان الله عليه في كتابه الشريف «بحار الأنوار» في «باب معجزات كلامه من إخباره بالغائبات وعلمه باللغات» هذه التفاصيل كلّها نقلاً عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، مع إضافاته حتّى بداية قوله : إن قَلتَ ، قلتُ ، لفظاً بلفظ . (٧٨)

وقال العلّامة الميرزا حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ في شرحه على «نهج البلاغة» بعد نقله شرح ابن أبي الحديد برمّته : قال شرّاح «نهج البلاغة» : هذه الفقرات ثُمّ يُفَرّجُ اللّهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الأَدِيمِ بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً إشارة إلى انقراض دولة بني أُميّة بظهور بني العبّاس ، كما هو مذكور في كتب السير والتواريخ . ولكنّ الأظهر بملاحظة الزيادات الآتية في رواية سُليم بن قيس الهلاليّ ، وإبراهيم الثقفيّ في كتاب «الغارات» ــ ولم يذكرها السيّد الرضيّ ، ولا ابن أبي الحديد ــ أنّها إشارة إلى ظهور السلطنة الإلهيّة والدولة القائميّة . وعلى هذا يكون قول أمير المؤمنين عليه السلام : يَسُومُهُمْ خَسْفاً إشارة إلى خسف الأرض بجيش السفيانيّ في البيداء ، كما هو مرويّ في أخبار الرجعة .

وعلى الاستظهار ، يكون كلام أمير المؤمنين عليه السلام : فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدّ قُرَيْشٌ بِالدّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ لِأَقبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ اليَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي ، الذي فسّره ابن أبي الحديد بكلام مروان بن محمّد يوم الزاب حين

رأى جيش عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن عبّاس ، إشارة إلى ظهور الإمام المهديّ ، والتمنّي الذي يتحقّق عند قيامه .

ثمّ ذكر العلّامة الخوئيّ تحت عنوان : تكملة ، هذه الخطبة مع جميع إضافاتها عن العلّامة المجلسيّ ، عن كتاب «الغارات» لإبراهيم بن محمّد الثقفيّ . وله بيان عن «بحار الأنوار» أيضاً ، عن كتاب سليم بن قيس الهلاليّ . [٧٩] ومن الواضح في هاتين الروايتين أنّ المراد من القائم على الظالمين وبني أُميّة هو السيّد الفاطميّ ابن الأَمَة ، وهو نفسه المقصود في كلتا الفقرتين ، لا أنّه السفّاح في موضع ، والقائم عليه السلام في موضع آخر.

وجاء في رواية إبراهيم الثقفيّ وسُليم أيضاً أنّ أهل صفّين ذكروا مع أهل الجمل ، وأهل النهروان : وَلَوْ لَمْ أَكُ فِيكُمْ مَا قُوتِلَ أَصْحَابُ الجَمَلِ وَلَا أَهْلُ صِفِّينٍ وَلَا أَهْلُ النَّهْرُوَانِ . [٨٠] ثُمّ قال الخوئيّ في التعليقة وهو يوضّح معنى الزاب : الزاب نهر بالموصل . وروى الشارح المعتزليّ ابن أبي الحديد في شرح الخطبة المائة والرابعة أنّه لمّا نزل مروان بالزاب ، جرّد من رجاله ممّن اختاره من أهل الشام ، والجزيرة ، وغيرها مائة ألف فارس على مائة ألف فارح ، ثمّ نظر إليهم وقال : إنّها العُدّةُ وَلَا تَنْفَعُ العُدّةُ إِذَا انْقَضَتِ المُدّةُ .

ولمّا أشرف عبد الله بن عليّ يوم الزاب في المسوّدة ، وفي أوائلهم البنود السود تحملها الرجال على الجمال البخت ، أقبل مروان على رجل بجنبه وقال : ألا تعرّفني من صاحب جيشهم ؟ فقال : عبد الله بن محمّد بن عليّ بن عبد الله بن العبّاس بن عبد المطّلب . قال مروان : وَيْحَكَ ! من ولد العبّاس هو ؟! قال : نعم ! قال : وَاللَهِ لَوَدَدْتُ أَنّ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ مَكَانَهُ فِي هَذَا الصَفّ .

قال ذلك الرجل : تقول هذا لعليّ مع شجاعته التي ملأ الدنيا ذكرها ؟!

قال مروان : وَيْحَكَ ! إِنّ عَلِيّاً عَلَيهِ السّلَامُ مَعَ شَجَاعَتِهِ صَاحِبُ دِينٍ ، وَالدّينُ غَيْرُ المُلْكِ . [٨١]

* * *

ومن الأُمور الغيبيّة التي أخبر بها أمير المؤمنين عليه السلام خبر يرتبط ببقاء الخوارج ، وعدم هلاكهم جميعهم .

جاء في «نهج البلاغة» : لمّا قُتِل الخوارج ، قيل له : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! هَلَكَ القَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ . فَقَالَ عَلَيهِ السّلَامُ : كَلّا ! وَاللَهِ إِنّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ الرّجَالِ وَقَرَارَاتِ النّسَاءِ ، كُلّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ ، قُطِعَ حَتّى يَكُونَ آخِرُهُمْ لَصُوصاً سَلّابِينَ .

(أي : يبلغ الخوراج من الوضاعة حدّاً أنّهم لا ينهضون من أجل الحكومة والرئاسة ولا يستندون إلى مذهب ، ولا يدعون إلى عقيدة ، شأنهم شأن اللصوص والأشرار وقطّاعي الطرق) .

وقال عليه السلام فيهم : لَا تَقْتُلُوا الخَوَارِجَ بَعْدِي ! فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الحَقّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ البَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ . (يعني معاوية وأصحابه) . [٨٢]

وقال ابن أبي الحديد بعد أن ذكر أشخاصاً كثيرين من الخوارج ولدوا بعد أمير المؤمنين عليه السلام ، ولم يسلكوا طريق أسلافهم ، بل كان همّهم إخافة السبيل والفساد في الأرض ، واكتساب الأموال من غير حلّها ؛ ومن المشهورين برأي الخوارج الذين تمّ بهم صدق قول أمير المؤمنين عليه السلام : إنّهم نطف في أصلاب الرجال وقرارات النساء : عكرمة مولى ابن عبّاس ، ومالك بن أنَس الأصبَحي الفقيه . [٨٣] يروي عنه أنّه كان يذكر عليّاً عليه السلام وعثمان وطلحة ، والزبير ، فيقول : والله ما اقتتلوا إلّا على الثريد الأعفَر . [٨٤]

ونُسب أبو العبّاس محمّد بن يزيد المبرّد إلى رأي الخوارج أيضاً لإطنابه في كتابه المعروف ب «الكامل» في ذكرهم وظهور الميل منه إليهم . [٨٥]

وقال ابن أبي الحديد في شرح كلام الامام : لا تقتلوا الخوارج بعدي : مراده أنّ الخوارج ضلّوا بشبهة دخلت عليهم . وكانوا يطلبون الحقّ ؛ ولهم في الجملة تمسّك بالدين ، ومحاماة عن عقيدة اعتقدوها ، وإن أخطأوا فيها . وأمّا معاوية فلم يكن يطلب الحقّ . وإنّما كان ذا باطل لا يحامي عن اعتقاد قد بناه على شبهة . وأحواله كانت تدلّ على ذلك ، فإنّه لم يكن من أرباب الدين ، ولا ظهر عنه نُسُك ، ولا صلاح حال . وكان مترفاً يُذهب مال الفيء في مآربه ، وتمهيد ملكه ، ويصانع به عن سلطانه . وكانت أحواله كلّها مؤذنة بانسلاخه عن العدالة ، وإصراره على الباطل . وإذا كان كذلك ، لم يَجُز أن ينصُر المسلمون سلطانه ، وتحارب الخوارج عليه وإن كانوا أهل ضلال ، لأنّهم أحسن حالاً منه .

فإنّهم كانوا ينهون عن المنكر ، ويرون الخروج على أئمّة الجور واجباً . وعند أصحابنا أنّ الخروج على أئمّة الجور واجب . وعند أصحابنا أيضاً أنّ الفاسق المتغلّب بغير شبهة يعتمد عليها لا يجوز أن ينصر على من يخرج عليه ممّن ينتمي إلى الدين ، ويأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر بل يجب أن يُنصر الخارجون عليه ، وإن كانوا ضالّين في عقيدة اعتقدوها بشبهة دينيّة دخلت عليهم ، لأنّهم أعدل منه ، وأقرب إلى الحقّ ، ولا ريب في تلزّم الخوارج بالدين ، كما لا ريب في أنّ معاوية لم يظهر عنه مثل ذلك . [٨٦]

لا يصحّ ما ذكره ابن أبي الحديد من تقديم الخوارج على الفاسق المتغلّب إلّا إذا كانت الشبهة العارضة للخوارج ترتبط بالمسائل الفرعيّة . وأمّا في المسائل الأُصوليّة كالتوحيد ، والمعاد ، والإمامة والولاية ، فلا ريب في أنّ المؤمن بالله والمعاد ، والرسالة ، والولاية مقدّم على الخوارج ، وإن ظهر منه فسق ، ولا يمكن نصر الخوارج عليه . وأمّا معاوية فقد كان أمير المؤمنين يرى عليه السلام قتاله واجباً بعده ، لا قتال الخوارج ، فلأنّ معاوية لم يكن له دين ، ولم يعتقد بالله ، والمعاد ، والإسلام . وما آمن إلّا مكرهاً في فتح مكّة ، وكان يُحسَبُ من المنافقين حقّاً .

* * *

ومن أخبار الإمام الغيبيّة ، خبره في مروان بن الحكم . فقد جاء في «نهج البلاغة» : أُخذ مروان بن الحكم أسيراً يوم الجمل فاستشفع الحسن والحسين عليهما السلام إلى أمير المؤمنين عليه السلام . فكلّماه فيه فخلّى سبيله .

وعلى هذا فمروان بن الحكم طليق الإمام . وفي ضوء ذلك لم يكن أولاد أبي سفيان وحدهم أبناء الطلقاء ، بل كان بنو مروان كافّة أبناء الطلقاء أيضاً . فأُولئك طلقاء النبيّ ، وهولاء طلقاء الوصيّ .

فقالا له : يبايعك يا أمير المؤمنين .

قَالَ عَلَيهِ السّلَامُ : أَوَ لَمْ يُبَايعْنِي بَعْدَ [٨٧] قَتْلِ عُثمَانَ ؟ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ ، إِنّهَا كَفّ يَهُودِيّةٌ . لَوْ بَايَعَنِي بِكَفّهِ لَغَدَرَ بِسُبّتِهِ . أَمَا إِنّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الكَلْبِ أَنْفَهُ . وَهُوَ أَبُو الأَكْبُشِ الأَرْبَعَةِ ، وَسَتَلْقَى الأُمّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْماً أَحْمَرَ . [٨٨]

قال ابن أبي الحديد : قد روي هذا الخبر من طرق كثيرة ، ورويت فيه زيادة لم يذكرها صاحب «نهج البلاغة» ، وهي قوله عليه السلام في مروان : يَحْمِلُ رَايَةَ ضَلَالَةٍ بَعْدَ مَا يَشِيبُ صُدْغَاهُ . وَإِنّ لَهُ إِمْرَةً ... إلى آخر الكلام .

ثمّ قال : والأكْبُش الأربعة بنو عبد الملك : الوليد ، وسليمان ، ويزيد ، وهشام ... ولم يل الخلافة من بني أُميّة ولا من غيرهم أربعة إخوة إلّا هؤلاء ؛ وكلّ الناس فسّروا الأكبش الأربعة بما ذكرناه . وعندي أنّه يجوز أن يعني به بني مروان لصُلبه ، وهم : عبد الملك ، وعبد العزيز ، وبِشر ، ومحمّد ، وكانوا كباشاً أبطالاً أنجاداً . أمّا عبد الملك فولي الخلافة . وأمّا بشر فولي العراق . وأمّا محمّد فولي الجزيرة . وأمّا عبد العزيز فولي مصر . ولكلّ منهم آثار مشهورة . وهذا التفسير أولى ، لأنّ الوليد وإخوته أبناء ابنه ، وهؤلاء بنوه لصُلبه .

ويقال لليوم الشديد يوم أحمر . وللسنة ذات الجدب : سنة حمراء . وكلّ ما أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام في هذا الكلام وقع كما أخبر به . وكذلك قوله : يَحْمِلُ رَايَةَ

ضَلَالَةٍ بَعْدَ مَا يَشِيبُ صُدْغَاهُ . فإنّه ولي الخلافة وهو ابن خمس وستّين في أعدل الروايات .[٨٩]

وذكر المجلسيّ هذه الخطبة في «بحار الأنوار» ، في باب إخبار الإمام بالمغيّبات وعلمه باللغات ، مع كلا التفسيرين المتعلّقين ببني مروان لصُلبه ، أو بني عبد الملك لصُلبه .[٩٠]

* * *

ومن جملة إخبار الإمام بالغيب خطبة خطبها في معاوية وزعمه ونعيقه بالشام ، ومن ثمّ تحرّكه إلى الكوفة على رأس جيش جرّار . وهذه الخطبة في «نهج البلاغة» . قال عليه السلام فيها :

الأَوّلُ قَبْلَ كُلّ أوّلٍ ، وَالآخِرُ بَعْدَ كُلّ آخِرٍ . بِأَوّلِيّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوّلَ لَهُ ، وَبِآخِرِيّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللَهُ ، شَهَادَةً يُوافِقُ فِيهَا السّرّ الإِعْلَانَ وَالقَلْبُ اللّسَانَ .

أَيّهَا النّاسُ ! لَا يَجْرِمَنّكُمْ شِقَاقِي ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنّكُمْ عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامُوا بِالأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْتَمِعُونَهُ مِنّي . فَوَالّذِي فَلَقَ الحَبّةَ وَبَرَأَ النّسَمَةَ ، إِنّ الّذِي أُنَبّئُكُمْ بِهِ عَنِ النّبِيّ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . مَا كَذَبَ المُبَلّغُ (رسول الله) وَلَا جَهِلَ السّامِعُ (وهو أنا) .

وَلَكَأَنّي أَنْظُرُ إِلَى ظِلّيلٍ نَعَقَ بِالشّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ . فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ ، وَاشْتَدّتْ شَكِيمَتُهُ ، وَثَقُلَتْ فِي الأَرْضِ وَطْأَتُهُ . عَضّتِ الفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتِ الحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا ، وَبَدَا مِنَ الأَيّامِ كُلُوحُهَا ، وَبَدَا مِنَ اللّيَالِي كُدُوحُهَا .

فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ ، وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عَقَدَتْ رَايَاتُ الفِتَنِ المُعْضِلَةِ وَأَقْبَلْنَ كَاللّيْلِ المُظْلِمِ وَالبَحْرِ المُلْتَطِمِ . هَذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ ، وَيَمُرّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ . وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفّ القُرُونُ بِالقُرُونِ ، وَيُحْصَدُ القَائِمُ ، وَيُحْطَمُ المَحْصُودُ .[٩١]

قال المجلسيّ رضوان الله عليه : قيل : المراد بالضلّيل معاوية . وقيل أيضاً : السّفيانيّ وقال ابن أبي الحديد : المراد عبد الملك بن مروان ، لأنّ هذه الصفات كانت فيه أتمّ منها في غيره ، لأنّه أقام بالشام حين دعا إلى نفسه ، وهو معنى نعيقه . وفحصت راياته بالكوفة تارة حين شخص بنفسه إلى العراق ، وقتل مصعباً . وتارة لمّا استخلف الأُمراء على الكوفة ، كأخيه بشر بن مروان وغيره ، حتّى انتهى الأمر إلى الحجّاج ، وهو زمان اشتداد شكيمة عبد الملك وثقل وطأته .

وحينئذٍ صعب الأمر جدّاً ، وأقبلت الفتن واحدة تلو الأُخرى . إذ اصطدم بالخوارج ، وحارب عبد الرحمن بن الأشعث . ولمّا كمل أمر عبد الملك ، هلك . وعقدت رايات الفتن المعضلة بعده كحروب أولاده مع بني المهلّب ، ومع زيد بن عليّ عليه السلام .

ومثل الفتن الواقعة بالكوفة أيّام يوسف بن عمر ، وخالد القسريّ ، وعمر بن هُبَيرة ، وغيرهم . وما حدث في عهدهم من ضروب الفساد والظلم ، وذهاب النفوس ، وتضييع الأموال . (٩٢)

وقد قيل : إنّ الإمام كنّى عن معاوية وما حدث في أيّامه من الفتن ، وما حدث بعده من فتنة يزيد ، وعبيد الله بن زياد ، وواقعة الحسين عليه السلام . والأوّل أرجح ، لأنّ معاوية في أيّام أمير المؤمنين عليه السلام كان قد نعق بالشام ، ودعاهم إلى نفسه . والكلام يدلّ على إنسان ينعق فيما بعد . ألا تراه يقول : لَكَأنّي أَنْظُرُ إلَى ضِلّيلٍ قَدْ نَعِقَ بِالشّامِ . (٩٣)

وقال المجلسيّ بعد أن فسّر كلمات هذه الخطبة : سيأتي كثير من الأخبار في كتاب «الفتن» للبُرْسيّ ، من كتاب «مشارق أنوار اليقين» .

وروي عن الأصبغ بن نُباتة أنّه قال : كان أمير المؤمنين عليه السلام يوماً جالساً في نجف الكوفة ، فقال لمن حوله : مَنْ يَرَى مَا أرى ؟ فقالوا : وَمَا تَرَى يَا عَيْنَ اللَهِ النّاظِرَةَ فِي عِبَادِهِ ؟

فقال عليه السلام : أرى بعيراً يحمل جنازة ورجلاً يسوقه ورجلاً يقوده ، وسيأتيكم بعد ثلاثة أيّام . فلمّا كان اليوم الثالث ، قدم البعير والجنازة مشدودة عليه ، ورجلان معه . فسلّما على الإمام وعلى الجماعة . فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام بعد أن حيّاهم : مَن أنتم ؟ ومِن أين أقبلتم ؟ ومَن هذه الجنازة ؟! ولماذا قدمتم ؟!

فقالوا : نحن من اليمن . وأمّا الميّت فأبونا . وإنّه عند الموت أوصى إلينا فقال : إذا غسّلتموني وكفّنتموني وصلّيتم عَلَيّ ، فاحملوني على بعيري هذا إلى العراق فادفنوني هناك بنجف الكوفة !

فقال لهما أمير المؤمنين عليه السلام : هل سألتماه لماذا ؟ فقالا : أجل قد سألناه ، فقال : يُدْفَنُ هُنَاكَ رَجُلٌ لَوْ شَفَعَ فِي يَوْمِ القِيَامَةِ لِأهْلِ المَوْقِفِ لَشُفّعَ . فقام أمير المؤمنين عليه السلام وقال : صَدَق ؛ أَنَا وَاللَهِ ذَلِكَ الرّجُلُ . (٩٤)

* * *

ومن الأخبار الغيبيّة للإمام عليه السلام خبر يتعلّق بصاحب الزنج الذي عبّأ جيشاً نحو البصرة ، وقتل الناس ، ودمّر الدور . ومنها خبر في وصف الأتراك الذين ارتكبوا مذابح جماعيّة بحقّ الناس .

أمّا صاحب الزنج ، فقد قال عليه السلام في «نهج البلاغة» ضمن وصف الملاحم والوقائع التي تحدث في البصرة : يَا أَحْنَفُ ، كَأَنّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالجَيْشِ الّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ ، وَلَا لَجَبٌ ، وَلَا قَعقَعَةُ لُجُمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ ، يُثِيرُونَ الأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنّهَا أَقْدَامُ النّعَامِ (يُومِئُ بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزّنْجِ . ثُمّ قَالَ عَلَيهِ السّلَامُ :)

وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ العَامِرَةِ وَالدّورِ المُزَخْرَفَةِ الّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النّسُورِ ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الفِيلَةِ ، مِنْ أُولَئِكَ الّذِينَ لَا يُنْدَبُ قَتِيلُهُمْ ، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ . أَنَا كَابّ الدّنْيَا لِوَجْهِهَا ، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا ، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا . (٩٥)

قال المجلسيّ : قوله عليه السلام : «يثيرون الأرض» ؛ لأنّ أقدامهم في الخشونة كحوافر الخيل . وقيل : كناية عن شدّة وطئهم الأرض ليلائم قوله : «لا يكون له غبار» .

وأمّا قوله عليه السلام : «كأنّها أقدام النعام» ؛ لمّا كانت أقدام الزنج في الأغلب قصاراً عراضاً منتشرة الصدر مفرّجات الأصابع ، فأشبهت أقدام النعام . وأجنحة الدور التي شبّهها بأجنحة النسور رواشنها وما يعمل من الأخشاب والبواري بازرة عن السقوف لوقاية الحيطان وغيرها من الأمطار وشعاع الشمس . وخراطيمها ميازيبها التي تطلى بالقار تكون نحواً من خمسة أذرع (مترين ونصف تقريباً) تدلى من السطوح حفظاً للحيطان . وأمّا قوله عليه السلام : «لا يُندب قتيلهم» ؛ فقيل : إنّه وصف لهم بشدّة البأس والحرص على القتال ، وقيل : لأنّهم كانوا عبيداً غرباء لم يكن لهم أهل وولد وعشيرة . وقيل : «لا يفتقد غائبهم» ، وصف لهم بالكثرة ، وإنّهم إذا قتل منهم قتيل ، سدّ مسدّه غيره . (٩٦)

وتحدّث ابن أبي الحديد بالتفصيل عن تاريخ صاحب الزنج وظهوره وهزيمته . (٩٧) قال : فأمّا صاحب الزنج هذا فإنّه ظهر في فرات البصرة سنة خمس وخمسين ومأتين رجل زعم أنّه عليّ بن محمّد بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، فتبعه الزنج الذين كانوا يكسحون السباخ في البصرة . وأكثر الناس يقدحون في نسبه وخصوصاً الطالبيّين (أبناء أبي طالب سواء كانوا فاطميّين أم سائر العلويّين وغير العلويّين) ... وجمهور النسّابين اتّفقوا على أنّه من عبد القيس ، وأنّه عليّ بن محمّد بن عبد الرحيم ، وأُمّه أسديّة من أسد بن خزيمة ، جدّها محمّد بن حكيم الأسديّ من أهل الكوفة ، أحد الخارجين مع زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام على هشام بن عبد الملك . فلمّا قتل زيد ، هرب فلحق بالري ، وجاء إلى القرية التي يقال لها ورزنين ، فأقام بها مدّة . وبهذه القرية ولد عليّ بن محمّد صاحب الزنج ، وبها منشؤه . وكان أبو أبيه المسمّى عبد الرحيم رجلاً من عبد القيس ، كان مولده بالطالقان ، فقدم العراق ، واشترى جارية سنديّة ، فأولدها محمّداً أباه .

إلى أن قال : وقد ذكر المسعوديّ في كتابه المسمّى «مروج الذهب» أنّ أفعال عليّ بن محمّد صاحب الزنج تدلّ على أنّه لم يكن طالبيّاً ، وتصدّق ما رُمي به من دعوته في النسب . لأنّ ظاهر حاله كان ذهابه مذهب الأزارقة (فرقة من فرق الخوارج) في قتل النساء ، والأطفال ، والشيخ الفاني ، والمريض . وقد روي أنّه خطب مرّة ، فقال في أوّل خطبته : لَا إِلَهَ إِلّا اللَهُ ، وَاللَهُ أَكْبَرُ ، اللَهُ أَكْبَرُ ، لَا حُكْمَ إِلّا لِلّهِ . وكان يرى الذنوب كلّها

شركاً . ومن الناس من يطعن في دينه ويرميه بالزندقة والإلحاد ، وهذا هو الظاهر من أمره ، لأنّه كان متشاغلاً في بدايته بالتنجيم والسحر والأصْطُرْلَاب . [٩٨]

وذكر أبو جعفر محمّد بن جرير الطبريّ أنّ عليّ بن محمّد شخص من سامرّاء ، وكان يعلّم الصبيان بها ، ويمدح الكتاب ، ويستميح الناس في سنة تسع وأربعين ومائتين إلى البحرين ، فادّعى بها أنّه عليّ بن محمّد بن الفضل بن الحسن بن عبيد الله بن العبّاس بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام ، ودعا الناس بهَجَر إلى طاعته . [٩٩]

إلى أن قال : وذكر عنه أنّه عند مصيره إلى الباديّة ، أوهم أهلها أنّه يحيى بن عمر بن الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ بن أبي طالب . [١٠٠]

إلى أن قال : ثمّ صار إلى بغداد ، فأقام بها سنة ، وانتسب في هذه السنة إلى محمّد بن أحمد بن عيسى بن زيد . [١٠١]

إلى أن قال : وانتسب صاحب الزنج في هذه الأيّام إلى محمّد بن محمّد بن زيد بن عليّ بن الحسين ، بعد انتسابه الذي كان إلى أحمد بن عيسى بن زيد . وذلك لأنّه بعد إخرابه البصرة ، جاء إليه جماعة من العلويّة الذين كانوا بالبصرة ، وأتاه فيمن أتاه منهم قوم من ولد أحمد بن عيسى بن زيد . فلمّا خافهم ترك الانتساب إلى أحمد بن عيسى ، وانتسب إلى محمّد بن زيد . [١٠٢] ثمّ انتقل إلى يحيى بن زيد ، وهو كاذب لأنّ الإجماع واقع على أنّ يحيى بن زيد مات ولم يعقب ، ولم يولد له إلّا بنت واحدة ماتت ، وهي ترضع . [١٠٣]

إلى أن قال ابن أبي الحديد : ذكر عليّ بن الحسين المسعوديّ في «مروج الذهب» أنّ هذه الوقعة بالبصرة ، هلك فيها من أهلها ثلاثمائة ألف إنسان . وأنّ عليّ بن أبان المهلّبيّ بعد فراغه من الوقعة ، نصب منبراً في الموضع المعروف ببني يشكُر ، صلّى فيه يوم الجمعة ، وخطب لعليّ بن محمّد صاحب الزنج ، وترحّم بعد ذلك على أبي بكر ، وعمر ، ولم يذكر عثمان ولا عليّاً عليه السلام في خطبته . ولعن أبا موسى الأشعريّ ، وعمرو ابن العاص ، ومعاوية ابن أبي سفيان . قال المسعوديّ : وهذا يؤكّد ما ذكرناه وحكيناه من رأيه ، وإنّه كان يذهب إلى قول الأزارقة . [١٠٤]

وأمّا جيش الأتراك المقصود به جيش جنكيزخان التتريّ ، فقد قال في «نهج البلاغة» بعد كلامه السابق : كَأَنّي أَرَاهُمْ قَوْمَاً كَأَنّ وُجُوهَهُمُ المَجَانّ المُطَرّقَةُ ، يَلْبَسُونَ السّرَقَ وَالدّيبَاجَ ، وَيَعْتَقِبُونَ الخَيْلَ العِتَاقَ . وَيَكُونُ هُنَاكَ اسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتّى يَمْشِيَ المَجْرُوحُ عَلَى المَقْتُولِ ، وَيَكُونَ المُفْلِتُ أَقَلّ مِنَ المَأْسُورِ .

(فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ : لَقَدْ أُعْطِيتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ الغَيْبِ ! فَضَحِكَ عَلَيهِ السّلَامُ وَقَالَ لِلرّجُلِ (وَكَانَ كَلْبِيّاً) : يَا أَخَا كَلْبٍ ! لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ ، وَإِنّمَا هُوَ تَعَلّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ ، وَإِنّمَا عِلْمُ الغَيْبِ عِلْمُ السّاعَةِ وَمَا عَدّدَ اللّهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ : «إِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ

السّاعَةِ» [وَيُنَزّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غدًا وَمَا تَدْرِى نَفسٌ بِأَىّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنّ اللّهَ عَلِيمٌ خَبيرٌ] ــ الآيَةُ . (١٠٥) فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي الْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النّارِ حَطَباً أَوْ فِي الجِنَانِ لِلنّبِيّينَ مُرَافِقَاً . فَهَذَا عِلْمُ الغَيْبِ الّذِي لَا يَعْلَمُهُ إلّا اللّهُ . وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَعِلْمٌ عَلّمَهُ اللّهُ نَبِيّهُ فَعَلّمَنِيهِ وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي وَتَضْطَمّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي . (١٠٦)

قال المجلسيّ رضوان الله عليه بعد هذا الكلام الذي نقله في باب معجزات كلامه عليه السلام من إخباره بالغائبات : ضحكه عليه السلام إمّا من السرور بما آتاه الله من العلم أو للتعجّب من قول القائل . ثمّ قال : وانطباقها على قصص جنكيزخان وأولاده لا يحتاج إلى بيان . (١٠٧)

وتحدّث ابن أبي الحديد حديثاً وافياً عن فتنة التتر وجنكيزخان في شرحه لهذه الخطبة . (١٠٨) وقال في تفرّد الله تعالى بعلم هذه الأشياء الخمسة النازلة في الآية المباركة :

روي أنّ إنساناً قال لموسى بن جعفر عليه السلام : إنّي رأيت الليلة في منامي أنّي سألتك : كم بقي من عمري ؟ فرفعتَ يدك اليُمنى ، وفتحتَ أصابعها في وجهي مشيراً إليّ ، فلم أعلم خمس سنين ، أم خمسة أشهر ، أم خمسة أيّام ! فقال : ولا واحدة منهنّ ، بل ذاك إشارة إلى الغيوب الخمسة التي استأثر الله تعالى بها في قوله : إِنّ اللّهَ عِندَهُ عِلْمُ السّاعِةِ ــ الآية .

فإن قلتَ : لِمَ ضحك أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال له الرجل : لقد أُوتيتَ علم الغيب . وهل هذا إلّا زهو في النفس ، وعُجب بالحال ؟

قلتُ : قد رُوي أنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله ضحك في مناسب هذه الحال ، لمّا استسقى فسُقي وأشرف درور المطر . فقام إليه الناس فسألوه أن يسأل الله تعالى أن يحبسه عنهم . فدعا صلّى الله عليه وآله ، وأشار بيده إلى السحاب ، فانجاب حول المدينة كالإكليل ، وهو يخطب على المنبر ، فضحك حتّى بدت نواجذه ، وقال : أَشْهَدُ أَ نّي رَسُولُ اللّهِ .

وسرّ هذا الأمر أنّ النبيّ أو الوليّ إذا تحدث عنده نعمة الله سبحانه ، أو عرف الناس وجاهته عند الله ، فلابدّ أن يسرّ بذلك . وقد يحدث الضحك من السرور ، وليس ذلك بمذموم إذا خلا من التّيه والعُجْب ، وكان محض السرور والابتهاج ، وقد قال تعالى في صفة أوليائه :

فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ . (١٠٩)

فإن قلتَ : فإنّ من جملة العلوم الخمسة : وَمَا تَدْرِى نَفسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غدًا ، وقد أعلم الله تعالى نبيّه بأُمور يكسبها في غده نحو قوله : ستفتح مكّة ، وأعلم نبيّه وصيّهُ بما يكسبه في غده ، نحو قوله له : سَتُقَاتِلُ بَعْدِيَ النّاكِثِينَ ... ــ الخبر .

قلتُ : المراد بالآية أنّه لا تدري نفس جميع ما تكسبه في مستقبل زمانها . وذلك لا ينفي جواز أن يعلم الإنسان بعض ما يكسبه في مستقبل زمانه . (١١٠)

* * *

ومن كلمات أمير المؤمنين عليه السلام الجارية مجرى الخطبة : الخطبة المائة من «نهج البلاغة» :

وَذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللَهُ فِيهِ الأَوّلِينَ وَالآخِرِينَ لِنِقاشِ الحِسَابِ وَجَزَاءِ الأَعْمَالِ ، خُضُوعاً قِيَامًا ، قَدْ أَلْجَمَهُمُ العَرَقُ ، وَرَجَفَتْ بِهِمْ الأَرْضُ . فَأَحْسَنُهُمْ حَالاً مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعاً وَلِنَفْسِهِ مُتّسَعاً .

ويتعلّق هذا المقدار من كلامه عليه السلام بيوم القيامة .

قال المجلسيّ : وبعد هذا ، كلامه عليه السلام في فتنة آخر الزمان أو فتنة صاحب الزنج ، إذ قال : (١١١) فِتَنٌ كَقِطَعِ اللّيْلِ المُظْلِمِ ، لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ ، وَلَا تُرَدّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً ، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا ، وَيُجْهِدُهَا رَاكِبُهَا . أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللَهِ قَوْمٌ أَذِلّةٌ عِنْدَ المُتَكَبّرِينَ ، فِي الأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي السّمَاءِ مَعْرُوفُونَ .

فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللَهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا حِسّ ، وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالجُوعِ الأَغْبَرِ . (١١٢)

قال ابن أبي الحديد : المراد من الجيش الذي «لا رَهَجَ له ولا حسّ» الجَدْب والطاعون يصيب أهلها . و«الموت الأحمر» الوباء و«الجوع الأغبر» كناية عن الجوع والمَحْل . وسمّي الموت الأحمر لشدّته ، ومنه الحديث : كُنّا إذَا احْمَرّ البَأْسُ اتّقَيْنَا بِرَسُولِ اللَهِ . ووصف الجوع بأنّه أغبر ، لأنّ الجائع يرى الآفاق كأنّ عليها غبرة وظلاماً .

وفسّر قوم هذا الكلام بوقعة صاحب الزنج ، وهو بعيد لأنّ جيشه كان ذا حسّ ورهَج ، ولأنّه أنذر البصرة بهذا الجيش عند حدوث تلك الفتن ، ألا تراه قال : فَوَيْلٌ لَكِ يَا بَصْرَةُ عِنْدَ ذَلِكَ ؟ ولم يكن قبل خروج صاحب الزنج فتن شديدة على الصفات التي ذكرها أمير المؤمنين عليه السلام . (١١٣)

* * *

ومن إخباره عليه السلام بالغيب خطبته التي يشكو فيها من بني أُميّة ، ويَعِد بانقراضهم . وهذه الخطبة في «نهج البلاغة» . قال عليه السلام بعد أن بيّن بعثة رسول الله محمّد صلّى الله عليه وآله شهيداً وبشيراً ونذيراً :

فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَأَيْدِي القَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلّطَةٌ ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ . أَلَا وَإِنّ لِكُلّ دَمٍ ثَائِراً ، وَلِكُلّ حَقّ طَالِباً ، وَإِنّ الثّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالحَاكِمِ فِي حَقّ نَفْسِهِ وَهُوَ اللَهُ الّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ

هَرَبَ . فَأُقْسِمُ بِاللَهِ يَا بَنِي أُمَيّةَ عَمّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوّكُمْ ــ الخطبة . (١١٤)

قال ابن أبي الحديد في شرحه : قوله عليه السلام : سَيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلّطَةٌ ، وَسَيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ ، كأنّه كان يرمز إلى ما سيقع من قتل الحسين عليه السلام وأهله . وكأنّه عليه السلام يشاهد ذلك عياناً ، ويخطب عليه ويتكلّم على الخاطر الذي سنح له ، والأمر الذي كان أخبر به .

ثمّ أقسم عليه السلام وخاطب بني أُميّة وصرّح بذكرهم أنّهم ليعرفنّ الدنيا عن قليل في أيدي غيرهم وفي دورهم ، وأنّ الملك سينزعه منهم أعداؤهم ، ووقع الأمر بموجب إخباره عليه السلام . فإنّ الأمر بقي في أيدي بني أُميّة قريباً من تسعين سنة ؛ ثمّ عاد إلى البيت الهاشميّ (بني العبّاس) ، وانتقم الله تعالى منهم على أيدي أشدّ الناس عداوة لهم . (١١٥)

* * *

ومن إخباره عليه السلام بالغيب كلامه حول ظهور الحجّاج بن يوسف الثقفيّ وانتقامه . فقد قال عليه السلام ضمن خطبة له في «نهج البلاغة» :

وَلَوْدِدْتُ أَنّ اللَهَ فَرّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَاللَهِ مَيَامِينُ الرّأي ، مَرَاجِيحُ الحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالحَقّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْي ، مَضَوْا قُدُماً عَلَى الطّرِيقَةِ ، وَأَوْجَفُوا عَلَى المَحَجّةِ ، فَظَفَرُوا بِالعُقْبَى الدّائِمَةِ وَالكَرَامَةِ البَارِدَةِ .

أَمَا وَاللَهِ لَيُسَلّطَنّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ ، الذّيّالُ المَيّالُ ، يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ . إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ . (١١٦) (كأنّ الإمام عليه السلام هنا يرى غلام ثقيف أمامه ويخاطبه) .

قال الشريف الرضيّ بعد هذه الخطبة : الوذحة : الخنفساء (حشرة سوداء ، لها أيدٍ وأقدام طويلة وكبيرة ، بطيئة السير جدّاً ، وتجمع النجاسة فتصنع منها شكلاً كرويّاً) . وهذا القول يومئ به إلى الحجّاج ، وله مع الوذحة حديث ليس هذا موضع ذكره .

قال ابن أبي الحديد في شرحه : إيهٍ : كلمة يستزاد بها من الفعل . تقديره : زد وهات أيضاً ما عندك . وضدّها إيهاً ، أي : كُفّ وأمسك . ثمّ قال : قال السيّد الرضيّ رحمه الله : الوَذَحة الخنفساء . ولم أسمع هذا من شيخ من أهل الآداب . وما وجدته في كتاب من كتب اللغة . ولا أدري من أين نقل الرضيّ رحمه الله ذلك !

ثمّ إنّ المفسّرين بعد [السيّد] الرضيّ رحمه الله قالوا في قصّة هذه الخنفساء وجوهاً ، منها : إنّ الحجّاج رأى خنفساء تدبّ إلى مصلّاه ، فطردها ، فعادت ، ثمّ طردها فعادت . فأخذها بيده ، وحذف بها ، فقرصته قرصاً ورمَتْ يده منه ورماً كان فيه حتفه . قالوا : وذلك لأنّ الله تعالى قتله بأهون مخلوقاته ، كما قتل نمرود بن كنعان بالبقّة التي دخلت في أنفه ، فكان هلاكه .

ومنها : إنّ الحجّاج كان إذا رأى خُنفساء تدبّ قريبة منه ، يأمر غلمانه بإبعادها . ويقول : هَذِهِ وَذَحَةٌ مِنْ وَذَحِ الشّيْطَانِ . تشبيهاً لها بالبعرة . وكان مغرىً بهذا القول . والوَذَح : ما يتعلّق بأذناب الشاة من أبعارها فيجفّ .

ومنها : إنّ الحجّاج قال وقد رأى خنفساوات مجتمعات : واعجبا لمن يقول : إنّ الله خلق هذه ! قيل : فمن خلقها ؟ قال : الشيطان . إنّ ربّكم لأعظم شأناً أن يخلق هذه الوَذَح . فنُقل قوله هذا إلى الفقهاء ، في عصره ، فأكفروه .

ومنها : إنّه كان مِثْفاراً (فيه داء الأُبْنَة) . وكان يمسك الخنفساء حيّةً ليشفى بحركتها في الموضع حكاكه . قالوا : ولا يكون صاحب هذا الداء إلّا شائناً مبغضاً لأهل البيت . قالوا : ولسنا نقول : كلّ مبغض فيه هذا الداء ، وإنّما قلنا : كلّ من فيه هذا الداء فهو مبغض .

قالوا : وقد روى أبو عمر الزاهد ــ ولم يكن من الشيعة ــ في أماليه وأحاديثه عن السيّاريّ ، عن أبي خُزَيمة الكاتب ، قال مَا فَتّشْنَا أَحَدَاً فِيهِ هَذَا الدّاءُ إلّا وَجَدْنَاهُ نَاصِبِيّاً . قال أبو عمر : وأخبرني العطافي من رجاله ، قالوا : سئل جعفر بن محمّد عليه السلام عن هذا الصنف من الناس ، فقال : رَحِمٌ مَنْكُوسَةٌ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي ، وَمَا كَانَتْ هَذِهِ الخَصْلَةُ فِي وَلِيّ اللَهِ تَعَالى قَطّ وَلَا تَكُونُ أَبَدَاً وَإنّمَا تَكُونُ فِي الكُفّارِ وَالفُسّاقِ وَالنّاصِبِينَ لِلطّاهِرِينَ . وكان أبو جهل عمرو بن هشام المخزوميّ من القوم . وكان أشدّ الناس عداوة لرسول الله صلّى الله عليه وآله . قالوا : ولذلك قال له عُتبة بن ربيعة يوم بدر : يا مُصَفّرَ إسْتِهِ .

فهذا مجموع ما ذكره المفسّرون ، وما سمعته من أفواه الناس في هذا الموضع . ويغلب على ظنّي أنّه [عليه السلام] أراد معنى آخر . وذلك أنّ عادة العرب أن تكنّي الإنسان إذا أرادت تعظيمه بما هو مظنّة التعظيم ، كقولهم : أبو الهَول ، وأبو المِقدام ، وأبو المِغوار . فإذا أرادت تحقيره والغضّ منه ، كنّته بما يستحقَر ويستهان به ، كقولهم في كنية يزيد بن معاوية : أبو زنّة ، يعنون القرد . وكقولهم في كنية سعيد بن حفص البخاريّ المحدّث : أبو الفار . وكقولهم للطّفيليّ : أبو لُقمة . وكقولهم لعبد الملك : أبو الذبّان لبَخرَه . وكقول ابن يسّام لبعض الرؤساء : أبو جَعْر (الخنفساء) ، وأبو النَتْن ، وأبو الدَفْر ، وأبو البعر .

فلمّا كان أمير المؤمنين عليه السلام يعلم من حال الحجّاج نجاسته بالمعاصي والذنوب التي لو شوهدت بالبصر ، لكانت بمنزلة البعر الملتصق بشعر الشاء ، كنّاه : أبو وَذَحَة . ويمكن أيضاً أن يكنّيه بذلك لدمامته في نفسه ، وحقارة منظره ، وتشويه خلقته . فإنّه كان قصيراً ، دميماً ، نحيفاً ، أخفش العينين معوجّ الساقين ، قصير الساعدين ، مجدور الوجه ، أصلع الرأس ، فكنّاه الإمام بأحقر الأشياء ، وهو البعرة .

وقد روى قوم هذه اللفظة بصيغة أُخرى ، فقالوا : إيهٍ أَبَا وَدَجَة . قالوا : واحدة الأوداج ، كنّاه بذلك لأنّه كان قتّالاً يقطع الأوداج بالسيف . ورواه قوم : أَبَا وَحرَةَ . وهي دويبّة تشبه الحِرباء [١١٧] قصيرة الظهر ، شبّهه بها .

وهذا وما قبله ضعيف ، وما ذكرناه نحن أقرب إلى الصواب . [١١٨]

وقال ابن شهرآشوب : قال أمير المؤمنين عليه السلام لأهل البصرة : إنْ كُنْتُ قَدْ أَدّيْتُ لَكُمُ الأَمَانَةَ وَنَصَحْتُ لَكُمْ بِالعَيْبِ ، وَاتّهَمْتُمُونِي فَكَذّبْتُمُونِي فَسَلّطَ اللَهُ عَلَيْكُمْ فَتَى ثَقِيفٍ . قَالَ عَلَيهِ السّلَامُ : رَجُلٌ لَا يَدَعُ لِلّهِ حُرْمَةً إلّا انْتَهَكَهَا ، يَعْنِي الحَجّاجَ . [١١٩]

وروى المجلسيّ عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، عن عثمان ابن سعيد ، عن يحيى التّيْميّ ، عن الأعمش قال : حدّثني إسماعيل بن رجاء ، قال : قام أعشى باهلة ــ وهو غلام يومئذٍ حَدَث ــ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو يخطب ، ويذكر الملاحم ، فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أشبه هذا الحديث بحديث خرافة ! فقال عليه السلام : إنْ كُنْتَ آثِماً فِيما قُلْتَ يَا غُلَامُ فَرَمَاكَ اللَهُ بِغُلَامٍ ثَقِيفٍ . ثُمّ سَكَتَ .

فقال رجل ، فقال : ومن غلام ثقيف يا أمير المؤمنين ؟ قال : غُلَامٌ يَمْلِكُ بَلْدَتَكُمْ هَذِهِ ، لَا يَتْرُكُ لِلّهِ حُرْمَةً إلّا انْتَهَكَهَا ، يَضْرِبُ عُنُقَ هَذَا الغُلَامِ بِسَيْفِهِ .

قالوا : كم يملك يا أمير المؤمنين ؟ قال : عِشْرِينَ إنْ بَلَغَهَا . قالوا : فَيُقتل قتلاً أم يموت موتاً ؟ قال : بل يموت حتف أنفه بِداء البطن ، يثقب سريره لكثرة ما يخرج من جوفه .

قال إسماعيل بن رجاء : فو الله لقد رأيتُ بعيني أعشى باهلة ، وقد أُحضر في جملة الأسرى الذين أُسِروا من جيش عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بين يدي الحجّاج . فقرّعه ووبّخه ، واستنشده شِعره الذي يحرّض فيه عبد الرحمن على الحرب . ثمّ ضرب عنقه في ذلك المجلس . [١٢٠]

وأشار سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه السلام إلى هذا الغلام الثقفيّ في ختام خطبته المعروفة والعجيبة التي خطبها يوم عاشوراء إذ دعا على أُولئك القوم بأن يسلّط الله عليهم غلام ثقيف . قال عليه السلام : اللَهُمّ احْبِسْ عَنْهُمْ قَطْرَ السّماءِ ، وَابْعَثْ عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ ، وَسَلّطْ عَلَيْهِمْ غُلَامَ ثَقِيفٍ فَيَسُومَهُمْ ، كَأْساً مُصَبّرَةً ، فَإنّهُمْ كَذّبُونَا وَخَذَلُونا ، وَأَنْتَ رَبّنَا عَلَيْكَ تَوكّلْنَا وإلَيْكَ أَنَبْنَا وَإلَيْكَ المَصِيرُ . [١٢١]

تولّى الحجّاج بن يوسف أمر الكوفة من قبل عبد الملك بن مروان . وقتل الناس بسيفه البتّار ، وأحرق الاخضر واليابس . وبلغ عدد المقتولين في عهده الذي دام عشرين سنة مائة وعشرين ألفاً . وكان عدد السجناء يوم هلاكه خمسين ألفاً من الرجال ، وثلاثين ألفاً من النساء . [١٢٢]

* * *

ومن جملة إخبار الإمام عليه السلام بالغيب ما ذكره ابن شهرآشوب ، ونقله المجلسيّ عنه أيضاً .

قال حُذَيْفَة بن اليمان لأمير المؤمنين عليه السلام في زمن عثمان : إنّي والله ما فهمتُ قولك ، ولا عرفت تأويله حتّى بلغت ليلتي أتذكّر ما قلت لي بالحرّة (فرسخ عن المدينة) وإنّي مُقيل : كَيْفَ أَنْتَ يَا حُذَيْفَةُ إِذَا ظَلَمَتِ العُيُونُ العَيْنَ ؟ والنبيّ صلّى الله عليه وآله بين أظهرنا . ولم أعرف تأويل كلامك إلّا البارحة ، رأيتُ عتيقاً (أبا بكر) ، ثمّ عمر ، تقدّما عليك ، وأوّل اسمهما عين .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يَا حُذَيْفَةُ ! نَسِيتَ عَبْدَ الرّحْمَنِ حَيْثُ مَالَ بِهَا إِلَى عُثْمَانَ . وأوّل اسمه عين .

وفي رواية أنّه عليه السلام قال له : وَسَيُضَمّ إِلَيْهِمْ عَمْرُو بْنُ العَاصِ مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ آكِلَةِ الأَكْبَادِ . فَهؤُلَاءِ العُيُونُ المُجْتَمِعَةُ عَلَى ظُلْمِي . (١٢٣)

وكنتُ قد رأيتُ قديماً في كتاب «قصص العلماء» للتنكابنيّ أنّ المؤلّف نقل عن المرحوم الميرزا محمود نظام العلماء التبريزيّ حديثاً نصّه : لَعَنَ اللَهُ العُيُونَ فَإِنّهَا ظَلَمَتِ العَيْنَ الوَاحِدَةَ .

وهذا الحديث كان من جملة الأسئلة التي وجّهها المرحوم نظام العلماء إلى السيّد علي محمّد الباب رئيس الفرقة البابيّة في المجلس الذي عقد بتبريز مع بقيّة العلماء والمشايخ لمحاكمة الشخص المذكور . فسكت ولم يجد جواباً ، كما عجز عن جواب سائر الأسئلة التي طرحها عليه . (١٢٤)

وأنا أيضاً كلّما فكّرتُ في هذا الحديث ، لم يخطر ببالي شيء ، إلى أن وجدتُه في «المناقب» فعرفتُ كم هو سهل ويسير . أمّا السبب في عدم فهمي إيّاه فهو أنّ هذا الحديث من الرموز ، وما لم يعرف الإنسان مفتاح الرمز ، فلا يمكنه حلّ الرمز . وأمّا السبب الذي دعا المرحوم نظام العلماء أن يختار للباب هذا السؤال ، فهو أنّ الباب كان يزعم أنّه باب مدينة العلم ، ولذلك ينبغي أن يعرف جميع أسرار الملكوت ورموزه وإشاراته . فاختار له هذا الحديث الذي لا يحلّ رمزه بمسألة من المسائل العلميّة والأدبيّة والاجتماعيّة ما لم يسبق الذهن إلى الرمز المذكور ، حتّى إذا أجاب مدّعي باب العلم ، يستبين أنّه مطّلع على بواطن الأُمور ، وإلاّ فلا . بَيدَ أنّه لمّا قال : لا أعلم ، فقد اتّضح أنّه كاذب .

* * *

وروى ابن شهرآشوب عن عبد الرزّاق ، عن أبيه ، عن مينا مولى عبد الرحمن بن عوف ، قال : سمع عليّ عليه السلام ضوضاء في عسكره ، فقال : ما هذا ؟ فقيل : قُتِل معاوية ، فقال : كَلّا وَرَبّ الكَعْبَةِ ، لَا يُقْتَلُ حَتّى تَجْتَمِعَ عَلَيْهِ الأُمّةُ .

قالوا له : يا أمير المؤمنين ! فلم نقاتله ؟ قال : أَلْتَمِسُ العُذْرَ بَيْنِي وَبَيْنَ اللَهِ . (١٢٥)

وروى ابن شهرآشوب أيضاً عن النضر بن شميل ، عن عوف ، عن مروان الأصفر ، قال : قدم راكب من الشام وعليّ عليه السلام بالكوفة ، فنعى معاوية . فأُدخل على عليّ عليه السلام ، فقال له : أنت شهدتَ موته ؟ قال : نعم ، وحثوته عليه . قال : إنّه كاذب .

قيل : وما يدريك يا أمير المؤمنين أنّه كاذب ؟ قال : إنّه لا يموت حتّى يعمل كذا وكذا أعمالاً عملها في سلطانه . فقيل له : فَلِمَ تقاتله ؟ قال : لِلْحُجّةِ . (١٢٦)

وذكر ابن شهرآشوب أيضاً عن «المحاضرات» للراغب الإصفهانيّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : لَا يَمُوتُ ابْنُ هِنْدٍ حَتّى يُعَلّقَ الصّلِيبَ فِي عُنُقِهِ . وقد رواه الأحنف بن قيس ، والأعثم الكوفيّ ، وأبو حيّان التوحيديّ ، وأبو الثلّاج ، وجماعة آخرون . فكان كما قال عليه السلام . (١٢٧)

* * *

وروى ابن شهرآشوب أيضاً عن إسحاق بن حسّان ، بإسناده عن الأصبغ بن نُباتة ، قال : أمرنا أمير المؤمنين عليه السلام بالمسير من الكوفة إلى المدائن . فسرنا يوم الأحد ، وتخلّف عنّا عمرو بن حريث ، والأشعث ابن قيس ، وجرير بن عبد الله البَجَلِيّ مع خمسة نفر ، فخرجوا إلى مكان بالحيرة يقال له : الخورنق (١٢٨) والسدير . (١٢٩) فبينا هم جلوس وهم يتغدّون ، إذ خرج عليهم ضبّ ، فاصطادوه . فأخذه عمرو بن حريث ؛ فبسط كفّه ، فقال : بايعوا هذا أمير المؤمنين . فبايعه الثمانية ثمّ أفلتوه وارتحلوا وقالوا : إنّ عليّ بن أبي طالب يزعم أنّه يعلم الغيب ، فقد خلعناه وبايعنا مكانه ضبّاً . فقدموا المدائن يوم الجمعة ، فدخلوا المسجد ، وأمير المؤمنين عليه السلام يخطب على المنبر ، فقال عليه السلام : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أسرّ إليّ حديثاً كثيراً في كلّ حديث باب يفتح كلّ باب ألف باب . إنّ الله تعالى يقول في كتابه العزيز:

يَوْمَ نَدْعُوا كُلّ أُنَاسٍ بِإِمَمِهِمْ . (١٣٠)

وأنا أُقسم بالله ليبعثنّ يوم القيامة ثمانية نفر من هذه الأُمّة إمامهم ضبّ . ولو شئتُ أن أُسمّيهم لفعلتُ .

فتغيّرت ألوانهم ، وارتعدت فرائصهم ، وكان عمرو بن حريث ينتفض كما تنتفض السعفة جبناً وفرقاً . (١٣١)

* * *

وروي عن الحسن بن عليّ عليه السلام في خبر أنّ الأشعث بن قيس الكنديّ بنى في داره مئذنة ، فكان يرقى إليها إذا سمع الأذان في أوقات الصلوات في مسجد جامع الكوفة ، فيصيح من على مئذنته : يَا رَجُلُ ! إنّكَ لَكَاذِبٌ سَاحِرٌ . وكان أبي يسمّيه : عُنُقُ النّارِ . وفي رواية : عُرْفُ النّارِ . فسئل عن ذلك ، فقال : إنّ الأشعث إذا حضرته الوفاة ، دخل عليه عنق من النار ممدودة من السماء ، فتحرقه ، فلا يدفن إلّا وهو فحمة سوداء .

فلمّا توفّي ، نظر سائر من حضر إلى النار ، وقد دخلت عليه كالعنق الممدود من السماء إلى الأرض حتّى أحرقته وهو يصيح ويدعو بالويل والثبور . (١٣٢)

* * *

وروى أبو الجوايز الكاتب عن عليّ بن عثمان ، عن المظفّر بن حسن الواسطي السلّال ، عن الحسن بن ذكردان ، وكان ابن ثلاثمائة وخمس وعشرين سنة قال : رأيتُ عليّاً عليه السلام في النوم ، وأنا في بلدي ، فخرجتُ إليه إلى المدينة ، فأسلمتُ على يده ، وسمّاني الحسن . وسمعتُ منه أحاديث كثيرة ، وشهدتُ معه مشاهده كلّها . فقلتُ له يوماً من الأيّام :

يا أمير المؤمنين ! ادعُ الله لي .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : يا فارسيّ ! إنّك ستُعمّر ، وتُحملُ إلى مدينة يبنيها رجل من بني عمّي العبّاس تُسمّى في ذلك الزمان : بغداد ، ولا تصل إليها . تموت بموضع يقال له : المدائن . فكان كما قال ليلة دخل المدائن مات . (١٣٣)

روى مسعدة بن اليسع عن الصادق عليه السلام في خبر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام مرّ بأرض بغداد ، فقال : ما تُدعى هذه الأرض ؟ فقالوا : بغداد . قال : نعم ، تبنى هاهنا مدينة وذكر وصفها . (١٣٤)

ويقال : إنّه وقع من يده سوط ، فسأل عن أرضها ، فقالوا : بغداد . فأخبر أنّه يبنى ثمّ مسجد يقُال له : مسجد السّوْط . (١٣٥)

وجاء في «تاريخ بغداد» أنّه قال المفيد أبو بكر الجرجانيّ : ولد أبو الدّنيا في أيّام أبي بكر ، وأنّه قال : إنّي خرجت مع أبي للقاء أمير المؤمنين عليه السلام . فلمّا صرنا قريباً من الكوفة ، عطشنا عطشاً شديداً . فقلتُ لوالدي : اجلس حتّى أدور لك الصحراء فلعلّي أقدر على ماء . فقصدتُ إليه ، فإذا أنا ببئر شبه الركيّة أو الوادي (بئر واسعة الفوهة أو حفرة بين جبلين) . فاغتسلتُ وشربت منه حتّى رويت . ثمّ جئتُ إلى أبي ، فقلتُ : قم ، فقد فرّج الله عنّا ، وهذه عين ماء قريب منّا . ومضينا ، فلم نر شيئاً . فلم يزل يضطرب حتّى مات ودفنتُه .

وجئتُ إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وهو خارج إلى صفّين ، وقد أُخرِجَتْ له البغلة . فجئتُ ومسكتُ له بالركاب ، والتفتَ إليّ . فانكببتُ أُقبّل الركاب ، فشجّت في وجهي شجّة ، قال أبو بكر المفيد : ورأيتُ الشجّة في وجهه واضحة . ثمّ سألني (أمير المؤمنين عليه السلام) عن خبري ، فأخبرته بقضيّتي . فقال : عين لم يشرب منها أحد إلّا وعمّر عمراً طويلاً . فأبشر ، فإنّك ستعمّر ، وسمّاني المُعَمّر . وهو الذي يُدعى بالأشَجّ .

وذكر الخطيب : أنّه قدم بغداد في سنة ثلاثمائة ، وكان معه شيوخ من بلده ، فسألوا عن هذا الرجل . فقالوا : هو مشهور عندنا بطول العمر ، وقد بلغني أنّه مات في سنة

سبع وعشرين وثلاثمائة . ونحو ذلك ذكر شيخنا في «الأمالي» (أمالي الطوسيّ) وفاته . (١٣٦)

* * *

وروى ابن شهرآشوب عن الأعمش بروايته عن رجل من هَمْدان ، قال : كنّا مع عليّ عليه السلام بصفّين ، فهزم أهل الشام ميمنة العراق . فهتف بهم مالك الأشتر ليتراجعوا . فجعل أمير المؤمنين عليه السلام يقول لأهل الشام : يَا أَبَا مُسْلِمٍ خُذْهُمْ ، ثلاث مرّات . فقال الأشتر : أوَ ليس أبو مسلم معهم ؟ قال : لستُ أُريد الخولانيّ . وإنّما أُريد رجلاً يخرج في آخر الزمان من المشرق يهلك الله به أهل الشام ، ويسلب عن بني أُميّة ملكهم . (١٣٧)

ومن الواضح أنّ مراد الإمام عليه السلام هو أبومسلم الخراسانيّ الذي نهض في خراسان بدعم العلويّين وأهل بيت رسول الله . وقضى على الأمويّين .

وروي في «الخرائج والجرائح» لابن الراونديّ ، عن ابن مسعود أنّه قال : كنتُ قاعداً عند أميرالمؤمنين عليه السلام في مسجد رسول الله ، إذ نادى رجل : من يدلّني على من آخذ منه علماً ؟

قلتُ له : يا هذا ، هل سمعت قول النبيّ صلّى الله عليه وآله : أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيّ بَابُهَا ؟ فقال : نعم . قلتُ : وأين تذهب وهذا عليّ بن أبي طالب ؟! فانصرف الرجل ، وجثا بين يديه ، فقال له الإمام : من أيّ البلاد أنتَ ؟ قال : من إصفهان . قال له : اكتب : أَمْلَى عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ : أَنّ أَهْلَ إِصْفَهَانَ لَا يَكُونُ فِيهِمْ خَمْسُ خِصَالٍ : السّخَاوَةُ ، وَالشّجَاعَةُ ، وَالأَمَانَةُ ، وَالغيرَةُ ، وَحُبّنَا أَهْلَ البَيْتِ .

قال الرجل : زدني يا أمير المؤمنين . فقال أمير المؤمنين عليه السلام بلسان إصفهان : «اروت اين وِس» أي : اليوم حسبك هذا .

قال المجلسيّ بعد ذكر هذا الحديث : كان أهل إصفهان في ذلك الزمان إلى أوّل استيلاء الدولة القاهرة الصفويّة أدام الله بركاتهم من أشدّ النواصب . والحمد للّه الذي جعلهم أشدّ الناس حبّاً لأهل البيت عليهم السلام ، وأطوعهم لأمرهم ، وأوعاهم لعلمهم ، وأشدّهم انتظاراً لفرجهم . حتّى أنّه لا يكاد يوجد من يتّهم بالخلاف في البلد . ولا في شيء من قراه القريبة أو البعيدة . وببركة هذه الدولة تبدّلت الخصال الأربع فيهم أيضاً . رزقنا الله وسائر أهل هذه البلاد نصر قائم آل محمّد عليه السلام ، والشهادة تحت لوائه . وحشرنا معهم في الدنيا والآخرة . (١٣٨)

وروى ابن شهرآشوب عن الحارث الأعور (الهمدانيّ) ، وعمرو بن الحريث ، وأبي أيّوب عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه لمّا رجع من وقعة الخوارج ، نزل يُمْنَى السواد (القسم الأيمن من أرض العراق) . فقال له راهب [كان هناك] : لا ينزل هاهنا إلّا

وصيّ نبيّ يقاتل في سبيل الله . فقال عليّ عليه السلام : فَأَنَا سَيّدُ الأَوْصيَاءِ ، وَصِيّ سَيّدِ الأَنْبِيَاءِ .

قال [الراهب] : فَإذاً أَنْتَ أَصْلَعُ قُرَيْشٍ وَصِيّ مُحَمّدٍ . خُذ عَلَيّ الإسلام فإنّي وجدتُ في الإنجيل نعتك ، وأنت تنزل مسجد براثا ببيت مريم وأرض عيسى .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : فاجلس يا حُباب ! قال [الراهب] : وهذه دلالة أُخرى . ثمّ قال [أمير المؤمنين عليه السلام] : فانزل يا حُباب من هذه الصومعة . وابن هذا الدير مسجداً . فبنى حُباب الدير مسجداً . ولحق أمير المؤمنين [عليه السلام] إلى الكوفة ، فلم يزل بها مقيماً ، حتّى قتل أمير المؤمنين [عليه السلام] ، فعاد حُباب إلى مسجده ببراثا .

وفي رواية أنّ الراهب قال : قرأتُ أنّه يصلّي في هذا الموضع إيليا وصيّ البار قُليطا محمّد نبيّ الأُمّيين الخاتم لمن سبعة من أنبياء الله ورسله ــ في كلام كثير ــ : فَمَنْ أَدْرَكَهُ فَلْيَتّبِعِ النّورَ الّذِي جَاءَ بِهِ . (القصد من النور المذكور هو أمير المؤمنين عليه السلام) . ألا وإنّه يغرس في آخر الأيّام بهذه البقعة شجرة لا يفسد ثمرها .

وفي رواية زاذان قال أميرالمؤمنين عليه السلام : ومن أين شُربك ؟ قال : من دجلة . قال : ولِمَ لَمْ تحفر عيناً تشرب منها ؟ قال : قد حفرتها وخرجت مالحة . قال : فاحتفر الآن بئراً أُخرى . فاحتفرَ الراهب ، فخرج ماؤها عذباً . فقال : يا حُباب ! ليكن شربُك من هاهنا . ولا يزال هذا المسجد معموراً . فإذا خرّبوه وقطعوا [ال] نخلة ، حلّت بهم (أو بالناس) داهية .

وفي رواية محمّد بن القيس : فأتى أمير المؤمنين عليه السلام موضعاً من تلك الملبّة [١٣٩] فركلها برجله ، فانبجست عين خرّارة فقال : هذه عين مريم . ثمّ قال : فاحتفِروا ها هنا سبعة عشر ذراعاً (قُرابة ثمانية أمتار ونصف) ، فاحتفَروا ، فإذا صخرة بيضاء ، فقال : ها هنا وضعت مريم عيسى من عاتقها ، وصلّت ها هنا . فنصب أمير المؤمنين عليه السلام الصخرة ، وصلّى إليها ، وأقام هناك أربعة أيّام .

وفي رواية الباقر عليه السلام [أنّ أمير المؤمنين عليه السلام] قال : هذه عين مريم التي أُنبعت لها . واكشفوا ها هنا سبعة أذرع ، فكشف ، فإذا صخرة بيضاء ــ الخبر . وفي رواية : هذا الموضع المقدّس صلّى فيه الأنبياء . وقال أبو جعفر [الباقر] عليه السلام : ولقد وجدنا أنّه صُلّي فيه قبل عيسى . وفي رواية : صلّى فيه [إبراهيم] الخليل .

وروي أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صاح : يا بئر ! ــ بالعبرانيّ ــ قرب إليّ . فلمّا عبر [الإمام] من المسجد ، وكان فيه عوسج وشوك عظيم ، فانتضى سيفه ، وكسح ذلك

كلّه ، وقال : إنّ ها هنا قبر نبيّ من أنبياء الله . وأمر الشمس أن ارجعي ، فرجعتْ . وكان معه ثلاثة عشر رجلاً من أصحابه . فأقام القبلة بخطّ الاستواء وصلّى إليها .

وأنشد العونيّ في وصف مسجد براثا وخصوصيّاته قائلاً :

وَقُلْتَ : بَرَاثَا كَانَ بَيْتاً لِمَرْيَمٍ
وَذَاكَ ضَعِيفٌ فِي الأَسَانِيدِ أَعْوَجُ
وَلَكِنَّهُ بَيْتٌ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمٍ
وَلِلْأَنْبِيَاءِ الزّهْرِ مَثْوَىً وَمَدْرَجُ
وَلِلْأَوْصِيَاءِ الطّاهِرِينَ مَقَامُهُمْ
عَلَى غَابِرِ الأَيّامِ وَالحَقّ أَبْلَجُ
بِسَبْعِينَ مُوصىً بَعْدَ سَبْعِينَ مُرْسَلٍ
جِبَاهُهُمْ فِيهَا سُجُوداً تَشَحّجُ
وَآخِرُهُمْ فِيهَا صَلَاةً إِمَامُنَا
عَلِيّ بِذَا جَاءَ الحَدِيثُ المُنَهّجُ (١٤٠)

* * *

ومن جملة إخبار الإمام عليه السلام بالغيب حادثة وقعت مع راهب نصرانيّ في طريق صفّين إذ فلق الإمام صخرة فانبجس منها الماء . ونقل كبار أهل السير والتأريخ والحديث هذه القضيّة ، كما ذكرها الخطيب في «تأريخ بغداد» . ونحن ذكرناها أيضاً في الجزء الرابع ، الدرس ٤٦ إلى ٥١ من كتابنا هذا : «معرفة الامام» . (١٤١) وننقلها فيما يأتي بنحو مفصّل عن «الإرشاد» للمفيد رحمه الله تعالى :

قال المرحوم المفيد : فصلٌ : ومن ذلك (أي من إخباره عليه السلام بالغائبات) ما رواه أهل السير ، واشتهر الخبر به في العامّة والخاصّة ، حتّى نظمه الشعراء ، وخطب به البلغاء ، ورواه الفهما ء والعلماء من حديث الراهب بأرض كربلاء ، والصخرة . وشهرته تُغني عن تكلّف إيراد الإسناد له .

وذلك أنّ الجماعة روت أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا توجّه إلى صفّين ، لحق أصحابه عطش شديد ونفد ما كان عندهم من الماء . فأخذوا يميناً وشمالاً يلتمسون الماء ، فلم يجدوا له أثراً . فعدل بهم أمير المؤمنين عليه السلام عن الجادّة ، وسار قليلاً ، فَلاحَ لهم دَيْرٌ في وسط البرّيّة ، فسار بهم نحوه ، حتّى إذا صار في فِنائه ، أمر من نادى ساكنه بالاطّلاع إليهم . فنادوه ، فاطّلع .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : هل قُرب قائمك هذا ماء يتغوّث به هؤلاء القوم ؟ فقال [الراهب] : هيهات . بيني وبين الماء أكثر من فرسخين ، وما بالقرب منّي شيء من الماء ، ولولا أنّني أُوتي بماء يكفيني كلّ شهر على التقصير ، لتلفتُ عطشاً .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أسمعتم ما قال الراهب ؟ قالوا : نعم ، أفتأمرنا بالمسير إلى حيث أومأ إليه لعلّنا ندرك الماء وبنا قوّة ! فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لا حاجة بكم إلى ذلك . ولو عنق بغلته نحو القبلة ، وأشار لهم إلى مكان يقرب من الدير ، فقال : اكشفوا الأرض في هذا المكان . فعدل منهم جماعة إلى الموضع فكشفوه بالمساحي ، فظهرت لهم صخرة عظيمة تلمع .

فقالوا : يا أمير المؤمنين ، هنا صخرة لا تعمل فيها المساحي . فقال لهم : إنّ هذه الصخرة على الماء . فإن زالت عن موضعها ، وجدتم الماء ، فاجتهدوا في قلعها فاجتمع القوم وراموا تحريكها ، فلم يجدوا إلى ذلك سبيلاً ، واستصعبت عليهم .

فلمّا رآهم عليه السلام قد اجتمعوا وبذلوا الجهد في قلع الصخرة ، فاستعصبت عليهم ، لوى عليه السلام رجله عن سرجه حتّى صار على الأرض ، ثمّ حَسَرَ عن ذراعيه ، ووضع أصابعه تحت جانب الصخرة فحرّكها ، ثمّ قلعها بيده ودحا بها أذرعاً كثيرة . فلمّا زالت عن مكانها ، ظهر لهم بياض الماء ، فبادروا إليه فشربوا منه . فكان أعذب ماء شربوا منه في سفرهم وأبرده وأصفاه .

فقال لهم [الإمام] : تزوّدوا وارتووا . ففعلوا ذلك . ثمّ جاء إلى الصخرة فتناولها بيده ووضعها حيث كانت . وأمر أن يعفى أثرها بالتراب . والراهب ينظر من فوق ديره . فلمّا استوفى علم ما جرى ، نادى : أَيّهَا النّاسُ ! أَنْزِلُونِي فاحتالوا في إنزاله . فوقف بين يدي أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال له : يا هذا أَنْتَ نَبِيّ مُرْسَلٌ ؟ قال : لا . قال : فَمَلَكٌ مُقَرّبٌ ؟ قال : لا . قال : فَمَنْ أَنْتَ ؟

قال : وَصِيّ رَسُولِ اللّهِ مُحَمّد بْنِ عَبْدِ اللّهِ خَاتَمِ النّبِيّينَ . قال : ابسُطْ يدكَ أُسلمُ للّه تبارك وتعالى على يديك . فبسط أمير المؤمنين عليه السلام يده ، وقال له : اشهَدِ الشّهادتين .

فقال [الراهب] : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَشْهَدُ أَنّكَ وَصِيّ رَسُولِ اللّهِ وَأَحَقّ النّاسِ بِالأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ .

فأخذ أمير المؤمنين عليه السلام عليه شرائط الإسلام ، ثمّ قال : مَا الّذِي دَعَاكَ إِلَى الإِسْلَامِ بَعْدَ طُولِ مُقَامِكَ فِي هَذَا الدّيْرِ عَلَى الخِلَافِ ؟

فقال : أُخْبرك يا أميرالمؤمنين إنّ هذا الدير بُني على طلب قالع هذه الصخرة ومُخرج الماء من تحتها . وقد مضى عالَم قبلي فلم يدركوا ذلك . وقد رزقنيه الله عزّ وجلّ . إنّا نجد في كتاب من كتبنا ونأثُرُ عن علمائنا أنّ في هذا الصقع عيناً عليها صخرة لا يعرف مكانها إلّا نبيّ أو وصيّ نبيّ . وأنّه لابدّ من وليّ للّه يدعو إلى الحقّ آيته معرفة مكان هذه الصخرة وقدرته على قلعها . وإنّي لمّا رأيتُكَ قد فعلتَ ذلك ، تحقّقتُ ما كنّا ننتظره

وبلغتُ الأُمنية منه . فأنا اليوم مسلم على يدك ، ومؤمن بحقّك ، ومولاك (أي : أُقِرّ بولايتك على نفسي وشؤوني) .

ولمّا سمع ذلك أميرالمؤمنين عليه السلام بكى حتّى اخضلّت لحيته من الدموع ، وقال : الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَمْ أَكُنْ عِنْدَهُ مَنْسِيّاً . الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي كُنْتُ فِي كُتُبِهِ مَذْكُوراً .

ثمّ دعا الناس فقال لهم : اسمعوا ما يقول أخوكم هذا المسلم . فسمعوا حالته ، وكثر حمدهم للّه وشكرهم على النعمة التي أنعم بها عليهم في معرفتهم بحقّ أميرالمؤمنين عليه السلام . ثمّ ساروا والراهب بين يديه في جملة أصحابه حتّى لقي أهل الشام . وكان الراهب من جملة من استشهد معه . فتولّى عليه السلام الصلاة عليه ، ودفنه ، وأكثر من الاستغفار له . وكان إذا ذكره يقول : ذَاكَ مَوْلَايَ (أي مَن عندي ولايته ، فلا حجاب بيني وبينه إلّا من ماهيّة وأنيّت ذاتي وذاته) . (١٤٢)

ذكر الشيخ المفيد هذا الخبر بنفس الألفاظ التي نقلناها ، ثمّ قال : وفي هذا الخبر ضروب من المعجز : أحدها : علم الغيب ، والثاني : القوّة التي خرق العادة بها ، وتميّز بخصوصيّتها من الأنام ، مع ما فيه من ثبوت البشارة به في كتب الله الأُولى . وذلك مصداق قوله تعالى : ذَ لِكَ مَثَلُهُمْ فِى التّوْرَبةِ وَمَثَلُهُمْ فِى الْإِنْجِيلِ . (١٤٣)

وفي ذلك قال إسماعيل بن محمّد الحميريّ رحمه الله في قصيدته البائيّة المذهّبة :

وَلَقَدْ سَرَى فِيمَا يَسِيرُ بِلَيْلَةٍ
بَعْدَ العِشَاءِ بِكَرْبَلَا فِي مَوْكِبِ
حَتّى أَتى مُتَبَتّلاً فِي قَائِمٍ
أَلْقَى قَوَاعِدَهُ بِقَاعٍ مُجْدِبِ
يَأْتِيهِ لَيْسَ بِحَيْثُ يَلْقَى عَامِراً
غَيْرَ الوُحُوشِ وَغَيْرِ أَصْلَعَ أَشْيَبِ
فَدَنَى فَصَاحَ بِهِ فَأَشْرَفَ مَاثِلاً
كَالنّسْرِ فَوْقَ شَظِيّةٍ مِنْ مَرْقَبِ
هَلْ قُرْبَ قَائِمِكَ الّذِي بَوّأْتَهُ
مَاءٌ يُصَابُ فَقَالَ : مَا مِنْ مَشْرَبِ
إِلّا بِغَايَةِ فَرْسَخَيْنِ وَمَنْ لَنَا
بِالمَاءِ بَيْنَ نُقَىً وَرِقيّ سَبْسَبِ
فَثَنَى الأَعِنّةَ نَحْوَ وَعْثٍ فَاجْتَلَى
مَلْسَاءَ تَبْرُقُ كَاللّجَيْنِ المَذْهَبِ
قَالَ اقْلِبُوهَا إِنّكُمْ إِنْ تَقْلِبُوا
تُرْوَوْا وَلَا تُرْوَوْنَ إِنْ لَمْ تُقْلَبِ

فَاعْصَوْ صبُوا فِي قَلْعِهَا فَتَمنّعَتْ
مِنْهُمْ تَمَنّعَ صَعْبَةٍ لَمْ تُرْكَبِ
حَتّى إِذَا أَعيَتْهُمُ أَهْوَى لَهَا
كَفّاً مَتَى تَرِدِ المَغَالِبَ تُغْلَبِ
فَكَأَ نّهَا كُرَةٌ بِكَفّ حِزَوّرٍ
عَبَلَ الذّرَاعِ دَحَى بِهَا فِي مَلْعَبِ
فَسَقَاهُمُ مِنْ تَحْتِهَا مُتَسَلْسِلاً
عَذْباً يَزِيدُ عَلَى الأَلَذّ الأَعْذَبِ
حَتّى إِذَا شَرِبُوا جَمِيعاً رَدّهَا
وَمَضَى فَخَلّتْ مَكَانَهَا لَمْ يُقْرَبِ (١٤٤)

لمّا سار أمير المؤمنين عليه السلام من الكوفة إلى صفّين اختار طريقاً يَبَساً ، لا طريقاً مائيّاً بمحاذاة شطّ الفرات . فلهذا عطش جنوده . هذا من جهة ، ومن جهة أُخرى لمّا كان طريق الكوفة إلى الشام يمرّ من كربلاء ، لذلك حدثت قصّة الراهب والصخرة وعين الماء في هذا المكان . وفي ضوء هذا كلّه ، نظم السيّد الحميريّ قصيدته .

وقال السيّد الحميريّ بعد هذه الأبيات :

أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الوَصِيّ وَمَنْ يَقُلْ
فِي فَضْلِهِ وَفَعَالِهِ لَمْ يَكْذِبِ
لَيْسَتْ بِبَالِغَةٍ عَشِيرَ عَشِيرِ مَا
قَدْ كَانَ أُعْطَيهُ مَقَالَةُ مُطْنِبِ
صِهْرُ الرّسُولِ وَجَارُهُ فِي مَسْجِدٍ
طُهْرٍ بِطَيْبَةَ لِلرّسُولِ مُطَيّبِ (١٤٥)

قال الشيخ المفيد في «الإرشاد» بعد نقله أبياتَ الحميريّ : وزاد فيها ابن ميمون قوله :

وَآيَاتُ رَاهِبِهَا سَرِيرَةُ مُعْجِزٍ
فِيهَا وَآمَنَ بِالوَصِيّ المُنْجِبِ
وَمَضَى شَهِيداً صَادِقَاً فِي نَصْرِهِ
أَكْرِمْ بِهِ مِنْ رَاهِبٍ مُتَرَهّبِ
أَعْنِي ابْنَ فَاطِمَةَ الوَصِيّ وَمَنْ يَقُلْ
فِي فَضْلِهِ وَفَعَالِهِ لَمْ يَكْذِبِ
رَجُلاً كِلَا طَرَفَيْهِ مِنْ سَامٍ وَمَا
حَامٌ لَهُ بَأَبٍ وَلَا بِأَبِ أَبِ

مَنْ لَا يَفِرّ وَلَا يُرَى فِي مَعْرَكٍ
إلّا وَصَارِمُهُ الخَضِيبُ المَضْرَبِ [١٤٦]

* * *

وكذلك قال الشيخ المفيد : وممّا رواه الحسن بن محبوب ، عن ثابت الثماليّ ، عن أبي إسحاق السبيعيّ ، عن سويد بن غفلة أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ! إنّي مررت بوادي القُرَى فرأيتُ خالد بن عُرفُطَة قد مات بها . [١٤٧] فاستغفر له . فقال عليه السلام : إنّه لم يمت ، ولا يموت حتّى يقود جيش ضلالة ، صاحب لوائه حبيب بن جمار . [١٤٨]

فقام إليه رجل من تحت المنبر ، فقال : يا أمير المؤمنين ، والله إنّي لك شيعة ، وإنّي لك محبّ . قال الإمام : وَمَنْ أَنْتَ ؟ قال : أَنَا حَبِيبُ بْنُ جمار . قال : إيّاكَ أَنْ تَحْمِلَهَا ، وَلَتَحْمِلَنّهَا فَتَدْخُلَ بِهَا مِنْ هَذَا البَابِ ــ وَأَوْمَأَ بِيَدِهِ إِلَى بَابِ الفِيلِ (أحد أبواب مسجد الكوفة) ــ .

فلمّا مضى أمير المؤمنين عليه السلام ، ومضى [الإمام] الحسن عليه السلام بعده ، وكان من أمر [الإمام] الحسين عليه السلام ومن ظهوره ما كان ، بعث ابن زياد بعمر بن سعد إلى الحسين عليه السلام ، وجعل خالد بن عُرفطة على مقدّمته ، وحبيب بن جمار صاحب رايته . فسار بها [خالد] حتّى دخل المسجد من باب الفيل .

وهذا أيضاً خبر مستفيض لا يتناكره أهل العلم والرواة للأثار . وهو منتشر في أهل الكوفة ، ظاهر في جماعتهم لا يتناكره منهم اثنان . وهو من المعجز الذي ذكرناه . [١٤٩]

ورواه بهذا المضمون ابن شهرآشوب في مناقبه عن أبي الفرج الإصفهانيّ في «أخبار الحسن» ، [١٥٠] وأيضاً رواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» عن الأعمش ، وابن محبوب عن الثماليّ والسبيعيّ ، وكلّهم عن سويد بن غفلة ، وكذلك رواه أبو الفرج الإصفهانيّ في «أخبار الحسن» . [١٥١]

(١٥١)

ورواه المجلسيّ أيضاً في «بحار الأنوار» بمضمون آخر عن «الاختصاص» للشيخ المفيد ، و«بصائر الدرجات» للصفّار ، فقد روى عن هذين العالمين الجليلين ، عن عبدالله بن محمّد ، عن ابن محبوب ، عن أبي حمزة ، عن سويد بن غفلة أنّه قال :

أنا عند أمير المؤمنين عليه السلام إذ أتاه رجل ، فقال : يا أمير المؤمنين ! جئتك من وادي القرى ، وقد مات خالد بن عرفطة . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّه لم يمت . فأعادها عليه . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لم يمت . والذي نفسي بيده لا يموت . فأعادها عليه الثالثة . وأجابه الإمام نفس الجواب .

فقال الرجل : سبحان الله ! أُخبرك أنّه مات وتقول : لم يمت . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : والذي نفسي بيده لا يموت حتّى يقود جيش ضلالة يحمل رايته حبيب بن جمار . فسمع بذلك حبيب ، فأتاه ، فقال له : أُناشدك فيّ وأنّي لك شيعة ، وقد ذكرتني بأمر ، لا والله ما أعرفه من نفسي . فقال له : إنْ كُنْتَ حَبِيبَ بْنَ جَمارٍ لَتَحْمِلَنّهَا . فولّى حبيب . وقال الإمام مرّة أُخرى : إنْ كُنْتَ حَبِيبَ بْنَ جمارٍ لَتَحْمِلَنّهَا .

قال أبوحمزة الثماليّ راوي هذا الخبر عن سويد بن غفلة : والله ما مات حتّى بعث عمر بن سعد إلى الحسين بن عليّ عليه السلام ، وجعل خالد بن عرفطة على مقدّمته ، وحبيب صاحب رايته .

وقال المجلسيّ بعد بيان هذا الخبر : رواه ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» عن كتاب «الغارات» لابن هلال الثقفيّ ، عن ابن محبوب ، عن الثماليّ ، عن سويد بن غفلة . (١٥٢)

ومن هنا نفهم ما ورد في السِيَر والتواريخ والأحاديث من أنّ قاتلي سيّد الشهداء عليه السلام كانوا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام الكوفيّين كحجّار بن أبجُر ، وشَبَث بن رِبعي ، ومحمّد بن الأشعث ، وغيرهم . وكان كلّ منهم يقود أربعة آلاف جنديّ . وتحرّكوا بجيشهم البالغ ثلاثين ألفاً لحرب الحسين صلوات الله عليه ، وعبّأوا أنفسهم من أجل حطام الدنيا ، وجوائز يزيد ، وابن زياد ، ورئاسة مؤقّتة زائلة في مصر من الأمصار ، وأمثال ذلك . وأراقوا دم بضعة المصطفى في صحراء كربلاء ظالمين له ، وناهضين بوجه الحقّ والتوحيد والعدالة . وأعمتهم زخارف الدنيا الخدّاعة وطبعت على سمعهم وأبصارهم وأفئدتهم حتّى نسوا جميع الخطب التي خطبها إمام المتّقين وسيّد الأوّلين والآخرين أمير المؤمنين عليه السلام ، وإخباره بالغائبات ، وجهاده للّه ودينه . حقّاً حُبّ الشّيءِ يُعْمِي وَيُصِمّ . فمن أحبّ شيئاً ، فإنّ عينه تعمى عن رؤية غيره ، وأُذُنَه تصمّ عن سماع سواه ، ولا يعد يدرك إلّا مطلوبه ومقصوده ، ويختم بيده على قلبه وبصيرته ، ويحبس نفسه في غار الشيطان المظلم الدامس ، ومطمورة الجنّ ، وهوى النفس الأمّارة .

ولعلّ حبيب بن جمار الذي جاء عند أمير المؤمنين عليه السلام كان يومئذٍ صادقاً فيما ادّعاه من تشيّعه ، ولم يدر في خلده ، ولم يَجُل في ظنّه أنّه سيحمل يوماً على كتفه راية يزيد وعمر بن سعد . بَيدَ أنّ الربّ الحكيم يفتن الناس ويبتليهم حتّى تظهر بواطنهم ، وتنكشف خفيّاتهم وما يخبّأون في سويداء قلوبهم ، ممّا قد يعزب عنهم أنفسهم . وعندئذٍ يُساق إلى الجنّة من كان أهلاً لها ، ويساق إلى جهنّم من كان أهلاً لها .

وكان البراء بن عازب من صحابة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ومن أنصار أمير المؤمنين عليه السلام ، وكان حيّاً يوم استشهد أبو عبد الله الحسين عليه السلام بَيدَ أنّه لم يرفده ولم ينصره ، فعاش متحسّراً حتّى مماته ، ولكن هل يغني التحسّر شيئاً ! وما على المؤمن إلّا أن يكون بصيراً واعياً مغتنماً للفرصة في المواقف المطلوبة .

روى الشيخ المفيد ، وابن شهر آشوب عن إسماعيل بن صبيح ، عن يحيى بن المساور العابد ، عن إسماعيل بن زياد أنّ عليّاً عليه السلام قال للبراء بن عازب يوماً : يَا بَرَاءُ ! يُقْتَلُ ابْنِيَ الحُسَيْنُ وَأَنْتَ حَيّ لَا تَنْصُرُهُ .

فلمّا قُتِل الحسين عليه السلام ، كان البراء بن عازب يقول : صدق والله أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب . قُتل الحسين ، ولم أنصره . ثمّ يظهر الحسرة على ذلك والندم . (١٥٣)

* * *

وكذلك روى الشيخ المفيد في «الإرشاد» عن عثمان بن قيس العامريّ ، عن جابر بن الحرّ ، عن جُوَيْرية بن مسهر العبديّ ، (١٥٤) أنّه قال : لمّا توجّهنا مع أمير المؤمنين عليه السلام إلى صفّين فبلغنا طفوف كربلاء ، وقف عليه السلام ناحيةً من المعسكر ، ثمّ نظر يميناً وشمالاً واستعبر ، ثمّ قال : هَذَا وَاللَهِ مُنَاخُ رِكَابِهِمْ وَمَوْضِعُ مَنِيّتِهِمْ . فقيل له : يا أمير المؤمنين ! ما هذا الموضع ؟ قال : هَذَا كَرْبَلَاءُ ، يُقْتَلُ فِيهِ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . ثمّ سار .

وكان الناس لا يعرفون تأويل ما قال حتّى كان من أمر [أبي عبد الله] الحسين بن عليّ عليهما السلام وأصحابه بالطفّ ما كان ، فعرف حينئذٍ من سمع مقاله مصداق الخبر فيما أنبأهم به . وكان ذلك من علم الغيب والخبر بالكائن قبل كونه . وهو المعجز الظاهر والعلم الباهر حسب ما ذكرناه . (١٥٥)

وكان جويرية بن مُسهر العَبْديّ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . وهو رجل عظيم الشأن جليل القدر . علّمه الإمام علم المنايا والبلايا . وكان له قلب نيّر وضمير متأ لّق تنعكس فيه مخبّآت المستقبل . وكان أمير المؤمنين عليه السلام يحبّه كثيراً حتّى بلغ مبلغاً كان فيه من أخصّ خواصّه . وارتفع الحجاب والبينونيّة بينه وبين الإمام . استشهد قبل واقعة كربلاء إذ قطعت يده ورجله ، وصُلب في حُبّ وولاية سيّد الأحرار أمير

المؤمنين عليه السلام . وقال المفيد في «الإرشاد» وهو يتحدّث عن معجزات الإمام وإخباره بالغائبات :

ومن ذلك ما رواه العلماء أنّ جويرية بن مسهر وقف على باب القصر (قصر الإمارة) بالكوفة . فقال : أين أمير المؤمنين عليه السلام ؟ فقيل له : نائم . فنادى :

أَيّهَا النّائِمُ استَيْقِظْ ! فَوَ الّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَتُضْرَبَنّ ضَرْبَةً عَلَى رَأْسِكَ تُخْضَبُ مِنْهَا لِحْيَتُكَ ، كَمَا أَخْبَرْتَنَا بِذَلِكَ مِنْ قَبْلُ .

فسمعه أمير المؤمنين عليه السلام ، فنادى : أَقْبِلْ يَا جُوَيْرِيَةُ حَتّى أُحَدّثَكَ بِحَدِيثِكَ . فأقبل جويرية .

فقال عليه السلام : وَأَنْتَ وَالّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُعْتَلَنّ إِلَى العُتُلّ الزّنِيمِ وَلَيَقْطَعَنّ يَدَكَ وَرِجْلَكَ ثُمّ لَتُصْلَبَنّ تَحْتَ جِذْعِ كَافِرٍ . (١٥٦)

فمضى على ذلك الدهر ، حتّى وُلّي زياد [بن أبيه] في أيّام معاوية ، فقطع يده ورجله ، ثمّ صلبه إلى جذع ابن مُكَعْبَر ، وكان جذعاً طويلاً ، فكان جويرية تحته . [فلهذا عبّر عنه الإمام بقوله : ليصلبنّك تحت جذع ... (١٥٧)] .

* * *

وروى ابن شهرآشوب عن أبي حفص عمر بن محمّد الزيّات في خبر أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال للمسيّب بن نجيّة : يَأْتِيكُمْ رَاكِبُ الدّغِيلَةِ يَشُدّ حَقْوَهَا بِوَضِينِها ، لَمْ يَقْضِ تَفَثاً مِنْ حَجّ وَلَا عُمْرَةٍ فَيَقْتُلُوهُ . يُرِيدُ الحُسَيْنَ عَلَيهِ السّلَامُ . (١٥٨)

قال المجلسيّ في شرح هذه العبارة : الدغيلة : الدغل والمكر والفساد . أي : يركب مكر القوم ويأتي لما وعدوه خديعة . ويحتمل أن يكون تصحيف الرعيلة ، وهي القطعة من الخيل القليلة ، والوضين بطان منسوج يشدّ به الرحل على البعير كالحزام للسرج . وشَدّ حَقْوَهَا به كناية عن الاهتمام بالسير والاستعجال فيه . وعَدَمُ قَضَاءُ التّفَث إشارة إلى أنّ الحسين عليه السلام لم يتيسّر له الحجّ ، بل أحلّ وخرج من مكّة يوم التروية . (١٥٩)

وذكر ابن شهرآشوب أيضاً عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه خاطب أهل الكوفة فقال لهم :

كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ بِكُمْ ذُرّيّةُ نَبِيّكُمْ فَعَمَدْتُمْ إِلَيْهِ فَقَتَلْتُمُوهُ ؟ قَالُوا : مَعَاذَ اللّهِ لَئِنْ أَتَانَا اللّهُ فِي ذَلِكَ لَنَبْلُوَنّ عُذْراً . فَقَالَ عَلَيْهِ السّلَامُ :

هُمْ أَوْرَدُوهُ فِي الغُرُورِ وَغَرّرُوا
أَرَادُوا نَجَاةً لَا نَجَاةٌ وَلَا عُذْرُ (١٦٠)

وكذلك روى ابن شهرآشوب عن «المُسنَد» للموصليّ ، عن عبد الله ابن يحيى ، عن أبيه أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا حاذى نينوى وهو منطلق إلى صفّين ، نادى :

اصْبِرْ أَبَا عَبْدِ اللَهِ بِشَطّ الفُرَاتِ . فَقُلْتُ : وَمَاذَا ؟ فَذَكَرَ مَصْرَعَ الحُسَيْنِ عَلَيهِ السّلَامُ بِالطّفّ . (١٦١)

وجاء في كتاب «الشافي في الأنساب» أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا قال هذا الكلام بأرض نينوى ، قال أحد أصحابه : فطلبتُ ما أُعلِمُ به الموضعَ ، فما وجدتُ غير عظم جمل . فرميتُه في الموضع . فلمّا استُشهد الحسين عليه السلام ، وجدتُ العظم في مصارع أصحابه . (١٦٢)

وذكر المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، عن نصر بن مزاحم بسنده المتّصل عن عروة البارقيّ أنّه قال : جئت إلى سعد بن وهب فسألته عن حديث حدّثناه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال : نعم ، بعثني مخنف بن سليم إلى عليّ عليه السلام عند توجّهه إلى صفّين . فأتيته بكربلاء ، فوجدته يشير بيده ويقول : هَا هُنَا هَا هُنَا .

فقال له رجل : وما ذاك يا أمير المؤمنين ؟

فقال : ثَقَلُ آلِ مُحَمّدٍ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَنْزِلُ هَا هُنَا ، فَوَيْلٌ لَهُمْ مِنْكُمْ وَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ .

فقال له الرجل : ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين ؟ فقال : ويل لهم منكم : تقتلونهم ؟ وويل لكم منهم : يدخلكم الله بقتلهم إلى النار .

قال نصر : وقد رُوي هذا الكلام على وجه آخر ، أنّه قال : فَوَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ ، وَوَيْلٌ لَكُمْ عَلَيْهِمْ .

فقال الرجل : أمّا ويلٌ لكم منهم ، فقد عرفناه ، فويل لكم عليهم ما معناه ؟

قال : ترونهم يُقتلون لا تستطيعون نصرتهم !

وكذلك روى نصر بن مزاحم عن سعيد بن حكيم العبسيّ ، عن الحكم الحسن بن كثير ، عن أبيه أنّ عليّاً عليه السلام أتى كربلاء ، فوقف بها . فقيل له : يا أمير المؤمنين هذه كربلاء .

فقال : ذاتُ كربٍ وبَلا . ثمّ أومأ بيده إلى مكان فقال : هَا هُنَا مَوْضِعُ رِحَالِهِمْ وَمُنَاخُ رِكَابِهِمْ . ثمّ أومأ بيده إلى مكان آخر فقال : هَا هُنَا مُرَاقُ دِمَائِهِمْ . ثمّ مضى إلى سَابَاطَ . (١٦٣)

وروى ابن أبي الحديد أيضاً في «شرح نهج البلاغة» عن نصر بن مزاحم في كتاب «صفّين» بسنده عن هرثمة بن سليم أنّه قال : غزونا مع عليّ صفّين . فلمّا نزل بكربلاء ، صلّى بنا . فلمّا سلّم ، رفع إليه من تربتها فشمّها ، ثمّ قال : وَاهَاً لَكِ يَا تُرْبَةُ ! لَيُحْشَرَنّ مِنْكِ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . (١٦٤)

فلمّا رجع هرثمة من غزاته إلى امرأته جرداء بنت سمير ــ وكانت من شيعة عليّ عليه السلام ــ حدّثها هرثمة فيما حدّث ، فقال لها : ألا أُعجبك من صديقكِ أبي حسن ؟ قال : لمّا نزلنا كربلاء ، أخذ حفنة من تربتها وشمّها وقال : وَاهاً لَكِ أَيَّتُهَا التّرْبَةُ لَيُحْشَرَنّ مِنْكِ قَوْمٌ يَدْخُلُونَ الجَنّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ . وما علمه بالغيب ؟

فقالت المرأة له : دَعْنَا مِنْكَ أَيّهَا الرّجُلُ ، فَإِنّ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ لَمْ يَقُلْ إِلّا حَقّاً .

قال سمير : فلمّا بَعثَ عبيدُ الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين عليه السلام ، كنت في الخيل التي بعث إليهم . فلمّا انتهيتُ إلى الحسين عليه السلام وأصحابه ، عرفت المنزل الذي نزلنا فيه مع عليّ عليه السلام ، والبقعة التي رفع إليه من تربتها والقول الذي قاله . فكرهت مسيري ، فأقبلتُ على فرسي حتّى وقفتُ على الحسين عليه السلام وسلّمت عليه وحدّثته بالذي سمعتُ من أبيه في هذا المنزل .

فقال الحسين عليه السلام : أَمَعَنَا أَمْ عَلَيْنَا ؟

قلتُ : يابن رسول الله ! لا معك ولا عليك . تركتُ ولدي وعيالي أخاف عليهم من ابن زياد .

فقال الحسين عليه السلام : فَتَوَلّ هَرَباً حَتّى لَا تَرَى مَقْتَلَنَا . فَوَ الّذِي نَفْسُ الحُسَيْنِ بِيَدِهِ لَا يَرَى اليَوْمَ مَقْتَلَنَا أَحَدٌ ثُمّ لَا يُعِينُنَا إِلّا دَخَلَ النّارَ .

قال هرثمة : فأقبلتُ في الأرض اشتدّ هرباً حتّى خفي عَلَيّ مقتلهم . (١٦٥)

روى الراوندي في «الخرائج والجرائح» عن الإمام الباقر عليه السلام ، عن أبيه أنّه قال : مرّ عليّ عليه السلام بكربلاء . فقال لمّا مرّ به أصحابه وقد اغرورقت عيناه يبكي :

هَذَا مُنَاخُ رِكَابِهِمْ ، وَهَذَا مُلْقَى رِحَالِهِمْ ، هَاهُنَا مُرَاقُ دِمائِهِمْ . طُوبَى لَكِ مِنْ تُرْبَةٍ عَلَيْهَا تُرَاقُ دِمَاءُ الأَحِبّةِ . (١٦٦)

قال الباقر عليه السلام : خرج عليّ عليه السلام يسير بالناس حتّى إذا كان بكربلاء على ميلين أو ميل ، تقدّم بين أيديهم حتّى طاف بمكان يقال له المقذفان فقال :

قُتِلَ فِيهَا مِائَتَا نَبِيّ وَمِائَتَا سِبْطٍ كُلّهُمْ شُهَدَاءُ ، وَمُنَاخُ رُكّابٍ وَمَصَارِعُ عُشّاقٍ ، شُهَدَاءُ لَا يَسْبِقُهُمْ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ ، وَلَا يَلْحَقُهُمْ مَنْ بَعْدَهُم . (١٦٧)

وروى عن «عيون أخبار الرضا» بالأسانيد الثلاثة عن الإمام الرضا عليه السلام عن آبائه ، عن أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أنّه قال :

كَأَنّي بِالقُصُورِ قَدْ شُيّدَتْ حَوْلَ قَبْرِ الحُسَيْنِ . وَكَأَنّي بِالمَحَامِلِ تَخْرُجُ مِنَ الكُوفَةَ إِلَى قَبْرِ الحُسَيْنِ . وَلَا تَذْهَبُ اللّيَالِي وَالأَيّامُ حَتّى يُسَارُ إِلَيْهِ مِنَ الآفَاقِ . وَذَلِكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ مُلْكِ بَنِي مَرْوَانَ . (١٦٨)

ولا غرو من بكاء أمير المؤمنين عليه السلام عند مروره بكربلاء ونينوى ، فقد بكى قبله رسول الله صلّى الله عليه وآله على الحسين عليه السلام ، ودفع إلى أُمّ سلمة قارورة

فيها تربة الحسين ، وقال لها : إذا صار ما في القارورة دماً عبيطاً ، فاعلمي أنّ ولدي الحسين قد قتل . وسبق رسول الله في البكاء على الحسين عليه السلام أنبياء الله الماضون كآدم ، ونوح ، وإبراهيم ، وموسى ، وعيسى عليهم السلام . كما بكت عليه ملائكة السماء .

وقال القاضي الجليس أحد شعراء القرن السادس ، واسمه أبو المعالي عبد العزيز بن حسين بن حُباب الأغلبيّ ، في قصيدة له :

لَهْفِي لِقَتْلَى الطّفّ إذْ
خَذَلَ المُصَاحِبُ وَالعَشِيرُ
وَافَاهُمُ فِي كَرْبَلَا يَوْ
مٌ عَبُوسٌ قَمْطَرِيرُ
دَلَفَتْ لَهُمْ عُصَبُ الضّلَالِ
كَأَ نّمَا دُعِيَ النّفِيرُ
عَجَباً لَهُمْ لَمْ يَلْقَهَمْ مِنْ
دُونِهِمْ قَدْرٌ مُبِيرُ
أَيُمَارُ فَوْقَ الْأَرْضِ فَيْضٌ
دَمِ الحُسَيْنِ وَلَا تَمُورُ ؟
أَتَرَى الجِبَالَ دَرَتْ وَلَمْ
تَقْذِفْهُمُ مِنْهَا صُخُورُ ؟
أَمْ كَيْفَ إذْ مَنَعُوهُ وِرْدَ
المَاءِ لَمْ تَغُرِ البُحُورُ ؟
حَرُمَ الزّلَالُ عَلَيْهِ لَمّا
حُلّلَتِ لَهُمُ الخُمُورُ (١٦٩)

وله قصيدة ذات عشرين بيتاً ، منها الأبيات الآتية التي نتبرّك بذكرها ونختم عندها بحثنا :

حُبّي لِآلِ رَسُولِ اللَهِ يَعْصِمُنِي
مِنْ كُلّ إثْمٍ وَهُمْ ذُخْرِي وَهُمْجَاهِي
يَا شِيعَةَ الحَقّ قُولِي بِالوَفَاءِ لَهُمْ
وَفَاخِرِي بِهِمُ مَنْ شِئْتِ أَوْ بَاهِي
إذَا عَلَقْتِ بِحَبْلٍ مِنْ أَبِي حَسَنٍ
فَقَدْ عَلَقْتِ بِحَبْلٍ فِي يَدِ اللَهِ
حَمَى الإِلَهُ بِهِ الإِسْلَامَ فَهُوَ بِهِ

يُزْهَى عَلَى كُلّ دِينٍ قَبْلَهُ زَاهِ
بَعْلُ البَتُولِ وَمَا كُنّا لِتَهْدِيَنَا
أَئِمّةٌ مِنْ نَبِيّ اللَهِ لَوْلَا هِيَ
نَصّ النّبِيّ عَلَيْهِ فِي الغَدِيرِ فَمَا
زَوَاهُ إِلّا ظَنِينٌ دِينُهُ وَاهِ (١٧٠)

تعليقات:

١) الآيات ٢٦ إلى ٢٨ من السورة ٧٢ : الجنّ .

٢) إنّ مثل هذا المعنى من العلم القائل بأنّ التحقّق الخارجيّ في التعبير العلميّ هو العلم الفعليّ كثير في القرآن الكريم كالآية ٣ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت : فَلَيَعْلَمَنّ اللَهُ الّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنّ الْكَذِبِينَ . أي : يتحقّق ظهور الصادقين والكاذبين في الخارج ، وهو ما يستوعبه العلم الفعليّ للحقّ تعالى . وكالآية ٢٥ ، من السورة ٥٧ : الحديد : وَلِيَعْلَمَ اللَهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ . أي : ليتحقّق علم الله الفعليّ بوجود ناصري الله ورسله .

٣) الآية ٥٩ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٤) الآية ٦٥ ، من السورة ٢٧ : النمل .

٥) الآية ٧٧ ، من السورة ١٦ : النحل .

٦) الآية ٤٢ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٧) الآية ٦١ ، من السورة ٦ : الأنعام .

٨) الآية ١٣٩ ، من السورة ٤ : النساء : أَيَبْتَغُونَ عِندَهُمُ الْعِزّةَ فَإِنّ الْعِزّةَ لِلّهِ جَمِيعًا .

٩) الآية ٨ ، من السورة ٦٣ : المنافقون .

١٠) الآية ٥٠ ، من السورة ٦ : الأنعام .

١١) الآية ١٨٨ ، من السورة ٧ : الأعراف .

١٢) الآية ٩ ، من السورة ٤٦ : الأحقاف .

١٣) الآية ١٨٨ ، من السورة ٧ : الأعراف .

١٤) الآية ٤٩ ، من السورة ١٠ : يونس .

١٥) الآية ١٦٣ ، من السورة ٤ : النساء .

١٦) الآية ٢٤ ، من السورة ٣٢ : السجدة .

١٧) الآية ٧٥ ، من السورة ٦ : الأنعام .

١٨) الآيتان ٥ و٦ ، من السورة ١٠٢ : التكاثر .

١٩) الآية ٢٢ ، من السورة ٥٠ : ق .

٢٠) الآية ١٠٣ ، من السورة ١١ : هود .

إِنّ فِى ذَ لِكَ لَأَيَةً لّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْأَخِرَةِ ذَ لِكَ يَوْمٌ مّجْمُوعٌ لّهُ النّاسُ وَذَ لِكَ يَوْمٌ مّشْهُودٌ .

٢١) الآية ١٨٠ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٢٢) الآية ٦٥ ، من السورة ١١ : هود .

٢٣) الآية ٤٩ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢٤) الآيات ١ إلى ٤ ، من السورة ٣٠ : الروم .

ذكر الشيخ المفيد في «الإرشاد» ص ١٧٣ ، الطبعة الحجريّة ، حوادث غيبيّة أُخرى أخبر بها رسول الله على لسان القرآن الكريم مضافاً إلى حادثة انهزام الروم في الآية : الم * غُلِبَتِ الرّومُ فِى أَدْنَى الْأَرْضِ . منها ما يتعلّق بأهل بدر قبل الواقعة : سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلّونَ الدّبُرَ (الآية ٤٥ ، من السورة ٥٤ : القمر) . فكان الأمر كما قال الله تعالى من غير اختلاف في ذلك . وقال عزّ وجلّ (الآية ٢٧ ، من السورة ٤٨ : الفتح) :

لَتَدْخُلُنّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَهُ ءَامِنِينَ مُحَلّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصّرِينَ لَا تَخَافُونَ ...

فكان الأمر في ذلك كما قال الله تعالى . وقال سبحانه (الآيتان ١ و٢ ، من السورة ١١٠ : النصر)

إِذَا جَآءَ نَصْرُ اللَهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَهِ أَفْوَاجًا،

فكان الأمر في ذلك كما قال تعالى ، وقال سبحانه :

وَيَقُولُونَ فِى أَنفُسِهِمْ لَوْ لَا يُعَذّبُنَا اللَهُ بِمَا نَقُولُ (الآية ٨ ، من السورة ٥٨ : المجادلة) . فخبّر عن ضمائرهم وما أخفوه من سرائرهم . وقال جلّ ذكره في قصّة اليهود : (الآيتان ٥ و٦ ، من السورة ٦٢ : الجمعة) : قُلْ يَأَيّهَا الّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلّهِ مِن دُونِ النّاسِ فَتَمَنّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُم صَدِقِينَ * وَلَا يَتَمَنّونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَهُ عَلِيمٌ بِالظّلِمِينَ . فكان الأمر كما قال الله تعالى ولم يجسر أحد منهم أن يتمنّاه . فحقّق ذلك خبره وأبان عن صدقه . ودلّ به على نبوّته في أمثال ذلك ممّا يطول به الكتاب .

٢٥) أقول : من الموارد التي أسند القرآن الكريم إخبار النبيّ وسائر الأنبياء فيها إلى الغيب صراحة (الآية ١٧٩ ، من السورة ٣ : آل عمران) : وَمَا كَانَ اللَهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنّ اللَهَ يَجْتَبِى مِن رّسُلِهِ مَن يَشَآءُ . و(الآية ٤٩ ، من السورة ١١ : هود) : تِلْكَ مِن أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنّ الْعَقِبَةَ لِلْمُتّقِينَ . بيّن الله تعالى هذه الآية بعد سرد قصّة نوح والطوفان وغرق المتمرّدين . ومنها (الآية ١٠٢ ، من السورة ١٢ : يوسف) : ذَ لِكَ مِن أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ . هذه الآية من الآيات الأخيرة في سورة يوسف ذُكرت بعد بيان قصّة يوسف وإلقائه في غيابت الجُبّ ، وبيعه في سوق مصر ، ثمّ حكومته على مصر وجمع شمله مع أبيه يعقوب . ومنها (الآية ٤٤ ، من السورة ٣ : آل عمران) : ذَ لِكَ مِن

أَنبَآءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ . جاءت هذه الآية بعد بيان ولادة السيّدة مريم ، ودعاء زكريّا بالولد في كبره . ومنها (الآية ٣ ، من السورة ٦٦ : التحريم) : وَإِذْ أَسَرّ النّبِىّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَ جِهِ حَدِيثًا فَلَمّا نَبّأَتْ بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَهُ عَلَيْهِ عَرّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمّا نَبّأَهَا بِهِ قَالَتْ مَن أَنْبَأَكَ هَذَا قَالَ نَبّأَنِىَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ . نزلت هذه الآية في حفصة بنت عمر بن الخطّاب ، وهي من آيات سورة التحريم النازلة في عائشة وحفصة . ومنها (الآية ٢٧ ، من السورة ٤٨ : الفتح) : لَقَدْ صَدَقَ اللَهُ رَسُولَهُ الرّءْيَا بِالْحَقّ لَتَدْخُلُنّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَآءَ اللَهُ ءَامِنِينَ . ومنها (الآية ٨٥ ، من السورة ٢٨ : القصص) : إِنّ الّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْءَانَ لَرَآدّكَ إِلَى مَعَادٍ . ومنها مواطن أخبر فيها النبيّ الأكرم بالغيب في مقام التحدّي وإعجاز القرآن بأن يأتي كلّ من يستطيع بسورة أو عشر سور مثله ، ولم يأت أحد بذلك . منها (الآية ٣٨ ، من السورة ١٠ : يونس) : فَأْتُو بِسُورَةٍ مّثْلِهِ . و(الآية ١٣ ، من السورة ١١ : هود) : فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مّثْلِهِ مُفْتَرَيَتٍ . ومنها مواضع جاء فيها الوعد بالفتوحات والغنائم الكثيرة ، ك (الآية ٢٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح) : وَعَدَكُمُ اللَهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا . ومنها إخباره تعالى أنّه يحفظ نبيّه من أذى المنافقين ، ك (الآية ٦٧ ، من السورة ٥ : المائدة) : وَاللَهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النّاسِ . و(الآية ٤٢ ، من السورة ٥ : المائدة) : وَإِن تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَن يَضُرّوكَ شَيْئًا . ومنها إخباره بكفر أبي لهب وكونه في جهنّم في (الآية ٣ ، من السورة ١١١ : المسد) : سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ . ومنها إخباره تعالى بحفظ نبيّه من أذى مشركي العرب عندما كانوا يعذّبون المسلمين في رمضاء الحجاز ، ك (الآيتين ٩٤ و٩٥ ، من السورة ١٥ : الحجر) : فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنّا كَفَيْنَكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ . وبعض الموارد الأُخرى الواردة في سورة الفتح ، كقوله : سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلّفُونَ ــ سَيَقُولُ الْمُخَلّفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ ــ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا . وجاء في كتاب «راه سعادت» (طريق السعادة) لآية الله الفقيد الميرزا أبي الحسن الشعرانيّ رضوان الله عليه ، وهو من الكتب المفيدة ، ستّة وعشرون خبراً غيبيّاً عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، من ص ٤٩ إلى . ٧٤

٢٦) الميزان في تفسير القرآن» ج ٢٠ ، ص . ١٣٥

٢٧) مروج الذهب» ج ٣ ، ص ٣٥٣ و٣٥٤ ، طبعة مصر ، مطبعة السعادة ، سنة . ١٣٦٧

٢٨) الخرائج والجرائح» ص ٢٢٨ و٢٢٩ ، في مجموعة مجلّدة مع «الأربعين» للمجلسيّ ؛ و«كفاية الأثر» للشيخ عليّ بن محمّد الخزّاز ؛ وكذلك رواها المجلسيّ في بحاره عن «الخرائج والجرائح» ج ٩ ، ص ٥٨٢ طبعة الكمبانيّ .

٢٩) مدينة المعاجز» ص ١٢٨ و١٢٩ ، الحديث . ٣٦١

٣٠) المناقب» ج ١ ، ص ٤٣٢ ، الطبعة الحجريّة .

٣١) الآية ٢٤ ، من السورة ٨١ : التكوير .

٣٢) المناقب» ج ١ ، ص ٤٣٢ ، الطبعة الحجريّة .

٣٣) شرح نهج البلاغة» طبعة مصر وأُوفسيت بيروت ، دار المعرفة ، دار الكاتب العربيّ، دار إحياء التراث العربيّ ؛ وقد ورد فيه ثَعْلَبَة بدلاً من تَغْلِبَة ، وعُبَيْد بدلاً من عبد الله .

٣٤) وردت هذه الآية المباركة في خمسة مواضع من القرآن الكريم . وفيها كناية عن أنّ ذنوب كلّ امرىءٍ وأوزار معصيته تتعلّق به نفسه ، ولا مسؤول عنها غيره .

٣٥) ذكرت ترجمته في كتب التراجم ، وجاء نسبه في «الإصابة» و«أُسد الغابة» كالآتي : سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن حرام بن خزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاريّ ، سيّد الخزرج («الإصابة» ج ٢ ، ص ٢٧ ؛ و«أُسد الغابة» ج ٢ ، ص ٢٨٣) .

٣٦) ذكر الحلبيّ في سيرته ، ج ٣ ، ص ٢٢٠ ، وابن كثير في تاريخه ، ج ٧ ، ص ١١٥ : أنّ أصل العداوة بين خالد وعمر على ما حكاه الشعبيّ أنّهما وهما غلامان تصارعا ، وكان خالد ابن خال عمر . فكسر خالد ساق عمر فعولجت وجبرت . ولمّا ولي عمر كان أوّل شيء بدأ به عزل خالد لِما تقدّم وقال : لا يلي لي عملاً أبداً . ومن ثمّ أرسل إلى أبي عُبيدة الجرّاح بالشام إن أكذب خالد نفسه ، [إذ كان قد بلغ عمر أنّ خالداً أعطى الأشعث بن قيس عشرة آلاف درهم] فهو أمير على ما كان عليه . وإن لم يكذب نفسه ، فهو معزول ، فانتزع عمامته ، وقاسمه ماله نصفين . فلم يكذب نفسه ، فقاسمه أبو عبيدة ماله حتّى إحدى نعليه وترك له الأُخرى . وخالد يقول : سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين .

٣٧) بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٢٦٤ إلى ٢٦٨ تحت عنوان : «مطاعن أبي بكر والاحتجاج بها على المخالفين بإيراد الأخبار من كتبهم»طبعة الكمبانيّ .

٣٨) تاريخ الأُمم والملوك» ج ٢ ، ص ٥٠٢ إلى ٥٠٤ ، طبعة مطبعة الاستقامة . ١٣٥٧

٣٩) الإرشاد» ص ١٧٣ و١٧٤ ، الطبعة الحجريّة .

٤٠ــ٤١) «الإرشاد» ص . ١٧٤

٤٢) الآية ١٠ ، من السورة ٤٨ : الفتح . ذُكر ذلك في «المناقب» ج ١ ، ص ٤٢١ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ٥٨٤ ، طبعة الكمبانيّ .

٤٣) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٥ ؛ و«المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٦ ، الطبعة الحجريّة .

٤٤) الإرشاد» ص ١٧٤ ، الطبعة الحجريّة ؛ وفي «المناقب» لابن شهرآشوب إشارة إلى هذا الموضوع ، ج ١ ، ص . ٤٢٦

٤٥) الإرشاد» ص ١٧٤ و . ١٧٥

٤٦) جاء في «أقرب الموارد» في مادّة وذن : تَوَذّنَهُ تَوَذّناً : صَرَفَهُ وَحَوّله . وحينئذٍ يكون معنى موذون اليد : صاحب اليد الملتوية .

٤٧) قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٢٦٧ ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم : في «مسند أحمد بن حنبل» عن مسروق ، قال : قالت لي عائشة : إنّك من ولدي ومن أحبّهم إليّ ، فهل عندك علم من المخدَج ؟ فقلتُ : نعم ، قتله عليّ بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه تاقرّا ، ولأسفله النهروان بين لخاقيق وطرفاء . قالت : ابغي على ذلك بيّنة . فأقمتُ رجالاً شهدوا عندها بذلك . قال : فقلت لها : سألتُكِ بصاحب القبر ، ما الذي سمعتمن رسول الله صلّى الله عليه وآله فيهم ؟ فقالت : نعم ، سمعته يقول : إنّهُمْ شَرّ الخَلْق وَالخَلِيقَةِ ، يَقْتُلُهُمْ خَيْرُ الخَلْق وَالخَلِيقَةِ وَأَقْرَبَهُمْ عِنْدَ اللَهِ وَسِيلَةً .

٤٨) خَدَجَت خِداجاً وأخدَجَت الدّابّة : ألقت ولدها ناقص الخلق أو قبل تمام الأيّام ، فهي خادج ومخدِج ، وولدها خديج وخُدُوج ومُخْدَج . أَخْدَجَ الشيء : نقص .

٤٩) الإرشاد» ص ١٧٥ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٧٧ طبعة الكمبانيّ ، وفي الطبعة الحديثة (الحيدري) ج ٤١ ، ص ٢٨٣ ؛ والمسعوديّ في «مروجّ الذهب» ج ٢ ، ص ٤١٧ ، طبعة مصر ، مطبعة السعادة .

٥٠) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ ، طبعة الكمبانيّ .

٥١) يقال لشارب الإنسان : سبِيل (بالفارسية) . وأصله سَبَلَة وهو عربيّ جمعه سبلات .

٥٢) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ ، طبعة الكمبانيّ .

٥٣) جاء في «النهاية» لابن الأثير الجزريّ ، ج ٤ ، ص ١٩٥ ، في باب الكاف واللام ، في كلمة كَلَبَ : وفي حديث ذي الثّدِيّة : يَبْدو في رأْسِ ثَدْيِهِ شُعَيْرَاتٌ كَأَنّهَا كُلْبَةُ كَلْب ، أي : مخالبه . هكذا قال الهرويّ ، ولكن الزمخشريّ قال : كَأَنّهَا كُلْبَةُ كَلْب أَوْ سِنّوْر . وهي الشعر النابت في جانبي أنفه . ويقال للشعر الذي يخرز به الإسكاف : كُلْبَة .

٥٤) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ : طبعة الكمبانيّ .

٥٥ــ٥٦) «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ ، طبعة الكمبانيّ .

٥٧) العبارة بين الهلالين مذكورة من مصدر هذه الرواية في تعليقة «بحار الأنوار» ج ٤١ ، ص ٣٤١ ، الطبعة الحديثة .

٥٨) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ ، طبعة الكمبانيّ . وهذه الروايات الستّ الأخيرة التي نقلها المجلسيّ عن أبن أبي الحديد ، كلّها مذكورة في «شرح نهج البلاغة» ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ، تحقيق محمّد أبوالفضل إبراهيم ، ج ٢ ، ص ٢٧٥ إلى . ٢٧٧ وجاء بعد قوله في الرواية الأخيرة في «الشرح» : أربد وجه عليّ : قال عليّ عليه السلام : وَاللَهِ مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذّبتُ . فإذا خرير ماء عند موضع دالية . فقال لي : فتّش هذا ففتّشته ، فإذا قتيل قد صار في الماء ، وإذا رِجله في يدي ــ إلى آخر الرواية .

٥٩) الإرشاد» ص ١٧٥ و١٧٦ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٧٧ و٥٧٨ ، طبعة الكمبانيّ ، نقلاً عن «الإرشاد» للمفيد ؛ وذكر السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ نفس هذا المتن في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص ١١٣ و١١٤ ، الطبعة الثانية ، عن الطبرانيّ في «الأوسط» تحت عنوان : جندب بن زهير بن الحارث الأزديّ .

٦٠) المناقب» ، ج ١ ، ص ٤٢٦ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٥ ، طبعة الكمبانيّ .

٦١) نهج البلاغة» الخطبة ٥٩ ؛ وقال المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ ، طبعة الكمبانيّ : ذكر المدائنيّ في كتاب «الخوارج» أنّ عليّاً عليه السلام لمّا خرج إلى أهل النهروان ، أقبل رجل من أصحابه ممّن كان على مقدّمته فأخبره بأنّ القوم قد عبروا النهر ، فحلّفه أمير المؤمنين عليه السلام ثلاث مرّات في كلّها يقول : نعم . فقال عليه السلام : وَاللَهِ مَا عَبروه ولن يعبروه ، وإنّ مصارعهم دون النطفة . فجاء الفرسان كلّهم يركضون ويقولون ما قاله الأوّل ، فلم يكترث عليه السلام بقولهم حتّى ظهر خلاف ما قالوا .

٦٢) شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة ، تحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ، ج ٥ ، ص ٣ و٤ ؛ ونقله المجلسيّ عن « نهج البلاغة » و« شرح ابن أبي الحديد» في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٤ ، طبعة الكمبانيّ .

٦٣) في «القاموس» : مَوْزَن كمقعد : موضع ، وقال في «معجم البلدان» : قياسه كسر الزاي ، وإنّما جاء فتحها شاذّاً . وهو بلد بالجزيرة ، ثمّ ديار مُضَر .

٦٤) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٢ ، الطبعة الحجريّة .

٦٥) روى السيّد ابن طاووس هذه الخطبة الشريفة إلى هذه الكلمة في « الملاحم والفتن » ص ١٦ ، عن أبي هارون الكوفيّ ، عن عمرو بن قيس الهلاليّ ، عن المنهال ، عن ابن عمرو ، عن زرّ بن حبيش أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال هكذا .

٦٦) إنّ معنى قوله عليه السلام : «نحن أهل البيت منها بمنجاة» هو أنّنا لا نتلوّث روحاً ، ويبقى ديننا فيها سليماً ، كما أنّ قوله : ولسنا فيها بدُعاة جملة تفسيريّة ، وإلّا فإنّ ما نزل بأهل البيت من بلايا ومصائب مادّيّة وبدنيّة كالقتل والصلب والسبي والتعذيب

والحبس ونهب الأموال وتضييع الحقوق قد بلغ ما بلغ حتّى ملأ صفحات التأريخ . وهل استشهاد سيّد الشهداء وأولاده وهتك حريمه ونهب أمواله ، وكذلك استشهاد الإمام الحسن المجتبى ، وزيد بن عليّ بن الحسين ، ويحيى بن زيد ، وغيرهم إلّا جنايات الأمويّين أنفسهم ؟

٦٧) نهج البلاغة» الخطبة ٩١ ، طبعة مصر ، مطبعة عيسى البابي الحلبيّ ، وتعليقة الشيخ محمّد عبده ، ج ١ ، ص ١٨٢ إلى ١٨٤ ؛ وفي نسخة ابن أبي الحديد : لِيَجْتَرِئ عَلَيْهَا مكان لِيَجْرُأ عَلَيْهَا . وهذه أوّل خطبة نقلها إبراهيم بن محمّد الثقفيّ في غاراته ، ص ١ إلى ١٣ بألفاظ أكثر . ورواها بسندين عن زرّ بن حُبَيْش ؛ ورواها المجلسيّ عنه في «بحار الأنوار» باب قتال الخوارج واحتجاجاته ، ج ٨ ، ص ٦٠٥ و٦٠٦ طبعة الكمبانيّ .

وروى ابن أبي الحديد في شرحه ، طبعة دار الإحياء بمصر ، ج ٢ ، ص ٢٨٦ عن ابن هلال الثقفيّ في كتاب «الغارات» ، عن زكريّا بن يحيى العطّار ، عن فضيل ، عن محمّد بن عليّ أنّه قال : لمّا قال أمير المؤمنين عليه السلام : سلوني قبل أن تفقدوني ، فوالله لا تسألوني عن فئة تُضلّ مائةً وتهدي مائةً إلّا أنبأتُكم بناعقها وسائقها ، قام إليه رجل فقال : أخبرني بما في رأسي ولحيتي من طاقة شعر . فقال له عليّ عليه السلام : والله لقد حدّثني خليلي رسول الله أنّ على كلّ طاقة شعر من رأسك ملكاً يلعنك ، وأنّ على كلّ طاقة شعر من لحيتك شيطاناً يغويك ، وأنّ في بيتك سخلاً يقتل ابن رسول الله صلّى الله عليه وآله ــ وكان ابنه قاتل الحسين عليه السلام يومئذٍ طفلاً يحبو ، وهو سنان بن أنس النخعيّ ــ وذكر الشيخ المفيد هذه الرواية بهذا السند في «الإرشاد» ص ١٨٢ و١٨٣ ، الطبعة الحجريّة ، إلّا أنّ فيها إضافة ، وهي قوله : لو لم يكن برهان سؤالك عسيراً ، لأخبرتك بشعر رأسك ولحيتك . وآية صدق كلامي أنّ في بيتك طفلاً يقتل ابن رسول الله . ولم يذكر اسم القاتل في هذه الرواية أيضاً .

٦٨) الخبّ : الخدّاع والمحتال . الضبّ : الحسود والحقود بحقد خفيّ . ويقال في المحاورات : فلان خبّ ضبّ ، أي : مراوغ . والمراوغ هو الذي يصارع بخدعة فيصرع منافسه على الأرض .

٦٩) جاءت هذه الكلمة بالواو وتشديد الجيم في «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد بطبعتيه : طبعة بيروت ذات الأجزاء الأربعة ، وطبعة مصر ذات الأجزاء العشرين . ويبدو أنّه سهو . والصحيح هو فَخّ بالفاء والخاء المشدّدة . كما نقلها الشارح الميرزا حبيب الله الهاشميّ الخوئيّ في شرحه ، ج ٧ ، ص ٨٣ من الطبعة الحديثة في شرح هذه الخطبة ، وذلك عن ابن أبي الحديد . وواقعة فَخّ مشهورة كالشمس في كبد السماء . وفَخّ موضع بين مكّة والتنعيم ، على بعد فرسخ عن مكّة . وتكرّرت فيها قصّة عاشوراء بمواصفاتها

كلّها ، لكنّها كانت في سنة ١٦٩ ه ، أي بعد واقعة الطفّ بثماني ومائة سنة . واستشهد فيها الحسين بن عليّ بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن عليّ بن أبي طالب عليهم السلام . وهو حفيد الحسن المثلّث ومن أولاد الإمام الحسن المجتبى عليه السلام . ويقال له : الحسين بن عليّ شهيد فَخّ في مقابل شهيد كربلاء الحسين بن عليّ شهيد الطفّ . وما ورد من الأخبار في شهداء فَخّ الذين كانوا قرابة ثلاثمائة ، كلّه مدح وثناء وتمجيد بهم ، ذلك أنّ الحسين بن عليّ شهيد فخّ لم يخرج من أجل الرئاسة والمنصب ، بل نهض من أجل صدّ الظلم . إذ كان والي المدينة في عصره من أحفاد عمر بن الخطّاب ، وقد شدّد النكير على العلويّين إلى درجة أنّه قال : إذا غاب العلويّ الفلانيّ ، ولم يعرّف نفسه كلّ يوم ، فسأقتلكم جميعاً إن لم تحضروه . وكان هذا الخطاب موجّهاً إلى العلويّين . وحينئذٍ وقع العلويّون في مأزق لم يجدوا منه محيصاً إلّا الخروج . وكان خروجهم ذهاباً من المدينة إلى مكّة بتأييد الإمام الصادق عليه السلام . وكان معهم ولده عبد الله بن جعفر . وتوجّهوا إلى مكّة ليس لهم شغل بأحد حتّى فاجأهم جيش موسى الهاديّ العبّاسيّ فقتل ذلك السيّد الجليل مع جميع أهل بيته وأصحابه . والأخبار المأثورة عن الأئمّة عليهم السلام تثني عليهم ثناءً بليغاً . ومنها قول أمير المؤمنين عليه السلام : هم خير أهل الأرض ؛ من خير أهل الأرض . وأمّا وجّ فلم نظفر بمعنى مناسب لها . وذكر ياقوت في «معجم البلدان» أنّ وجّ اسم الطائف . وفي حديث رسول الله صلّى الله عليه وآله : إنّ آخر وطأة للّه يوم وجّ . والمراد بلدة الطائف . وكانت غزوة الطائف آخر غزوات رسول الله .

٧٠) كان أُمراء مصر والقيروان من الإسماعيليّة .

٧١) التارّ : الممتلئ جسمه وعظمه ريّاً .

٧٢) أولاد بويه الثلاثة هم : عماد الدولة عليّ بن بويه ، ركن الدولة حسن بن بويه ، معزّ الدولة أحمد بن بويه .

٧٣) الزاب موضعٌ فرّ إليه مروان الحمار للتخلّص من هجوم الجيش العبّاسيّ . وذكر ابن الأثير الجَزَريّ في كتاب «الكامل في التاريخ» ج ٥ ، ص ٤١٧ إلى ٤٢٩ ، طبعة بيروت سنة ١٣٨٥ ه ، قصّة فراره إلى ذلك المكان وإلى مناطق أُخرى ، ومن ثمّ قتله وانقراض ملك بني أُميّة .

٧٤) الآيتان ٦١ و٦٢ ، من السورة ٣٣ : الأحزاب .

٧٥) إنّ ما ذكره ابن أبي الحديد من وعد طلحة والزبير وعائشة بالجنّة ينطلق من مذهبه وهو مذهب العامّة . ولكنّ أصحابنا الإماميّة لا يقرّون بهذه الأخبار ، وأثبتوا بطلانها في كتبهم الكلاميّة مفصّلاً . وتستبين هذه الحقيقة أيضاً ممّا ذكرناه في أجزاء كتابنا هذا «معرفة الإمام» من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، لأنّنا لو فرضنا صحّة الخبر القائل بوعدهم الجنّة ، فإنّه يدلّ على حالهم أو عملهم الذي يستوجبون به الجنّة ، أي في خصوص

ذلك الظرف ، ولا يدّل أبداً على أنّ ذلك العمل الجزئيّ يوجب الخلود في الجنّة ، وإن صدرت بعده أعمال سيّئة يستحقّ صاحبها النار . وبغضّ النظر عن الروايات التي لا تحصى ، وقد وضعها الوضّاعون لتزكية كثير من الصحابة الذين يعنيهم أمر الخلافة والشهادة لهم بأنّهم من أصحاب الجنّة ، كما دلّ ذلك على التأريخ الصحيح ، فإنّ رواية ما لو وردت في مدحهم أحياناً ، فهو مدح الجملة ، وفي زمن خاصّ وظروف خاصّة . ومن الواضح أنّ المدح لا معنى له إذا زالت موجباته . مثلاً لو جاء غريب إلى منزلك يوماً ، وتغدّى عندك ، وقام بخدمة لك في البيت إذ كنسه ، وسقى الأوراد ، وشذّب الأشجار ، فاستحسنتَ عمله وباركته ، فلا يدلّ هذا على أنّ جميع أعماله حسنة . وربّما قام هذا الضيف الغريب ليلاً ، وواقع زوجتك . وذبح ابنك ، وسرق ذهبك وجواهرك وولّى . فلو قبضتَ عليه ، فإنّه لابدّ أن يرجم لزناه بزوجتك قسراً ، ولابدّ أن يقتل لقتله ولدك ، ولابدّ أن تقطع يده لسرقته مالك ، وحينئذٍ ليس له أن يقول لك : أنت مدحتني ورحبّت بعملي وباركته . ومضافاً إلى أنّه ليس من حقّك أن تقتصّ منّي وتعاقبني ، فعليك أن تبيّتني في منزلك الليلة كما بتّ فيه البارحة جزاء لما قمتُ به من عمل حسن لك .

٧٦) إنّ طلحة والزبير آمنا برسول الله وجاهدا ، ولكن لو خالفا ونكثا البيعة ، وقاما حبّاً للجاه والمنصب والتأمّر مع معرفتهما التامّة أمير المؤمنين عليه السلام ، فهل يتركا ، ولا يعاقبا وإن جمعا اثني عشر ألف مسلم وأتيا بهم إلى البصرة للقتل ؟ هل يبقى عملهما بلا عقوبة ؟ إنّ جزاء قتل المسلم هو القصاص والخلود في جهنّم . أليس جزاء تعريض أكثر الناس للقتل الخلود في جهنّم ؟ فكيف إذا كان ذلك بغياً وإشهاراً للسيف بوجه إمام زمانهم وحجّة دهرهم ؟ وذلك هو في حكم محاربة رسول الله ، بل محاربة الله ذاته ! وهنا يكمن دليل الشيعة ومنطقهم ذَ لِكَ بِمَا قَدّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنّ اللَهَ لَيْسَ بِظَلّامٍ لّلْعَبِيدِ . (الآية ١٨٢ ، من السورة ٣ : آل عمران ؛ والآية ٥١ ، من السورة ٨ : الأنفال) . وأمّا عائشة بما حملته من حقد وضغن على أمير المؤمنين ، والزهراء عليهما السلام خاصّة ، فإنّها لو تحرّكت من الحرم النبويّ قائدة للجيش ، وركبت ناقتها متوجّهة من المدينة ومكّة إلى البصرة ، وعرّضت اثني عشر ألفاً من الناس للقتل ، فهل تستحقّ الجنّة ومجاورة رسول الله والنوم معه ؟ وتلك هي عائشة التي لم تتب من عملها ، وكانت تتحسّر حتّى آخر عمرها على وصول الخلافة إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، وفرحت عندما سمعت باستشهاده . وتلك هي عائشة التي فعلت مع بضعة الرسول ما فعلت ، وسُرّت بموتها ، ولم تحضر عزاءها متمارضة كما نطق بذلك التأريخ الصحيح . وتلك هي عائشة التي شوّشت تأريخ الإسلام وقلبته ، فهل تدخل الجنّة يوم القيامة ؟ وتتّكئ مع رسول الله على سرير واحد ؟ وتظهر هناك عداوتها للزهراء أيضاً ، وتقول : أنا حبيبة رسول الله ، لا آذن للحسن أن يدخل بيت رسول الله كما لا آذن بدفنه عند جدّه في الدنيا ؟! وهنا ينبغي لقرّائنا

الكرام من أهل السنّة أن يعيدوا النظر في عقائدهم عاجلاً ، ولا يشيّدوا الدين القائم على العقل والمنطق على عواطفهم وأوهامهم . وفي ضوء عقيدة العامّة ورواياتهم ، نزلت آيات الإفك (تهمة الزنا) في عائشة فحسب . أمّا عند الشيعة ، فقد نزلت في مارية القبطيّة . وفي كلتا الطائفتين من الروايات إشكال ذكره العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله سرّه في تفسير «الميزان» ج ١٥ ، ص ١٠٤ إلى ١١٦ عند تفسير آيات الإفك . وهب أنّ آية الإفك نزلت في عائشة . فلا تدلّ على شرف وميزة لها ، بل تدلّ على أنّه لا يجوز للمسلمين أن يقذفوا أحداً بالزنا . ومن الثابت أنّ الشيعة ينزّهون ساحة أزواج النبيّ صلّى الله عليه وآله عن مثل هذه الفواحش ، سواء كانت عائشة أم غيرها . بل يطهّرون ساحة أزواج الأنبياء جميعهم من لوث الزنا ، وإلّا لَتخلخل تبليغ الرسالة ، وبطلت دعوة الرسول لِتنفّر الناس واستيائهم منه . وبعبارة أُخرى ، أنّ آيات الإفك تنفي إثباتاً وثبوتاً قذف حريم رسول الله بالزنا ، سواء كانت عائشة أم مارية . ولا غمز في هذا الموضوع ، كما أنّه ليس دليلاً على منقبة وفضيلة . وأنّ آلاف النساء المسلمات لا يزنين ، وعائشة واحدة منهنّ . بَيدَ أنّ في القرآن الكريم سورة ، وهي سورة التحريم نزلت في ذمّ عائشة وحفصة وانتقادهما ، قال تعالى : إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَهِ فَقَد صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَهَرَا عَلَيْهِ فَإِنّ اللَهَ هُوَ مَوْلَىهُ وَجَبْرِيلُ وَصَلِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَئِكَةُ بَعْدَ ذَ لِكَ ظَهِيرٌ * عَسَى رَبّهُ طَلّقَكُنّ أَن يُبْدِلَهُ أَزْوَ جًا خَيْرًا مّنْكُنّ مُسْلِمَتٍ مّؤْمِنتٍ قَنِتَتٍ تَبِتَتٍ عَبِدَ تٍ سَئِحَتٍ ثَيّبَتٍ وَأَبْكَارًا . إلى أن بلغ قوله في الآية التي يشبّه فيها عائشة وحفصة بامرأتي النبيّين نوح ولوط اللتين خانتا زوجيهما فقيل لهما ادخلا جهنّم : ضَرَب اللَهُ مَثَلًا لّلّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَلِحِينِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النّارَ مَعَ الدّ خِلِينَ .

وورد في تفاسير العامّة والخاصّة أنّ هذه الآيات نزلت في عائشة وحفصة . وقال الزمخشريّ في تفسير «الكشّاف» ج ٢ ، ص ٤٧١ ، الطبعة الأُولى ، طبعة المطبعة الشرفيّة ، في ذيل الآية : إِن تَتُوبَآ إِلَى اللَهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا : خطاب لحفصة وعائشة على طريقة الالتفات ، ليكون أبلغ في معاتبتهما . وعن ابن عبّاس : لم أزل حريصاً علىأن أسأل عمر عنهما حتّى حجّ وحججتُ معه . فلمّا كان ببعض الطريق ، عدل وعدلت معه بالإداوة . فسكبتُ الماء على يده ، فتوضّأ . فقلتُ : من هما ؟ فقال : عجباً يا ابن عبّاس ــ كأنّه كره ما سألتُه عنه ــ ثمّ قال : هما حفصة ، وعائشة ــ انتهى .

٧٧) شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج ٢ ، ص ١٧٤ إلى ١٧٩ ، طبعة بيروت ، دار المعرفة ؛ وطبعة مصر ، دار إحياء الكتب العربيّة : ج ٧ ، ص ٤٤ إلى . ٦٠

٧٨) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ إلى ٥٩٤ ، طبعة الكمبانيّ .

٧٩) شرح نهج البلاغة» للخوئيّ ، ج ٧ ، ص ٦٩ إلى ٩٦ الطبعة الحديثة واستظهاره في ص . ٩١ ووردت كلمة أهل صفّين فى ص . ٩٣

٨٠) شرح نهج البلاغة» للخوئيّ ، ج ٧ ، ص ٦٩ إلى ٩٦ الطبعة الحديثة واستظهاره في ص . ٩١ ووردت كلمة أهل صفّين فى ص . ٩٣

٨١) شرح نهج البلاغة» للخوئيّ ، ج ٧ ، ص . ٩٢

٨٢) نهج البلاغة» الخطبة ٥٩ ، ص ١٠٧ و١٠٨ ، طبعة مصر مع تعليقة محمّد عبده .

٨٣) ذكرنا ترجمة عكرمة مولى عبد الله بن عبّاس في الجزء الثالث من كتابنا هذا عند شرح آية التطهير ، في الدرس ٤٠ إلى . ٤٥ وعلمنا أنّه كان يرى رأي الخوارج . وذهب صاحب «تنقيح المقال» إلى هذا الرأي أيضاً في كتابه المذكور : ج ٢ ، ص . ٢٥٦ وأمّا مالك بن أنس الأصبحي صاحب كتاب «المُوَطّأ» وأحد أئمّة العامّة الأربعة ، فلم يلاحظ في كتاب ما أنّه خارجيّ . وله ترجمة في «روضات الجنّات» ص ٥٨٣ ، الطبعة الحجريّة ، عدّه مؤلّف الكتاب فيها أوّل من ابتدع العمل بالرأي والقياس . ولد سنة ٩٥ ه ومات سنة ١٧٩ ه وله من العمر ٨٤ سنة . وكان يعيش في عصر الإمام الصادق عليه السلام . وأخذ منه الرواية والعلم . وكما ذكر العلّامة المجلسيّ في «بحار الأنوار» عن أبي نعيم ، فإنّ مالك بن أنس ، وشعبة بن الحجّاج ، وسفيان الثوريّ من الأئمّة الذين أخذوا العلم من الإمام . وقال غير أبي نعيم : إنّ مالكاً ، والشافعيّ ، والحسن بن صالح ، وأبا أيّوب السجستانيّ ، وعمر بن دينار ، وأحمد بن حنبل أخذوا العلم منه عليه السلام . وقال مالك بن أنس : مَا رَأَتْ عَيْنٌ وَلَا سَمِعَتْ أُذُنٌ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ أَفْضَلَ مِنْ جَعْفَرٍ الصّادِقِ عَلَيْهِ السّلَامُ فَضْلاً وَعِلْمَاً وَعِبَادَةً وَوَرَعَاً ، إلى آخر ما ذكره في أفضليّة الإمام صلوات الله عليه .

٨٤) جاء في الشرح المطبوع بمصر في عشرين جزءاً والمحقّق من قبل محمّد أبو الفضل إبراهيم : الأعفر بالعين المهملة . والأعفر نوع من الظباء وهو من أبطأها عدواً . ولكن في الشرح المطبوع ببيروت في أربعة أجزاء : الأغفر بالغين المعجمة . ولمّا كان الغَفْر والغُفر هو وعل الجبل الذي له قرنان منحنيان ، ويقال للعِجل : غفر أيضاً ، فإنّ معناه هو أنّهم حاربوا من أجل الثريد الذي فيه لحم الوعل أو العجل .

٨٥) شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج ١ ، ص ٤٤٦ و٤٤٧ ، طبعة بيروت ، دار المعرفة ؛ وطبعة مصر ، دار إحياء الكتب العربيّة : ج ٥ ، ص ٧٦ و . ٧٧

٨٦) شرح نهج البلاغة» ج ٥ ، ص ٧٨ و٧٩ ، طبعة مصر ، دار إحياء الكتب العربيّة .

٨٧) قال محمّد عبده في التعليقة : جاء في نسخة : قبل قتل عثمان .

٨٨) الخطبة . ٧١ ومن «نهج البلاغة» طبعة مصر بتعليقة عبده ، ج ١ ، ص ١٢٣ و. ١٢٤ وفي عبارة عبده : لَغَدَرَ بِسَبْتِهِ . وفسّرها بالإست . ولكنّ ابن أبي الحديد ذكرها في شرحه الذي حقّقه محمّد أبو الفضل إبراهيم كالآتي : بِسُبّتِهِ . ومن الواضح أنّ معناها

الإست . فالمعنى واحد في كلتا الصورتين . ولمّا كان الإنسان يصرّ كثيراً على إخفاء إسته (حلقة دبره) ، فإنّ الإمام استعمل هذه الكلمة كناية عن غدر مروان ومكره الخفيّ تحقيراً له ، إذ حتّى لو بايع بيده علناً ، فإنّ كفّه يهوديّة . وهو يخفي غدره ومكره .

٨٩) شرح نهج البلاغة» ج ٦ ، ص ١٤٦ إلى ١٤٨ ، طبعة مصر ، دار الإحياء .

٩٠) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٤ ، طبعة الكمبانيّ .

٩١) نهج البلاغة» الخطبة ٩٩ ، ج ١ ، ص ١٩٤ و١٩٥ ، تعليق محمّد عبده ، طبعة مصر .

٩٢) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٥ ، طبعة الكمبانيّ .

٩٣) شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج ٧ ، ص ٩٩ و١٠٠ ، طبعة مصر ، دار الإحياء .

٩٤) بحار الأنوار» ، ج ٩ ، ص٥٩٥ ، طبعة الكمبانيّ .

٩٥) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٤٤ و٢٤٥ ، الخطبة ١٢٦ ، طبعة مصر بتعليقة محمّد عبده . وذكر ابن شهرآشوب القسم الأوّل من الخطبة في «المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٩ ، الطبعة الحجريّة .

٩٦) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٠ و٥٩١ ، طبعة الكمبانيّ .

٩٧) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٢٥ إلى ٢١٤ ، طبعة دار الإحياء وتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم .

٩٨) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٢٦ إلى . ١٢٩

٩٩) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٢٩ ، طبعة دار الإحياء .

١٠٠) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٣٠ ، طبعة دار الإحياء .

١٠١) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٣٣ ، طبعة دار الإحياء .

١٠٢) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٤٨ ، طبعة دار الإحياء .

١٠٣) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٤٩ ، طبعة دار الإحياء .

١٠٤) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ١٤٩ و١٥٠ ، طبعة دار الإحياء .

وذكر الزركليّ في «الأعلام» ج ٥ ، ص ١٤٠ و١٤١ ترجمته ، فقال : صاحب الزنج المقتول سنة ٢٧٠ ه : عليّ بن محمّد الورزنينيّ العلويّ الملقّب بصاحب الزنج ، من كبار أصحاب الفتن في العهد العبّاسيّ ، وفتنته معروفة بفتنة الزنج ، لأنّ أكثر أنصاره منهم . ولد ونشأ في ورزنين ، إحدى قرى الري . وظهر في أيّام المهتديّ العبّاسيّ سنة ٢٥٥ ه . وكان يرى رأي الأزارقة . والتفّ حوله سودان أهل البصرة ورعاعها . فامتلكها ، واستولى على الأبلة ، وتتابعت لقتاله الجيوش . فكان يَظهرُ ويشتّتها . ونزل البطائح ، وامتلك الأهواز ، وأغار على واسط ، وبلغ عدد جيشه ثمانمائة ألف مقاتل . وجعل مقامه

في قصر اتّخذه بالمختاره . وعجز عن قتاله الخلفاء حتّى ظفر به الموفّق بالله ، فقتله ، وبعث برأسه إلى بغداد . قال المرزبانيّ : تروى له أشعار كثيرة في البسالة والفتك كان يقولها وينحلها غيره . وفي نسبه طعن وخلاف .

وقال في هامش كتابه المذكور : سمّاه ابن خلدون في تاريخه ج ٤ ، ص ١٨ : عليّ بن عبد الرحيم . وقال هو من بني عبد القيس ، من قرية دريفن من قرى الري . سار إلى البحرين سنة ٢٤٩ ه فادّعى أنّه علويّ واتّبعه كثير من أهل هَجَر ، ثمّ تفرّقوا عنه ، ولحق بالبصرة ، فكان منه ما كان .

وقال الشيخ عبده في هامش الخطبة ١٠٠ من «نهج البلاغة» ، طبعة مصر ، ص ١٩٦ : صاحب الزنج عليّ بن عبد الرحيم من بني القيس ، ادّعى أنّه علويّ ... إلى آخر كلامه .

١٠٥) الآية ٣٤ ، من السورة ٣١ : لقمان .

١٠٦) الخطبة ١٢٨ من طبعة عبده ج ١ ، ص . ٢٤٥ وذكر ابن شهرآشوب أوّلها فى مناقبه ، ج ١ ، ص . ٤٢٩

١٠٧) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩١ ، طبعة الكمبانيّ .

١٠٨) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ٢١٥ إلى ٢٤٣ ، طبعة دار الإحياء .

١٠٩) الآية ١٧٠ ، من السورة ٣ : آل عمران .

١١٠) شرح نهج البلاغة» ج ٨ ، ص ٢١٧ و٢١٨ ، طبعة دار الإحياء .

١١١) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٠ ، طبعة الكمبانيّ .

١١٢) نهج البلاغة» ، الخطبة ١٠٠ ، من طبعة مصر وتعليقة محمّد عبده : ج ١ ، ص ١٩٦ و . ١٩٧

١١٣) شرح نهج البلاغة» ج ٧ ، ص ١٠٤ ، طبعة دار الإحياء .

١١٤) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٠١ ، قسم من الخطبة ١٠٣ ، طبعة مصر بتعليقة محمّد عبده .

١١٥) شرح نهج البلاغة» ج ٧ ، ص ١٢٠ و١٢١ طبعة دار الإحياء .

١١٦) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٣٠ ، قسم من الخطبة ١١٤ ، طبعة مصر ، تعليقة محمّد عبده .

١١٧) الحِرباء والحِرباءَة : ضرب من الزحافات تتلوّن في الشمس ألواناً مختلفة . وقال الشاعر سعدي في كتابه «گلستان» يصف بستاناً أرضه ملوّنة : «باد در سايه درختانش گسترانيده فرش بوقلمون» : بسط النسيم في أفياء أشجاره فراشاً ملوّناً .

١١٨) شرح نهج البلاغة» ج ٧ ص ٢٧٩ إلى ٢٨١ ، طبعة دار الإحياء . ونقل المجلسيّ هذه المعلومات كلّها عن ابن أبي الحديد ، في كتابه «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٠ ، طبعة الكمبانيّ .

١١٩) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ، الطبعة الحجريّة .

١٢٠) بحار الأنوار» في طبعة الكمبانيّ : ج ٩ ، ص ٥٩٢ ؛ وفي الطبعة الحديثة : ج ٤١ ، ص ٣٤١ ؛ و«شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٢٨٩ ، طبعة دار الإحياء .

١٢١) اللهوف» ، ص ٨٨ ؛ و«نفس المهموم» ص ١٥٠ ؛ و«مقتل الخوارزميّ» ص ٧ ؛ و«تحف العقول» ص ٢٤٢ ؛ و«الاحتجاج» ج ٢ ، ص . ٢٥

١٢٢) ذكرنا نبذة يسيرة من ترجمة الحجّاج في الجزء العاشر من كتابنا هذا ، الدرس ١٣٦ إلى . ١٤١

١٢٣) المناقب» ، ج ١ ، ص ٤٢٥ و٤٢٦ الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٥ ، طبعة الكمبانيّ .

١٢٤) قصص العلماء» للتنكابنيّ ، ص ٥٢ ، في أحوال السيّد الباب الشيرازيّ ، الطبعة الحجريّة .

١٢٥) المناقب» ج ١ ، ص ٤١٨ ، الطبعة الحجريّة .

١٢٦) المناقب» ج ١ ، ص ٤١٩ ، الطبعة الحجريّة : وورد الحديث في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٣ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «المناقب» و«الخرائج والجرائح» .

١٢٧) المناقب» ج ١ ، ص ٤١٩ ، الطبعة الحجريّة ؛ وذكره في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٣ عن «المحاضرات» .

١٢٨) قال في «القاموس» : الخورنق قصر للنعمان الأكبر معرّب خورنگاه . أي : موضع الأكل .

١٢٩) وقال : السدير كزُبير قاع بين البصرة والكوفة ، وموضع بديار غطفان . وكأمير نهر بناحية الحيرة .

١٣٠) الآية ٧١ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

١٣١) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٠ و٤٢١ الطبعة الحجريّة ؛ وذكره المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٧٨ ، طبعة الكمبانيّ ، نقلاً عن «الخصال» للصدوق ، كما ذكره نقلاً عن «الخرائج والجرائح» للراونديّ ، و«بصائر الدرجات» ، و«الفضائل» لابن شاذان .

١٣٢) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٢ ، الطبعة الحجريّة .

١٣٣ــ١٣٤ــ١٣٥) «المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص . ٤٢٢

١٣٦) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٢ و٤٢٣ الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٤ و٥٨٥ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «المناقب» لابن شهرآشوب .

١٣٧) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢١ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٤ ، عن «المناقب» ابن شهرآشوب .

١٣٨) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٢ ، في باب معجزات كلامه وإخباره بالغائبات وعلمه باللغات ، طبعة الكمبانيّ .

١٣٩) الملبّة : اسم مكان من اللب : ما استرق من الرمل .(م)

١٤٠) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٣ و٤٢٤ الطبعة الحجريّة . وبراثا مسجد بين الكاظميّة وبغداد . وهو مسجد ذو أجواء روحيّة ومعنويّة عظيمة . وهناك تعاليم في الأخبار حول الصلاة فيه .

١٤١) ذكرناها نقلاً عن الخطيب في «تاريخ بغداد» ج ١٢ ، ص ٣٠٥ ؛ و«ديوان الحميريّ» ص ٢٧٨ ؛ كما رواها المجلسيّ أيضاً في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٧٦ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «المناقب» لابن شهرآشوب .

١٤٢) الإرشاد» ص ١٨٤ إلى . ١٨٦ وروى ابن أبي الحديد مختصرها في «شرح نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٨٨ و٢٨٩ ، طبعة أُوفسيت ، بيروت ، دار المعرفة ، عن كتاب «وقعة صفّين» لنصر بن مزاحم عن عبد العزيز بن سباع ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد التيميّ المعروف بعقيصاء . وذكر المجلسيّ عين هذا الخبر في «بحار الأنوار» عن شرح ابن أبي الحديد (طبعة الكمبانيّ ، ج ٩ ، ص ٥٩٤) . ونقله النباطيّ البياضيّ العامليّ في «الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم» ج ٢ ، ص ٣٧ ، وقال : اشتهرت هذه القصّة في الأمصار والأعصار شهرة أغنتنا عن ذكر سندها . ذلك أنّ جميع العباد تلقّوها بالقبول .

١٤٣) وسط الآية ٢٩ ، من السورة ٤٨ : الفتح .

١٤٤) الإرشاد» للشيخ المفيد ، ص ١٨٦ و١٨٧ ، الطبعة الحجريّة وتبلغ أبيات القصيدة مائة وثلاثة عشر بيتاً كما جاء في «ديوان الحميريّ» ص ٨٣ إلى ١١٤ ، ومطلعها :

هَلّا وَقَفْتَ عَلَى المَكَانِ المُعْشِبِ
بَيْنَ الطّوَيْلِعِ فَاللّوى مِنْ كَبْكَبِ

وقال العلّامة الأمينيّ في «الغدير» ج ٢ ، ص ٢١٤ : هذه القصيدة ذات ١١٢ بيتاً . تسمّى بالمذهّبة لأهمّيّتها . شرحها الشريف المرتضى علم الهدى . وطبع شرحه بمصر سنة ١٣١٣ . وشرحها أيضاً الحافظ النسّابة الأشرف بن الأغرّ المعروف بتاج العلى الحسينيّ المتوفّى سنة ٦١٠ ه ــ انتهى . وكذلك ذكرها برمّتها العلّامة السيّد محسن الأمين العامليّ

في «أعيان الشيعة» ج ٢ ، ص ٢٢٢ إلى ٢٣٦ ، الطبعة الأُولى سنة . ١٣٥٨ وذكر شرحها في الهامش . والبيت الأخير فيها هو قوله :

يَمْحَوْ وَيُثْبِتُ مَا يَشَاءُ وَعِنْدَهُ

عِلْمُ الكِتَابِ وَعِلْمُ مَا لَمْ يُكْتَبِ

والأبيات التي نقلناها هنا موجودة في ديوان الشاعر ، ص ٩٠ إلى . ٩٢

١٤٥) ديوان الحميريّ» ص ٩٢ و . ٩٣

١٤٦) الإرشاد» ص . ١٨٧

١٤٧) ذكر ابن حجر العسقلانيّ الشافعيّ ترجمته في كتابه : «الإصابة» ج ١ ، ص ٤٠٩ وقال : عُرفُطة بضمّ العين المهملة والفاء بينهما راء ساكنة . قال عمرو بن شبّة في «أخبار مكّة» : «قدم خالد بن عرفطة مكّة صغيراً فحالف بني زهرة ... ولّاه سعد بن أبي وقّاص يوم القادسيّة . وكان معه في فتوح العراق . وكتب إليه عمر يأمره أن يؤمّره ، واستخلفه سعد على الكوفة . ولمّا بايع الناس معاوية ، ودخل معاوية الكوفة ، خرج عليه عبد الله بن أبي الحوساء بالنخيلة . فوجّه إليه معاوية خالداً هذا فحاربه حتّى قتله . وعاش خالد إلى سنة ٦٠ أو . ٦١ وذكر ابن المعلّم المعروف بالشيخ المفيد الرافضيّ في «مناقب عليّ» من طريق ثابت الثماليّ ، عن أبي إسحاق ، عن سويد بن غفلة أنّ رجلاً جاء إلى عليّ فقال : إنّي مررت بوادي القرى فرأيت خالد بن عرفطة قد مات بها ، فاستغفر له . فقال عليّ : إنّه لم يمت» . ونقل ابن حجر هنا قصّة خالد بن عرفطة وحبيب بن جمار كلّها بهذه الألفاظ . وهي التي نقلناها في المتن عن «الإرشاد» للشيخ المفيد .

١٤٨) لم نعثر في معاجم الرجال على شخص باسم حبيب بن جمار ، واسم أبيه جمار بالجيم المعجمة . وعندما ذكر صاحب «الإصابة» ترجمة خالد بن عرفطة ، نقل اسم حبيب عن الشيخ المفيد على أنّه حبيب بن حمار بالحاء المهملة . بَيدَ أنّ مؤلّف «الإصابة» نفسه ضبطه مع حبيب بن حمّاد الأسديّ بالحاء والدال المشدّدة وقال في كتابه المذكور ، ج ١ ، ص ٣٠٥ : من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه وآله . شهد معه الأسفار . ونقل عنه حديثاً . ولمّا قال صاحب «الإصابة» : وله ذكر في ترجمة خالد بن عرفطة يأتي ، فيستبين أنّ صاحب راية خالد كان حبيب بن حمّاد نفسه .

١٤٩) الإرشاد» ، ص . ١٢٨

١٥٠) مناقب آل أبي طالب» ج ١ ، ص ٤٢٧ ، الطبعة الحجريّة .

١٥١) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٥ ، طبعة الكمبانيّ . أقول : وذكره السيّد ابن طاووس في «الملاحم والفتن» ص ٩٢ ، طبعة النجف ، المطبعة الحيدريّة .

١٥٢) بحار الأنوار» طبعة كمباني ، ج ٩ ، ص ٥٧٨ و٥٧٩ ، طبعة الكمبانيّ ؛ وذكره ابن أبي الحديد في شرحه على النهج طبعة مصر ، دار الإحياء ، ج ٢ ، ص ٢٨٦

و٢٨٧ عن أبي هلال الثقفيّ في كتاب «الغارات» عن الحسن بن محبوب ، عن ثابت الثماليّ ، عن سويد بن غفلة .

١٥٣) الإرشاد» ص ١٨٣ ؛ و«المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٧ ؛ وروي في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٥ ، عن «المناقب» .

١٥٤) جاء في «تنقيح المقال» في ترجمة جويرية أنّه ابن مُسْهِر على وزن مُحسن .

١٥٥) الإرشاد» ص ١٨٣ ، الطبعة الحجريّة ؛ وورد مختصرة في «المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٨ ، الطبعة الحجريّة ، وكذلك رواه صاحب «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٦ ، وأيضاً في ص . ٥٧٨

١٥٦) روى المجلسيّ هذه الفقرة من الحديث في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٢ عن «الخرائج والجرائح» للراونديّ ؛ ونقل أيضاً قصّة جويرية في كتابه المذكور ، ج ٩ ، ص ٥٩٣ ؛ ومن الطبعة الحديثة ج ٤١ ، ص ٣٤٢ ، و٣٤٣ وذلك عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد : روى إبراهيم بن ميمون الأزديّ عن حبّة العُرَنيّ قال : كان جويرية بن مسهر العبديّ صالحاً ، وكان لأمير المؤمنين عليه السلام صديقاً ، وكان عليه السلام يحبّه . نظر يوماً إلى أمير المؤمنين عليه السلام وهو يسير ، فناداه : يَا جُوَيْرِيَةُ ! أَلْحِقْ بِي فَإِنّي إِذَا رَأَيْتُكَ هَوَيْتُكَ . قال إسماعيل بن أبان : حدّثني الصباح ، عن مسلم ، عن حبّة العرنيّ قال : سرنا مع عليّ عليه السلام يوماً ، فالتفت فإذا جويرية خلفه بعيداً ، فناداه : يَا جُوَيْرِيَةُ ! أَلْحِقْ بِي لَا أَبَاً لَكَ ! أَلَا تَعْلَمْ أَ نّي أَهْوَاكَ وَأُحِبّكَ ؟ فركض جويرية نحوه ، فقال له : إنّي محدّثك بأُمور فاحفظها ، ثمّ اشتركا في الحديث سرّاً . فقال له جويرية : إنّي رجل نسيّ . فقال الإمام : أنا أُعيدُ عليك الحديث لتحفظه . ثمّ قال له في آخر ما حدّثه إيّاه : يَا جُوَيْرِيَةُ ! أَحْبِبْ حَبِيبَنَا مَا أَحَبّنَا ، فَإِذَا أَبْغَضَنَا فَأَبْغِضْهُ ، وَأَبْغِضْ بِغَيضَنَا مَا أَبْغَضَنَا فَإِذَا أَحَبّنَا فَأَحْبِبْهُ . فكان ناس ممّن يشكّ في أمر عليّ عليه السلام يقولون : أنراه جعل جويرية وصيّه كما يدّعي هو من وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وآله . يقولون ذلك لشدّة اختصاصه له حتّى دخل على عليّ عليه السلام يوماً وهو مضطجع وعنده قوم من أصحابه ، فناداه جويرية : أَيّهَا النّائِمُ ! اسْتَيْقِظْ . ثمّ ذكر جميع المطالب التي أوردناها في المتن كالمحاورة ، وخضاب اللحية من دم الرأس ، وقطع اليد والرجل والصلب ، ذكرها كلّها بنفس الألفاظ . («شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٢٩٠ و ٢٩١ ، طبعة دار الإحياء) .

١٥٧) الإرشاد» ص ١٧٨ ، الطبعة الحجريّة .

١٥٨) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٧ ؛ و«بحار الأنوار» عن «المناقب» ج ٩ ، ص ٥٨٥ ، طبعة الكمبانيّ .

٥٩ــ١٦٠ــ١١٦١) نقل المجلسيّ هذه الرواية في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٥ ، طبعة الكمبانيّ ؛ وفي الطبعة الحديثة : ج ٤١ ، ص ٣١٤ ، عن «المناقب» لابن شهرآشوب .

١٦٢) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٧ و٤٢٨ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ص . ٥٨٦

١٦٣) إنّ ما نقلناه هنا عن «بحار الأنوار» ، عن ابن أبي الحديد ، عن نصر بن مزاحم موجود في كتاب «صفّين» الطبعة الثانية بالقاهرة ، شرح عبد السلام محمّد هارون ، ص ١٤١ و. ١٤٢ وجاء في «شرحنهج البلاغة» طبعة مصر ، دار الإحياء ، ج ٣ ، ص ١٦٩ إلى ١٧١ عن نصر بن مزاحم .

١٦٤) روى السيّد ابن طاووس في «الملاحم والفتن» ص ٩٢ و٩٣ ، طبعة النجف ، عن كتاب «الفتن» للسليليّ بسنده المتّصل عن عطاء بن السائب ، عن ميمون ، عن شيبان قال : أقبلنا مع عليّ بن أبي طالب عليه السلام من صفّين حتّى نزلنا كربلاء ، وهو على بغلة له ، فنزل عن البغلة ، فأخذ كفّاً من تحت حافر البغلة فشمّها ثمّ قبّلها ووضعها على عينيه وبكى وقال : وَأَيّ حَبِيب يُقْتَلُ فِي هَذَا المَوضِعِ ، كَأَ نّي أَنْظُرُ إِلَى ثَقَل مِنْ آلِ رَسُولِ اللَهِ قَدْ أَنَاخُوا بِهَذَا الوادِي ، فَخَرَجْتُمْ إِلَيْهِمْ فَقَتَلْتُمُوهُمْ . وَيْلٌ لَكُمْ مِنْهُمْ ، وَوَيْلٌ لَهُمْ مِنكُمْ . مَا أَعْلَمُ شُهَدَاء أَفْضَلُ مِنْهُمْ إِلّا شُهَدَاء خلقهم مَعَ مُحَمّدٍ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِبَدْرٍ . ثُمّ قَالَ : إِيتُونِي بِرِجْلِ حِمَارٍ أَوْ فَكّ حِمَارٍ . قال شيبان : فأتيته برِجل حمار ميّت فأوتده في موضع حافر البغلة . فلمّا قُتِلَ الحسين صلوات الله عليه ، جئتُ فاستخرجتُ رِجل الحمار من موضع دمه عليه السلام ، وإنّ أصحابه لربض حوله .

١٦٥) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩١ و٥٩٢ ؛ وجاء هذا الخبر كلّه في كتاب «صفّين» ص ١٤٠ و١٤١ ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، شرح عبد السلام محمّد هارون .

١٦٦ــ١٦٧) «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص . ٥٨٠

١٦٨) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص . ٥٧٨

١٦٩) الغدير» ج ٤ ، ص . ٣٨٦

١٧٠) الغدير» ج ٤ ، ص . ٣٨٦

١٧٠) الغدير» ج ٤ ، ص . ٣٨٦

الدرس الحادي والسبعون بعد المائة إلى الثالث والسبعين بعد المائة: علم أمير المؤمنين بالمنايا والبلايا والأعمار والملاحم والفتن

بِسْمِ اللَّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللهُ على محمّد وآله الطّاهرين

ولعنة اللّه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين ولا حول ولا قوّة إلّا باللّه العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِى خَلَقَ * خَلَقَ الْإِنسَنَ مِنْ عَلَقٍ * اقْرَأْ وَرَبّكَ الْأَكْرَمُ * الّذِى عَلّمَ بِالْقَلَمِ * عَلّمَ الْإِنسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . (١)

جاء في تفسير «الصافي» نقلاً عن «تفسير القمّيّ» أنّ هذه السورة أوّل سورة نزلت على النبيّ صلّى الله عليه وآله وسلّم . إذ هبط جبرئيل عليه صلّى الله عليه وآله ، فقال : يَا مُحَمّدُ ! اقْرَأْ . فقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : وما أقرأ ؟ قال : «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبّكَ الّذِى خَلَقَ» . يَعْنِي خَلَقَ نُورَكَ القَدِيمَ قَبْلَ الأَشْيَاءِ . (٢)

وقال سماحة أُستاذنا العلّامة الطباطبائيّ أفاض الله علينا من بركات رمسه في تفسيره : مفعول اقْرَأْ محذوف . وقوله بِاسْمِ رَبّكَ الباء متعلّق بمقدّر نحو مفتتحاً أو مبتدءاً أو باقرأ ، والباء للملابسة . (أي : اقرأ بتلقّي ما يوحيه إليه ملك الوحي مبتدءاً أو مفتتحاً أو ملابساً اسم ربّك الذي خلقك) .

وفي قوله : رَبّكَ الّذِى خَلَقَ إشارة إلى قصر الربوبيّة في الله عزّ اسمه . وهو توحيد الربوبيّة المقتضية لقصر العبادة فيه . فإنّ المشركين كانوا يقولون : إنّ الله سبحانه ليس له إلّا الخلق والإيجاد . وأمّا الربوبيّة ، وهي الملك والتدبير ، فلمقرّبي خلقه من الملائكة والجنّ والإنس ، فدفعه الله بقوله : رَبّكَ الّذِى خَلَقَ الناصّ على أنّ الربوبيّة والخلق له وحده . وقوله : عَلّمَ بِالْقَلَمِ الباء للسببيّة . أي : علّم القراءة أو الكتابة بواسطة القلم ... والكلام مسوق لتقوية نفس النبيّ صلّى الله عليه وآله وإزالة القل والاضطراب عنها حيث أُمر بالقراءة وهو أُمّيّ لا يكتب ولا يقرأ ، كأنّه قيل : اقرأ كتاب ربّك الذي يوحيه إليك ولا تخف ، والحال أنّ ربّك الأكرم الذي علّم الإنسان القراءة بواسطة القلم الذي يخطّ به . فهو قادر على أن يعلّمك قراءة كتابه وأنت أُمّيّ ، وقد أمرك بالقراءة ولو لم يقدرك عليها لم يأمرك بها .

ثمّ عمّم سبحانه النعمة فذكر تعليمه للإنسان ما لم يعلم فقال : عَلّمَ الْإِنسَنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . وفيه مزيد من تقوية لقلب النبيّ صلّى الله عليه وآله وتطييب لنفسه ... وقرأتَ الكتاب : إذا

جمعتَ الحروف والكلمات بضمّ بعضها إلى بعض في الذهن وإن لم تتلفّظ بها . (وإنّما يحصل هذا الضمّ في الذهن فحسب) . والمراد به الأمر بتلقّي ما يوحيه إليك ملك الوحي من القرآن . [٣]

وعلى هذا ، إنّ جميع علوم رسول الله صلّى الله عليه وآله كانت بواسطة ملائكة الوحي . وقراءتها تعني تثبيتها في الذهن والقلب ، والعمل بمقتضاها .

وعلّم رسول الله صلّى الله عليه وآله وصيّه أمير المؤمنين عليه السلام ما كان يعرفه من العلوم . أي : علّمه تلك المعاني النوريّة والمدركات القدسيّة العالية التي أُوحيت إليه صلّى الله عليه وآله بواسطة أعظم مَلَك من ملائكة الله تعالى ، وهو جبرائيل أو الروح . وذكر أمير المؤمنين عليه السلام ذلك في آخر الخطبة القاصعة ، فقال :

وَلَقَدْ قَرَنَ اللَهُ بِهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ المَكَارِمِ وَمَحَاسِنِ أَخْلَاقِ العَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتّبِعُهُ اتّبَاعَ الفَصِيلِ أَثَرَ أُمّهِ . يَرْفَعُ لِي فِي كُلّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ [٤] فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي الإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُما . أَرَى نُورَ الوَحْيُ وَالرّسَالَةِ ، وَأَشُمّ رِيحَ النّبُوّةِ .

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنّةَ الشّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ الوَحْيُ عَلَيْهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! مَا هَذِهِ الرّنّةُ ؟ فَقَالَ : هَذَا الشّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلّا أَنّكَ لَسْتَ بِنَبِيّ وَلَكِنّكَ وَزِيرٌ ، وَإِنّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . [٥]

قال ابن أبي الحديد في شرح هذه الفقرات : روى الطبريّ في تاريخه بسنده عن المنهال بن عُمَر ، وعن عبد الله بن عبد الله ، قال : سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول : أَنَا عَبْدُ اللَهِ ، وَأَخُو رَسُولِهِ ، وَأَنَا الصّدّيقُ الأَكْبَرُ ، لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إِلّا كَاذِبٌ مُفْتَرٍ ، صَلّيْتُ قَبْلَ النّاسِ بِسَبْعِ سِنِينَ . [٦]

وفي غير رواية الطبريّ : أَنَا الصّدّيقُ الأَكْبَرُ وَالفَارُوقُ الأَوّلُ ، أَسْلَمْتُ قَبْلَ إِسْلَامِ أَبِي بَكْرٍ وَصَلّيْتُ قَبْلَ صَلَاتِهِ بِسَبْعِ سِنِينَ . [٧]

وقال ابن أبي الحديد هنا : كأنّه عليه السلام لم يرتض أن يذكر عمر ، ولا رآه أهلاً للمقايسة بينه وبينه ، وذلك لأنّ إسلام عمر كان متأخّراً . [٨]

وذكر قائلاً : روى الفضل بن عبّاس قال : سألتُ أبي عن ولد رسول الله صلّى الله عليه وآله الذكور ، أيّهم كان رسول الله صلّى الله عليه وآله له أشدّ حبّاً ؟ فقال : عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فقلتُ له : سألتك عن بنيه ! فقال : إنّه كان أحبّ عليه من بنيه جميعاً وأرأف ، ما رأيناه زايله يوماً من الدهر منذ كان طفلاً ، إلّا أن يكون في سفر لخديجة ، وما رأينا أباً أبرّ بابن منه لعليّ ، ولا ابناً أطوع لأبٍ من عليّ له . [٩]

وروى الحسين بن زيد بن عليّ بن الحسين عليه السلام قال : سمعتُ زيداً أبي يقول : كان رسول الله صلّى الله عليه وآله يمضغ اللحمة والتمرة حتّى تلين ، ويجعلهما في فم عليّ عليه السلام وهو صغير في حجره . وكذلك كان أبي عليّ بن الحسين عليه السلام يفعل بي . ولقد كان يأخذ الشيء من الورك وهو شديد الحرارة ، فيبرّده في الهواء ، أو ينفخ عليه حتّى يبرد ، ثمّ يلقمنيه ، أفيشفق عَلَيّ من حرارة لقمة ولا يشفق عَلَيّ من النار ؟ لو كان أخي إماماً بالوصيّة كما يزعم هؤلاء ، لكان أبي أفضى بذلك إليّ ووقاني من حرّ جهنّم . (١٠)

وروى أنّ بعض أصحاب أبي جعفر محمّد بن عليّ الباقر عليه السلام سأله عن قول الله عزّ وجلّ : إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ، فقال عليه السلام : يوكّل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ، ويؤدّون إليه تبليغهم الرسالة ، ووكّل بمحمّدٍ صلّى الله عليه وآله وسلّم مَلَكاً عظيماً منذ فُصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق ، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق ، وهو الذي كان يناديه : السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ ، يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وهو شابّ لم يبلغ درجة الرسالة بعدُ ، فيظنّ أنّ ذلك من الحجر والأرض ، فيتأمّل ، فلا يرى شيئاً . (١١)

لقد تكفّل رسول الله صلّى الله عليه وآله بشؤون مولى الموحدّين وأمير المؤمنين عليه السلام منذ ولادته ، ووضعه أبو طالب وفاطمة بنت أسد في حجر رسول الله ، وتلا هو عليه السلام سورة «المؤمنون» ، ولم يتولّ النبيّ شؤونه الظاهريّة والبدنيّة فحسب ، بل تولّى شؤونه المعنويّة والروحيّة ونموّه العقليّ بنحو أكمل وأتمّ ، وعلمّه العلوم الغيبيّة وأطلعه على الضمائر والخواطر والحوادث والوقائع الماضية والحاضرة والقادمة ، والواقعة في كلّ مكان . ومن الواضح أنّ تعليم مثل هذه العلوم ليس كتعليم العلوم الظاهريّة التي يكون الذهن مركزها ، إذ تنقل الموضوعات إلى الذهن تدريجيّاً بواسطة الذاكرة والقوّة المفكّرة والواهمة والحسّ المشترك ، ثمّ تخزن ويحافظ عليها . لا ، ليس كذلك ، بل يتحقّق تعليمها من خلال تصفية الباطن وتنوير البصيرة ، إذ يرتفع حجاب الزمان والمكان في الجملة عبر تحصيل التجرّد ، وينظر الإنسان إلى الوقائع والحوادث من وراء هذين التعيّنين والتقييدين ، ويشاهد ما كان وما يكون وما هو كائن ثابتاً وحاضراً .

ومن الطبيعيّ أنّ مقام الإمام أعلى ممّا ذكرناه . فهو قد بلغ مقام التجرّد المطلق . وبالجملة ، رُفعت الحجب المعنويّة أيضاً من أمام بصيرته ، واجتاز الحجب العقليّة والنفسيّة ، وانتهت أسفاره الأربعة ، فهو لا يحيط بعالم الطبع والمثال فحسب ، بل يحيط بعالم العقل والنفس والموجودات العقلانيّة . بَيدَ أنّ هذا القدر من كشف الحجب المثاليّة والبرزخيّة التي تستلزم الاطّلاع على ضمائر العالم ومغيّباته موجود فيه . فهو حاضر في كلّ مكان ، ويراقب جميع الأشياء .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام قائماً على هذه الذروة من عَلَم العِلْم ، مستشرفاً العالَم بعين بصيرته ، مخصوصاً بذلك من قبل خاتم الأنبياء صلوات الله عليه . ورفع كثيراً من خاصّته وحواريّيه المخلصين الأحمّاء إلى هذه الدرجة . ومن هؤلاء جُوَيْرِيَة بْنِ مُسهِرٍ العَبْدِيّ الذي مرّ ذكره ، ومنهم رُشَيْد الهَجَريّ ، وميثم التّمّار ، وحبيب بن مظاهر الأسديّ ، وكان لهؤلاء جميعهم علم المنايا والبلايا والأعمار والفتن والملاحم .

والمنايا جمع مَنِيّة ، وهي الموت ومفارقة الدنيا . ومن كان له هذا العلم ، فهو مطّلع على آجال الناس ، ويعلم أين ومتى يموتون .

والبلايا جمع بَلِيّة ، وهي المصيبة والمحنة . ومن كان له حظّ من هذا العلم ، فهو مطّلع على الحوادث والوقائع التي تستدعي الاختبار ، وترد فيها المصائب كالزلزلة ، والطوفان ، والغرق ، والحرق ، وانتشار الأمراض كالوباء ، والطاعون ، والحوادث والمصائب النازلة بالناس .

والأعمار جمع عَمْر ، وهو الحياة . والعُمْر والعُمُر بمعنى واحد . ومن كان له نصيب من هذا العلم ، فهو مطّلع على أعمار الناس وحدّها وأسباب طول العمر وقصره .

والملاحم جمع مَلْحَمَة ، وهي الموقعة العظيمة والقتل في الحرب . ومن كان عارفاً بهذا العلم ، فهو خبير بالحوادث المهمّة التي تجري في العالم ، والحروب ومواصفاتها وزمانها ومكانها ، ومن يقتل فيها ، ومن يسلم ، ونتائجها ، وأسبابها بنحو تامّ ، أو تبعاً لسعة مدركاته المثاليّة وضيقها .

والفتن جمع فِتْنَة ، وجاءت بمعنى الاختبار ، والضلال ، والكفر ، والفضيحة ، والشدّة ، والجنون ، والعبرة ، والمرض ، والعذاب ، والمال ، والأولاد ، واختلاف الناس في الآراء والأفكار ، ووقوع حوادث القتل بينهم . ومن كانت له حصيلة من هذا العلم ، فهو مطّلع على كيفيّة الاختبار الإلهيّ وأثره ، وكذلك هو مطّلع على كفر الناس وضلالتهم وفضيحتهم ، وعلى ما يعسر من الأُمور ، وضروب المرض والعذاب ، وأسباب اختلاف الناس في صنع القرار وتدبير شؤونهم .

ويمكن أن يحصل المرء على قسم من هذه العلوم ، وربّما تجتمع كلّها عند أحد . كما يمكن أن تكون قليلة ومجملة عند البعض ، أو توجد لديه في بعض الأحيان . وقد تتهيّأ للبعض بنحو تامّ وكبير وفي جميع الأوقات والظروف والأحوال . وكانت لأمير المؤمنين عليه صلوات المصلّين هذه العلوم كافّة بكلّ أقسامها ، وبنحو متواصل في الدرجة العليا من الاطّلاع والإحاطة كما يُستشفّ ذلك من كلماته . ويُلمس من شرح الوقائع التي نقلتها كتب التأريخ والسيرة والحديث في أحواله وسلوكه .

ومن ذلك ما ذكره الشيخ المفيد في «الإرشاد» عن الوليد بن حارث وغيره من رجال العامّة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لمّا بلغه ما صنعه بُسر بن أرطاة باليمن قال : اللَهُمّ

إنّ بُسْراً قَدْ بَاعَ دِينَهُ بِالدّنْيَا ، فَاسْلُبْهُ عَقْلَهُ وَلَا تُبْقِ لَهُ مِنْ دِينِهِ مَا يَسْتَوْجِبُ بِهِ عَلَيْكَ رَحْمَتَكَ . أي : في الجملة لا تُبق له دينه وخذ كلّ ما عنده !

فبقي بُسر حتّى اختلط فكان يدعو بالسيف . فاتّخذ له سيف من خشب ، فكان يضرب به حتّى يغشى عليه . فإذا أفاق ، قال : السيف السيف . فيُدفع إليه فيضرب به ، فلم يزل ذلك دأبه حتّى مات . (١٢)

ومن ذلك ما استفاض عنه عليه السلام من قوله : إنّكُمْ سَتُعْرضُونَ مِنْ بَعْدِي عَلَى سَبّي ، فَسُبّونِي فَإنْ عُرِضَ عَلَيْكُمُ البَرَاءَةُ مِنّي فَلَا تَبرّؤُوا مِنّي ، فَإنّي وُلِدْتُ عَلَى الإسْلَامِ . فَمَنْ عُرِضَ عَلَيْهِ البَرَاءَةُ مِنّي فَلْيَمْدُدْ عُنُقَهُ . (ويقل : ها هو عنقى فاضربوه ولا أتبرّأ من عليّ) . فَمَنْ تَبَرّأَ مِنّي فَلَا دُنْيَا لَهُ وَلَا آخِرَةَ . (١٣)

وعلى هذا الأساس ورد في رواية سُفيان بن عُيَيْنَة عن طاووس اليمانيّ أنّه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام لحُجر البدريّ : يَا حُجْرُ ! كَيْفَ بِكَ إذَا أُوقِفْتَ عَلَى مِنْبَرِ صَنْعَاءَ وَأُمِرْتَ بِسَبّي وَالبَرَاءَةِ مِنّي ؟ فقال حجر : أَعُوذُ بِاللَهِ مِنْ ذَلِكَ .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : وَاللَهِ إنّهُ كَائِنٌ ، فَإذَا كَانَ ذَلِكَ فَسُبّنِي وَلَا تَتَبَرّأْ مِنّي ، فَإنّهُ مَنْ تَبَرّأَ مِنّي فِي الدّنْيَا بَرِئْتُ مِنْهُ فِي الآخِرَةِ .

قال طاووس اليمانيّ : أخذ الحجّاج بن يوسف الثقفيّ حجراً وأمره أن يسبّ عليّاً . فصعد المنبر وقال : أَيّهَا النّاسُ ! إنّ أَمِيرَكُمْ هَذَا أَمَرَنِي أَنْ أَلْعَنَ عَلِيّاً ، أَلَا فَالْعَنُوهُ لَعَنَهُ اللَهُ . (١٤)

ومن ذلك ما رواه الوليد بن الحارث أيضاً عن الإمام عليه السلام أنّه قال : أَيّهَا النّاسُ ! إنّي دَعَوْتُكُمْ إلَى الحَقّ فَتَوَلّيْتُمْ عَنّي ، وَضَرَبْتُكُمْ بِالدّرّةِ فَأَعْيَيْتُمُونِي ، أَمَا إنّهُ سَيَلِيكُمْ مِنْ بَعْدِي وُلَاةٌ لَا يَرْضَوْنَ مِنْكُمْ بِهَذَا حَتّى يُعَذّبُوكُمْ بِالسّيَاطِ وَالحَدَيدِ . إنّهُ مَنْ عَذّبَ النّاسَ فِي الدّنْيَا عَذّبَهُ اللَهُ فِي الآخِرَةِ . وَآيَةُ ذَلِكَ أَنْ يَأْتِيكُمْ صَاحِبُ اليَمَنِ حَتّى يَحِلّ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ فَيَاخُذُ العُمّالَ وَعُمّالَ العُمّالِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ يُوسُفُ بْنُ عُمَرَ . (١٥)

قال الشيخ المفيد : فكان الأمر في ذلك كما قال . (١٦)

* * *

وورد في الأمثال أنّه روي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه أثنى عليه رجل متّهم [في تشيّعه وولايته] ، فقال عليه السلام : أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ ، وَفَوْقَ مَا تَظُنّ فِي نَفْسِكَ . (١٧)

وأنشد الناشئ قائلاً :

لَهُ فِي كُلّ وَجْهٍ سِمَةٌ تُنْبِئُ عَنِ العَقْدِ
فَتَسْقَى الرّجْسَ بِالغَيّ وَتَحْظَى البِرّ بِالرّشْدِ (١٨)

وجاء في كتاب «المعرفة والتأريخ» للنسويّ أنّه قال : قال رزين الغافقيّ : سمعتُ عليّ بن أبي طالب عليه السلام يقول : يَا أَهْلَ العِرَاقِ ! سَيُقْتَلُ مِنْكُمْ سَبْعَةُ نَفَرٍ بِعَذْرَاءَ ، [١٩] فقُتل حُجر [بن عديّ] وأصحابه [بعذراء] . [٢٠]

وكان حُجْر بن عديّ الكِنْديّ الكوفيّ من أعاظم أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، ومن أبدالهم ، وكان مشهوراً في العرب بكياسته وزهده وعبادته . قيل : كان يصلّي في اليوم والليلة ألف ركعة . وتحدّث عنه أصحاب التراجم والرجال مفصّلاً . منهم : ابن الأثير في «أُسد الغابة» . وفيما يأتي شيء من سيرته وخصوصيّاته نقلاً عن كتاب «الاستيعاب» لابن عبد البّر الأندلسيّ :

كان حُجر بن عديّ الكنديّ من فضلاء الصحابة وصغر سنّه عن كبارهم . وكان على كندة يوم صفّين . وكان على الميسرة يوم النهروان . ولمّا ولّى معاوية زياداً [ابن أبيه] العراق وما وراءه ، وأظهر من الغلظة وسوء السيرة ما أظهر ، خلعه حجر ولم يخلع معاوية . وتابعه جماعة من أصحاب عليّ عليه السلام وشيعته . وحصبه حجر يوماً في تأخير الصلاة هو وأصحابه .

فكتب فيه زياد إلى معاوية ، فأمره أن يبعث به إليه . فبعث به إليه مع وائل بن حجر الحضرميّ في اثني عشر رجلاً كلّهم في الحديد . فقتل معاوية منهم ستّة واستحيا ستّة . وكان حُجر بن عديّ ممّن قُتل .

فبلغ ما صنع بهم زياد إلى عائشة فبعثت إلى معاوية عبد الرحمن بن الحارث بن هشام [وقالت له] : اللَه اللَه فِي حُجْر وَأَصْحَابِهِ . فوجده عبد الرحمن قد قُتل هو وخمسة من أصحابه . فقال عبد الرحمن لمعاوية : أين عزب عنك حلم أبي سفيان في حجر وأصحابه ؟ ألا حبستهم في السجون وعرضتهم للطاعون ؟ فقال معاوية : حين غاب عنّي مثلك من قومي .

قال عبد الرحمن : والله ، لا تعدّ لك العرب حلماً بعد هذا أبداً ولا رأياً . قتلتَ قوماً بعث بهم إليك أُسارى من المسلمين . قال معاوية : فما أصنع ؟ كتب إليّ فيهم زياد يشدّد أمرهم ويذكر أنّهم سيفتقون عَلَيّ فتقاً لا يرقع .

ثمّ قدم معاوية المدينة فدخل على عائشة . فكان أوّل ما بدأته به قتل حجر في كلام طويل جرى بينهما . ثمّ قال : فدعيني وحجراً حتّى نلتقي عند ربّنا .

والموضع الذي قُتل فيه حُجر بن عديّ ومن قتل معه من أصحابه يعرف بمرج عذراء ... فلمّا قدّم للقتل ، قال : دعوني أُصلّي ركعتين ، فصلّاهما خفيفتين ... ثمّ قال لمن حضر من أهله : لا تطلقوا عنّي حديداً ، ولا تغسلوا عنّي دماً فإنّي مُلاقٍ معاوية على الجادّة .

وقال مبارك بن فضالة : سمعتُ الحسن [البصريّ] يقول وقد ذكر معاوية وقتل حجراً وأصحابه : وَيْلٌ لِمَنْ قَتَلَ حُجْراً وَأَصْحَاب حُجْرٍ .

وقال أحمد : قلتُ ليحيى بن سليمان : أَبَلَغَكَ أَنّ حُجْراً كَانَ مُسْتَجَابَ الدّعْوَةِ ؟ قَالَ : نَعَم ، وكَانَ مِنْ أَفَاضِلِ أَصْحَابِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيهِ [وَآلِهِ] وَسَلّمَ .

وروينا عن سعيد المَقْبُرِيّ ، قال : لمّا حجّ معاوية ، جاء المدينة زائراً ، فاستأذن على عائشة ، فأذنت له . فلمّا قعد ، قالت له : يا معاوية ! أأمنتَ أن أُخبئ لك من يقتلك بأخي محمّد بن أبي بكر ؟ فقال : بيت الأمان دخلتُ . قالت : يا معاوية ! أما خشيتَ الله في قتل حجر وأصحابه ؟ قال : إنّما قتلهم من شهد عليهم .

وعن مسروق بن الأجدع قال : سمعت عائشة تقول : أَمَا وَاللّهِ لَوْ عَلِمَ مُعَاوِيَةُ أَنّ عِنْدَ أَهْلِ الكُوفَةِ مَنْعَةً مَا اجْتَرَأَ عَلَى أَنْ يَأْخُذَ حُجْرَاً وَأَصْحَابَهُ مِنْ بَيْنِهِمْ حَتّى يَقْتُلَهُمْ بِالشّامِ ، وَلَكِنّ ابْنَ آكِلَةِ الأَكْبَادِ . (هند آكلة الأكباد زوجة أبي سفيان ، وأُمّ معاوية ، أكلت كبد حمزة سيّد الشهداء في غزوة أُحد) عَلِمَ أَنّهُ قَدْ ذَهَبَ النّاسُ . أَمَا وَاللّهِ إِنْ كَانُوا لِجُمْجُمَةِ العَرَبِ عِزّاً وَمَنْعَةً وَفِقْهَاً . للّهِ دَرّ لُبَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ :

ذَهَبَ الّذِينَ يُعَاشُ فِي أَكْنَافِهِمْ
وَبَقِيتُ فِي خَلَفٍ كَجِلْدِ الأَجْرَبِ
لَا يَنْفَعُونَ وَلَا يُرَجّى خَيْرُهُمْ
وَيُعَابُ قَائِلُهُمْ وَإِنْ لَمْ يَشْغَبِ

(أي : أنّ الذين ماتوا من الماضين كانوا كالحيوان الصحيح السالم البدين وكنتُ أُواصل حياتي بفضلهم ، ولكنّ الباقين ليسوا أصحّاء ، وليسوا أهل بُدنة ، فهم كجلد البعير والثور الأجرب ، فلا ينتفع بهم) .

ولمّا بلغ الربيع بن زياد الحارثيّ من بني الحارث بن كعب ، وكان فاضلاً جليلاً ، وكان عاملاً لمعاوية على خراسان وكان الحسن بن أبي الحسن كاتبه ؛ فلمّا بلغه قتل معاوية حجر بن عديّ ، دعا الله عزّ وجلّ فقال : اللهمّ إن كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجّل . فلم يبرح من مجلسه حتّى مات . وكان قتل معاوية لحجر بن عديّ سنة إحدى وخمسين . (٢١)

* * *

وممّا أخبر به أمير المؤمنين عليه السلام من الفتن الواقعة بعده أنّه لمّا رأى عجز الناس في الكوفة عن القيام بالحقّ ، قام خطيباً فيهم فقال : مَعَ أَيّ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ ؟ وَأَيّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ ؟ أَمَا إِنّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلّاً شَامِلاً وَسَيْفاً قَاطِعَاً وَأَثَرَةً قَبِيحَةً يَتّخِذُهَا الظّالِمُونَ عَلَيْكُمْ سُنّةً . (٢٢)

وقال لأهل الكوفة : أَمَ إِنّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ رَجُلٌ رَحِيبُ البُلْعُومِ ، مُنْدَحِقُ البَطْنِ ، يَأْكُلُ مَا يَجِدُ ، وَيَطْلُبُ مَا لَا يَجِدُ ، فَاقْتُلُوهُ ، وَلَنْ تَقْتُلُوهُ . أَلَا وَإِنّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبّي وَالبَرَاءَةِ مِنّي .

أَمّا السّبّ فَسُبّوني ، وَأَمّا البَرَاءَةُ مِنّي فَلَا تَتَبَرّؤُوا مِنّي ، فَإِنّي وُلِدْتُ عَلَى الفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الإِسْلَامِ وَالهِجْرَةِ ــ يعني معاوية . (٢٣)

وذكر محمود الزمخشريّ في كتاب «الفائق» قول أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ أُمُوراً مُتَمَاحِلَةً رُدُحاً وَبَلَاءً مُبْلِحاً . (٢٤)

وقال ابن الأثير الجزريّ : الرَدْح : الثَقْل . يقال : امْرَأَةٌ رَدَاحٌ ، أي : ثَقِيلَةُ الكَفَلَ . ومنه حديث عليّ عليه السلام : إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ أُمُوراً مُتَمَاحِلَةً رُدُحاً . المتماحلة يعني المتطاولة . ورُدُح الثقيلة العظيمة ، واحدها رَدَاح ، يعني الفتن . ورُوي : إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَناً مُرْدِحَةً . أي : مثقلة . وقيل : مغطّية على القلوب ، من أردحتُ البيت إذا سترتُه . (٢٥)

وقال ابن الأثير أيضاً : المَحْل بمعنى الدفاع والجدال والمكر والشدّة . ومنه حديث عليّ عليه السلام : إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ أُمُوراً مُتَماحِلَةً . أي : فتناً طويلة المدّة . والمتماحل من الرجال : الطويل . (٢٦)

وقال أيضاً : البَلْح : الشدّة التي ترهق الرجل فلم يقدر أن يتحرّك . ومنه حديث عليّ عليه السلام : إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَناً وَبَلَاءً مُكْلِحاً مُبْلِحاً . أي : مُعيياً بحيث يسلب الرجل قدرته . (٢٧)

وقال كذلك : ورد الكَلْح في حديث عليّ عليه السلام : إنّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَناً وَبَلَاءً مُكْلِحاً مُبْلِحاً . والكُلُوح : العُبُوس . يقال : كَلَحَ الرّجُلُ وَأَكْلَحَهُ الهَمّ . (٢٨)

إنّ هذه الكلمات كلّها تشير إلى ظهور زمان عَسِر عصيب جدّاً . الإسلام فيه مضيّع مغارٌ عليه . وأنّ التوحيد والعرفان والولاية والصدق ، كلّ أُولئك جريمة لا تغتفر . ومن الواضح أنّ في كلامه إشارة إلى الحكومة الأمويّة التي تمثّلت بمعاوية ويزيد ومروان ونبي مروان . وكانت عصورهم من أشدّ العصور وأحلكها إذ ضُيّق فيها على أُولي البصائر والضمائر الحيّة والعواطف الصادقة .

* * *

ومن جملة إخباره عليه السلام خبر تحدّث فيه عن حكومة بني أُميّة وبني العبّاس ، وأشار فيه إلى بعض المواصفات والمعالم التي كان عليها عدد من الحكّام العبّاسيّين كرأفة حاكمهم الأوّل عبد الله السفّاح ، وفتك ثانيهم ، وهو المنصور ، وعظمة سلطان خامسهم ، وهو هارون الرشيد ، ودهاء سابعهم وعلمه ، وهو المأمون ، وشدّة بغض عاشرهم وعدائه لأهل البيت ، وهو المتوكّل ، وذكّر بقتله من قبل ابنه . وألمع إلى كثرة عناء خامس عشرهم وهو المعتمد ، ذلك أنّه ابتُلي بمحاربة صاحب الزنج . وأشار إلى إحسان سادس عشرهم إلى العلويّين ، وهو المعتضد ، وذكر قتل الحاكم الثامن عشر منهم ، وهو المقتدر

، ونبّه على سيطرة أولاده الثلاثة على السلطة ، وهم الراضي ، والمطيع ، والمتّقي ، كما هو مسطور في التأريخ .

قال ابن شهرآشوب في مناقبه : ومن خطبة له عليه السلام : وَيْلُ هَذِهِ الأُمّةِ مِنْ رِجَالِهِمْ ، الشّجَرَةِ الْمَلْعُونَةِ الّتِي ذَكَرَهَا رَبّكُمْ تَعَالَى ، أَوّلُهُمْ خَضْرَاءُ وَآخِرُهُمْ هَزْمَاءُ . ثُمّ تَلِي بَعْدَهُمْ أَمْرَ أُمّةِ مُحَمّدٍ رِجَالٌ : أَوّلُهُمْ أَرْأَفُهُمْ ، وَثَانِيهِمْ أَفْتَكُهُمْ ، وَخَامِسُهُمْ كَبْشُهُمْ ، وَسَابِعُهُمْ أَعْلَمُهُمْ ، وَعَاشِرُهُمْ أَكْفَرُهُمْ يَقْتُلُهُ أَخَصّهُمْ بِهِ ، وَخَامِسُ عَشَرِهِمْ كَثِيرُ الْعَنَاءِ قَلِيلُ الْغِنَاءِ ، وَسَادِسُ عَشَرِهِمْ أَقْضَاهُمْ لِلذّمَمِ وَأَوْصَلُهُمْ لِلرّحِمِ . كَأَنّي أَرَى ثَامِنُ عَشَرِهِمْ تُفْحَصُ رِجْلَاهُ فِي دَمِهِ بَعْدَ أَنْ يَأْخُذَ جُنْدُهُ بِكَظَمِهِ ، مِنْ وُلْدِهِ ثَلَاثَةُ رِجَالٍ سِيَرتُهُمْ سِيرَةُ الضّلّالِ . وَالثّانِي وَالعِشْرُونَ مِنْهُمْ الشّيْخُ الهَرِمُ تَطُولُ أَعْوَامُهُ وَتَوافِقُ الرّعِيّةَ أَيّامُهُ . السّادِسُ وَالعِشْرُونَ مِنْهُمْ يَشْرُدُ المُلْكُ مِنْهُ شُرُودَ المُنْفَتِقِ ، وَيَعْضُدُهُ الهَزْرَةُ المُتَفَيْهِقُ ، لَكَأَنّي أَرَاهُ عَلَى جِسْرِ الزّوْرَاءِ قَتِيلاً . ذَلِكَ بِمَا قَدّمَتْ يَدَاكَ «وَأَنّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلّامٍ لّلْعَبِيدِ» . (٢٩)

يشير الإمام عليه السلام في مستهلّ خطبته إلى سلاطين بني أُميّة الذين عبّر عنهم القرآن الكريم بالشجرة الملعونة . ولمّا كانت حكومة معاوية ــ وهو أوّلهم ــ ذات قدرة وسيطرة وعيش رغيد لهم ، لذلك سمّاها الشجرة الخضراء . ولمّا كانت حكومة آخرهم ، وهو مروان الحمار ، قد أتى عليها الدهر فظهر فيها التصدّع والانكسار والثغرات ، لذا أطلق عليها عنوان الشجرة الهزماء . ثمّ ينقل لنا عليه السلام مواصفات الملوك العبّاسيّين ، كما عرضناها آنفاً ، فيصل إلى الثامن عشر منهم وهو المُقْتَدِر . فلمّا فرّ مؤنس الخادم من عسكره ، وأتى الموصل ، واستولى عليه ، وجمع جيشاً ، ورجع ، وحارب المقتدر في بغداد ، وهزم عسكره ، وقُتل المقتدر في المعركة ، واستولى على الحكومة من بعده ثلاثة من أولاده ، لهذا ذكره الإمام عليه السلام بقوله : كأنّي أرى ثامن عشرهم تُفْحَصُ رِجلاه في دمه بعد أن يأخذ جنده بكظمه من وُلده ثلاثة رجال سيرتهم سيرة الضّلّال .

والثاني والعشرون منهم الشيخ الهرم تطول أعوامه وتوافق الرعيّة أيّامه . قال المجلسيّ هنا في شرح هذه الخطبة : الثاني والعشرون من بني العبّاس هو المُكْتَفِي بِاللّهِ عَبْدُ اللّهِ ، ادّعى الخلافة بعد مضيّ إحدى وأربعين من عمره في سنة ثلاث وثلاثين وثلاثمائة . واستولى أحمد بن بَابَوَيْه على بغداد في سنة أربع وثلاثين وثلاثمائة . وأخذ المكتفي وسمل عينيه ، وتوفّي المكتفي في سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة . وقيل : كانت أيّام خلافته سنة وأربعة أشهر . وعلى هذا يحتمل أنّ يكون لفظ (الثاني والعشرين) من خطأ المؤرّخين أو رواة الحديث بأن يكون في الأصل الخامس والعشرون أو السادس والعشرون . فالأوّل هو القادر بالله أحمد بن إسحاق وقد عمّر ستّاً وثمانين سنة . وكانت مدّة حكومته إحدى وأربعين سنة . والثاني هو القائم بأمر الله ، كان عمره ستّاً وسبعين سنة ، وحكومته أربعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر .

وقال المجلسيّ بعد عرض الاحتمالات الأُخرى : ويحتمل أن يكون المراد بالسادس والعشرين المُستَعْصِمِ بالله فإنّه قُتل ، وشرد الملك منه شرود المنفتق حتّى ضاع كلّه شيئاً فشيئاً . واعتراه الغبن والخسران من جميع الجهات بنحو واسع (يَشْرُدُ المُلْكُ مِنْهُ شُرُودَ المُنْفَتِقِ وَيَعْضُدُهُ الهَزْرَةُ المُتَفَيْهِقُ) . وكان المستعصم آخر الحكّام العبّاسيّين . وإنّما عبّر عنه الإمام بالسادس والعشرين مع كونه السابع والثلاثين منهم لكونه السادس والعشرين من عظمائهم لعدم استقلال كثير منهم ، وكونهم مغلوبين للملوك والأتراك . (٣٠)

ومن هذه الخطبة : سَيَخْرِبُ العِرَاقُ بَيْنَ رَجُلَيْنِ يَكْثُرُ بَيْنَهُمَا الجَرِيحُ وَالقَتِيلُ ــ يَعْنِي طُرْلِيكَ وَالدّوَيْلِمَ ــ لَكَأَ نّي أُشَاهِدُ بِهِ دِمَاءَ ذَوَاتِ الفُرُوجِ بِدِمَاءِ أَصْحَابِ السّرُوجِ . وَيْلٌ لِأَهْلِ الزّوْرَاءِ مِنْ بَنِي قَنْطُورَةَ . (٣١)

نقل المجلسيّ في شرحه عن الجزريّ ما نصّه : في حديث حُذيفة : يُوشِكُ بِنُو قَنْطُورَاءَ أَنْ يُخْرِجُوا أَهْلَ العِرَاقِ مِنْ عِرَاقِهِمْ ــ وَيُرْوَى : أَهْلَ البَصْرَةِ مِنْهَا ــ كَأَنّي بِهِمْ خُنْسُ الأُنُوفِ ، خُزْرُ العُيُونِ ، عِرَاضُ الوُجُوهِ . (٣٢)

قيل : إنّ قَنْطُورَاءَ كانت جارية لإبراهيم الخليل عليه السلام . ولدت له أولاداً منهم الترك والصين . ومنه حديث عمرو بن العاص : يوشك بَنُو قَنْطُورَاء أن يُخرجوكم من أرض البصرة . وحديث أبي بكرة : إذا كان آخر الزمان جاء بَنُو قَنْطُورَاء . (٣٣)

ومن هذه الخطبة : لَكَأَنّي أَرَى مَنْبَتَ الشّيحِ (نبات معطّر) عَلَى ظَاهِرِ أَهْلِ الحِضّةِ قَدْ وَقَعَتْ بِهِ وَقْعَتَانِ يَخْسَرُ فِيهَا الفَرِيقَانِ ــ يَعْنِي وَقْعَةَ المُوصِلِ ــ حَتّى سُمّي بَابَ الأَذَانِ . وَوَيْلٌ لِلطّينِ مِنْ مُلَابَسَةِ الأَشْرَاكِ . وَوَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ مُخَالَطَةِ الأَتْرَاكِ . وَيْلٌ لِأُ مّةٍ مُحَمّدٍ إِذَا لَمْ تَحْمِلْ أَهْلَهَا البُلْدَانُ ، وَعَبَرَ بَنُو قَنْطُورَةَ نَهْرَ جَيْحَانَ ، وَشَرِبُوا مَاءَ دِجْلَةَ ، وَهَمّوا بِقَصْدِ البَصْرَةِ وَالإِيلَةِ . وَأَيْمُ اللّهِ لَتَعْرِفُنّ بَلْدَتَكُمْ حَتّى كَأَ نّي أَنْظُرُ إِلَى جَامِعِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ . (٣٤)

وجاء في رواية «بحار الأنوار» : وَأَيْمُ اللّهِ لَتَغْرِقَنّ بَلْدَتُكُمْ ــ إلى آخره . (٣٥)

* * *

وقال ابن شهرآشوب في مناقبه : روى قتادة عن سعيد بن المسيّب أنّه سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى : وَإِن مّن قَرْيَةٍ إِلّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَمَةِ أَوْ مُعَذّبُوهَا ، (٣٦) فقال عليه السلام في خبر طويل انتخبنا منه : تخرب سمرقند وجاح ، وخوارزم ، وإصفهان ، والكوفة من التّرك . وهمدان ، والري من الديلم . وطبريّة ، والمدينة ، وفارس بالقحط والجوع . ومكّة من الحبشة . والبصرة ، وبلخ من الغرق ، والسند من الهند . والهند من تبّت . وتبّت من الصين . وبذشجان ، وصاغاني ، وكرمان ، وبعض الشام بسنابك الخيل والقتل . واليمن من الجراد والسلطان . وسجستان وبعض الشام بالزنج . وشامان بالطاعون . ومرو بالرمل . وهرات بالحيّات . ونيسابور من قبل

انقطاع الخير والبركة . وآذربايجان بسنابك الخيل والصواعق . وبُخارى بالغرق والجوع . والحلم وبغداد يصير عاليها سافلها . [٣٧]

* * *

ومن جملة إخبار أمير المؤمنين عليه السلام بالمغيّبات والملاحم ما ذُكر في خطبته اللؤلؤيّة . وهذه الخطبة من خطبه المهمّة سلام الله عليه . نقلها الشيخ الأجلّ عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز الرازيّ القمّيّ في كتاب «كفاية الأثر في النصوص على الأئمّة الاثني عشر» [٣٨] بسنده المتّصل عن عليّ بن حسن بن مندة ، عن محمّد بن الحسين الكوفيّ المعروف بأبي الحكم ، عن إسماعيل بن موسى بن إبراهيم ، عن سليمان بن حبيب ، عن شريك ، عن حكيم بن جبير ، عن إبراهيم النخعيّ ، عن علقمة بن قيس ، قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة ، خطبته اللؤلؤيّة فقال فيما قال في آخرها : أَلَا وَإِنّي ظَاعِنٌ عَنْ قَرِيبٍ وَمُنْطَلِقٌ إلى المَغيبِ ، فَارتَقِبُوا الفِتْنَةَ الأَمَوِيّةَ وَالمَمْلَكَةَ الكِسْرَوِيّةَ ، وَإِمَاتَةَ مَا أَحْيَاهُ اللَهُ ، وَإِحْيَاءَ مَا أَمَاتَهُ اللَهُ ، وَاتّخِذُوا صَوَامِعَكُمْ بُيُوتَكُمْ ، وَعَضّوا عَلَى مِثْلِ جَمْرِ الغَضَا ، وَاذْكُرُوا اللَهَ كَثِيراً فَذِكْرُهُ أَكْبَرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ .

ثُمّ قَالَ : وَتُبْنَى مَدِينَةٌ يُقَالُ لَهَا الزّوْرَاءُ بَيْنَ دِجْلَةَ وَدُجَيْلٍ وَالفُرَاتِ . فَلَوْ رَأَيْتُمُوهَا مُشَيّدَةً بِالجَصّ وَالآجُرّ ، مُزَخْرَفَةً بِالذّهَبِ وَالفِضّةِ وَاللّازِوَرْدِ المُسْتَسْقَى وَالمَرْمَرِ وَالرّخَامِ [٣٩] وَأَبْوَابِ العَاجِ وَالأَبْنُوسِ وَالخِيمِ وَالقُبَابِ وَالسّتَاراتِ وَقَدْ عُلِيَتْ بِالسّاجِ وَالعَرْعَرِ وَالصّنَوْبَرِ وَالشّبّ وَشُيّدَتْ بِالقُصُورِ ، وَتَوَالَتْ عَلَيْهَا مُلْكُ بَنِي شَيْصَبَانَ : أَرْبَعَةٌ وَعِشْرونَ مَلِكاً عَلَى عَدَدِ سِنِي المُلْكِ «كد» ، فِيهِمُ السّفّاحُ وَالمِقْلَاصُ وَالجَمُوعُ وَالخَدُوعُ وَالمُظَفّرُ وَالمُؤَنّثُ وَالنّظّارُ وَالكَبْشُ وَالمُتَهَوّرُ وَالعَشّارُ وَالمُضْطَلِمُ وَالمُسْتَصْعَبُ وَالعَلّامُ وَالرّهْبَانِيّ وَالخَلِيعُ وَالسّيّارُ وَالمُتْرَفُ وَالكَدِيدُ وَالأَكْتَبُ وَالمُتْرَفُ وَالأَكْلَبُ وَالوَثِيمُ وَالظّلّامُ وَالعَيْنُوقُ . (وهم بالترتيب : السفّاح ، والمنصور ، والمهدي ، والهادي ، والرشيد ، والأمين محمّد بن زبيدة ، والمأمون ، والمعتصم ، والواثق ، والمنتصر ، والمستعين ، والمعتزّ ، والمعتمد ، والمعتضد ، والمتّقي ، والمقتدر ، والقاهر ، والراضي ، والمكتفي ، والمطيع .)

وَتُعْمَلُ القُبّةُ الغَبْرَاءُ ذَاتُ الفَلَاةِ الحَمْرَاءِ ، وَفِي عَقِبِهَا قَائِمُ الحَقّ يَسْفَرُ عَنْ وَجْهِهِ بَيْنَ الأَقَالِيم كَالقَمَرِ المُضِيءِ بَيْنَ الكَوَاكِبِ الدّرّيّةِ . أَلَا وَإِنّ لِخُرُوجِهِ عَلَامَاتٍ عَشَرَةً : أَوّلُهَا طُلُوعُ الكَوْكَبِ ذِي الذّنَبِ وَيُقَارِبُ مِنَ الحَادِي ، وَيَقَعُ فِيهِ هَرْجٌ وَمَرْجٌ وَشَغَبٌ ، وَتِلْكَ عَلَامَاتُ الخِصْبِ ، وَمِنَ العَلَامَةِ إِلَى العَلَامَةِ عَجَبٌ . فَإِذَا انْقَضَتِ العَلَامَاتُ العَشْرُ إِذْ ذَاكَ يَظْهَرُ بِنَا القَمَرُ . وَتَمّتْ كَلِمَةُ الإِخْلَاصِ لِلّهِ عَلَى التّوْحِيدِ . [٤٠]

قال المجلسيّ في شرح هذا الخبر : الشّيْصَبَانُ اسم الشيطان . وبنو العبّاس هم أشراك الشيطان . وإنّما عدّهم أربعة وعشرين مع كونهم سبعة وثلاثين لعدم الاعتناء بمن قلّ زمان ملكه وضعف سلطانه منهم . [٤١]

وقال عليّ بن محمّد الخزّاز الرازيّ الذي نقل الرواية في كتابه إلى هذا الموضع : فقام إليه رجل يقال له : عامر بن كثير ، فقال : يا أمير المؤمنين ! لقد أخبرتنا عن أئمّة الكفر وخلفاء الباطل ، فأخبرنا عن أئمّة الحقّ وألسنة الصدق بعدك .

قال : نعم ، إنّه لعهد عهده إليّ رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم أنّ هذا الأمر يملكه اثنا عشر إماماً ، تسعة من صلب الحسين . ولقد قال لي رسول الله : لمّا عُرج بي إلى السماء ، نظرت إلى ساق العرش فإذا فيه مكتوب : لَا إِلَهَ إِلّا اللَهُ ، مُحَمّدٌ رَسُولُ اللَهِ ، أَيّدْتُهُ بِعَلِيّ ، وَنَصَرْتُهُ بِعَلِى ّ . ورأيت اثني عشر نوراً ، فقلتُ : يا ربّ ! أنوار من هذه ؟ فنوديتُ : يا محمّد ! هذه أنوار الأئمّة من ذرّيّتك .

[قال أمير المؤمنين عليه السلام] : قلتُ : يا رسول الله ! أفلا تسمّيهم لي ؟! قال : نعم ، أنتَ الإمام والخليفة بعدي ، تقضي دَيني وتنجز عِداتي . وبعدك ابناك الحسن والحسين . بعد الحسين ابنه عليّ زين العابدين ، وبعده ابنه محمّد يدعى بالباقر . وبعد محمّد ابنه جعفر يدعى بالصادق ، وبعد جعفر ابنه موسى يدعى بالكاظم ، وبعد موسى ابنه عليّ يُدعى بالرضا ، وبعد عليّ ابنه محمّد يُدعى بالزكيّ ، وبعد محمّد ابنه عليّ يدعى بالنقيّ ، وبعد عليّ ابنه الحسن يدعى بالأمين ، والقائم من ولد الحسن سميّي وأشبه الناس بي ، يَمْلَأُهَا قِسْطاً وَعَدْلاً كَمَا مُلِئَتْ جَوْراً وَظُلْماً ــ الحديث . (٤٢)

ومن ذلك ، قال ابن شهرآشوب : قال أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة القصيّة : العَجَبُ كُلّ العَجَبِ بَيْنَ جُمَادَى وَرَجَبٍ . وقوله عليه السلام : وَأَيّ عَجَبٍ أَعْجَبُ مِنْ أَمْوَاتٍ يَضْرِبُونَ هَامَاتِ الأَحْيَاءِ . (٤٣)

لقد أخبر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بمقتل ثلّة من أصحابه ، منهم : حُجر بن عَديّ ، ورُشَيْد الهَجَريّ ، وكُمَيْل بن زياد [النّخَعيّ] ، وميثَم التّمّار ومحمّد بن أكْثَم ، وخالد بن مسعود ، وحبيب بن مَظاهر ، وجُوَيْرِيَة ابن مُسْهِر ، وعمرو بن الحَمِق ، وقنبر ، ومُذَرّع ، (٤٤) وغيرهم . ووصف قاتليهم وكيفيّة قتلهم . (٤٥)

وقال الشيخ المفيد في «الإرشاد» : ومن ذلك ما رواه عبد العزيز بن صهيب ، عن أبي العالية قال : حدّثني مُزَرّع بن عبد الله ، قال : سمعتُ أمير المؤمنين عليه السلام يقول : أَمْ وَاللَهِ لَيُقْبِلَنّ جَيْشٌ حَتّى إِذَا كَانَ بِالبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ .

[قال أبو العالية :] فقلتُ له : إنّك لتحدّثني بالغيب ؟ قال : احْفَظْ مَا أَقُولُ لَكَ ؛ وَاللَهِ لَيَكُونَنّ مَا أَخْبَرَنِي بِهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السّلَامُ وَلَيُؤْخَذَنّ رَجُلٌ فَلَيَقْتُلَنّ وَلَيُصلَبَنّ بَيْنَ شُرْفَتَيْنِ مِنْ شُرَفِ هَذَا المَسْجِدِ .

قال أبو العالية : قلتُ له : إنّك لتحدّثني بالغيب ؟ قال مزرّع : حَدّثَنِي الثّقَةُ المَأْمُونُ عَلِيّ بْنُ أَبي طَالِبٍ .

قال أبو العالية : فَمَا أَتَتْ عَلَيْنَا جُمُعَةٌ حَتّى أُخِذَ مُزَرّعٌ فَقُتِلَ وَصُلِبَ بَيْنَ الشّرْفَتَيْنِ . قَالَ : وَقَدْ كَانَ حَدّثَنِي بِثَالِثَةٍ فَنَسِيتُهَا . (٤٦)

روى ابن شهرآشوب هذا الحديث في مناقبه . (٤٧) ورواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، عن أبي داود الطيالسيّ ، عن سليمان بن زريق ، عن عبد العزيز بن صهيب ، عن أبي العالية ، عن مزرّع . وقال ابن أبي الحديد في آخره : أقول : حديث الخسف بالجيش قد خرّجه البخاريّ ، ومسلم في الصحيحين عن أُمّ سَلِمَة رضي الله عنها قالت : سمعت رسول الله صلّى الله عليه وآله يقول : يَعُوذُ قَوْمٌ بِالبَيْتِ حَتّى إذَا كَانُوا بِالبَيْدَاءِ خُسِفَ بِهِمْ .

قالت أُمّ سلمة : فقلتُ : يا رسول الله لعلّ فيهم المكره أو الكاره . فقال : يخسف بهم . ولكن قال : يحشرون ــ أو قال : يبعثون ــ على نيّاتهم يوم القيامة .

قال الراويّ : فسئل أبو جعفر محمّد بن عليّ ، أهي بيداء من الأرض ؟ فقال : كَلّا ؛ واللَهِ إنّهَا بَيْدَاءُ المَدِينَةِ . أخرج البخاريّ بعضه ، وأخرج مسلم الباقي . (٤٨)

* * *

قال ابن أبي الحديد في ذيل الخطبة : فَقُمْتُ بِالأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا ، وَتَطلّعْتُ حِينَ تَقَبّعُوا . (٤٩) ضمن فصل في الأخبار الواردة في معرفة الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام بالأُمور الغيبيّة : روى محمّد بن عليّ الصوّاف عن الحسين بن سفيان ، عن أبيه ، عن شَمير بن سَدير الأزديّ . قال : قال عليّ عليه السلام لعَمْرِو بْنِ الحَمِقِ الخُزاعِيّ : أين نزلتَ يا عمرو ؟ قال : في قومي . قال : لا تنزلنّ فيهم . قال : أفأنزل في بني كنانة جيراننا ؟ قال : لا . قال : أفأنزل في ثقيف ؟

قال [أمير المؤمنين عليه السلام] : فَمَا تَصْنَعُ بِالمَعَرّةِ وَالمَجَرّةِ ؟ قال : وما هما ؟ قال : عنقان من نار ، يخرجان من ظهر الكوفة . يأتي أحدهما على تميم وبكر بن وائل . فقلّما يفلت منه أحد . ويأتي العنق الآخر ، فيأخذ على الجانب الآخر من الكوفة ، فقلّ من يصيب منهم ، إنّما يدخل الدار ، فيحرق البيت والبيتين .

قال عمرو : فأين أنزل ؟ قال : أنزل في بني عمرو بن عامر ، من الأزد .

فقال قوم حضروا هذا الكلام : مَا نَرَاهُ إلّا كَاهِناً يَتَحَدّثُ بِحَدِيثِ الكَهَنَةِ .

[فالتفت أمير المؤمنين عليه السلام إلى عمرو] فقال : يَا عَمْرُو ! وإنّكَ لَمَقْتُولُ بَعْدِي ، وَإنّ رَأْسَكَ لَمَنْقُولٌ ، وَهُوَ أَوّلُ رَأْسٍ يُنْقَلُ فِي الإسْلَامِ . وَالوَيْلُ لِقَاتِلِكَ ! أَمَا إنّكَ لَا تَنْزِلُ بِقَوْمٍ إلّا أَسْلَمُوكَ بِرُمّتِكَ ، إلّا هَذَا الحَيّ مِنْ بَنِي عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ مِنَ الأَزْدِ فَإنّهُمْ لَنْ يُسْلِمُوكَ وَلَنْ يَخْذُلُوكَ .

قال [راوي الرواية شمير بن سَدير] : فوالله ما مضت الأيّام حتّى تنقّل عمرو بن الحمق في أيّام معاوية في بعض أحياء العرب خائفاً مذعوراً حتّى نزل في قومه من بني

خزاعة فأسلموه ، فقُتل ، وحُمل رأسه من العراق إلى معاوية بالشام ، وهو أوّل رأس حُمل في الإسلام من بلد إلى بلد . (٥٠)

وقال الشيخ المفيد في «الإرشاد» : ومن ذلك ما رواه جرير عن المغيرة ، قال : لمّا وُلّي الحجّاج ، طلب كُميل بن زياد ، فهرب منه ، فحرم قومه عطاءهم . فلمّا رأى كميل ذلك ، قال : أنا شيخ كبير وقد نفد عمري ، لا ينبغي أن أحرم قومي عطاءهم . فخرج ، فدفع بيده إلى الحجّاج . فلمّا رآه ، قال له : لقد كنت أحبّ أن أجد عليك سبيلاً . فقال له كُميل : لا تصرف عَلَيّ أنيابك ، ولا تهدم عَلَيّ . فو الله ما بقي من عمري إلّا مثل كواسل الغبار ، فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ ، فَإنّ المَوْعِدَ لِلّهِ ، وَبَعْدَ القَتْلِ الحِسَابُ ، وَلَقَدْ خَبّرَنِي أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيهِ السّلَامُ أَنّكَ قَاتِلِي .

قال : فقال له الحجّاج : الحُجّةُ عَليكَ إذَنْ . فقال له كميل : ذَاكَ إذَا كَانَ القَضَاءُ إلَيْكَ . قال الحجّاج : بلى ، قد كنتَ فيمن قتل عثمان بن عفّان . اضربوا عنقه ، فَضُرِبت عُنُقُه .

قال المفيد : وهذا خبر رواه نَقَلَة العامّة عن ثقاتهم ، وشاركهم في نقله الخاصّة ومضمونه من باب ما ذكرناه من المعجزات والبراهين البيّنات . (٥١)

* * *

وقال الشيخ المفيد أيضاً : ومن ذلك ما رواه أصحاب السيرة من طرق مختلفة أنّ الحجّاج بن يوسف الثقفيّ قال ذات يوم : أُحبّ أن أُصيبَ رجلاً من أصحاب أبي تراب فأتقرّب إلى الله بدمه ! فقيل له : ما نعلم أحداً كان أطول صحبة لأبي تراب من قنبر مولاه .

فبعث [الحجّاج] في طلبه ، فأُتي به ، فقال له : أنت قنبر ؟ قال : نعم . قال : أبو هَمْدان ؟ قال : نعم . قال : مولى عليّ بن أبي طالب ؟ قال : الله مولاي ، وأمير المؤمنين عليّ وليّ نعمتي .

قال الحجّاج : ابرأ من دينه . قال : فإذا برئتُ من دينه ، تدلّني على دين غيره أفضل منه ؟

قال الحجّاج : إنّي قاتلك ، فاختر أيّ قتلة أحبّ إليك ؟ قال قنبر : قد صيّرتُ ذلك إليك . قال : ولِمَ ؟ قال : لأنّك لا تقتلني قتلةً إلّا قتلتُك مثلها . ولقد خبّرني أمير المؤمنين عليه السلام أنّ منيّتي تكون ذَبحاً ظلماً بغير حقّ . فأمر به الحجّاج فذُبح .

قال الشيخ المفيد : وهذا أيضاً من الأخبار التي صحّت عن أمير المؤمنين عليه السلام بالغيب وحصلت في باب المعجز القاهر والدليل الباهر ، والعلم الذي خصّ الله به حُجَجَه من أنبيائه ورسله وأوصيائه عليهم السلام . وهو لاحق بما قدّمناه . (٥٢)

وروى ابن أبي الحديد عن محمّد بن موسى العنزي أنّه قال : كان مَالِكُ بْنُ ضَمْرَة الرّوَاسِيّ من أصحاب عليّ عليه السلام ، وممّن استبطن من جهته علماً كثيراً . وكان أيضاً قد صحب أبا ذرّ الغفاريّ ، فأخذ من علمه .

وكان يقول في أيّام بني أُميّة : اللَهُمّ لَا تَجْعَلْنِي أَشْقَى الثّلَاثَةِ . فيقال له : وما الثلاثة ؟ فيقول : رَجُلٌ يُرْمَى مِنْ فَوْقِ طَمَارٍ ، وَرَجُلٌ تُقْطَعُ يَدَاهُ وَرِجْلَاهُ وَلِسَانُهُ وَيُصْلَبُ ، وَرَجُلٌ يَمُوتَ عَلَى فِرَاشِهِ . فكان من الناس من يهزأ به ، ويقول : هذا من أكاذيب أبي تُراب . قال العنزيّ : وكان الذي رُمي به من طَمار هَانِئُ بْنُ عُرْوَة ، والذي قُطع وصُلَب رُشَيْدُ الهَجَرِيّ ، ومات مَالِكٌ على فراشه . (٥٣)

وروى ابن أبي الحديد أيضاً عن إبراهيم الثقفيّ ، عن إبراهيم بن العبّاس النّهْدِيّ ، عن مبارك البَجَليّ ، عن أبي بكر بن عيّاش ، عن المجالد ، عن الشعبيّ ، عن زياد بن النضر الحارثيّ ، قال : كنتُ عند زياد ، وقد أُتيَ برشيد الهَجَريّ ، وكان من خواصّ أصحاب عليّ عليه السلام .

فقال له زياد : ما قال خليلك لك إنّا فاعلون بك ؟ قال : تَقْطَعُونَ يَدَيّ وَرِجْلَيّ وَتَصْلبُونَنِي . فقال زياد : أَمَا وَاللَهِ لَأُكَذّبَنّ حَدِيثَهُ . خَلّوا سَبِيلَهُ .

فلمّا أراد رشيد أن يخرج ، قال زياد : ردّوه لا نجد شيئاً أصلح ممّا قال لك صاحبك ، إنّك لا تزال تبغي لنا سوءاً إن بقيت ! اقطَعُوا يَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ . فقطعوا يديه ورجليه ، وهو يتكلّم ، فقال : اصْلُبُوهُ خَنْقاً فِي عُنُقِهِ . فقال رشيد : قد بقي لي عندكم شيء قاله مولاي ، ما أراكم فعلتموه . فقال زياد : اقْطَعُوا لِسَانَهُ .

ولمّا أخرجوا لسانه ليُقطع ، قال : نفّسُوا عنّي أتكلّم كلمة واحدة ، فنفّسُوا عنه ، فقال : هذا والله تصديق خبر أمير المؤمنين . أخبرني بقطع لساني . فقطعوا لسانه وصلبوه . (٥٤)

* * *

وكذلك روى ابن أبي الحديد عن إبراهيم الثقفيّ في كتاب «الغارات» عن أحمد بن الحسن الميثميّ قال : كان ميثم التمّار مولى عليّ عليه السلام عبداً لامرأة من بني أسد ، فاشتراه عليّ عليه السلام منها وأعتقه ، وقال له : ما اسمك ؟ فقال : سالم . فقال عليه السلام : إنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أخبرني أنّ اسمك الذي سمّاك به أبوك في العجم مِيثَم . فقال : صدق الله ورسوله ، وصدقتَ [يا أمير المؤمنين] ! فهو والله اسمي . قال : فارجع إلى اسمك ، ودع سالماً ، فنحن نكنّيك به ، فكنّاه أبا سالم . قال [الرواي أحمد بن الحسن الميثميّ] : وقد كان أطلعه عليّ عليه السلام على علم كثير ، وأسرار خفيّة من أسرار الوصيّة ، فكان ميثم يحدّث ببعض ذلك ، فيشكّ فيه قوم من أهل الكوفة ، وينسبون عليّاً عليه السلام في ذلك إلى المخرقة [اختلاق الكذب] والإيهام والتدليس ، حتّى قال له [أمير المؤمنين عليه السلام] يوماً بمحضرٍ من خلقٍ كثير من أصحابه ، وفيهم

الشاكّ والمخلِص : يَا مِيثَمُ ! إنّكَ تُؤْخَذُ بَعْدِي وَتُصْلَبُ ، فَإذَا كَانَ اليَوْمُ الثّانِي ابْتَدَرَ مُنْخُراكَ وَفَمُكَ دَماً حَتّى تُخْضَبَ لِحْيَتُكَ . فَإذَا كَانَ اليَوْمَ الثّالِثُ طُعِنْتَ بِحَرْبَةٍ يُقْضَى عَلَيْكَ ، فَانْتَظِرْ ذَلِكَ . والموضع الذي تصلب فيه على باب دار عمرو بن حريث . إنّك لعاشر عشرة أنت أقصرهم خشبة ، وأقربهم من المطهرة ــ يعني الأرض ــ ولأُرينّك النخلة التي تصلب على جِذعها . ثمّ أراه إيّاها بعد ذلك بيومين .

فكان ميثم يأتيها ، فيصليّ عندها ، ويقول : بُورِكْتِ مِنْ نَخْلَةٍ ، لَكِ خُلِقْتُ ، وَلِي نَبَتّ . ولم يزل يتعاهدها بعد قتل عليّ عليه السلام ، حتّى قطعت ، فكان يرصد جذعها ، ويتعاهده ، ويتردّد إليه ، ويبصره . وكان يلقى عمرو بن حريث ، فيقول له : إنّي مجاورك فأحسن جواري . فلا يعلم عمرو ما يريد ، فيقول له : أتُريد أن تشتري دار ابن مسعود ، أم دار ابن حكيم ؟

قال [أحمد بن الحسن الميثميّ] وحجّ ميثم في السنة التي قُتل فيها ، فدخل على أُمّ سلمة رضي الله عنها ، فقالت له : من أنتَ ؟ قال : عراقيّ . فاستنسبَتهُ . فذكر لها أنّه مولى عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فقالت : أنت هَيْثَمٌ ؟ قال : بَلْ أَنَا مَيْثَمٌ . فقالت : سُبْحَانَ اللَهِ ، وَاللَهِ لَرُبّمَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ يُوصِي بِكَ عَلِيّاً فِي جَوْفِ اللّيْلِ .

فسألها [ميثم] عن الحسين بن عليّ عليه السلام فقالت : هو في حائط [بُستان] له . قال : أخبريه أنّي أحببتُ السلام عليه ، ونحن ملتقون عند ربّ العالمين إن شاء الله . ولا أقدر اليوم على لقائه ، وأُريد الرجوع .

فدعت أُمّ سلمة بطيب ، فطيّبت لِحيَتَهُ فقال لها : أَمَا إنّهَا سُتُخْضَب بِدَمٍ . فقالت : من أنبأك هذا ؟ قال : أَنْبَأَنِي سَيّدي . فبكت ، وقالت له : إنّهُ لَيْسَ بِسَيّدِكَ وَحْدَكَ ، هُوَ سَيّدِي وَسَيّدُ المُسْلِمِينَ أَجْمَعِينَ .

ثمّ ودّعَتْهُ ، فقدم الكوفة . فأُخذ وأُدخل على عبيد الله بن زياد . وقيل له : هذا كان من آثرِ الناس عند أبي تراب . قال عبيد الله : وَيْحَكُمْ هَذَا الأَعْجَمِيّ ؟ قالوا : نعم . فقال له عبيد الله : أين ربّك ؟ قال : بالمرصاد .

قال عبيد الله : قد بلغني اختصاص أبي تراب لك . قال : قد كان بعض ذلك ، فما تريد ؟ قال : وإنّه يقال إنّه قد أخبرك بما سيلقاك . قال : نعم ، إنّه أخبرني .

قال عبيد الله : ما الذي أخبرك أنّي صانع بك ؟ قال ميثم : أخبرني أنّك تصلبني عاشر عشرة . وأنا أقصرهم خشبة ، وأقربهم من المطهرة . قال عبيد الله : لَأُخالفنّه .

قال [ميثم] : وَيْحَكَ ! كيف تخالفه ؟ إنّما أخبر عن رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وأخبر رسول الله عن جبرائيل ، وأخبر جبرائيل عن الله . فكيف تخالف هؤلاء ؟ أما والله لقد عرفتُ الموضع الذي أُصلب فيه أين هو من الكوفة ، وأنّي لأوّل خلق الله أُلجم في الإسلام بلجام ، كما يُلجَم الخيل . فحبسه وحبس معه المختار بن أبي عبيدة الثّقفيّ . فقال

ميثم للمختار وهما في حبس ابن زياد : إنّك تُفلِت وتخرج ثائراً بدم الحسين عليه السلام ، فتقتل هذا الجبّار الذي نحن في سجنه ، وتطأ بقدمك هذا على جبهته وخدّيه .

فلمّا دعا عبيد الله بن زياد بالمختار ليقتله ، طلع البريد بكتاب يزيد ابن معاوية إلى عبيد الله بن زياد ، يأمره بتخلية سبيله . وذاك أنّ أُخته كانت تحت عبد الله بن عمر بن الخطّاب . فسألت بعلها أن يشفع فيه إلى يزيد فشفع ، فأمضى شفاعته ، وكتب بتخلية سبيل المختار على البريد . فوافى البريد ، وقد أُخرج ليضرب عنقه ، فأُطلق .

وأمّا ميثم ، فأُخرج بعده ليُصلَب . وقال عبيد الله : والله لأمضينّ حكم أبي تراب فيه ، فلقيه رجل ، فقال له : مَا كَانَ أَغْنَاكَ عَنْ هَذَا يَا مَيْثَمُ ؟ فتبسّم ، وقال : لَهَا خُلِقْتُ ، وَلِي غُذِيَتْ .

ولمّا رفع على الخشبة ، اجتمع الناس حوله على باب عمرو بن حريث . فقال عمرو : لقد كان يقول لي : إنّي مجاورك . وكان يأمر جاريته كلّ عشيّة أن تكنس تحت خشبته وترشّه ، وتجمّر بالمجمر تحته .

فجعل ميثم يحدّث بفضائل بني هاشم ، ومخازي بني أُميّة ، وهو مصلوب على الخشبة . فقيل لابن زياد : قد فضحكم هذا العبد . فقال : ألجموه . فأُلجم فكان أوّل خلق الله أُلجم في الإسلام . فلمّا كان في اليوم الثاني ، فاضت منخراه وفمه دماً . فلمّا كان في اليوم الثالث ، طُعن بحربة فمات . وكان قتل ميثم قبل قدوم الحسين عليه السلام كربلاء بعشرة أيّام . (٥٥)

لقد مرّ بنا أنّ هذه الضروب من الأخبار بالغيب التي ظهرت من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام لم تكن أخباراً محضة فحسب أخبر بها الإمام عليه السلام ، بل كانت تنمّ عن صفاء بصيرة المخبَرين ونقاء ضمائرهم وأذهانهم بسبب تعليم الإمام وتربيته وتزكيته لهم ، فكانوا واقفين على كلّ أمر ، وكانوا يشاهدون في تلك المرآة حوادث المستقبل التي لم تقع بعد ، فيخبروا بها . وبلغ الأمر عند بعضهم مبلغاً أنّهم اشتهروا به كرُشَيْد الهَجَريّ الذي كان يقال له : رُشَيْدُ البَلَايَا .

وكان أمير المؤمنين عليه السلام محيطاً بهذه الأُمور جميعها . وعُجن علمه الحضوريّ في جميع الأحوال بنفسه الشريفة وامتزج بها . وصار بحكم غريزته وصفاته الأوّليّة والذاتيّة . صلوات الله عليه .

* * *

* * *

وقال عليه السلام في «نهج البلاغة» : أَرْسَلَهُ دَاعِيَاً إِلَى الحَقّ وَشَاهِدَاً عَلَى الخَلْق ، فَبَلّغَ رِسَالَاتِ رَبّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصّرٍ ، وَجَاهَدَ فِي اللّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذّرٍ ، إِمَامُ مَنِ اتّقَى ، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى .

وقال في جملتها : لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ إِذاً لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصّعُدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا خَالِفَ عَلَيْهَا ، وَلَهَمّتْ كُلّ امْرِىءٍ نَفْسُهُ لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا ، وَلَكِنّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ [٥٦] ــ إلى آخر الخطبة . [٥٧]

ومن جملة الأخبار التي أخبر بها أميرالمؤمنين عليه السلام إخباره بقتله وخضب لحيته من دم رأسه . ويمكننا أن نعدّ هذا الخبر في جملة الأخبار المتواترة ، إذ لا نجد كتاباً في التأريخ والسيرة والحديث إلّا ذكره ، سواءً كان للشيعة أم للعامّة ، أو كان للمؤالف أم للمخالف .

روى الشاذكونيّ عن حمّاد ، عن يحيى ، عن ابن عتيق ، عن ابن سيرين أنّه قال : إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَعْرِفُ أَجَلَهُ فَعَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيهِ السّلَامُ . [٥٨]

قال الشيخ المفيد في «الإرشاد» : ومن ذلك (أي من جملة معجزات أمير المؤمنين عليه السلام وإخباره بالغيب) ما تواترت به الروايات من نعيه عليه السلام نفسه قبل وفاته ، والخبر عن الحادث في قتله ، وأنّه يخرج من الدنيا شهيداً بضربة في رأسه يخضب دمها لحيته ، وكان الأمر في ذلك كما قال .

فمن اللفظ الذي رواه الرواة في ذلك قوله عليه السلام : وَاللّهِ لَتُخْضَبَنّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ــ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ . [٥٩]

وقوله أيضاً : وَاللّهِ لَيَخْضِبَنّهَا مِنْ فَوْقِهَا ــ وَأَوْمَأَ إِلَى شَيْبَتِهِ . [٦٠]

[وقوله عليه السلام] : مَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَهَا مِنْ فَوْقِهَا بِدَمٍ ؟ [٦١]

وقوله عليه السلام : مَا يَمْنَعُ أَشْقَاهَا أَنْ يَخْضِبَهَا مِنْ فَوْقِهَا بِدَمٍ ؟ [٦٢]

وقوله عليه السلام : أَتَاكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ وَهُوَ سَيّدُ الشّهُورِ وَأَوّلُ السّنَةِ ، وَفِيهِ تَدُورُ رَحَى السّلْطَانِ ، أَلَا وَإِنّكُمْ حَاجّو العَامِ صَفّاً وَاحِدَاً ، وَآيَةُ ذَلِكَ أَ نّي لَسْتُ فِيكُمْ . [٦٣]

وكان بعض أصحابه يقولون : إنّه ينعى إلينا نفسه . فضُرب عليه السلام في ليلة تسع عشرة . ومضى في ليلة إحدى وعشرين من ذلك الشهر .

ومنها ما رواه الثقات عنه أنّه كان عليه السلام يفطر في شهر رمضان ليلة عند الحسن ، وليلة عند الحسين ، وليلة عند عبد الله بن عبّاس ، لا يزيد على ثلاث لقم . فقال له أحد ولديه ــ الحسن أو الحسين عليهما السلام ــ في ذلك ، فَقَالَ : يَا بُنَيّ ، يَأْتِي أَمْرُ اللّهِ وَأَنَا خَمِيصٌ . إِنّمَا هِيَ لَيْلَةٌ أَوْ لَيْلَتَانِ ــ فَأُصِيبَ مِنَ اللّيْلِ . [٦٤]

ومنها ما رواه أصحاب الآثار أنّ جُعْدَةَ بْنَ بَعْجَة ــ رجلاً من الخوارج ــ قال لأمير المؤمنين عليه السلام : اتّقِ اللَهَ يَا عَلِيّ ! فَإنّكَ مَيّتٌ . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : بَلْ وَاللَهِ مَقْتُولٌ قَتْلاً ضَرْبَةً عَلَى هَذِهِ تُخْضَبُ هَذِهِ ــ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ ــ عَهْدٌ مَعْهُودٌ ، وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَى . (٦٥)

و[منها] قوله عليه السلام في الليلة التي ضربه الشقيّ في آخرها ، وقد توجّه إلى المسجد ، فصاح الإوزّ في وجهه ، فطردهنّ الناس عنه ، فقال : اتْرُكُوهُنّ فَإنّهُنّ نَوَائِحُ . (٦٦)

وروى ابن شهرآشوب في مناقبه عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ عليّاً عليه السلام أمر أن يُكتَبَ له [اسم] من يدخل الكوفة . فكُتب له أُناسٌ ورفعت أسماؤهم في صحيفة فقرأها ، فلمّا مرّ على اسم ابن ملجم ، وضع إصبعه على اسمه ثمّ قال : قَاتَلَكَ اللَهُ ، قَاتَلَكَ اللَهُ . ولمّا قيل له : إذا علمتَ أنّه يقتلك ، فَلِم لا تقتله ؟ قال : إنّ الله تعالى لا يعذّب العبد حتّى تقع منه المعصية . وتارة يقول : إذا قتلتُه ، فمن يقتلني ؟! (٦٧)

وذكر ابن شهرآشوب أيضاً عن الصفوانيّ في «الإحن والمحن» ، عن الأصبغ بن نُباتة أنّه قال : سَمِعْتُ عَلِيّاً عَلَيهِ السّلَامُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَلَ بِجُمُعَةٍ يَقُولُ : أَلَا مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ بَنِي عَبْدِ المُطّلِبِ فَلْيَدْنُ مِنّي . لَا تَقْتُلُوا غَيْرَ قَاتِلِي ، أَلَا لَا أُلْفِيَنّكُمْ غَدَاً تُحِيطُونَ النّاسَ بِأَسْيَافِكُمْ تَقُولُونَ : قُتِلَ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ . (٦٨)

وخصّص ابن حجر الهيتميّ في الباب التاسع من كتاب «الصواعق المحرقة» للأخبار الواردة في استشهاد الإمام عليه السلام . وذكر أخباراً جمّة عن مصادر موثوقة عند العامّة في إخبار الإمام باستشهاده ، وتعيين الليلة التي ضُرب فيها ، وخضب لحيته بدم رأسه . وهي خليقة بالمطالعة والإمعان حقّاً . (٦٩)

وورد هذا الموضوع مفصّلاً في ترجمة «تاريخ الأعثم الكوفيّ» إذ ذُكر فيه كيفيّة استشهاد الإمام عليه السلام وإخباره بذلك على نحو مفصّل .

وروى ابن الأثير الجزريّ في كتاب «أُسد الغابة» عن أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : قَالَ لِي رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ : مَنْ أَشْقَى الأَوّلِينَ ؟ قُلْتُ : عَاقِرُ النّاقَةِ . قَالَ : صَدَقْتَ . قَالَ : فَمَنْ أَشْقَى الآخِرِينَ ؟ قُلْتُ : لَا عِلْمَ لِي يَا رَسُولَ اللَهِ . قَالَ : الّذِي يَضْرِبُكَ عَلَى هَذَا ــ وَأَشَارَ إِلَى يَافُوخِهِ (اليافوخ موضع في مقدّمة الرأس بين العظم الواقع في مقدّمة الرأس وعظم المخّ . وهذا الموضع ليّن عند الأطفال . وإذا ما وضعت عليه اليد ، انغمست فيه) . وَكَانَ يَقُولُ : وَدِدْتُ أَنّهُ قَدِ انْبَعَثَ أَشْقَاكُمْ فَخَضَبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ــ يَعْنِي لِحْيَتَهُ مِنْ دَمِ رَأْسِهِ . (٧٠)

وكذلك روى ابن الأثير عن أبي الطّفيل أَنّ عَلِيّاً جَمَعَ النّاسَ لِلْبَيْعَةِ . فَجَاءَ عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ المُرَادِيّ ، فَرَدّهُ مَرّتَيْنِ ، ثُمّ قَالَ : مَا يَحْبِسُ أَشْقَاهَا ؟ فَوَ اللَهِ لَيَخْضِبَنّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ . ثُمّ تَمَثّلَ :

اشْدُدْ حَيَازِيمَكَ لِلْمَوْتِ
فَإِنّ المَوْتَ لَاقِيكَا
وَلَا تَجْزَعْ مِنَ القَتْلِ
إِذَا حَلّ بِوَادِيكَا (٧١)

وقال ابن سعد في «الطبقات» بعد ذكر الحديث الأخير عن أبي الطفيل : وزاد غير أبي نعيم فضل بن الدّكَين في هذا الحديث بهذا الإسناد عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام قوله : وَاللَهِ ! إِنّهُ لَعَهْدُ النّبِيّ الأُمّي صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ إِلَيّ . (٧٢)

وكذلك روى ابن سعد بسنده عن محمّد بن سيرين أنّ عليّ بن أبي طالب قال لابن ملجم :

أُرِيدُ حِبَاءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي
عَذِيرَكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ (٧٣)

وقال ابن الجزريّ في «النهاية» : جاء في حديث عليّ عليه السلام أنّه قال وهو ينظر إلى ابن ملجم : عذيرك من خليلك من مراد يقال : عذيرك من فلان بالنصب ، أي : هات من يعذرك فيه . وفعيل هنا بمعنى اسم الفاعل .

وروى ابن سعد أيضاً بسنده عن أبي مِجلَز قال : جاء رجل من مراد إلى عليّ وهو يصلّي في المسجد ، فقال : احترس فإنّ ناساً من مُراد يريدون قتلك . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّ مَعَ كُلّ رَجُلٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ مِمّا لَمْ يُقَدّرْ ، فَإِذَا جَاءَ القَدَرُ خَلّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ . وَإِنّ الأَجَلَ جُنّةٌ حَصِينَةٌ . (٧٤)

وروى بسنده عن عُبيدة أنّه قال : قال عليّ عليه السلام : مَا يَحْبِسُ أَشْقَاكُمْ أَنْ يَجِيءَ فَيَقْتُلَنِي ؟ اللَهُمّ قَدْ سَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي ، فَأَرِحْهُمْ مِنّي وَأَرِحني مِنْهُمْ . (٧٥)

وروى بسنده عن عبد الله بن سَبْع قال : سمعتُ عليّاً عليه السلام يقول : لَتُخْضَبَنّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ . فَمَا يَنْتَظِرُ بِالأَشْقَى ؟ قَالَوا : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ فَأَخْبِرْنَا بِهِ نُبِيرُ عِتْرَتَهُ . فَقَالَ : إِذَنْ تَقْتُلُوا بِي غَيْرَ قَاتِلِي . (٧٦)

وروى بسنده عن أُمّ جعفر : سريّة عليّ بن أبي طالب قالت : إِنّي لأصبّ على يَدي عَلِيّ الماء إذ رفع رأسه ، فأخذ بلحيته فرفعها إلى أنفه فقال : وَاهَاً لَكِ لِتُخْضَبَنّ بِدَمٍ . قَالَتْ : فَأُصِيبَ يَوْمَ الجُمُعَةِ . (٧٧)

وروى ابن سعد أيضاً بسنده عن محمّد بن الحنفيّة قال : دخل علينا ابن ملجم وأنا وحسن ، وحسين جلوس في الحمّام . فلمّا دخل كأنّهما اشمأزّا منه ، وقالا : مَا أَجْرَأَكَ

تَدْخُلُ عَلَيْنَا ! قال ابن الحنفيّة : قلتُ لهما : دعاه عنكما فَلَعَمْرِي مَا يُرِيدُ بِكُمَا أَحْشَمَ مِنْ هَذَا . فلمّا كان يوم أُتي به أسيراً ، قال ابن الحنفيّة : ما أنا اليوم بأعرف به منّي يوم دخل علينا الحمّام .

قال أمير المؤمنين عليه السلام : إنّهُ أَسِيرٌ فَأَحْسِنُوا نُزُلَهُ وَأَكْرِمُوا مَثْوَاهُ ، فَإِنْ بَقِيتُ قَتَلْتُ أَوْ عَفَوْتُ . وَإِنْ مُتّ فَاقْتُلُوهُ قِتْلَتِي . وَلَا تَعْتَدُوا «إِنّ اللَهَ لَا يُحِبّ الْمُعْتَدِينَ» . [٧٨]

وروى سبط ابن الجَوزيّ في كتاب «تذكرة خواصّ الأُمّة» عن أحمد بن حنبل في «المسند» بسنده المتّصل عن فُضالة بن أبي فُضالة الأنصاريّ ، وكان أبو فضالة من أهل بدر قال : خرجتُ مع أبي عائداً لعليّ بن أبي طالب من مرض أصابه قبل منيّته ، فقال له أبي : مَا يُقِيمُكَ هَا هُنَا بَيْنَ أَعْرَابِ جَهِينَةَ ؟ تَحَمّلْ إِلَى المَدِينَةِ فَإِنْ أَصَابَكَ أَجَلُكَ وَلِيَكَ أَصْحَابُكَ وَأَصْحَابُ القُرْآنِ ، وَصَلّوا عَلَيْكَ . فقال عليّ عليه السلام : إنّ رَسُولَ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهِدَ إِلَيّ أَنْ لَا أَمُوتَ حَتّى تُخْضَبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ــ أي : لِحْيَتُهُ مِنْ دَمِ هَامَتِهِ . [و] قُتل أبو فُضالة مع عليّ عليه السلام بصفّين . [٧٩]

وقال سبط ابن الجَوْزيّ : أنشد عليّ عليه السلام قبيل قتله بأيّام :

تِلْكُمْ قُرَيْشٌ تَمَنّانِي لِتَقْتُلَنِي
فَلَا وَرَبّكَ لَا فَازُوا وَلَا ظَفَرُوا
فَإِنْ بَقِيتُ فَرَهْنٌ ذِمّتِي لَهُمُ
وَإِنْ عُدِمْتُ فَلَا يَبْقَى لَهُمْ أَثَرُ
وَسَوْفَ يُورِثُهُمْ فَقْدِي عَلَى وَجَلٍ
ذُلّ الحَيَاةِ بِمَا خَانُوا وَمَا غَدَرُوا [٨٠]

وقال ابن شهرآشوب في «المناقب» : رُوي أنّه جرح عَمْرُو بن عَبْدُ ودّ رأس عليّ عليه السلام يوم الخندق ، فجاء إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فشدّه ونفث فيه وقال : أَيْنَ أَكُونُ إِذَا خُضِبَ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ؟ [٨١]

ونقل المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» ، في باب إخبار الرسول بشهادته وإخباره بشهادة نفسه أخباراً كثيرة عن «عيون أخبار الرضا» و«أمالي الصدوق» و«أمالي الشيخ الطوسيّ» و«خصال الصدوق» ، و«الإرشاد» للشيخ المفيد ، و«بصائر الدرجات» للصفّار ، و«مناقب آل أبي طالب» لابن شهرآشوب ، و«تذكرة الخواصّ» و«الخرائج والجرائح» للراونديّ ، و«كشف الغمّة» ، و«فرحة الغريّ» ، وهي أخبار حقيقةٌ بالإمعان وإنعام النظر . [٨٢] ومن هذه الأخبار خبر رواه عن «كنز جامع الفوائد» عن أبي طاهر المقلّد بن غالب ، عن رجاله بإسناده المتّصل إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وهو ساجد يبكي حتّى علا نحيبه وارتفع صوته بالبكاء . فقلنا : يا أمير

المؤمنين ! لقد أمرضنا بكاؤك وأمضّنا وأشجانا ، وما رأيناك قد فعلت مثل هذا الفعل قطّ فقال عليه السلام :

كُنْتُ سَاجِداً أَدْعُو رَبّي بِدُعَاءِ الخَيْرَاتِ فِي سَجْدَتِي فَغَلَبَتْنِي عَيْنِي ، فَرَأَيْتُ رُؤْياً هَالَتْنِي وَقَطَعَتْنِي : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَائِماً وَهُوَ يَقُولُ : يَا أَبَا الحَسَنِ ! طَالَتْ غَيْبَتُكَ فَقَدِ اشْتَقْتُ إِلَى رُؤْيَاكَ ، وَقَدْ أَنْجَزَ لِي رَبّي مَا وَعَدَنِي فِيكَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! وَمَا الّذِي أَنْجَزَ لَكَ فِيّ ؟ قَالَ : أَنْجَزَ لِي فِيكَ وَفِي زَوْجَتِكَ وَابْنَيكَ وَذُرّيّتِكَ فِي الدّرَجَاتِ العُلَى فِي عِلّيّينَ ! قُلْتُ : بِأَبِي أَنْتَ وَأُمّي يَا رَسُولَ اللَهِ فَشِيعَتُنَا ؟ قَالَ : شِيعَتُنَا مَعَنَا ، وَقُصُورُهُمْ بِحِذَاءِ قُصُورِنَا ، وَمَنَازِلُهُمْ مُقَابِلُ مَنَازِلِنَا . قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَهِ ! فَمَا لِشِيعَتِنَا فِي الدّنْيَا ؟ قَالَ : الأَمْنُ وَالعَافِيَةُ . (أي : الأمن من إغواء الشيطان والعافية عن هلاك الدين والإيمان) قُلْتُ : فَمَا لَهُمْ عِنْدَ المَوْتِ ؟ قَالَ : يُحَكّمُ الرّجُلُ فِي نَفْسِهِ وَيُؤْمَرُ مَلَكُ المَوْتِ بِطَاعَتِهِ . قُلْتُ : فَمَا لِذَلِكَ حَدّ يُعْرَفُ ؟ قَالَ : بَلَى ، إِنّ أَشَدّ شِيعَتِنَا لَنَا حُبّاً يَكُونُ خُرُوجُ نَفْسِهِ كَشَرَابِ أَحَدِكُمْ فِي يَوْمِ الصّيْفِ المَاءَ البَارِدَ الّذِي يَنْتَقِعُ بِهِ القُلُوبُ . وَإِنّ سَائِرَهُمْ كَمَا يَغْبِطُ أَحَدُكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ كَأَقَرّ مَا كَانَتْ عَيْنُهُ بِمَوْتِهِ . (٨٣)

قال ابن شهرآشوب : ذكر أبو بكر مَرْدَوَيْه في كتاب «فضائل أمير المؤمنين» ، وأبو بكر الشيرازيّ في كتاب «نزول القرآن» أنّ سعيد بن المسيّب قال : كان عليّ بن أبي طالب يقرأ إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَهَا ، قال : فَوَ الّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُخْضَبَنّ هَذِهِ مِنْ هَذِهِ ــ وَأَشَارَ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ . (٨٤)

وقال ابن شهرآشوب أيضاً : وروى الثعلبيّ والواحديّ بإسنادهما عن عمّار ، وعن عثمان بن صُهَيب ، عن الضحّاك ، وروى ابن مردويه بإسناده عن جابر بن سمرة ؛ وعن صهيب وعن عمار وعن ابن عديّ وعن الضحّاك ؛ والخطيب في التاريخ عن جابر بن سمرة ؛ وروى الطبريّ ، والموصليّ عن عمّار ، وروى أحمد بن حنبل عن الضحّاك أنّه قال النبيّ صلّى الله عليه وآله : يَا عَلِيّ ! أَشْقَى الأَوّلِينَ عَاقِرُ النّاقَةِ ، وَأَشْقَى الآخِرِينَ قَاتِلُكَ . (٨٥)

وقال ابن شهرآشوب : وكان عَبْدُ الرّحْمَنِ بْنُ مُلْجَمٍ التّجوبِيّ عداده من مراد . (٨٦) قال ابن عبّاس : كان من ولد قدّار عاقر ناقة صالح ، وقصّتهما واحدة ، لأنّ قدّار عشق امرأة يقال لها رباب كما عشق ابن ملجم قطاماً . (٨٧)

ثمّ قال : [وقال] أبو مخنف الأزديّ ، وابن راشد ، والرفاعيّ ، والثقفيّ جميعاً : إنّه اجتمع نفر من الخوارج بمكّة فقالوا : إنّا شرينا أنفسنا للّه . فلو أتينا أئمّة الضلال وطلبنا غرّتهم فأرحنا منهم البلاد والعباد .

فقال عبد الرحمن بن ملجم : أنا أكفيكم عليّاً . وقال الحجّاج بن عبد الله السعديّ الملقّب بالبَرَك : أنا أكفيكم معاوية . وقال عمرو بن بكر التميميّ : أنا أكفيكم عمرو بن العاص ، واتّعدوا التاسع عشر من شهر رمضان ، ثمّ تفرّقوا .

فدخل ابن ملجم الكوفة ، فرأى رجلاً من الخوارج من أهل التيم ، تيم الرباب عند قَطَام التيميّة . وكان أمير المؤمنين عليه السلام قتل أباها الأخضر [التيميّ] وأخاها الأصبغ بالنهروان . فشغف بها ابن ملجم وخطبها . فأجابته بمهر ذكره العبديّ في شعر له ، إذ قال :

فَلَمْ أَرَ مَهْراً سَاقَهُ ذُو سَمَاحَةٍ
كَمَهْرِ قَطَامٍ مِنْ فَصِيحٍ وَأَعْجَمِ
ثَلَاثَة آلَافٍ وَعَبْدٍ وَقِيْنَةٍ
وَضَرْبِ عَلِيّ بِالحُسَامِ المُسَمّمِ
فَلَا مَهْرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيّ وَإِنْ غَلَا
وَلَا قَتْلَ إِلّا دُونَ قَتْلِ ابْنِ مُلْجَمِ (٨٨)

فقبل ابن ملجم ذلك ، وقال : ويحك ! من يقدر على قتل عليّ وهو فارس الفرسان ، ومغالب الأقران ، والسبّاق إلى الطعان ؟ وأمّا المال ، فلا بأس عَلَيّ منه . (ولمّا اقترحت قطام أن يكون القتل فتكاً وغيلة ، أعلمها ابن ملجم بطويّته وقال : ما أتيتُ الكوفة إلّا لقتل عليّ) قال : أقبلُ .

فبعثت قطام إلى وردان بن مجالد التميميّ ، وسألته معونة ابن ملجم واستعان ابن ملجم بشبيب بن بَجَرة ، فأعانه . وأعانه رجل من وكلاء عمرو بن العاص بخطّ فيه مائة ألف درهم ، فجعله مهرها .

فأطعمت قطام لهما [ليلة التاسع عشر] اللوزينج والجوزينق (طعام يصنع باللوز والجوز) وسقتهما الخمر العُكبري . فنام شبيب ، وتمتّع ابن ملجم معها . ثمّ قامت فأيقظتهما ، وعصّبت صدورهما بحرير . وتقلّدا سيفيهما وكمنا لعليّ مقابل السدّة . وحضر الأشعث بن قيس لمعونتهما ، فقال لابن ملجم : النّجا ، النّجا لحاجتك فقد ضحك الصبح [وفضحك] .

فأحسّ حُجر بن عديّ ، (وكان من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام) بما أراد الأشعث ، فقال له : قتلتَه يا أشعث ؟ وخرج مبادراً ليمضي إلى أمير المؤمنين ، فدخل [أمير المؤمنين] المسجد ، فسبقه ابن ملجم ، فضربه [على مفرقه] بالسيف . (٨٩)

وقال ابن شهرآشوب : أنشد الإمام الحسن عليه السلام في رثاء أبيه قائلاً :

أَيْنَ مَنْ كَانَ لِعِلْمِ المُصْطَفَى لِلنّاسِ بَابَا ؟
أَيْنَ مَنْ كَانَ إِذَا مَا قَحَطَ النّاسُ سَحَابَا ؟

أَيْنَ مَنْ كَانَ إذَا نُودِيَ فِي الحَرْبِ أَجَابَا ؟
أَيْنَ مَنْ كَانَ دُعَاهُ مُسْتَجَاباً وَمُجَابَا ؟ (٩٠)

وروي عن رسول الله صلّى الله عليه وآله أنّه قال : مَنْ زَارَ عَلِيّاً بَعْدَ وَفَاتِهِ فَلَهُ الجَنّةُ . (٩١)

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : مَنْ تَرَكَ زِيَارَةَ أَمِيرِ المُؤمِنِينَ لَمْ يَنْظُرِ اللَهُ إلَيْهِ ، أَلَا تَزُورُونَ مَنْ تَزُورُهُ المَلَائِكَةُ وَالنّبِيّونَ؟ (٩٢)

وعنه عليه السلام أيضاً : إنّ أَبْوَابَ السّمَاءِ لَتُفْتَحُ عِنْدَ دُعَاءِ الزّائِرِ لِأَمِيرِ المُؤْمِنِينَ ، فَلَا تَكُنْ عِنْدَ الخَيْرِ نَوّامَاً . (٩٣)

وقال ابن مدلّل :

زِرْ بِالغَرِيّ العَالِمِ الرّبّانِي
عَلَمَ الهُدَى وَدَعَائِمَ الإيمَانِ
وَقُلِ السّلَامُ عَلَيكَ يَا خَيْرَ الوَرَى
يَا أَيّهَا النّبَأُ العَظِيمُ الشّانِ
يَا مَنْ عَلَى الأَعْرَافِ يُعْرَفُ فَضْلُهُ
يَا قَاسِمَ الجَنّاتِ وَالنّيرَانِ
نَارٌ تَكُونُ قَسِيمَهَا يَا عُدّتِي
أَنَا آمِنٌ مِنْهَا عَلَى جُثْمَانِي
وَأَنَا مُضَيْفُكَ وَالجِنَانُ لي القِرَى
إذْ أَنْتَ أَنْتَ مُوَرّدُ الضّيفَانِ (٩٤)

وكُتب على مشهده عليه السلام :

هَذَا وَلِيّ اللَهُ فِي أَرْضِهِ
فِي جَنّةِ الخُلْدِ وَآلائِهِ
لَا يَقْبَلُ اللَهُ لَهُ زَائِرَاً
لَمْ يَبْرِ مِنْ سَائِرِ أَعْدَائِهِ (٩٥)

وقال ابن رُزّيك : (٩٦)

كَأَ نّي إذْ جَعَلْتُ إلَيْكَ قَصْدِي
قَصَدْتُ الرّكْنَ بِالبَيْتِ الحَرَامِ
وَخُيّلَ لِي بِأَ نّي ، فِي مَقَامِي
لَدَيْهِ بَيْنَ زَمْزَمَ وَالمَقَامِ
أَيَا مَولَايَ ذِكْرُكَ فِي قُعُودِي
وَيَا مَوْلَايَ ذِكْرُكَ فِي قِيَامِي

وَأَنْتَ إذَا انْتَبَهْتُ سَمِيرُ فِكْرِي
كَذَلِكَ أَنْتَ أُنْسِي فِي مَنَامِي
وَحُبُّكَ إنْ يَكُنْ قَدْ حَلّ قَلْبِي
وَفِي لَحْمِي اسْتَكَنّ وَفِي عِظَامِي
فَلَوْ لاَ أَنْتَ لَمْ تُقْبَلْ صَلَاتِي
وَلَوْ لَا أَنْتَ لَمْ يَقْبَلْ صِيَامِي
عَسَى أُسْقَى بِكَأْسِكَ يَوْمَ حَشْرِي
وَيَبْرَدُ حِينَ أَشْرَبُهَا أُوامِي (٩٧)

تعليقات:

١) الآيات ١ إلى ٥ ، من السورة ٩٦ : العلق .

٢) تفسير «الصافي» ، ص ٥٦٩ ، الطبعة الحجريّة ، وفي الطبعة الحروفيّة : ج ٤ ، ص . ٣٤٨

٣) الميزان في تفسير القرآن» ج ٢٠ ، ص ٤٦٠ و . ٤٦١

٤) حِراء بكسر الحاء جبل من جبال النور قرب مكّة المكرّمة . وفيه غار كان رسول الله يقضي أوقات عزلته وخلوته فيه قبل بعثته . تشرّفت مرّة بزيارة هذا الغار ، فوجدته غاراً عجيباً حقّاً من حيث الموقع والاختيار ، لأنّه وإن كان صغيراً لا يكفي إلّا لاثنين يصلّيان فيه ، وكان سقفه واطئاً ، بَيدَ أنّه يقع في قمّة أحد الجبال المتّصلة بعضها ببعض . وطريقه وعر جدّاً . وتقدّر المسافة بين سفح الجبل والقمّة التي يقع فيها الغار ساعة تقريباً . وإنّ القسم الثالث من أعلاه المتّصل بالغار وعر جدّاً . فلا له جادّة ولا طريق جبليّ . وما على المرء إلّا أن يسير على أحجار زلقة حتّى يصل إليه . وما لم يذهب الإنسان ويراه بعينه ، فلا يمكنه أن يدرك عظمة رسول الله وجلالة مقامه وأمره إذ كان يترك الكعبة والمسجد الحرام ليبتعد عن المجتمع المكّيّ المسموم يومئذٍ ، فيقطع فرسخاً واحداً عن مكّة ، فيأتيه ليناجي ربّه الليالي والأيّام وحده .

٥) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٣٩٢ و٣٩٣ ، الخطبة ١٩٠ ، القسم الخامس منها ، طبعة مصر وتعليق عبده .

٦ــ٧ــ٨ــ٩) «شرح نهج البلاغة» ج ١٣ ، ص ٢٠٠ ، طبعة مصر ، دار إحياء الكتب العربيّة .

١٠) شرح نهج البلاغة» ج ١٣ ، ص . ٢٠٠

١١) شرح نهج البلاغة» ج ١٣ ، ص . ٢٠٧

١٢) الإرشاد» ص ١٧٧ ، الطبعة الحجريّة ؛ ورواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٢ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «الخرائج» للراونديّ .

١٣) الإرشاد» ص ١٧٧ و . ١٧٨

١٤) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٣٢٦ ، الطبعة الحجريّة . الملحوظ هنا أنّ حجراً ذكر سبّ الإمام على سبيل التورية ، والضمير في قوله : أَلَا فَالْعَنُوهُ يعود إلى «أميركم» لا إلى الإمام . وأنّ صبّ العبارة في قالب هذه الألفاظ ، وذكر السبّ بهذا الشكل كانا من أجل هذا الغرض .

١٥ــ١٦) «الإرشاد» ص . ١٧٨

١٧) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص . ٤٢٦

١٨) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص . ٤٢٧

١٩) جاء في «معجم البلدان» أنّ عذراء قرية معروفة بغوطة دمشق من إقليم خولان . وبها منارة . وبها قُتل حُجر بن عديّ الكنديّ ، وبها قبره . وقيل : إنّ حجراً هو الذي فتحها ــ انتهى . وغوطة موضع بالشام به مياه وأشجار كثيرة . ويقال لها غوطة دمشق . وقال الفيروزآباديّ : عذراء موضع بالشام على بريد (أربعة فراسخ) من دمشق أو قرية بالشام .

٢٠) المناقب» ج ١ ، ص . ٤٢٩

٢١) الاستيعاب» ج ١ ، ص ٣٢٩ إلى ٣٣٢ ، رقم التسلسل . ٤٨٧ تشرّف حُجر بن عديّ بن ربيعة بن معاوية الأكرمين بالحضور عند رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ومعه أخوه هاني بن عديّ . شهد فتح القادسيّة ، وهو الذي فتح مرج عذراء ، وبها استشهد . وكان رجلاً عظيماً ومستجاب الدعوة ، ومن خاصّة أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام . جاءت ترجمته في «الطبقات الكبرى» لابن سعد ، ج ٦ ، ص ٢١٧ إلى ٢٢٠ ، طبعة بيروت ، مفصّلاً ؛ وفي «أُسد الغابة» لابن الأثير الجزريّ ، ج ١ ، ص ٣٨٥ و٣٨٦ ؛ وفي «الإصابة» لابن حجر العسقلانيّ ، ج ١ ، ص ٣١٣ و٣١٤ ، رقم ١٦٢٩ ، مفصّلاً .

٢٢) المناقب» لابن شهر آشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ، الطبعة الحجريّة .

٢٣) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٩ ، الطبعة الحجريّة ، ورواها المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٤١٩ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ؛ وذكر ابن أبي الحديد هذه الخطبة في شرحه ، طبعة مصر ، دار الإحياء ، ج ٤ ، ص ٥٤ إلى ١٢٨ ، وتطرّق في شرحه إلى سبّ أمير المؤمنين عليه السلام منذ زمن معاوية إلى زمن عمر بن عبد العزيز ، وتناول ذلك مفصّلاً ، وذكر الأشخاص الذين كانوا يسبّون ، كما ذكر المنحرفين عن الإمام والمعاندين له ، والروايات الموضوعة في ذمّه . وشرحه يحتوي على تحقيقات تأريخيّة .

٢٤) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٩ ، الطبعة الحجريّة .

٢٥) النهاية في غريب الحديث والأثر» ج ٢ ، ص ٢١٣ ، باب الراء مع الدال ، كلمة رَدَحَ .

٢٦) النهاية في غريب الحديث والأثر» ج ٤ ، ص ٣٠٤ ، باب الميم مع الحاء ، كلمة مَحَلَ .

٢٧) النهاية» لابن الأثير ، ج ١ ، ص ١٥١ ، باب الباء مع اللام ، كلمة بَلَحَ .

٢٨) النهاية» لابن الأثير ، ج ٤ ، ص ١٩٤ ، باب الكاف مع اللام ، كلمة كَلَحَ .

وكلامه هذا عليه السلام ككلامه الذي رواه النعمانيّ في كتاب «الغيبة» عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام صعد المنبر بالكوفة فقال : وَإِنّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَناً مُظْلِمَةً عَمْيَاءَ مُنْكَسِفَةً لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلّا النّومَةُ . قِيلَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! مَا النّوَمَةُ ؟ قَالَ : الّذِي يَعْرِفُ النّاسَ وَلَا يَعْرِفُونَهُ ــ الخبر («غيبة النعمانيّ» ص ١٤١ طبعة مكتبة الصدوق . قال ابن الأثير في «النهاية» ج ٥ ، ص ١٣١ ، مادّة نوم : وفي حديث عليّ عليه السلام أنّه ذكر آخر الزمان والفتن ، ثمّ قال : خير أهل ذلك الزمان كلّ مؤمن نُومة بوزن الهُمَزَة الخامل الذكر الذي لا يؤبه له . وقيل : الغامض في الناس الذي لا يعرف الشرّ وأهله . وقيل : النّوَمَة بالتحريك الكثير النوم . وأمّا الخامل الذي لا يؤبه له ، فهو بالتسكين . ومن الأوّل حديث ابن عبّاس أنّه قال لعليّ عليه السلام : مَا النّوَمَة ؟ قال : الذي يسكت في الفتنة ، فلا يبدو منه شيء .

٢٩) المناقب» ج ١ ، ص ٤٣١ ، الطبعة الحجريّة ؛ والآية المذكورة في آخر الخطبة هي الآية ١٠ ، من السورة ٢٢ : الحجّ .

٣٠) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٧ و٥٨٨ ، طبعة الكمبانيّ . وورد في نسخة المجلسيّ : يشرد الملك منه شرود النّقْنِق . وقال في شرحه : قال الفيروزآباديّ : النّقْنِقُ كزِبرج الظليم أو النافر أو الخفيف .

٣١) المناقب» ج ١ ، ص ٤٣١ ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص . ٥٨٨

٣٢ــ٣٣) «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٨ ؛ و«النهاية» لابن الأثير الجزريّ ، ج ٤ ، ص . ١٣٣

٣٤) المناقب» ج ١ ، ص ٤٣١ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٧ ، طبعة الكمبانيّ .

٣٥) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص . ٥٨٧

٣٦) الآية ٥٨ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٣٧) المناقب» ج ١ ، ص ٤٣١ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٨ ، طبعة الكمبانيّ . وقال في شرح هذه العبارات : قال الفيروزآباديّ : نَجْدُ الجاح

موضع باليمن . وروضة خاخ بين مكّة والمدينة . وقال : صغانيان كورة عظيمة بما وراء النهر . وصاغاني معرّب جغانيان . وبعض ألفاظه لم يتبيّن معناها .

٣٨) قال ابن شهرآشوب في «معالم العلماء» ، ص ٦٣ ، رقم ٤٦٦ : عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز الرازيّ ، ويقال له القمّيّ . له كتب في الكلام وفي الفقه . من كتبه : «الأحكام الشرعيّة على مذهب الإماميّة» ، «الإيضاح في الاعتقاد» ، «الكفاية في النصوص» . وقال شيخنا العلّامة الآغا بزرگ الطهرانيّ في «الذريعة» ج ١٨ ، ص ٨٦ و٨٧ تحت الرقم ٨٠٦ : «كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر» للشيخ الأقدم عليّ بن محمّد بن عليّ الخزّاز الرازيّ . ويقال له : القمّيّ . الراوي عن الشيخ الصدوق ، وأبي المفضّل محمّد بن عبد الله الشيبانيّ ، والقاضي أبي الفرج معافا بن زكريا ، وأبي عبد الله الحسين بن سعيد الخزاعيّ ، وعليّ بن الحسين بن عليّ بن مندة ، وأحمد بن محمّد بن عيّاش الجوهريّ صاحب كتاب «مقتضب الأثر» . ذكر ابن شهرآشوب هذا الكتاب في «معالم العلماء» معبّراً عنه بالكفاية في النصّ . وقد نقل عنه المولى محمّد باقر المجلسيّ في «بحار الأنوار» فتوهّم أنّه للصدوق أو للمفيد . فلا وَجْهَ لَهُ .

٣٩) قال في «شرح القاموس» : رُخام كغُراب حجر أبيض رخو سهل . وما كان منه خمريّاً أو أصفر أو زرزوريّاً ، فمن أصناف الحجارة .

٤٠) كفاية الأثر في النصوص على الأئمّة الأثني عشر» في مجموعة مطبوعة في جزء واحد مجلّد يضمّ «الأربعون» للمجلسيّ ، و«الخرائج والجرايح» للراونديّ ، ص ٣١٥ و. ٣١٦ ومن الطبيعيّ أنّ لهذه الرواية تتمّة لكنّنا ذكرنا منها هنا مقدار الحاجة ممّا يتعلّق بإخباره عليه السلام عن الملوك العبّاسيّين . وهذا المقدار نفسه ذكره ابن شهرآشوب في مناقبه ج ١ ، ص ٤٢٩ ، والمجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٨٩ ،طبعة الكمبانيّ ، عن «كفاية الأثر» .

٤١) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص . ٥٩٠

٤٢) كفاية الأثر» ص . ٣١٦

٤٣) المناقب» ج ١ ، ص ٤٣٠ ، الطبعة الحجريّة .

٤٤) جاء في النسخة البدل : مزرّع .

٤٥) المناقب» ج ١ ، ص . ٤٢٨

٤٦) الإرشاد» ص ١٨٠ و١٨١ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ و٢٩٥ ، طبعة مصر ، دار الإحياء ، وتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم .

٤٧) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٨ ، الطبعة الحجريّة .

٤٨) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٤ ، طبعة الكمبانيّ ، وفي الطبعة الحديثة : ج ٤١ ، ص ٣٤٦ و٣٤٧ ؛ و«شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد ، ج ٢ ، ص ٢٩٤ و٢٩٥ ، طبعة دار الإحياء ، وتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم .

٤٩) الخطبة ٣٧ ، من «نهج البلاغة» .

٥٠) شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٢٨٩ و١٩٠ ، طبعة مصر ، دار الإحياء ، وتحقيق محمّد أبو الفضل إبراهيم ؛ و«بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٢ و٥٩٣ ، طبعة الكمبانيّ ؛ والطبعة الحديثة : ج ٤١ ، ص ٣٤٢ ، عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد .

٥١) الإرشاد» ص ١٨١ ، الطبعة الحجريّة .

٥٢) الإرشاد» ص ١٨١ و١٨٢ ، الطبعة الحجريّة .

٥٣) شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٢٩٥ ، طبعة مصر ، دار الإحياء .

٥٤) شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٢٩٤ ، طبعة دار الإحياء ؛ وذكره الشيخ المفيد أيضاً في «الإرشاد» ص ١٨٠ ، الطبعة الحجريّة ، بهذا السند نفسه ، وقال في آخره : وهذا حديث قد نقله المؤالف والمخالف عن ثقاتهم عمّن سميّناه . واشتهر أمره عند علماء الجميع . وهو من جملة معجزات أمير المؤمنين عليه السلام وإخباره بالغيوب ؛ ورواه المجلسيّ أيضاً في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٤ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «شرح نهج البلاغة» لابن أبي الحديد .

٥٥) شرح نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ٢٩١ إلى ٢٩٤ ، طبعة مصر ، دار الإحياء ؛ ورواه المجلسيّ بحذافيره في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٥٩٣ و٥٩٤ ، طبعة الكمبانيّ ، عن «شرح نهج البلاغة» عن «الغارات» لإبراهيم الثقفيّ ؛ كما رواه الشيخ المفيد في «الإرشاد» ص ١٧٨ إلى ١٨٠ ، الطبعة الحجريّة ، وقال في ذيله : وهذا من جملة الأخبار عن الغيوب المحفوظة عن أمير المؤمنين عليه السلام .وذِكْره شائع والرواية به بين العلماء مستفيضة ؛ ونقله ابن حجر العسقلانيّ في كتاب «الإصابة» ج ٣ ، ص ٤٧٩ ، تحت الرقم ٨٤٧٤ في ترجمة ميثم بن مؤيّد بن النعمان بعين الألفاظ الواردة في «الإرشاد» ، وقال : سكن ميثم الكوفة ، وبها ذرّيّته .

٥٦) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٣٠ ، الخطبة ١١٤ في طبعة مصر ، شرح الشيخ محمّد عبده .

٥٧) نحن ذكرنا تتمّة هذه الخطبة ، وهي قوله : وَلَوَدِدْتُ أَنّ اللَهَ فَرّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحِقْنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقّ بِي مِنْكُمْ ــ إلى آخر قوله .

٥٨) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٤٢٨ ، الطبعة الحجريّة .

٥٩ــ٦٠ــ٦١ــ٦٢) «الإرشاد» ص ١٧٦الطبعة الحجريّة .

٦٣) الإرشاد» ص ١٧٧ ؛ ورواه ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٨ ، الطبعة الحجريّة ، عن الأصبغ بن نُباتة ، وجاء فيه : تَدُورُ رَحَى الشَيْطَانِ ؛ وقال المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٦٢٨ ، طبعة الكمبانيّ : تدور رَحَى السلطان ، ولعلّ المراد انقضاء الدوران كناية عن ذهاب ملكه أو هو كناية عن تغيّر الدولة وانقلاب أحوال الزمان . ولا يبعد أن يكون في الأصل : رَحَى الشيطان .

٦٤) الإرشاد» ص ١٧٧ ؛ وذكره ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٨ ، وقال : والأصحّ عند عبد الله بن جعفر . أقول : والدليل على ذلك ما رواه المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٦٤٨ ، عن خرايج الراونديّ ، وجاء فيه ما نصّه : وليلة عند عبد الله بن جعفر زوج زينب بنته لأجلها ؛ ورواه ابن حجر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» ص ٨٠ عن أُمّ الهيثم بنت الأسود النخعيّ .

٦٥) الإرشاد» ص ١٧٧ ؛ ورواه سبط بن الجوزى في «تذكرة الخواصّ» ص ١٠٠ ، عن أحمد بن حنبل في «المسند» عن عليّ بن حكيم الأوديّ ، عن شريك ، عن عثمان بن أبي زرعة ، عن زيد بن وهب قال : قدم على عليّ عليه السلام وفد من الخوارج فيهم رجل يقال له : الجعد بن بعجة . وقال بعد بيان أمير المؤمنين عليه السلام : وعاتب أبو بعجة أميرَ المؤمنين في خشونة لباسه ، فقال : هُوَ أَبْعَدُ مِنَ الكبر وأجدر أن يقتدي به المسلم .

٦٦) الإرشاد» ص ١٧٧ ، الطبعة الحجريّة ؛ و«المناقب» ج ٢ ، ص . ٨٠

٦٧) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٨ ، الطبعة الحجريّة .

٦٨) المناقب» ج ١ ، ص ٤٢٨ ، وفي ج ٢ ، ص . ٨٢

٦٩) الصواعق المحرقة» ص ٧٩ و . ٨٠

٧٠) أُسد الغابة» ج ٤ ، ص ٣٤ و٣٥ ، في سياق ترجمة أمير المؤمنين عليه السلام ؛ ورواه ابن حجر في «الصواعق المحرقة» ص ٧٤ ؛ وذكر ابن سعد صدره في «الطبقات» ج ٣ ، ص ٣٥ ، طبعة بيروت ؛ ور واه أيضاً سبط بن الجوزيّ في «التذكرة» ص ٩٩ و١٠٠ ، عن أحمد بن حنبل في «الفضائل» عن وكيع ، عن قتيبة بن قدامة الرواسيّ ، عن أبيه ، عن الضحّاك بن مزاحم ، عن عليّ عليه السلام . وذكره أيضاً بهذا الإسناد عبد الله بن أحمد بن حنبل في كتاب «الزهد» عن أبيه .

٧١) ــ «أُسد الغابة» ج ٤ ، ص ٣٥ ؛ وذكره سبط بن الجوزيّ في «التذكرة» عن جدّه أبي الفرج وقال : هذان البيتان اللذان تمثّل بهما الإمام لأُحَيْحَة الأنصاريّ ، ولهما ثالث :

فَإنّ الدّرْعَ وَالبَيْضَةَ
يَوْمَ الرّوْعِ يَكْفِيكَا

وجاء في «ترجمة تاريخ الأعثم الكوفيّ» ص ٣١٤ :

كَمَا أَضْحَكَكَ الدّهْرُ
كَذَاكَ الدّهْرُ يُبْكِيكَا
فَقَدْ أَعْرِفُ أَقْوَاماً
وَإِنْ كَانُوا صَعَالِيكَا
مَصَارِيعَ إِلَى النّجْدَةِ
لِلْغَيّ مَتَارِيكَا

وأقول : جاء في «مجمع الأمثال» للميدانيّ ، ج ١ ، ص ٣٦٦ و٣٧٦ : هذه الأبيات لأُحيحة بن الجلاح كان يحرّض فيها ابنه . وتمثّل بها أميرالمؤمنين عليه السلام . وذكرها ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ٢ ، ص . ٨٠

٧٢) النهاية» لابن الأثير ، ج ٣ ، ص . ١٩٧

٧٣) طبقات ابن سعد» ج ٣ ، ص ٣٣ ، طبعة بيروت ؛ ورواه عنه سبط بن الجوزيّ في «تذكرة الخواصّ» ؛ وذكره ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ٢ ، ص ٨٠ ؛ كما ذكره ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ٩ ، ص ١١٨ ، طبعة مصر ، دار الإحياء . وقال محقّق الشرح محمّد أبو الفضل إبراهيم في الهامش : هذا البيت من أبيات في «اللآلئ» ص ٦٣ ، نسبها إلى عمرو بن معديكرب ، وروايته فيها : أُرِيدُ حَيَاتَهُ .

٧٤ــ٧٥ــ٧٦) «طبقات ابن سعد» ج ٣ ، ص ٣٤ ، طبعة بيروت : وروى سبط بن الجوزيّ هذه الأحاديث عن «طبقات ابن سعد» في «تذكرة الخواصّ» ص ١٠٠ و. ١٠١ وجاء في الحديث الرابع قولهم : فأخبرنا به نُبيد عشيرته .

٧٧) طبقات ابن سعد» ج ٣ ، ص . ٣٥ ورواه عنه ابن الجوزيّ في «التذكرة» ص ١٠١ ؛ ورواه أيضاً ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ٢ ، ص ٨١ ، الطبعة الحجريّة .

ذكر ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ٩ ، ص ١١٨ ، طبعة مصر ، دار الإحياء ، كثيراً من الأخبار الواردة في هذا المجال إجمالاً ، ويؤيّد صحّة مضمونها . فقد قال في الخطبة ١٤٧ من «نهج البلاغة» التي قال فيها أمير المؤمنين عليه السلام : وَكَمْ أَطْرَدْتُ الأَيّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هَذَا الأَمْرِ فَأَبَى اللَهُ إِلّا إِخْفَاءَهُ ، هَيْهَاتَ عِلْمٌ مَخْزُونٌ : هذا الكلام يدلّ على أنّه لم يكن يعرف حال قتله معرفة مفصّلة من جميع الوجوه . وأنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله أعلمه بذلك علماً مجملاً ، لأنّه قد ثبت أنّه صلّى الله عليه وآله قال له : سَتُضْرَبُ عَلَى هذا ــ وأشار إلى هامته ــ فَتُخْضَبُ مِنْهَا هَذِهِ ــ وأشار إلى لحيته ــ . وثبت أنّه صلّى الله عليه وآله قال له : أَتَعْلَمُ مَنْ أَشْقَى الأَوّلِينَ ؟ قَالَ : نَعمَ ، عَاقِرُ النّاقَةِ ، فَقَالَ لَهُ : أَتَعْلَمُ مَنْ أَشْقَى الآخَرِينَ ؟ قَالَ : لَا . قَالَ : مَنْ يَضْرِبُكَ هَا هُنَا ،

فَيخضب هذه . ثمّ قال ابن أبي الحديد بعد شرح مختصر : فإنّ قلت : فما تصنع بقوله عليه السلام لابن ملجم :

أُريدُ حِباءَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي

عَذِيرِكَ مِنْ خَلِيلِكَ مِنْ مُرَادِ

وقول الخلّص من شيعته : فهلّا تقتله ؟ فقال : فكيف أقتل قاتلي ؟ وتارةً قال : إنّه لم يقتلني فكيف أقتل من لم يقتل ؟ وكيف قال في البطّ الصائح خلفه في المسجد ليلة ضربه ابن ملجم : دَوعُوهنّ فإنّهنّ نوائح ؟ وكيف قال تلك الليلة : إنّي رَأَيتُ رَسُولَ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ وَقُلْتُ : مَا لَقِيتُ مِنْ أُمّتَكَ مِنَ الأَوَدِ واللّدَدِ ؟ فَقَالَ : ادْعُ اللَهَ عَلَيْهِمْ . فَقُلْتُ : اللَهُمّ أَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْراً مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرّاً مِنّي ، وكيف قال : إنّي لَا أُقْتَلُ مُحَارِباً وإنّمَا أُقْتَلُ فَتْكاً وَغِيلَةً ؟ يَقْتُلُنِي رَجُلٌ خَامِلُ الذّكْرِ . وقد جاء عنه عليه السلام في هذا الباب آثار كثيرة . قلتُ : كلّ هذا لا يدلّ على أنّه عليه السلام كان يعلم الأمر مفصّلاً من جميع الوجوه . ألا ترى أنّه ليس في الأخبار والآثار ما يدلّ على الوقت الذي يقتل فيه بعينه ، ولا على المكان الذي يقتل فيه بعينه ؟

أقول : عرض ابن أبي الحديد هنا شرحاً بعضه محلّ نظر !

٧٨) طبقات ابن سعد» ج ٣ ، ص . ٣٥ وهذه الآية هي الآية ١٩٠ ، من السورة ٢ : البقرة . ورواه عنه سبط ابن الجوزيّ في «التذكرة» ص ١٠١ ؛ وكذلك ذكره ابن شهرآشوب في «المناقب» ج ٢ ، ص ٨١ ، الطبعة الحجريّة .

٧٩) تذكرة خواصّ الأُ مّة» ص . ١٠٠

٨٠) تذكرة خواصّ الأُ مّة» ص ١٠١ ؛ و«المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ٢ ، ص ٨٢ ، رواه عن أبي عثمان المازنيّ أنّ عليّاً عليه السلام أنشد هذه الأبيات .

٨١) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٦٤٧ ، طبعة الكمبانيّ .

٨٢) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٦٤٦ إلى ٦٤٨ ، طبعة الكمبانيّ ، وفي الطبعة الحديثة : ج ٤٢ ، ص ١٩٠ إلى . ١٩٩

٨٣) بحار الأنوار» ج ٩ ، ص ٦٤٧ طبعة الكمبانيّ ؛ وفي الطبعة الحديثة : ج ٤٢ ، ص ١٩٤ و . ١٩٥

٨٤) المناقب» ج ٢ ، ص ٧٩ ، الطبعة الحجريّة .

ذكر العلّامة الأمينيّ في «الغدير» ج ٦ ، ص ٢٦٨ و٢٦٩ أنّ الحافظ العاصميّ أخرج في «زين الفتى» في شرح سورة هل أتى عن أبي الطفيل قال : لمّا مات أبو بكر ، شهدتُ الصلاة عليه . ثمّ اجتمعنا إلى عمر بن الخطّاب فبايعناه . وأقمنا أيّاماً نختلف إلى المسجد إليه حتّى أسموه : أمير المؤمنين . فبينما نحن عنده جلوس إذ أتاه يهوديّ من يهود المدينة وهم يزعمون أنّه من ولد هارون أخي موسى عليهما السلام حتّى وقف على

عمر ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! أيّكم أعلم بنبيّكم وبكتاب نبيّكم حتّى أسأله عمّا أُريد ؟ فأشار له عمر إلى أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب فقال : هذا أعلم بنبيّنا وبكتاب نبيّنا . قال اليهوديّ : أكذاك أنت يا عليّ ؟ قال عليه السلام : سل عمّا تريد . قال : إنّي سائلك عن ثلاث وثلاث وواحدة . قال له عليّ : لم لا تقول إنّي سائلك عن سبع ؟ قال اليهوديّ : أسألك عن ثلاث فإن أصبتَ فيهنّ ، أسألك عن الواحدة . وإن أخطأتَ ، لم أسألك عن شيء . ثمّ عرض الأسئلة والأجوبة إلى آخرها) إلى أن قال : قال له عليّ : سل . قال : أخبرني عن وصيّ محمّد في أهله كم يعيش بعده ؟ وهل يموت أو يُقتل ؟ قال عليّ عليه السلام : يا يهوديّ ! يعيش بعده ثلاثين سنة . ويخضب هذه من هذه ــ وأشار إلى رأسه ــ فوثب اليهوديّ وقال : أشهد أن لا إله إلّا الله وأنّ محمّداً رسول الله .

٨٥) المناقب» ج ٢ ، ص ٧٩ ، الطبعة الحجريّة .

٨٦) قال في «القاموس» : تجوب قبيلة من حِميَر منهم ابن ملجم التجوبيّ قاتل أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

٨٧) المناقب» ج ٢ ، ص ٧٩ ، الطبعة الحجريّة .

٨٨) المناقب» ج ٢ ، ص ٨٠ و. ٨١ وروى ابن حَجَر الهيتميّ في «الصواعق المحرقة» ص ٨٠ ، عن «المستدرك» عن السدّيّ قال : كان ابن ملجم عشق امرأة من الخوارج يقال لها نظام ، فنكحها وأصدقها ثلاثة آلاف درهم وقتل عَلِيّ . وفي ذلك يقول الفرزدق :

فلم أر مهراً ساقه ذو سماحة
كمهر نظام بيّن غير معجم
ثلاثة آلافٍ وعبد وقينة
وضرب عليّ بالحسام المصمّم
فلا مهر أعلى من عليّ وإن علا
ولا فتك إلّا دون قتلٌ ابن ملجم

وجاء في الطبعة الحديثة لكتاب «الصواعق المحرقة» ص ١٣٥ : قطام ، في كلا الموضعين .

٨٩) المناقب» ج ٢ ، ص ٨١ ، الطبعة الحجريّة .

٩٠) المناقب» ج ٢ ، ص . ٨٢

٩١ــ٩٢) «المناقب» ج ٢ ، ص . ٨٤

٩٣ــ٩٤ــ٩٥) «المناقب» ج ٢ ، ص . ٨٤

٩٦) تحدّث العلّامة الأمينيّ في «الغدير» ج ٤ ، ص ٣٤١ إلى ٣٧١ عن الملك الصالح : طالع بن رُزّيك المولود في سنة ٤٩٥ ، والمستشهد في . ٥٥٦ ونقل خمس

غديريّات له كلّها رائعة وسامقة . أصله من الشيعة في العراق . أصبح وزيراً للفاطميّين بمصر وخدم في منصبه .

٩٧) المناقب» ج ٢ ، ص . ٨٤

٩٧) المناقب» ج ٢ ، ص . ٨٤

الدرس الرابع والسبعون بعد المائة إلى السادس والسبعين بعد المائة: العلوم المختلفة والمتنوّعة التي ظهرت من أمير المؤمنين عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللهُ على محمّد وآله الطّاهرين

ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين ولا حول ولا قوّة إلّا باللَه العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

يَرْفَعِ اللَهُ الّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٍ وَاللَهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ .

ونصفها الأوّل هو قوله : يَأَيّهَا الّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسّحُوا فِي الْمَجَلِسِ فَافسَحُوا (افسحوا كي يجلس شخص آخر) يَفْسَحِ اللَهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا [1] يَرْفَعِ اللَهُ الّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَالّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَتٍ .

قال سماحة الأُستاذ العلّامة الفقيد الطباطبائيّ أفاض الله علينا من بركات نفسه في تفسيره : التفسّح الاتّساع وكذا الفسح . والمجالس جمع مجلس اسم مكان . والاتّساع في المجلس أن يتّسع الجالس ليس المكان غيره ؛ وفسح الله له أن يوسع له في الجنّة .

والآية تتضمّن أدباً من آداب المعاشرة . ويستفاد من سياقها أنّهم كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلّى الله عليه وآله فيجلسون ركاباً لا يدع لغيرهم من الواردين مكاناً يجلس فيه ، فأُدّبوا بقوله : «إذا قيل لكم تفسّحوا» إلى آخره . والحكم عامّ وإن كان مورد النزول مجلس النبيّ صلّى الله عليه وآله .

وقوله تعالى : وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانْشُزُوا يتضمن أدباً آخراً ... والنشوز عن المجلس أن يقوم الإنسان عن مجلسه ليجلس فيه غيره إعظاماً له وتواضعاً لفضله . والمعنى : وإذا قيل لكم : قوموا ليجلس مكانكم من هو أفضل منكم في علم أو تقوى ، فقوموا .

وقوله : «يرفع الله الذين ءامنوا منكم والذين أُوتوا العلم درجَت» لا ريب في أنّ لازم رفعه تعالى درجة عبد من عباده مزيد قربه منه تعالى . وهذا قرينة عقليّة على أنّ المراد بهؤلاء الذين أُوتوا العلم العلماء من المؤمنين (لا كلّ عالم وإن كان لا يؤمن بالله ورسوله) .

فتدلّ الآية على انقسام المؤمنين إلى طائفتين : مؤمن ؛ ومؤمن عالم . والمؤمن العالم أفضل . وقد قال تعالى:

هَلْ يَسْتَوِى الّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ .

ويتبيّن بذلك أنّ ما ذكر من رفع الدرجات في الآية مخصوص بالذين أُوتوا العلم . ويبقى لسائر المؤمنين درجة واحدة من الرفع . ويكون التقدير : يرفع الله الذين آمنوا منكم درجة ويرفع الذين أُوتوا العلم منكم درجات .

وفي الآية من تعظيم أمر العلماء ورفع قدرهم ما لا يخفى . وأكّد [الله تعالى] الحكم بتذييل الآية بقوله : وَاللَهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ . (٢)

لا يرتاب العلماء وأهل الخبرة ولا يمارون في العلوم المختلفة والمتنوّعة التي ظهرت من أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . فإنّنا نجد في كتب السِيَر والتواريخ والأحاديث والتفاسير والسّنَن والفقه والقضاء والطبّ والنجوم والفلكيّات وكتب الاقتصاد والمعاملات والمسائل الرياضيّة والعلوم الإلهيّة والحكمة والعرفان والتزكية والأخلاق ، وحتّى في العلوم العربيّة والأدبيّة والفصاحة والبلاغة والنحو والعروض وغيرها مسائل قد طرحت ، ولم يعرضها إلّا أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ لم تُعهَد قبله . وكلّ من جاء بعده ، فقد أخذ منه ورجع إليه واقتبس من أنوار علومه . (٣)

وهذا المقام نستفيد ممّا عرضه ابن أبي الحديد في مقدّمة «شرح نهج البلاغة» ، وابن شهرآشوب في «مناقب آل أبي طالب» .

أمّا ابن أبي الحديد فقد تحدّث في مقدّمته عن الفضائل الخَلقيّة والخُلقيّة للإمام ، وعدّ منها علومه ، ونصّ على أنّه كان مبتكر هذه العلوم والمبتدئ بها . وقال بعد سرده فضائل أمير المؤمنين عليه السلام :

وَمَا أَقُولُ في رَجُلٍ تُعْزَى إِلَيْهِ كُلّ فَضِيلَةٍ وَتَنْتَهِي إِلَيْهِ كُلّ فِرْقَةٍ ، وَتَتَجاذَبُهُ كُلّ طَائِفَةٍ ؟ فَهُوَ رَئِيسُ الفَضَائِلِ وَيَنْبُوعُهَا ، وَأَبُو عُذْرِهَا ، وَسَابِقُ مِضْمَارِهَا ، وَمُجَلّي حَلْبَتِهَا . كُلّ مَنْ بَزَغَ فِيهَا بَعْدَهُ ، فَمِنْهُ أَخَذَ ، وَلَهُ اقْتَفَى ، وَعَلَى مِثَالِهِ احْتَذَى . (٤)

ثمّ قال : وقد عرفتَ أنّ أشرف العلوم هو العلم الإلهيّ ، لأنّ شرف العلم بشرف المعلوم ، ومعلومه أشرف الموجودات ، فكان هو أشرف العلوم . ومن كلامه عليه السلام اقتُبس ، وعنه نُقِل ، وإليه انتهى ، ومنه أبتدأ . فإنّ المعتزلة ــ الذين هم أهل التوحيد والعدل وأرباب النظر ، ومنهم تعلّم الناس هذا الفنّ ــ تلامذته وأصحابه . لأنّ كبيرهم واصل بن عطاء تلميذ أبي هاشم عبد الله بن محمّد ابن الحنفيّة ، وأبو هاشم تلميذ أبيه ، وأبوه تلميذ أمير المؤمنين عليه السلام . (٥)

وأمّا الأشعريّة ، فإنّهم ينتمون إلى أبي الحسن عليّ بن [إسماعيل بن] أبي بشر الأشعريّ ، وهو تلميذ أبي عليّ الجُبائيّ . وأبو عليّ أحد مشايخ المعتزلة ؛ فالأشعريّة ينتهون بأخَرَةٍ إلى أُستاذ المعتزلة ومعلّمهم ، وهو عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

وأمّا الإماميّة والزيديّة فانتماؤهم إليه ظاهر .

ومن العلوم ، علم الفقه ، وأميرالمؤمنين عليه السلام أصله وأساسه ، وكلّ فقيه في الإسلام ، فهو عيال عليه ، ومستفيد من فقهه .

أمّا أصحاب أبي حنيفة كأبي يوسف ، ومحمّد وغيرهما ، فأخذوا عن أبي حنيفة ، وأمّا الشافعيّ ، فقرأ على محمّد بن الحسن ، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة . وأمّا أحمد بن حنبل ، فقرأ على الشافعيّ ، فيرجع فقهه أيضاً إلى أبي حنيفة . وأبو حنيفة قرأ على جعفر بن محمّد عليه السلام ، وقرأ جعفر على أبيه عليه السلام ، وينتهي الأمر إلى عليّ عليه السلام .

وأمّا مالك بن أنس ، فقرأ على ربيعة الرأي ، وقرأ ربيعة على عِكرمة ، وقرأ عِكرمة على عبد الله بن عبّاس ، وقرأ عبد الله بن عبّاس على عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وإن شئتَ ، رددتَ إليه فقه الشافعيّ بقراءته على مالك ، كان لك ذلك . فهؤلاء الفقهاء الأربعة .

وأمّا فقه الشيعة ، فرجوعه إليه ظاهر . وأيضاً فإنّ فقهاء الصحابة كانوا : عمر بن الخطّاب ، وعبد الله بن عبّاس ، وكلاهما أخذ عن عليّ عليه السلام . أمّا ابن عبّاس ، فظاهر . وأمّا عمر ، فقد عرف كلّ أحد رجوعه إليه في كثير من المسائل التي أشكلت عليه وعلى غيره من الصحابة ، وقوله غير مرّة : لَوْلَا عَلِيّ لَهَلَكَ عُمَرُ . وقوله : لَا بَقِيتُ لِمُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَا أَبُو الحَسَنِ . وقوله : لَا يُفتِيَنّ أَحَدٌ في المَسْجِدِ وَعَلِيّ حَاضِرٌ . فقد عُرِف بهذا الوجه أيضاً انتهاء الفقه إليه عليه السلام .

وقد روت العامّة والخاصّة قوله صلّى الله عليه وآله : أَقْضَاكُمْ عَلِيّ والقضاء هو الفقه ، فهو ــ إذاً ــ أفقهُهم .

وروى الكلّ أيضاً أنّه عليه السلام قال له (أي لعليّ) وقد بعثه إلى اليمن قاضياً :

اللَهُمّ اهْدِ قَلْبَهُ وَثَبّتْ لِسَانَهُ .

قال (أمير المؤمنين عليه السلام) : فَمَا شَكَكْتُ بَعْدَهَا فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ . وهو عليه السلام الذي أفتى في المرأة التي وضعت لستّة أشهر . وهو الذي أفتى في الحامل الزانية .[٦] وهو الذي قال في [المنبريّة] : صَارَ ثُمْنُهَا تُسْعاً .[٧]

ولو فكّر الفَرَضيّ في هذه المسألة فكراً طويلاً ، لاستُحسن منه بعد طول النظر هذا الجواب ، فما ظنّك بمن قاله بديهة ، واقتضبه ارتجالاً .

ومن العلوم : علم تفسير القرآن . وعنه أُخذ ، ومنه فُرّع . وإذا رجعت إلى كتب التفسير ، علمتَ صحّة ذلك ، لأنّ أكثره عنه وعن عبد الله بن عبّاس . وقد علم الناس حال ابن عبّاس في ملازمته له ، وانقطاعه إليه ، وأنّه تلميذه وخرّيج مدرسته . وقيل له : أَيْنَ عِلْمُكَ مِنْ عِلْمِ ابْنِ عمّك ؟ فقال : كَنِسْبَةِ قَطْرَةٍ مِنَ المَطَرِ إِلَى البَحْرِ المُحِيطِ .

ومن العلوم ، علم الطريقة والحقيقة ، وأحوال التصوّف . وقد عرفتَ أنّ أرباب هذا الفنّ في جميع بلاد الإسلام إليه ينتهون ، وعنده يقفون . وقد صرّح بذلك الشّبليّ ، والجُنيد ، وسَرِيّ ، وأبو يزيد البِسطاميّ ، وأبو محفوظ معروف الكرخيّ ، وغيرهم . ويكفيك دلالة على ذلك الخِرقة التي هي شعارهم إلى اليوم ، وكونهم يسندونها بإسناد متّصل إلى أمير المؤمنين عليه السلام . (٨)

ومن العلوم ، علم النحو والعربيّة . وقد علم الناس كافّة أنّه هو الذي ابتدعه وأنشأه ، وأملى على أبي الأسود الدؤليّ جوامعه وأُصوله . من جملتها : الكَلَامُ كُلّهُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : اسْمٌ ، وفِعْلٌ ، وحَرْفٌ .

ومن جملتها : تقسيم الكلمة إلى معرفة ، ونكرة . وتقسيم وجوه الإعراب إلى الرفع والنصب والجر والجزم . وهذا يكاد يلحق بالمعجزات ، لأنّ القوّة البشريّة لا تفي بهذا الحصر ، ولا تنهض بهذا الاستنباط . (٩)

ثمّ عرض ابن أبي الحديد شرحاً لفضائل الإمام عليه السلام ، إلى أن قال :

وأمّا الفصاحة ، فهو عليه السلام إمام الفصحاء وسيّد البلغاء . وفي كلامه قيل : دُونَ كَلَامِ الخَالِقِ وَفَوْقَ كَلَامِ المَخْلُوقِ . ومنه تعلّم الناس الخطابة والكتابة . قال عبد الحميد بن يحيى : حَفِظْتُ سَبْعِينَ خُطْبَةً مِنْ خُطَبِ الأَصْلَعِ ، فَفَاضَتْ ثُمّ فَاضَتْ .

وقال ابن نُباتة : حَفِظْتُ مِنَ الخِطَابَةِ كَنْزَاً لَا يَزِيدُهُ الإِنْفَاقُ إِلّا سَعَةً وَكَثْرَةً ، حَفِظْتُ مِائَةَ فَصْلٍ مِنْ مَوَاعِظِ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

ولمّا قال مِحْفَن بنُ أبي مِحْفَن لمعاوية : جِئْتُكَ مِنْ عِنْدِ أَعْيَا النّاسِ ، قال له : وَيْحَكَ كَيْفَ يَكُونُ أَعْيَا النّاسِ ؟ فَوَاللَهِ مَا سَنّ الفَصَاحَةَ لِقُرَيْش غَيْرُهُ .

ويكفي هذا الكتاب «نهج البلاغة» الذي نحن شارحوه دلالة على أنّه لا يُجَارَى في الفصاحة ، ولا يبارَى في البلاغة . وحسبك أنّه لم يدوّن لأحد من فصحاء الصحابة العُشر ، ولا نصف العُشر ممّا دُوّن له . وكفاك في هذا الباب ما يقوله أبو عثمان الجاحظ في مدحه في كتاب «البيان والتبيين» وفي غيره من كتبه . (١٠)

ثمّ قال ابن أبي الحديد بعد شرح مشبع تناول فيه سماحة أخلاق الإمام ، وزهده ، وعبادته :

وأمّا قراءة عليّ القرآن واشتغاله به ، فهو المنظور إليه في هذا الباب . اتّفق جميع العلماء والفقهاء من العامّة والخاصّة على أنّه كان يحفظ القرآن على عهد رسول الله صلّى الله عليه وآله ، ولم يكن غيره يحفظه . ثمّ هو أوّل من جمعه .

نقلوا كلّهم أنّه تأخّر عن بيعة أبي بكر . فأهل الحديث لا يقولون ما تقوله الشيعة من أنّه تأخّر مخالفة للبيعة ، بل يقولون : تشاغل بجمع القرآن . فهذا يدلّ على أنّه أوّل من جمع

القرآن ، لأنّه لو كان مجموعاً في حياة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، لما احتاج إلى أن يتشاغل بجمعه بعد وفاته صلّى الله عليه وآله .

وإذا رجعتَ إلى كتب القراءات ، وجدتَ أئمّة القرّاء كلّهم يرجعون إليه ، كأبي عمرو بن العلاء ، وعاصم بن أبي النّجود ، وغيرهما . لأنّهم يرجعون إلى أبي عبد الرحمن السّلَميّ القارئ . وأبو عبد الرحمن كان تلميذه ، وعنه أخذ القرآن . فقد صار هذا الفن من الفنون التي تنتهي إليه أيضاً ، مثل كثير ممّا سبق . (١١)

هذه مطالب ذكرها ابن أبي الحديد في مقدّمة شرحه على «نهج البلاغة» في سياق عدّه سائرَ فضائل الإمام عليه السلام .

وأمّا ابن شهرآشوب : فقد عقد فصلاً في كتابه «مناقب آل أبي طالب» تحت عنوان : في المسابقة بالعلم . وأحصى فيه العلوم التي كان أمير المؤمنين عليه السلام سبّاقاً فيها . قال : أفلا يكون (عليّ عليه السلام) أعلم الناس ، وكان مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في البيت والمسجد ، يكتب وحيه ومسائله ، ويسمع فتاواه ، ويسأله ؟

وروي أنّه كان رسول الله صلّى الله عليه وآله إذا نزل عليه الوحي ليلاً لم يصبح حتّى يخبر به عليّاً عليه السلام . وإذا نزل عليه الوحي نهاراً لم يُمسِ حتّى يخبر به عليّاً . ومن المشهور إنفاقه الدينار قبل مناجاة الرسول ، وسأله عن عشر مسائل ، فتح له منها ألف باب ، فتح كلّ باب ألف باب . وفي ذلك قال الشريف الرضيّ : (١٢)

يَا بَنِي أَحْمَدَ أُنَادِيكُمُ اليَوْمَ
وَأَنْتُمْ غَداً لِرَدّ جَوَابِي
أَلْفَ بَابٍ أُعطِيتُمُ ثُمّ أَفْضَى
كُلّ بَابٍ مِنْهَا إِلَى أَلْفِ بَابِ
لَكُمُ الأَمْرُ كُلّهُ وَإِلَيْكُمْ
وَلَدَيْكُمْ يُؤُولُ فَصْلُ الخِطَابِ (١٣)

ومن عجيب أمره عليه السلام في هذا الباب أنّه لا شيء من العلوم إلّا وأهلة يجعلون عليّاً عليه السلام قدوة ، فصار قوله قبلة في الشريعة يتوجّه إليها كلّ الناس .

كان أمير المؤمنين عليه السلام جامع القرآن

سُمع القرآن من عليّ عليه السلام . ذكر الشيرازيّ في «نزول القرآن» ، وأبو يوسف يعقوب في تفسيره عن ابن عبّاس في قوله تعالى : لَا تُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كان يحرّك شفتيه عند الوحي ليحفظه ، وقيل له : «لَا تُحَرّكْ بِهِ لِسَانَكَ» يَعْنِي

بِالقُرْآنِ «لِتَعْجَلَ بِهِ» مِنْ قَبْلِ أَنْ يُفْرَغَ بِهِ مِنْ قَرَاءَتِهِ عَلَيْكَ «إِنّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ» . (١٤)

قال [ابن عبّاس] : ضمن الله محمّداً صلّى الله عليه وآله أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلّى الله عليه وآله عليّ بن أبي طالب عليه السلام . قال ابن عبّاس : فجمع الله القرآن في قلب عليّ عليه السلام . وجمعه عليّ عليه السلام بعد موت رسول الله صلّى الله عليه وآله بستّة أشهر .

وفي أخبار أبي رافع : إنّ النّبيّ صلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ فِي مَرَضِهِ الّذِي تُوُفّي فِيهِ لِعَلِيّ : يَا عَلِيّ ! هَذَا كِتَابُ اللّهِ ، خُذْهُ إِلَيْكَ . فَجَمَعَهُ عَلِيّ فِي ثَوْبٍ فَمَضَى إِلَى مَنْزِلِهِ ، فَلَمّا قُبِضَ النّبِيّ صلّى اللّهُ عَلَيهِ وَآلِهِ جَلَسَ عَلِيّ فَأَلّفَهُ كَمَا أَنْزَلَهُ اللّهُ وَكَانَ بِهِ عَالِماً .

وحدّثني أبو العلاء العطّار ، والموفّق خطيب خوارزم في كتابيهما بالإسناد عن عُليّ بن رباح (١٥) أَنّ النّبِيّ أَمَرَ عَلِيّاً بِتَأْلِيفِ القُرْآنَ ، فَأَلّفَهُ وَكَتَبَهُ .

وروى جَبَلَة بن سُحَيم (١٦) عن أبيه ، عن أمير المؤمنين عليه السلام قال : لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ وَعُرِفَ لِي حَقّي لَأَخْرَجْتُ لَهُمْ مُصْحَفاً كَتَبْتُهُ وَأَمْلَاهُ عَلَيّ رَسُولُ اللّهِ .

ورويتم أيضاً (أنتم العامّة) أَنّهُ إِنّمَا أَبْطَأَ عَلِيّ عَلَيهِ السّلَامُ عَنْ بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ لِتَأْلِيفِ القُرْآنِ .

وروى أبو نُعَيم في «حلية الأولياء» ، والخطيب في «الأربعين» بالإسناد عن السّدّيّ ، عن عبد خير ، عن عليّ عليه السلام أنّه قال : لَمّا قُبِضَ رَسُولُ اللّهِ أَقْسَمْتُ ــ أَوْ حَلَفْتُ ــ أَنْ لَا أَضَعَ رِدَايَ عَنْ ظَهْرِي حَتّى أَجْمَعَ مَا بَيْنَ اللّوْحَيْنِ . فَمَا وَضَعْتُ رِدَايَ حَتّى جَمَعْتُ القُرْآنَ .

وفي أخبار أهل البيت عليهم السلام أَنّهُ آلَى أَنْ لَا يَضَعَ رِدَاءَهُ عَلَى عَاتِقِهِ إِلّا لِلصّلَاةِ حَتّى يُؤَلّفَ القُرْآنَ وَيَجْمَعَهُ . فَانْقَطَعَ عَنْهُمْ مُدّةً إِلَى أَنْ جَمَعَهُ ثُمّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِهِ فِي إِزَارٍ يَحْمِلُهُ وَهُمْ مُجْتَمِعُونَ فِي المَسْجِدِ ، فَأَنْكَرُوا مَصِيرَهُ بَعْدَ انْقِطَاعٍ مَعَ أُلْبَتِهِ ، (١٧) فَقَالُوا : الأَمْرُ مَا (١٨) جَاءَ بِهِ أَبُو الحَسَنِ .

فَلَمّا تَوَسّطَهُمْ ، وَضَعَ الكِتَابَ بَيْنَهُمْ ثُمّ قَالَ : إِنّ رَسُولَ اللّهِ قَالَ : إِنّي مُخَلّفٌ فِيكُمْ مَا إِنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِ لَنْ تَضِلّوا : كِتَابَ اللّهِ ، وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي ، وَهَذَا الكِتَابُ وَأَنَا العِتْرَةُ .

فَقَامَ إِلَيْهِ الثّانِي فَقَالَ لَهُ : إِن يَكُنْ عِنْدَكَ قُرْآنٌ ، فَعِنْدَنَا مِثْلُهُ ، فَلَا حَاجَةَ لَنَا فِيكُمَا ، فَحَمَلَ عَلَيهِ السّلَامُ الكِتَابَ وَعَادَ بِهِ بَعْدَ أَنْ أَلْزَمَهُمُ الحُجّةَ .

وفي خبر طويل عن الإمام الصادق عليه السلام أَنّهُ حَمَلَهُ وَوَلّى رَاجِعاً نَحْوُ حُجْرَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ : «فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ» . (١٩) وَلِهَذَا قَرَأَ ابْنَ مَسْعُودٍ : إِنّ عَلِيّاً جَمَعَهُ وَقَرَأَ بِهِ فَإِذَا قَرَأَهُ فَاتّبِعُوا قِرَاءَتَهُ .

قال الناشئ :

جَامِعُ [٢٠] وَحْيِ اللَهِ إذْ فَرّقَهُ
مَنْ رَامَ جَمْعَ آيَةٍ فَمَا ضَبَطْ
أَشْكَلَهُ لِشَكْلِهِ بِجَهْلِهِ
فَاسْتُعْجِبَتْ [٢١] أَحْرُفُهُ حِينَ نَقَطْ

وقال العونيّ :

لَمّا رَأَى الأَمْرَ قَبِيحَ المَدْخَلِ
حَرّدَ فِي جَمْعِ الكِتَابِ المُنْزَلِ

وقال الصاحب :

هَلْ مِثْلَ جَمْعِكَ لِلْقُرْآنِ تَعْرِفُهُ
لَفْظاً وَمَعْنَى وَتَأْوِيلاً وَتَبْيِينا [٢٢]

وقال الخطيب منيح :

عَلِيّ جَامِعُ القُرْآنَ جَمْعَاً
يُقَصّرُ عَنْهُ جَمْعُ الجَامِعِينَا

فأمّا ما روي أنّه جمعه أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، فإنّ أبا بكر قال لمّا التمسوا منه جمع القرآن : كَيْفَ أَفْعَلُ شَيْئاً لَمْ يَفْعَلْهُ رَسُولُ اللَهِ وَلَا أَمَرَنِي بِهِ ؟ ذكره البخاريّ في صحيحه .

وادّعى عليّ أنّ النبيّ أمره بالتأليف . ثمّ إنّهم أمروا زيد بن ثابت ، وسعيد بن العاص ، وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ، وعبد الله بن الزبير بجمعه . فالقرآن يكون جمع هؤلاء جميعهم . [٢٣]

* * *

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم القراءات

ومن العلوم التي تقدّم فيها عليّ على الجميع : علم القراءات . وظهر علماء القراءات في هذا المجال . روى أحمد بن حنبل ، وابن بطّة ، وأبو يَعْلى في مصنّفاتهم عن الأعمش ، عن أبي بكر بن عيّاش في خبر طويل أنّه قرأ رجلان ثلاثين آية من سورة الأحقاف ، فاختلفا في قراءتهما ، فقال ابن مسعود : هذا الخلاف ما أقرأه . فذهب بهما إلى النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله . فغضب وعليّ عليه السلام عنده . فقال عليّ عليه السلام : رَسُولُ اللَهِ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَقْرَأُوا كَمَا عُلّمْتُمْ . وهذا دليل على علم عليّ عليه السلام بوجوه القراءات المختلفة . وروي أنّ زيداً لمّا قرأ : التابوة ، قال عليّ عليه السلام : اكتبه التابوت ، فكتبه كذلك .

والقرّاء السبعة إلى قراءته عليه السلام يرجعون . فأمّا حمزة ، والكسائيّ فيعوّلان على قراءة عليّ عليه السلام وابن مسعود . وليس مصحفهما مصحف ابن مسعود . فهما إنّما يرجعان إلى عليّ عليه السلام ويوافقان ابن مسعود فيما يجري مجرى الإعراب . وقد قال ابن مسعود : مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَقْرَأَ مِنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ لِلقُرْآنِ .

وأمّا نافع ، وابن كثير ، وأبو عمرو ، فمعظم قراءاتهم ترجع إلى ابن عبّاس ، وابن عبّاس قرأ على أُبيّ بن كعب ، وعليّ . والذي قرأه هؤلاء القرّاء يخالف قراءة أُبيّ ، فهو إذاً مأخوذ عن عليّ عليه السلام .

وأمّا عاصم ، فقرأ على أبي عبد الرحمن السّلَميّ . وقال أبو عبد الرحمن : قرأت القرآن كلّه على عليّ بن أبي طالب . فقالوا : أفصح القراءات قراءة عاصم لأنّه أتى بالأصل ، وذلك أنّه يُظهر ما أدغمه غيره ، ويحقّق من الهمز ما ليّنه غيره ، ويفتح من الألفات ما أماله غيره .

والعدد الكوفيّ في القرآن منسوب إلى عليّ عليه السلام . وليس في الصحابة من يُنسب إليه العدد غيره عليه السلام . وإنّما كتب عدد ذلك كلّ مِصر عن بعض التابعين .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم التفسير

ومنهم : المفسّرون كعبد الله بن عبّاس ، وعبد الله بن مسعود ، وأُبيّ ابن كعب ، وزيد بن ثابت . وهم معترفون له عليه السلام بالتقدّم . (٢٤)

وورد في تفسير النقّاش أنّ ابن عبّاس قال : جُلّ مَا تَعلّمْتُ مِنَ التّفْسِيرِ مِنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ . إنّ القُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ ، مَا مِنْهَا إلّا وَلَهُ ظَهْرٌ وَبَطْنٌ . وَإنّ عَلِيّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلِمَ الظّاهِرَ وَالبَاطِنَ .

وجاء في « الفضائل » للعكبريّ أنّ الشعبيّ قال : مَا أَحَدٌ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللّهِ بَعْدَ نَبِيّ اللّهِ مِنْ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ .

وفي «تاريخ البلاذريّ» ، و«حِلْيَة الأولياء» : قال عليّ عليه السلام : وَاللّهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إلّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَا نَزَلَتْ وَأَيْنَ نَزَلَتْ ، أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَوْ بِنَهَارٍ نَزَلَتْ ، فِي سَهْلٍ أَوْ جَبَلٍ ؟ إنّ رَبّي وَهَبَ لِي قَلْباً عَقُولاً وَلِسَاناً سَؤُولاً . (٢٥)

وورد في «قوت القلوب» : قال عليّ عليه السلام : لَوْ شِئْتُ لَأَوْقَرْتُ سَبْعِينَ بَعِيراً فِي تَفْسِيرِ فَاتِحَةِ الكِتَابِ . (٢٦)

ولمّا وجد المفسّرون قوله عليه السلام ، لم يرجعوا إلى قول غيره في التفسير . وسأله ابن الكوّاء ، وهو على المنبر : مَا «الذّارِيَاتِ ذَرْوًا» ؟ فقال : الرّيَاحُ . فقال : وَمَا

«الْحَمِلَتِ وِقْرًا» ؟ فقال : السّحَابُ . فقال : وَمَا «الْجَرِيَتِ يُسْرًا» ؟ فقال : الفُلْكُ . فقال : مَا «الْمُقَسّمَتِ أَمْرًا» ؟ فقال : المَلَائِكَةُ . فالمفسّرون كلّهم على قوله عليه السلام . (٢٧)

هذه الآيات في أوّل سورة الذاريات : بِسْمِ اللَهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ * وَالّذَ رِيتِ ذَرْوًا * فَالْحَمِلَتِ وِقْرًا * فَالْجَرِيَتِ يُسْرًا * فَالْمُقَسّمَتِ أَمْرًا * إِنّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ * وَإِنّ الدّينَ لَوَ قِعٌ . (٢٨)

قال العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله نفسه الزكيّة في التفسير : الذّارِيَاتُ جمع الذّارِيَة من قولهم : ذَرَتِ الرّيحُ التّرَابَ تَذْرُوهُ ذَرْوَاً إذا أطارته . والوِقْرُ بالكسر فالسكون ثقل الحمل في الظهر أو في البطن . وفي الآيات إقسام بعد إقسام يفيد التأكيد بعد التأكيد للمقسم عليه وهو الجزاء على الأعمال . فقوله : وَالذّ رِيتِ ذَرْوًا إقسام بالرياح المثيرة للتراب .

وقوله : فَالحَمِلَتِ وِقْرًا بالفاء المفيدة للتأخير والترتيب معطوف على الذّ رِيَتِ وإقسام بالسحب الحاملة لثقل الماء ، وقوله : فَالجَرِيتِ يُسْرًا عطف عليه وإقسام بالسفن الجارية في البحار بيُسر وسهولة . وقوله : فَالْمُقَسّمَتِ أَمْرًا عطف على ما سبقه وإقسام بالملائكة الذين يعملون بأمره فيقسمونه باختلاف مقاماتهم . فإنّ أمر ذي العرش بالخلق والتدبير واحد . فإذا حمله طائفة من الملائكة على اختلاف أعمالهم ، انشعب الأمر وتقسّم بتقسّمهم . ثمّ إذا حمله طائفة هي دون الطائفة الأُولى ، تقسّم ثانياً بتقسّمهم ، وهكذا حتّى ينتهي إلى الملائكة المباشرين للحوادث الكونيّة الجزئيّة فينقسم بانقسامها ويتكثّر بتكثّرها .

والآيات الأربع ــ كما ترى ــ تشير إلى عامّة التدبير حيث ذكرت أُنموذجاً ممّا يدبّر به الأمر في البرّ ، وهو الذّ رِيَتِ ذَرْوًا . وأُنموذجاً ممّا يدبّر به الأمر في البحر ، وهو الجَرِيَتِ يُسْرًا . وأُنموذجاً ممّا يدبّر به الأمر في الجوّ ، وهو الْحَمِلَتِ وِقْرًا . وتمّم الجميع بالملائكة الذين هم وسائط التدبير ، وهم الْمُقَسّمَتِ أَمْرًا .

فالآيات في معنى أن يقال : أُقسم بعامّة الأسباب التي يتمّم بها أمر التدبير في العالم إنّ كذا كذا ، وقد ورد من طرق الخاصّة والعامّة عن عليّ عليه أفضل السلام تفسير الآيات الأربع بما تقدّم . (٢٩)

وروى ابن كثير الدمشقيّ في تفسيره عن شعبة بن الحجّاج ، عن السمّاك ، عن خالد بن عرعرة ، وكذلك روى بسند آخر عن شعبة ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن أبي الطفيل أنّهم سمعوا عليّ بن أبي طالب ، وثبت أيضاً من طرق أُخرى غير هذين السندين ، عن أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب أنّه صعد منبر الكوفة فقال : لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَهِ تَعَالَى وَلَا عَنْ سُنّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ .

فقام إليه ابن الكوّاء ، وقال : يا أمير المؤمنين ! ما معنى قوله تعالى : وَالذّ رِيتِ ذَرْوًا ؟ فقال عليّ رضي الله عنه : الرّيحُ . فقال : ما معنى فَالْحَمِلَتِ وِقْرًا ؟ فقال عليّ رضي

الله عنه : السّحَابُ . قال : فما معنى فَالْجَرِيَتِ يُسْرًا ؟ قال عليّ رضي الله عنه : السّفن . قال : فما معنى فَالْمُقَسّمَتِ أَمْرًا ؟ قال عليّ رضي الله عنه : المَلَائِكَةُ . (٣٠)

وأخرج السيوطيّ في تفسير «الدرّ المنثور» تفسير هذه المعاني الأربعة في الآيات الأربع عن عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام عن عبد الرزّاق ، والفريابيّ ، وسعيد بن منصور ، والحارث بن أبي أُسامة ، وابن جرير ، وابن المنذر ، وابن أبي حاتم ، وابن الأنباريّ في «المصاحف» والحاكم وصحّحه ، والبيهقيّ في «شعب الإيمان» من طرق مختلفة . (٣١)

قصّة صُبَيغ بن عَسَل وعمر في هذه الآية

وأخرج السيوطيّ ، وابن كثير ، عن البزّاز ، والدارقطنيّ في «الأفراد» ، وابن مردويه ، وابن عساكر عن سعيد بن المسيّب قال : جاء صُبَيْغ التميميّ إلى عمر بن الخطّاب فقال : أخبرني عن الذّ رِيَتِ ذَرْوًا . قال : هي الرياح ، ولولا أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقوله ما قلتُه . قال : فأخبرني عن الْحَمِلَتِ وِقْرًا . قال : هي الرياح : ولولا أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقوله ما قلتُه . قال : فأخبرني عن الْجَرِيَتِ يُسْرًا . قال : هي السفن ، ولولا أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقول ما قلتُه . قال : فأخبرني عن الْمُقَسّمَتِ أَمْرًا . قال : الملائكة ، ولولا أنّي سمعت رسول الله صلّى الله عليه [وآله] وسلّم يقوله ما قلتُه .

ثمّ أمر به ، فضُرب مائة ، وجُعل في بيت . فلمّا برأ ، دعاه فضربه مائة أُخرى وحمله على قتب ، ونفاه إلى البصرة ، وكتب إلى أبي موسى الأشعريّ : امنع الناس من مجالسته ، فلم يزالوا كذلك حتّى أتى أبا موسى فحلف له بالأيمان المغلّظة ما يجد في نفسه ممّا كان يجد شيئاً . فكتب (أبو موسى) في ذلك إلى عمر ، فكتب عمر : ما أخاله إلّا قد صدق . فخلّ بينه وبين مجالسة الناس . (٣٢)

وأخرج السيوطيّ عن الفريابيّ ، عن الحسن قال : سأل صُبَيْغ بن عسل التميميّ عمر بن الخطّاب عن الذّ رِيَتِ ذَرْوًا ، وَالمُرْسَلَتِ عُرْفًا ، وَالنّزِعَتِ غَرْقًا . فقال له عمر : اكشف رأسك . فإذا له ضفيرتان . فقال عمر : والله لو وجدتُك محلوقاً ، لضربتُ عنقك . ثمّ كتب إلى أبي موسى الأشعريّ أن لا يجالسه مسلم ولا يكلّمه . (٣٣)

إنّ سؤال صُبَيْغ عمر ، وضربه بجريد النخل وعراجينه حتّى جرح بدنه وورم كالدّمّل ، ثمّ حبسه حتّى برأ ، وضربه مرّة أُخرى بعراجين النخل ، وسائر جزئيّات القضيّة من المسلّمات في التأريخ . وقال ابن كثير في ذيل هذه الرواية التي نقلناه أخيراً عنه : ذكر الحافظ ابن عساكر هذه القضيّة في ترجمة صُبَيْغ مفصّلاً .

ونقل العلّامة الأمينيّ هذه القضيّة في باب نوادر الأثر في علم عمر تحت عنوان : اجتهاد الخليفة في السؤال عن مشكلات القرآن ، وذلك بعبارات ومضامين مختلفة تتحدّث

كلّها عن قضيّة واحدة . ورواها الأمينيّ عن «سنن الدارميّ» ، و«تاريخ ابن عساكر» ، و«سيرة عمر» لابن الجوزيّ ، و«تفسير ابن كثير» ، و«الإتقان» للسيوطيّ ، و«كنز العمّال» نقلاً عن الدارميّ ، ونصر المقدسيّ ، والإصفهانيّ ، وابن الأنباريّ ، والكانيّ ، وابن عساكر . ورواها أيضاً عن تفسير «الدرّ المنثور» ، و«فتح الباري» ، و«الفتوحات المكّيّة» ، وفيها أنّ سليمان بن يسار روى أنّ رجلاً يقال له : صبيغ ، قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن . فأرسل إليه عمر ، وقد أعدّ له عراجين [٣٤] النخل ، فقال : مَن أنت ؟ قال : أنا عبد الله صُبَيغ . فأخذ عمر عرجوناً من تلك العراجين فضربه وقال : أنا عبد الله عمر . فجعل يضربه ضرباً حتّى دميَ رأسه . فقال صُبَيغ : يا أمير المؤمنين ! حسبك ، قد ذهب الذي كنتُ أجد في رأسي .

وعن نافع مولى عبد الله أنّ صُبَيْغ العراقيّ جعل يسأل عن أشياء من القرآن في أجناد المسلمين ، حتّى قدم مصر . فبعث به عمرو بن العاص إلى عمر بن الخطّاب . فلمّا أتاه الرسول بالكتاب فقرأه ، فقال : أين الرجل ؟ فقال الرسول : في الرحل . قال عمر : أبصر أن يكون ذهب فتصيبك منّي العقوبة الموجعة . فأتاه به .

فقال عمر : تسأل محدثة ! فأرسل عمر إلى رطائب من جريد فضربه بها حتّى ترك ظهره دبرة ، ثمّ تركه حتّى برأ . ثمّ عاد له ، ثمّ تركه حتّى برأ . فدعا به ليعود له ، قال صُبَيْغ : إن كنت تريد قتلي ، فاقتلني قتلاً جميلاً . وإن كنت تريد أن تداويني ، فقد والله برئت .

فأذِنَ له عمر إلى أرضه ، وكتب إلى أبي موسى الأشعريّ أن لا يجالسه أحد من المسلمين . فاشتدّ ذلك على الرجل ، فكتب أبو موسى إلى عمر : أن قد حسنت توبته . فكتب عمر أن يأذن الناس بمجالسته .

وعن السائب بن يزيد قال : أُتي عمر بن الخطّاب فقيل : يا أمير المؤمنين ! إنّا لقِينا رجلاً يسأل عن تأويل مشكل القرآن ، فقال عمر : اللَهُمّ مَكّنّي مِنْهُ . فبينما عمر ذات يوم جالساً يُغدي الناس ، إذ جاء (الرجل) وعليه ثياب وعمامة صفدي حتّى إذا فرغ ، قال : يا أمير المؤمنين ! وَالذّ رِيَتِ ذَرْوًا * فَالْحَمِلَتِ وِقْرًا ؟

فقال عمر : أنت هو ؟ فقام إليه وحسر عن ذراعيه ، فلم يزل يجلده حتّى سقطت عمامته .

فقال : والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك . ألبسوه ثياباً واحملوه على قتب وأخرجوه حتّى تقدموا به بلاده . ثمّ ليقم خطيب ، ثمّ يقول : إنّ صبيغاً ابتغى العلم فأخطأه . فلم يزل صُبيغ وضيعاً في قومه حتّى هلك ، وكان سيّد قومه . [٣٥]

وعن أنس : أنّ عمر بن الخطّاب جلد صُبيغاً الكوفيّ في مسألة عن حرف من القرآن حتّى اضطربت الدماء في ظهره .

وعن الزّهْريّ : أنّ عمر جلد صُبيغاً لكثرة مساءلته عن حروف القرآن حتّى اضطربت الدماء في ظهره .

قال الغزّاليّ في «إحياء العلوم» ج ١ ، ص ٣٠ : و[عمر] هو الذي سدّ باب الكلام والجدل ، وضرب صبيغاً بالدرّة لما أورد عليه سؤالاً في تعارض آيتين في كتاب الله وهجره ، وأمر الناس بهجره ــ انتهى .

وصبيغ هذا هو صُبَيْغ بن عَسَل . ويقال : ابن عَسيل . ويقال : صبيغ ابن شريك من بني عسيل . (٣٦)

إنّ العامّة يسوّغون فعل عمر بقولهم : إنّ صبيغاً سأل عن متشابه القرآن ، وقد ورد النهي عن هذا السؤال . فلهذا أدّبه عمر بالضرب ، والحبس ، والتعذيب ، والنفي ، ونهي الناس عن مجالسته .

وذكر السيوطيّ في «الإتقان» روايتين في هذا الموضوع عن صُبيغ ضمن الباب المتعلّق بعدم جواز العمل بمتشابهات القرآن : الأُولى : رواية الدارميّ عن سليمان بن يسار وقد ذكرناها في هذا البحث . الثانية : رواية نافع مولى عبد الله ، وقد أوردناها بعد الرواية الأُولى ، وعرضها السيوطيّ بقوله : وَفِي رِوَايةٍ . (٣٧)

وقال ابن كثير بعد رواية سعيد بن المسيّب التي ننقلها عنه : قصّة صُبَيغ بن عَسَل مشهورة مع عمر ، وَإِنّمَا ضَرَبَهُ لِأَ نّهُ ظَهَرَ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ فِيمَا يَسْأَلُ تَعَنّتاً وَعِنَاداً . وَاللَهُ أَعْلَمُ . (٣٨)

لقد منع عمر الناس من السؤال عن معاني القرآن ومفاهيمه ، وكان يقول : على الناس أن يقرأوا ظاهر القرآن . وكذلك حظر عليهم ذكر الأحاديث وسنّة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسيرته . وأمر ولاته وعمّاله في الأمصار أن ينهوا الناس عن الخوض في الأحاديث النبويّة . وكلّ من كان ينقل حديثاً عن رسول الله ، لم يسلم منه . وكانت درّته قويّة ، وسريعة في ضربتها بحيث لم تدع لأحد مجالاً للسؤال ، ذلك أنّها لم تعرف من تقع عليه ، ولا تشخّص الرأس ، والوجه ، والعنق ، والجذع . ومسكين هو السائل ، فما إن يسأل عن مسألة ، حتّى يضرب بالدرّة فيَرِمَ رأسُه ، وينزف الدم من أنفه وفمه .

وقال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» : دِرّةُ عُمَرَ أَهْيَبُ مِنْ سَيْفِ الحَجّاجِ . (٣٩)

وقد علمنا أنّ عبد الله بن عبّاس كان يريد سؤال عمر عن معنى الآية الآتية ومصداقها : إِن تَتُوبَا إِلَى اللَهِ فَقَد صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ، ولم يزل حريصاً على ذلك ، بَيدَ أنّه لم يجرأ حتّى رافقه في سفر . فأخذ منه الإبريق في الطريق ليسكب على يده الماء فيتوضّأ . فاستثمر الفرصة ، فقال : يا أمير المؤمنين ! من هما المرأتان المقصودتان في هذه الآية : إِن

تَتُوبَآ إِلَى اللَهِ ؟ قال ابن عبّاس : فتأمّل عمر ــ كأنّه كره ما سألته عنه ــ ثمّ رفع رأسه وقال : حفصة وعائشة . (٤٠)

وكذلك علمنا في مسألة العول أنّ ابن عبّاس لمّا بيّن هذه المسألة لزُفَر وأوضح له أنّ العول باطل وخطأ ، قال له زُفر : هلّا قلتَ هذا وعمر حيّ ؟ قال : إنّما كُنْتُ أَهِيبُهُ . (٤١)

واستغرق منع بيان الأحاديث النبويّة قرناً من الزمان . وكان نقلها محظوراً يومئذٍ . لماذا ... ؟ وما أعظم المصيبة التي ألمّت بالأُمّة الإسلاميّة من جرّاء ذلك !

إنّ كتاب الله (القرآن الكريم) نزل للتلاوة والتدبّر وفهم معانيه ومفاهيمه . وما أكثر الآيات التي أمرتنا بالتدبّر في القرآن ، وحذّرتنا بشدّة من عدم فهمه ! فإذا فقد الإنسان الحقّ في فهم القرآن وحُظر عليه السؤال عن مدلوله ومراده ، فماذا يغنيه هذا الكتاب ؟ وهذا الكتاب كتاب عمل ، والعمل بدون علم محال ، فكيف يتيسّر العمل بالقرآن والتصرّف في ضوء تعاليمه بدون فهمه واستيعابه ؟

إنّ الآيات المتشابهات جمّة في القرآن الكريم ، ولكنّها للناس أيضاً . ولم يرد في القرآن لغو وعبث وخطأ . وكلّ ما في الأمر أنّنا ينبغي أن نُرجع الآيات المتشابهة إلى الآيات المحكمة . وعندئذٍ نظفر بمعناها ومفهومها منها . ونُصب الراسخون في العلم من قبل الشارع الأقدس لهذا الأمر . وهم يعرفون معاني المتشابهات ، ويبيّنون للناس الحقيقة من خلال إرجاعها إلى المحكمات .

ولو قدّر أنّ الآيات المتشابهات لا يفهمها أحد إلّا الله ، وأنّ أهل العلم والراسخين في المعارف قد حُرموا فهمها ، فإنّ جميع محتوى القرآن سيصبح خالياً من هذه الآيات المتشابهة حقّاً ، بينما نحن نعلم أنّ القرآن هو مجموعة الآيات المحكمة والآيات المتشابهة .

ومن الطبيعيّ أنّ عمر لم يفهم معاني الآيات المتشابهة ، بل لم يفهم بعض الآيات المحكمة ، ولا ينتظر أحد منه أن يفهم ذلك . وكلّ امرئٍ له شاكلته . وله استيعابه وقابليّته الخاصّة . ولكن يا حسرتا هنا على جلوس هذا الشخص في مجلس النبيّ الأعظم وتربّعه على أريكة الوحي والإلهام والولاية والكتاب وهذه الأُمور الباطنيّة ؟ وهو الذي لا علم له بظواهر القرآن ، ولا جواب عنده يجيب به مراجعيه ، وقد جلس مكان اللسان المعبّر الفصيح البليغ ، أعني صاحب الولاية أمير المؤمنين عليه السلام الذي هو أهل هذا المنصب ، والمتربّي في هذه المدرسة ، والراضع من ثدي الوحي والفهم والدراية والعلم ، والقائل : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، والمترنّم بكلامه : لَوْ ثُنِيَت لِيَ الوِسَادَةُ . وكان جواب عمر للناس إسكاتهم وإخراسهم بدرّته ، ونهرهم عن السؤال والكلام والبحث والرواية .

وكان لا يعرف معنى قوله تعالى : وَالذّٰرِيَتِ ذَرْوًا * فَالْحَمِلَتِ وِقْرًا ، فعجز عن جواب صُبَيغ وخجل وافتضح ، فلهذا انهال عليه بدرّته . ولم يرد في الروايات المأثورة

في هذا المجال أنّ عمر قال إنّ معنى الذاريات الرياح ، ومعنى الحاملات السّحُب ، أو أنّه قال : لو لم يقله رسول الله ما قلته . وما جاء من عبارات ــ في حديث السيوطيّ وابن كثير منقولاً عن سعيد بن المسيّب ــ موضوعٌ من قبل الراوي الذي أراد أن يغطّي على جهل الخليفة وينتحل له عذراً يسوّغ فيه ضربات درّته المنهالة على صبيغ .

ونصّ ابن كثير في بيان هذا الحديث على أنّه حديث مرفوع . ثمّ قال : قال أبا بكر البزّاز : فأبو بكر بن أبي سُبَرَة ليّن ، وسعيد بن سلام ليس من أصحاب الحديث ثمّ قال : قلتُ : فهذا الحديث ضعيف رفعه . (٤٢)

ولا يعرف كتاب الله إلّا من جاء به وخليفته الذي حمله إلى المسجد ملفوفاً بقطعة من القماش ، وقال لتلك الجماعة : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم :

إنّي مخلّف فيكم الثقلين : كتاب الله ، وعترتي . فهذا كتاب الله ، وأنا عترة رسول الله .

فقام عمر وقال : إذا كان عندك كتاب الله ، فعندنا مثله ، فلهذا لا حاجة بنا إليكما (الكتاب والعترة) . فأرجع أمير المؤمنين عليه السلام الكتاب معه وقال : سوف لن تراه إلى يوم القيامة . (٤٣)

ولا يُعقل وجود كتاب الله على الأرض ، وتكليف الناس بالعمل به ما لم يكن هناك مدرّس ومعلّم يعلم ظاهره وباطنه ومحكمه ومتشابهه . ومن الضروريّ وجود الثّقَلَينِ متلازِمَينِ : الكتاب والعترة ، الكتاب والإمام البرّ العالم به .

وروى الشيعة والعامّة عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بسند متواتر ، بل يفوق التواتر أنّه قال : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَهِ وَعِتْرَتِي ــ أَوْ أَهْلَ بَيْتِي ــ وَإِنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . (٤٤)

وخصّص آية الله العلّامة : مير حامد حسين اللكهنويّ الهنديّ النيسابوريّ رضوان الله عليه الجزء الثاني عشر من كتابه الشريف والبديع : «عبقات الأنوار» للبحث حول هذا الحديث المبارك ، وقسمه إلى قسمين : جعل الأوّل للبحث في سنده ، والثاني للبحث في دلالته .

ولا ريب أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو حامي القرآن وحافظ المحكمات والمتشابهات ، والعالم بالمطلق والمقيّد ، والناسخ والمنسوخ . وهو الذي أجاب ابن الكوّاء على المنبر أمام آلاف الناس بلا وجل . وهو الذي فتح باب الجدل والكلام ، ودعا الملاحدة والزنادقة إلى النقاش ، وناظر علماء اليهود والنصارى والجثالقة من الذين كانوا في الطراز الأوّل منهم ، وألزمهم وعطفهم إلى الإسلام . ودرّته لسانه ، ومنطقه . تلك الدرّة التي تبتسم ، وتتفتّح كالزهرة ، وتُدخل الناس الملحدين في الدين ، لا الدرّة التي تنفّر المتديّنين من الدين وتكرههم على الفرار .

وينبغي للناس أن يرجعوا إليه ، ويلوذوا بجنبه ، ويعرضوا عليه مشاكلهم وأسئلتهم بلا خوف ولا رعب ولا تحفّظ . وكان على صُبَيغ أن يكون كأصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وأتباعه وشيعته ، فيقصده لرفع مشاكله العلميّة ، ويأخذ منه الجواب التامّ الوافي الشافي ، ويروي غليله من معدن الولاية ، ومنهل العلم والمعرفة . ولقد أخطأ إذ يمّم مائدة غيره وصَبوحَه ، وشبع منها . فلهذا كانت تلك الصفعات المتوالية الماحقة الساحقة على رأسه ذي الضفائر من اللوازم لا تبارح تلك المائدة . وقد أشفق الله عليه إذ كان رأسه غير محلوق ، وإلّا لقطع ، وأُشخص إلى ديار العدم .

إنّ ما كتبه عمر إلى أبي موسى الأشعريّ حقّ ، إذ قال له : إنّ صُبَيْغاً قَدِ ابْتَغَى العِلْمَ وَأَخْطَأَهُ . إنّه ابتغى العلم بَيدَ أنّه لم يعرف كيف يحصل عليه ، ومن أين يأخذه ، وأيّ معلّم وأميرٍ للمؤمنين ييمّم ؟ هل ييمّم شخصاً لقّبه المغيرة بن شعبة : أمير المؤمنين ، وأمر الناس مجازاً واعتباراً أن ينادوه بهذا اللقب ويخاطبوه به ؟ أو ييمّم أمير المؤمنين الحقيقيّ الذي لقّبه الرسول الأكرم به من الله ، ووضعه وساماً لأسد الولاية ، وأمر المسلمين والمسلمات كافّة يوم غدير خُمّ أن يخاطبوه ب : أمير المؤمنين ، ويسلّموا عليه بهذا اللقب قائلين : السّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ .

وأنّ عمر وأبا بكر أنفسهما قالا له : السّلَامُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ، بَخٍ بَخٍ لَكَ يَا عَلِيّ ، أَصْبَحْتَ وَأَمْسَيْتَ مَوْلَايَ وَمَوْلَى كُلّ مُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ .

وتستبين لنا جيّداً هنا ــ لا مفهوماً وعلى حمل الأوّلي الذاتيّ بل مصداقاً وعلى حمل الشايع الصناعيّ ــ صيحات أمير المؤمنين عليه أفضل صلوات المصلّين واستغاثاته في خطبه ومواعظه بخاصّة في خطب «نهج البلاغة» ولسان حاله يقول : أيّها الناس هلمّوا إلينا ، وخذوا منّا ، فإنّ العلم والمعرفة والنور والسرور والحبور والحياة الأبديّة السرمديّة عندنا . لا تيمّموا غيرنا فتبوءُوا صفر اليدين خائبين خاسرين ، مُرهَقين مُنهكين ، أخلِياء الوفاض ، فاقدين رصيد أعماركم ، وتصلون إلى السراب بدل أن تصلوا إلى تلألؤ الماء . وفي نهاية المطاف تضيّعون أعماركم وما وهبكم الله حيث ينبغي عليكم الرحيل من هنا العالم بعد أن هِمتُم بموجود مظلم قبيح عفن .

ونعود إلى كلام ابن شهرآشوب في بيان سبق أمير المؤمنين عليه السلام كافّة الناس في جميع العلوم . يقول : وجهلوا تفسير قوله تعالى : إِنّ أَوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ ، [٤٥] فقال له رجل : هو أوّل بيتٍ ، قَالَ : لَا ، قَدْ كَانَ قَبْلَهُ بُيُوتٌ وَلَكِنّهُ أَوّلُ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ مُبَارَكاً فِيهِ الهُدَى وَالرّحْمَةُ وَالبَرَكَةُ . وَأَوّلُ مَنْ بَنَاهُ إِبْرَاهِيمُ ، ثُمّ بَنَاهُ قَوْمٌ مِنَ العَرَبِ مِنْ جُرْهُمَ ، ثُمّ هُدِمَ فَبَنَتْهُ قُرَيْشٌ . [٤٦]

وإنّما استُحسن قول ابن عبّاس فيه لأنّه أخذ منه عليه السلام . [٤٧] وقال أحمد في مسنده : لمّا تُوفّي النبيّ صلّى الله عليه وآله ، كان ابن عبّاس ابن عشر سنين ، وكان قرأ المُحكَم يعني المفصّل . [٤٨] وقال الصاحب بن عبّاد :

هَلْ مِثْلُ عِلْمِكَ لَوْ زَلّوا وَإِنْ وَهَنُوا
وَقَدْ هُدِيتَ كَمَا أَصْبَحْتَ تَهْدِينَا ؟

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الفقه

ومن جملة العلوم : علم الفقه . وظهر فقهاء في الإسلام كان أمير المؤمنين عليه السلام أفقههم . فإنّه ما ظهر عن جميعهم ما ظهر منه . ثمّ إنّ جميع فقهاء الأمصار إليه يرجعون ومن بحر فقهه يغترفون . أمّا أهل الكوفة وفقهاؤهم سفيان الثوري ، والحسن بن صالح بن حيّ ، وشريك بن عبد الله ، وابن أبي ليلى . وهؤلاء يفرّعون المسائل من الأُصول ويقولون : هذا القياس قول عليّ بن أبي طالب . ويترجمون الأبواب (الفقهيّة) بذلك .

وأمّا أهل البصرة وفقهاؤهم الحسن وابن سيرين ، وكلاهما كانا يأخذان عمّن أخذ عن عليّ عليه السلام . وابن سيرين يفصح بأنّه أخذ عن الكوفيّين ، وعن عُبيدة السمعانيّ ، وهو أخصّ الناس بعليّ عليه السلام .

وأمّا أهل مكّة ، فإنّهم أخذوا فقههم عن ابن عبّاس ، وعن عليّ عليه السلام . وقد أخذ ابن عبّاس معظم علمه عنه عليه السلام .

وأمّا أهل المدينة فعنه عليه السلام أخذوا . وقد صنّف الشافعيّ كتاباً مفرداً في الدلالة على اتّباع أهل المدينة لعليّ عليه السلام ، وعبد الله . وقال محمّد بن الحسن الفقيه : لَوْلَا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ مَا عَلِمْنَا حُكْمَ أَهْلِ البَغي (إذ لا ينبغي أسرهم ، والإجهاز على جريحهم ، وابتزاز أموالهم) . ولمحمّد بن الحسن كتاب في الفقه يشتمل على ثلاثمائة مسألة في قتال أهل البغي بناءً على فعله عليه السلام .

وورد في مسند أبي حنيفة أنّ هشام بن الحكم قال : قال الصادق عليه السلام لأبي حنيفة : من أين أخذتَ القياس ؟ قال : من قول عليّ بن أبي طالب ، وزيد بن ثابت . حين شاهدهما عمر في الجدّ مع الإخوة (في باب الإرث) فقال له عليّ عليه السلام :

لَوْ أَنّ شَجَرَةً انْشَعَبَ مِنْهَا غُصْنٌ وَانْشَعَبَ مِنَ الغُصْنِ غُصْنَانِ ، أَيّمَا أَقْرَبُ إِلَى أَحَدِ الغُصْنَيْنِ : أَصَاحِبُهُ الّذِي يَخْرُجُ مَعَهُ أَمِ الشّجَرَةُ ؟

فقال زيد (بن ثابت) : لَوْ أَنّ جَدْوَلاً انْبَعَثَ فِيهِ سَاقِيَةٌ ، فَانْبَعَثَ مِنَ السّاقِيَةِ سَاقِيَتَانِ ، أَيّمَا أَقْرَبُ : أَحَدُ السّاقِيَتَيْنِ إِلَى صَاحِبِهِمَا أَمِ الجَدْوَلُ ؟ [٤٩]

(٥٠)

نرى هنّا أنّ أمير المؤمنين عليه السلام وزيد بن ثابت أرادا أن يقيما له برهاناً يتلخّص في أنّه لمّا كان تقسيم الميراث بين أرحام الميّت وأقربائه على أساس قرابتهم منه ، فإنّ من مات وليس له أولاد وأب وأُمّ ، ولكن له جدّ وأخ ، فلا يُعطى الجدّ الميراثَ كلّه ، إذ إنّ للأخ أن يرث أيضاً ، وهو أقرب إلى المتوفّى من الجدّ . وإذا أعطينا جدّه نصيبه من الإرث ، فلابدّ أن نعطي أخاه نصيبه أيضاً . وحينئذٍ يصل الميراث إلى الجدّ والإخوة ، لا إلى الجدّ وحده . وقبل عمر كلامهما ، وعندما راجعوه في إرث المتوفّى الذي ترك جدّاً وأخاً ، أفتى بأنّهما يرثان معاً ، وذلك على خلاف رأي أبي بكر الذي كان يقول : الجدّ يرث فحسب .

وقال الشيخ الطوسيّ في كتاب «الخلاف» : إذا كان الورثة هم أُخت لأب وأُمّ ، وأخ لأب ، وجدّ ، فالمال بين الأخ للأب والأُمّ ، والجدّ نصفان : لِلذّكَرِ مِثْلُ حَظّ الْأُنْثَيَيْنِ . ويسقط الأخ من جهة الأب . واختلف الصحابة فيها ، فذهب أبو بكر ومن تابعه إلى أنّ المال للجدّ ، ويسقطان معاً . وذهب عمر وابن مسعود إلى أنّ المال بين الأخ للأب والأُمّ ، وبين الجدّ نصفان ويسقط الأخ للأب . (٥١)

وقال الشيخ محمّد حسن النجفيّ في كتاب «جواهر الكلام» : لا خلاف بيننا [نحن الشيعة] في أنّ الجدّ ، وإن علا ، يقاسم الإخوة لصدق اسم الجدّ ، فضلاً عن أولادهم . بل عن بعض العامّة سقوط كلالة الأبوين أو الأب مع الجدّ ، وإن تواترت نصوصنا بخلافه ــ إلى أن قال ــ وعلى كلّ حال ، فلو اجتمعا ، أي الأدنى وإن بعد مع الإخوة ، شاركهم الأدنى وسقط الأبعد من غير فرق بين اتّحاد الجهة واختلافها . فلا يرث (الجدّ) الأعلى للأب ولو كانَ ذَكَراً مع (الجدّ) الأدنى للأُمّ ولو كان أُنثى ، وكذا العكس . (٥٢)

ومن جملة العلوم التي فاق بها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام غيره علم حساب مقدار الميراث . ويسمّى صاحب هذا العلم فرضيّاً ، وجمعه (فرضيّون) . وكان الإمام صلوات الله عليه أشهر الفرضيّين في هذا العلم . فقد جاء في فضائل أحمد بن حنبل أنّ عبد الله قال : إنّ أعْلَمَ أَهْلِ المَدِينَةِ بِالفَرَائِضِ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ .

وقال الشّعْبيّ : مَا رَأَيْتُ أَفْرَضَ مِنْ عَلِيّ وَلَا أَحْسَبَ مِنْهُ . ثمّ نقل الشعبيّ سؤال الشخص الذي سأل الإمام وهو يخطب على المنبر ، إذ سأله عن رجل مات وترك امرأة وأبوين وابنتين ، كم نصيب المرأة ، فقال عليه السلام بلا توقّف : صَارَ ثُمُنُهَا تُسْعَاً . (٥٣) وعرفت هذه المسألة بالمسألة المنبريّة .

ومن ذلك المسألة الدينارّية ، وفيها أنّ الإمام خرج من منزله ووضع قدمه في الركاب ، فجاءته امرأة وقالت له : مات أخي وترك ستمائة دينار ، وأعطونيّ ديناراً واحداً من هذا المبلغ فأنصفني وأعطني حقّي . فعدّ الإمام مقداراً من الورثة في ذهنه الوقّاد على الفور ، وأثبت لها أنّ نصيبها ليس أكثر من دينار ، ثمّ ركب ومضى عليه السلام .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الروايات (علم الحديث)

ومن جملة العلوم : علم الحديث . وأنّ أصحاب الحديث الذين رووا عن رسول الله صلّى الله عليه وآله بلا واسطة نيّف وعشرون رجلاً ، منهم : ابن عبّاس ، وابن مسعود ، وجابر الأنصاريّ ، وأبو أيّوب ، وأبو هريرة ، وأنس ، وأبو سعيد الخُدريّ ، وأبو رافع ، وغيرهم . وكان عليّ بن أبي طالب عليه السلام أسبقهم وأتقنهم وآمنهم لأنّه أكثرهم رواية وأتقنهم حجّة ، وهو مأمون الباطن لقول رسول الله صلّى الله عليه وآله : عَلِيّ مَعَ الحَقّ .

وذكر الترمذيّ والبلاذريّ أنّه قِيلَ لِعَلِيّ : مَا بَالُكَ أَكْثَرُ أَصْحَابِ النّبِيّ صَلّى اللّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَدِيثاً ؟ قَالَ : كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُهُ أَنْبَأَنِي ، وَإِذَا سَكَتّ عَنْهُ ابْتَدَأَنِي .

وورد في كتاب ابن مردويه أنّه قال : كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُعْطِيتُ ، وَإِذَا سَكَتّ ابْتُدِيتُ .

وقال محمّد الإسكافيّ :

حِبْرٌ عَلِيمٌ بِالّذِي هُوَ كَائِنٌ
وَإِلَيْهِ فِي عِلْمِ الرّسَالَةِ يُرْجَعُ
أَصْفَاهُ أَحْمَدُ مِنْ خَفِيّ عُلُومِهِ
فَهُوَ البَطِينُ مِنَ العُلُومِ الأَنْزَعُ

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الكلام والجدل والبحث الفلسفيّ

ومن جملة العلوم : علم الكلام . وقد ظهر المتكلّمون في هذا الموضوع ، وأمير المؤمنين عليه السلام هو الأصل في علم الكلام . وقال رسول الله صلّى الله عليه وآله : عَلِيّ رَبّانِيّ هَذِهِ الأُ مّةِ . وفي الأخبار : أنّ أَوّلَ مَنْ سَنّ دَعْوَةَ المُبْتَدِعَةِ بِالمُجَادِلَةِ إِلَى الحَقّ عَلِيّ عَلَيهِ السّلَامُ .

وقد ناظره الملاحدة في (ما زعموه من) مناقضات القرآن . وأجاب مشكلات مسائل الجاثليق حتّى أسلم . ونقل أبو بكر بن مردويه في كتابه عن سفيان أنّه قال : مَا حَاجّ عَلِيّ أَحَداً إِلّا حَجّهُ .

ولمّا قال له رأس الجالوت (كبير علماء اليهود) : لم تلبثوا بعد نبيّكم إِلّا ثلاثين سنة حتّى ضرب بعضكم وجه بعض بالسيف ، قال عليه السلام : وَأَنْتُمْ لَمْ تَجِفّ أَقْدَامُكُمْ مِنْ مَاءِ البَحْرِ حَتّى قُلْتُمْ لِمُوسَى : اجْعَلْ لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ .

وأرسل إليه أهل البصرة كُليباً الجرميّ بعد يوم الجمل ليزيل الشبهة عنهم فيأمره فذكر له ما علم أنّه على الحقّ . ثمّ قال له : بايع . فقال كُلَيْب : إنّي رسول لقوم فلا أُحدث حدثاً حتّى أرجع إليهم .

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : أَرَأَيْتَ لَوْ أَنّ الّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِداً تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الغَيْثِ ، فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ فَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الكَلَأِ وَالمَاءِ ؟ قَالَ : فَامْدُدْ إِذاً يَدَكَ . (٥٤)

إنّ الذين وراءك بعثوك لتجد لهم في الصحراء الجافّة القاحلة أرضاً خضراء تهطل فيها الأمطار فتخبرهم ليأتوها ويحطّوا رحالهم فيها ويسكنوها . وأنتَ وجدتَ مثل هذه الأرض ورجعتَ إليهم لتخبرهم عن مكان الماء والعلف والعشب . فإذا شربتَ ماءً قبل رجوعك إليهم ، وألقيت رحلك هناك ، فهل ارتكبتَ جرماً أو قمتَ بعمل صحيح ؟ إنّ إرسالك كإرسال رائدٍ يفتّش عن الماء والكلأ في الصحراء ، فإذا بلغ الماء ، شرب منه فوراً وأنقذ حياته ، ثمّ رجع إلى قومه يخبرهم عن الماء والكلأ ويهديهم إلى ذلك المكان . قال كُليب : فو الله ما استطعتُ أن أمتنع عند قيام الحجّة عَلَيّ ، فبايعتُه عليه السلام . (٥٥)

ومن كلام الإمام الحكميّ والفلسفيّ قوله عليه السلام : أَوّلُ مَعْرِفَةِ اللّهِ تَوْحِيدُهُ ، وَأَصْلُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ الصّفَاتِ عَنْهُ ــإلى آخر الخبر .

وما أطنب المتكلّمون في أُصول الدين وأطالوا إنّما هو زيادة لتلك الجمل وشرح لتلك الأُصول ، فالإماميّة يرجعون إلى الإمام الصادق عليه السلام في هذه المعاني ، وهو إلى آبائه الكرام . أمّا المعتزلة والزيديّة ، فإنّ ما عندهم من هذه الأُمور يرويه لهم القاضي عبد الجبّار بن أحمد ، عن أبي عبد الله الحسين البصريّ ، عن أبي إسحاق عبّاس ، وهذان عن أبي هاشم الجبّائيّ ، عن أبيه أبي عليّ ، عن أبي يعقوب الشحّام ، عن أبي هُذيل العلّاف ، عن أبي عثمان الطويل عن واصل بن عطاء ، عن أبي هاشم عبد الله بن محمّد بن عليّ ، عن أبيه محمّد ابن الحنفيّة ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

وقال الورّاق القمّيّ :

عَلِيّ لِهَذَا النّاسِ قَدْ بَيّنَ الّذِي
هُمُ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَلَمْ يَتَوَجّمَ
عَلِيّ أَعَاشَ الدّينَ وَفّاهُ حَقّهُ
وَلَوْلَاهُ مَا أُفْضَى إِلَى عُشْرِ دِرْهَمِ

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم النحو

ومن جملة العلوم : علم النحو وبرز فيه علماء ، وعليّ عليه السلام مؤسّس علم النحو وواضعه ، ذلك أنّ علماء النحو رووا هذا العلم عن الخليل بن أحمد بن عيسى بن عمرو الثقفيّ ، عن عبد الله بن إسحاق الحضرميّ ، عن أبي عمرو بن العلاء ، عن ميمون الأقرن ، عن عنبسة الفيل ، عن أبي الأسود الدّؤَليّ ، عن أمير المؤمنين عليه السلام .

والسبب في ذلك أنّ قريشاً يزوّجون بالأنباط ، [٥٦] فوقع فيما بينهم أولاد ، ففسد لسانهم ، حتّى أنّ بنتاً لخويلد الأسديّ كانت متزوّجة برجل من الأنباط فقالت : إنّ أَبَوَيّ مَاتَ وَتَرَكَ عَلَيّ مَالٌ كَثِيرٌ . (تريد أنّ أبويها ماتا وتركا لها مالاً كثيراً) . وهذه الجملة لحن ، والصحيح : أَنّ أَبَوَيّ مَاتَا وَتَرَكَا لِي مَالَاً كَثِيراً . فلمّا علم الإمام فساد لسانها ، أسّس النحو .

وروي أنّ أعرابيّاً سمع سوقيّاً يقرأ : إِنّ اللَهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِ . فشجّ رأسه ، فخاصمه إلى أمير المؤمنين عليه السلام . فسأله عن سبب شجّ رأسه ، فقال الأعرابيّ : إنّه كفر بالله في قراءته . فقال عليه السلام : إنّه لم يتعمّد ذلك . [٥٧]

وروي أيضاً أنّ أبا الأسود كان في بصره سوء ، وله بنت تقوده إلى عليّ عليه السلام ، فقالت : يَا أَبَتَاه ! مَا أَشَدّ حَرّ الرّمْضَاءِ ، تريد التعجّب (وهذا لحن ، والصحيح أن تقول : يَا أَبَتَاهْ ! الرّمْضَاءُ مَا أَشَدّ حَرّاً ، أو تقول : مَا أَشَدّ حَرّ الرّمْضَاءِ !) فنهاها عن مقالتها ، وأخبر أمير المؤمنين عليه السلام بذلك ، فأسّس علم النحو .

وروي كذلك أنّ أبا الأسود كان يمشي خلف جنازة . فقال له رجل : مَنِ المُتَوَفّي ؟ (وهو يريد : مَنِ المُتَوَفّى ؟) فقال : اللَهُ . ثمّ أخبر عليّاً عليه السلام بذلك ، فأسّس علم النحو .

وعلى كلّ وجه ، كتب أمير المؤمنين عليه السلام أُصول علم النحو في رسالة وأعطاها أبا الأسود وقال له : مَا أَحْسَنَ هَذَا النّحْوَ ! أُحْشُ لَهُ بِالمَسَائِلِ . فَسُمّيّ نَحْوَاً . [٥٨]

قال ابن سلام : كان ما في الرقعة قوله : الكَلَامُ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ : اسْمٌ ، وَفِعْلٌ ، وَحَرْفٌ جَاءَ لِمَعْنَىً . فَالاسْمُ مَا أَنْبَأَ عَنِ المُسَمّى ، وَالفِعْلُ مَا أَنْبَأَ عَنْ حَرَكَةِ المُسَمّى ، وَالحَرْفُ مَا أَوْجَدَ مَعْنَىً فِي غَيْرِهِ .

وكتب أمير المؤمنين عليه السلام بعد ذلك : كَتَبَ عَلِيّ بْنُ أَبُو طَالِبٍ . فعجز النحويّون وعلماء البلاغة والأدب عن ذلك (إذ كيف كتب : أبو طالب ، بينما ينبغي أن يكتب : أبي طالب) . فقال بعضهم : أبو طالب اسمه كنيته . وقال بعض آخر : هذا تركيب مثل درّاحنا ، وحضرموت . وقال الزمخشريّ في «الفائق» : تُرك في حال الجرّ على لفظه في حال الرفع ، لأنّه اشتهر بذلك ، وعُرّف . فجرى مجرى المثل الذي لا يتغيّر .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الخطابة

ومن جملة العلوم : علم الخطابة . وكان أميرالمؤمنين عليه السلام أخطب الخطباء . [٥٩] ألا ترى إلى خطبه مثل خطبة التوحيد ، والشقشقيّة ، والهداية ، والملاحم ، واللؤلؤة ، والغرّاء ، والقاصعة ، والافتخار ، والأشباح ، والدرّة اليتيمة ، والأقاليم ، والوسيلة ،

والطالوتيّة ، والنخيلة ، والسليمانيّة ، والناطقة ، والدامغة ، والفاضحة ، بل «نهج البلاغة» الذي جمعه الشريف الرضيّ ، وكتاب «خطب أمير المؤمنين عليه السلام» عن إسماعيل بن مهران السكونيّ ، عن زيد بن وهب أيضاً ؟

وقال الحِمْيَريّ :

مَنْ كَانَ أَخْطَبَهُمْ وَأَنطَقَهُمْ وَمَنْ
قَدْ كَانَ يَشْفِي حَوْلَهُ البُرَحَاء
مَنْ كَانَ أَنْزَعَهُمْ مِنَ الإِشْرَاكِ أَوْ
لِلْعِلْمِ كَانَ البَطْنُ مِنْهُ خَفَّاء
مَنْ ذَا الَّذِي أُمِرُوا إِذَا اخْتَلَفُوا بِأَنْ
يَرْضَوا بِهِ فِي أَمْرِهِمْ قَضّاء
مَنْ قِيلَ لَوْلَاهُ وَلَوْلَا عِلْمُهُ
هَلَكُوا وَعَاثُوا فِتْنَةً صَمّاء [٦٠]

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الفصاحة والبلاغة

ومن جملة العلوم ، علم الفصاحة والبلاغة . وأمير المؤمنين عليه السلام أوفر الفصحاء والبلغاء حظّاً فيه . قال الشريف الرضيّ : أمير المؤمنين عليه السلام مشرع الفصاحة وموردها ، ومنشأ البلاغة ومولدها . ومنه ظهر مكنونها ، وعنه أخذت قوانينها .

وقال الجاحظ في كتاب «الغُرّة» : كتب أمير المؤمنين عليه السلام إلى معاوية : غَرّكَ عِزّكَ ، فَصَارَ قُصَارَ ذَلِكَ ذُلّكَ ، فَاخْشَ فَاحِشَ فِعْلِكَ ، فَعَلّكَ تَهْدِي بِهَذَا (بِهُدى ــ ظ) . [٦١]

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : مَنْ آمَنَ أَمِنَ .

وروى الكلينيّ عن أبي صالح ، وأبو جعفر بن بابويه بإسناده عن الإمام الرضا عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام أنّه اجتمعت الصحابة فتذاكروا أنّ الألف أكثر دخولاً في الكلام . فارتجل أمير المؤمنين عليه السلام الخطبة المونقِة التي أوّلها : حَمِدْتُ مَنْ عَظُمَتْ مِنّتُهُ ، وَسَبَغَتْ نِعْمَتُهُ ، وَسَبَقَتْ رَحْمَتُهُ ، وَتَمّتْ كَلِمَتُهُ ، وَنَفَذَتْ مَشِيّتُهُ ، وَبَلَغَتْ قَضِيّتُهُ ــ إلى آخرها . [٦٢]

ثمّ ارتجل عليه السلام خطبة أُخرى من غير نقط ، وأوّلها : الحَمْدُ لِلّهِ أَهْلِ الحَمْدِ وَمَأْوَاهُ ، وَلَهُ أَوْكَدُ الحَمْدِ وَأَحْلَاهُ ، وَأَسْرَعُ الحَمْدِ وَأَسْرَاهُ ، وَأَطْهَرُ الحَمْدِ وَأَسْمَاهُ ، وَأَكْرَمُ الحَمْدِ وَأَوْلَاهُ ــ إلى آخرها . [٦٣]

قال ابن شهرآشوب : وقد أوردتُ الخطبتين في كتاب «المخزون المكنون» .

ومن كلامه عليه السلام : تَخَفّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإِنّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوّلِكُمْ آخِرُكُمْ . [٦٤]

وقوله عليه السلام : مَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنّمَا يَقْبِضُ عَنْهُمْ بِيَدٍ وَاحِدَةٍ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ .

وقوله عليه السلام أيضاً : وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ المَوَدّةَ .

وقوله عليه السلام : وَمَنْ جَهِلَ شَيئاً عَادَاهُ . فالإنسان عدوّ مجهولاته . ومثل هذا الكلام قوله تعالى : بَلْ كَذّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ . (٦٥)

وقوله عليه السلام : المَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ ، فَإِذَا تَكَلّمَ ظَهَرَ . ومثله قوله تعالى : وَلَتَعْرِفَنّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ . (٦٦)

وقوله عليه السلام : قِيمَةُ كُلّ امْرِءٍ مَا يُحْسِنُ . (٦٧) ومثله قوله تعالى : إِنّ اللّهَ اصْطَفَهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالجِسْمِ . (٦٨)

وقوله عليه السلام : القَتْلُ يُقِلّ القَتْلَ . (٦٩) ومثله قوله تعالى : وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ . (٧٠)

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في الشعر

ومن جملة العلوم ، علم إنشاء الشعر . وكان أمير المؤمنين عليه السلام أشعر الشعراء . وذكر الجاحظ في كتاب «البيان والتبيين» وفي كتاب «فضائل بني هاشم» ، وأيضاً البلاذريّ في كتاب «أنساب الأشراف» أنّ عَلِيّاً أَشْعَرُ الصّحَابَةِ وَأَفْصَحُهُمْ وَأَخْطَبُهُمْ وَأَكْتَبُهُمْ .

وفي تاريخ البلاذريّ كان أبو بكر يقول الشعر ، وعمر يقول الشعر ، وعثمان يقول الشعر ، وكان عليّ عليه السلام أشعر الثلاثة .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام فى علم العَروض

ومن جملة العلوم : علم العروض . وظهر العروضيّون ، وخرج علم العروض من دار عليّ عليه السلام . ورُويَ أنّ الخليل بن أحمد أخذ رسم العروض عن رجل من أصحاب محمّد بن عليّ الباقر أو عليّ بن الحسين عليهما السلام ، فوضع لذلك أُصولاً .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في العربيّة واللغة والاشتقاق

ومن جملة العلوم ، علم العربيّة . وخرج العلماء فيها من رياضه ، وكان عليه السلام أحكمهم وأتقنهم .

روى ابن الحريريّ البصريّ في كتاب «درّة الغوّاص» ، وابن فيّاض في «شرح الأخبار» أنّ الصحابة قد اختلفوا في المَوْءُودَةِ ، فقال لهم عليّ عليه السلام : إنّها لَا تَكُونُ مَوْءُودَة حَتّى يَأْتِيَ عَلَيْهَا التّارَاتُ السّبْعُ . [٧١] فقال له عمر : صدقتَ أطال الله بقاك .

وأراد الإمام عليه السلام بذلك المراحل المبينة في قوله تعالى : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَنَ مِن سُلَلَةٍ مّن طِينٍ إلى آخر الآيات الواردة . [٧٢] وفي ضوء هذا الاستشهاد ، أشار الإمام إلى أنّه إذا استهلّ بعد الولادة ثمّ دُفن ، فقد وُئِدَ .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الوعظ

ومن جملة العلوم ، علم الوعظ . فقد ظهر وعّاظ ، وليس لأحد من الأمثال والعبر والمواعظ والزواجر ما له ، نحو قوله : مَنْ زَرَعَ العُدْوَانَ حَصَدَ الخُسْرَانَ . وقوله : مَنْ ذَكَرَ المَنِيّةَ نَسِيَ الأُمنِيّةَ . وقوله : مَنْ قَعَدَ بِهِ العَقْلُ قَامَ بِهِ الجَهْلُ . وقوله : يَا أَهْلَ الغُرُورِ مَا أَبْهَجَكُمْ بِدَارٍ خَيْرُهَا زَهِيدٌ ، وَشَرّهَا عَتِيدٌ ، وَنَعِيمُهَا مَسْلُوبٌ ، وَعَزِيزُهَا مَنْكُوبٌ ، وَمُسَالِمُهَا مَحْرُومٌ ، وَمَالِكُهَا مَمْلُوكٌ ، وَتُرَاثُهَا مَتْرُوكٌ .

وصنّف عبد الواحد الآمديّ كتاب «غرر الحكم ودرر الكلم» في غرر كلامه عليه السلام . [٧٣]

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الفلسفة والحكمة

ومن العلوم ، علم الفلسفة والحكمة . وكان أمير المؤمنين عليه السلام أرجح الفلاسفة والحكماء . ومن كلامه في هذا المجال : أَنَا النّقْطَةُ أَنَا الخَطّ ، أَنَا الخَطّ أَنَا النّقْطَةُ ، أَنَا النّقْطَةُ وَالخَطّ . [٧٤]

وقال جماعة في تفسير هذه الجمل وبيانها : القدرة هي الأصل ، والجسم حجاب القدرة ، والصورة حجاب الجسم . لأنّ النقطة هي الأصل ، والخطّ حجابه ومقامه ، والحجاب غير الجسد الناسوتيّ .

وسُئِل عن العالَم العلويّ ، فقال :

صُوَرٌ عَارِيَةٌ عَنِ المَوَادّ ، عَالِيَةٌ عَنِ القُوّةِ وَالاسْتِعْدَادِ ، تَجَلّى لَهَا فَأَشْرَقَتْ ، وَطَالَعَهَا فَتَلألأَتْ ، وَأَلْقَى فِي هُوِيّتِهَا مِثَالَهُ فَأَظْهَرَ فِيهَا أَفْعَالَهُ . وَخَلَقَ الإِنْسَانَ ذَا نَفْسٍ نَاطِقَةٍ إِنْ زَكّاهَا بِالعِلْمِ فَقَدْ شَابَهَتْ جَوَاهِرَ أَوَائِلِ عِلَلِهَا ، وَإِذَا اعْتَدَلَ مِزَاجُهَا وَفَارَقَتِ الأَضْدَادَ فَقَدْ شَارَكَ بِهَا السّبْعَ الشّدَادَ . [٧٥]

وقال ابن سينا : لَمْ يَكُنْ شُجَاعاً فَيْلَسُوفاً قَطّ إِلّا عَلِيّ عَلَيْهِ السّلَامُ .

وقال الشريف الرضي : من سمع كلامه لا يشكّ أنّه كلامُ من قبع في كَسر بيتٍ أو انقطع في سفح جبل لا يسمع إلّا حسّه ، ولا يرى إلّا نفسه ، ولا يكاد يوقن بأنّه كلام من يتغمّس في الحرب ، مصلتاً سيفه فيقطّ الرقاب ويجدّل الأبطال ، ويعود به ينطف دماً ، ويقطر مُهَجاً ، وهو مع ذلك زاهد الزهّاد ، وبدل الأبدال . وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه التي جمع بها بين الأضداد . (٧٦)

وقال السوسيّ :

وَفِي كَفِّهِ سَبَبُ المَوْتِ الوَفِيّ فَمَنْ
عَصَاهُ مَدّ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السّبَبِ
فِي فِيهِ سَيْفٌ حَكَاهُ سَيْفُ رَاحَتِهِ
سِيّانَ ذَاكَ وَذَا فِي الخَطْبِ وَالخُطَبِ
لَوْ قَالَ لِلحَيّ مُتْ لَمْ يَحْمِيَ مِنْ رَهَبٍ
أَوْ قَالَ لِلْمَيْتِ عِشْ مَا مَاتَ مِنْ رُعُبِ
أَوْ قَالَ لِلّيْلِ كُنْ صُبْحَاً لَكَانَ وَلَوْ
لِلشّمْسِ قَالَ اطْلُعِي بِاللّيْلِ لَمْ تَغِبِ
أَوْ مَدّ كَفّاً إِلَى الدّنْيَا لِيَقْلِبَهَا
هَانَتْ عَلَيْهِ بِلَا كَدّ وَلَا تَعَبِ
ذَاكَ الإِمَامُ الّذِي جِبْرِيلُ خَادِمُهُ
إِنْ نَابَ خَطْبٌ نِيبَ عَنْهُ وَلَا يَنُبِ
وَعِزْرَيَائِيلُ مِطْوَاعٌ لَهُ فَمَتَى
يَقُلْ أَمِتْ ذَا يُمِتْ أَوْ هِبْهُ لِي يَهَبِ
رِضْوَانُ رَاضٍ بِهِ مَوْلًى وَمَالِكُهُ
مَمْلُوكٌ يُطِيعَانِهِ فِي كُلّ مُنْتَدَبِ

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الهندسة والرياضيّات

ومن جملة العلوم ، علم الهندسة والمحاسبات الرياضيّة ، وظهر فيه مهندسون كان أمير المؤمنين عليه السلام أعلمهم . ونقل ابنشهرآشوب هنا قصّة الرجلين اللذين كانا جالسين في زمن عمر ، فمرّ بهما عبدٌ مقيّد . فقال أحدهما : إنّ لم يكن وزن قيده كذا فامرأتي طالق . وحلف الآخر مثل حلف صاحبه بخلاف المقدار الذي ذكره . فارتفعا إلى عمر ، فقال لهما : اعتزلا نساءكما . ثمّ بعث إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فحدّد كيفيّة

وزن القيد ، وبعد ذلك ذكر قصّة الرجل الذي كان قد حلف على وزن الفيل ، وبين الطريقة التي وزن بها الإمامُ الفيلَ ، وكلّ أُولئك جعل عمر يتعجّب . [٧٧]

ثمّ قال ابن شهرآشوب : وَيُقَالُ : وَضَعَ كَلَكَاً وَعَمِلَ المِجْدَافَ وَأَجْرَى عَلَى الفُرَاتِ أَيّامَ صِفّينَ . الكَلَك مركب يُركب في أنهار العراق . والمجداف خشبة طويلة مبسوطة أحد الطرفين .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم النجوم

ومن جملة العلوم ، علم النجوم . وكان أمير المؤمنين عليه السلام أكيس المنجّمين . قال سعيد بن جُبَير : [٧٨] استقبل أمير المؤمنين عليه السلام دهقان ــ وفي رواية قيس بن سعد أنّه مزجان بن شاشوا (في النسخة البدل : «مرخان بن شاسوا) ــ استقبله من المدائن إلى جسر بوران ، فقال له : يا أمير المؤمنين ! تناحستِ النجوم الطالعات ، وتناحست السعود بالنحوس . فإذا كان مثل هذا اليوم ، وجب على الحكيم الأختفاء . ويومك هذا يوم صعب قد اقترن فيه كوكبان ، وانكفى فيه الميزان ، وانقدح من بُرجك النيران ، وليس الحرب لك بمكان .

فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أَيّهَا الدّهْقَانُ المُنْبِئُ بِالآثَارِ المَخُوّفُ (المُحَذّرُ ــ خ ل) مِنَ الأَقْدَارِ ، مَا كَانَ البَارِحَةَ صَاحِبُ المِيزَانِ ؟ وَفِي أَيّ بُرْجٍ كَانَ صَاحِبُ السّرَطَانِ ؟ وَكَمِ الطّالِعُ مِنَ الأَسَدِ (المَطَالِعِ ــ خ ل) ؟ وَالسّاعَاتُ مِنَ الحَرَكَاتِ (المُحَرّكَاتِ ــ خ ل) ؟ وَكَمْ بَيْنَ السّرَارِي وَالذّرَارِي ؟

قال الدهقان : سأنظر إلى الأُصطرلاب (أُصطُلّاب ــ خ ل) . (وفي «الاحتجاج» : وأومأ بيده إلى كُمّه وأخرج منه أُصطرلاباً ينظر فيه) .

فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام وقال له : وَيْلَكَ يَا دِهْقَانُ ؛ أَنْتَ مُسَيّرُ الثّابِتَاتِ ؟ أَمْ كَيْفَ تَقْضِي عَلَى الجَارِيَاتِ ؟ وَأَيْنَ سَاعَاتُ الأَسَدِ مِنَ المَطَالِعِ ؟ وَمَا الزّهْرَةُ مِنَ التّوَابِعِ [٧٩] وَالجَوَامِعِ ؟ وَمَا دَوْرُ السّرَارِي المُحَرّكَاتُ ؟ وَكَمْ قَدْرُ شُعَاعِ المُنِيرَاتِ ؟ وَكَمِ التّحْصِيلُ بِالغُدَوَاتِ ؟ (من أذان الصبح إلى طلوع الشمس) .

قال الدهقان : لا علم لي بذلك يا أمير المؤمنين . فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : يَا دِهْقَانُ ! هَلْ نَتَجَ عِلْمُكَ أَنِ انْتَقَلَ بَيْتُ مَلِكِ الصّينِ ! وَاحْتَرَقَتْ دُورٌ بِالزّنْجِ ؟ وَخَمَدَ بَيْتُ نَارِ فَارِسَ ؟ وَانْهَدَمَتْ مَنَارَةُ الهِنْدِ ؟ وَغَرِقَتْ سَرَانْدِيبُ ؟ وَانْقَضّ حِصْنُ الأُنْدُلُسِ ؟ وَنَتَجَ (فَتَحَ ــ خ ل) بُتْرُكُ الرّومِ بِالرّومِيّةِ ؟

وفي رواية : البَارِحَةَ وَقَعَ بَيْتٌ بِالصّينِ ، وَانْفَرَجَ بُرْجُ مَاجِينَ ، وَسَقَطَ سُورُ سَرَانْدِيبَ ، وَانْهَزَمَ بِطْرِيقُ الرّومِ بِأَرْمِنِيّةِ ، وَفُقِدَ دَيّانُ اليَهُودِ بِإِيلَةَ ، وَهَاجَ النّمْلُ بِوَادِي النّمْلِ ، وَهَلَكَ مَلِكُ إِفْرِيقِيّةِ . أَكُنْتَ عَالِماً بِهَذَا ؟ قَالَ : لَا ، يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ .

وفي رواية : أَظُنّكَ حَكَمْتَ بِاخْتِلَافِ المُشْتَرِي وَزُحَلَ إِنّمَا أَنَارَ لَكَ فِي الشّفَقِ ، وَلَاحَ لَكَ شُعَاعُ المِرّيخُ فِي السّحَرِ ، وَاتّصَلَ جُرْمُهُ بِجُرْمِ القَمَرِ .

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام : البَارِحَةَ سَعَدَ سَبْعُونَ أَلْفَ عَالَمٍ ، وَوُلِدَ فِي كُلّ عَالَمٍ سَبْعُونَ أَلْفاً . وَاللّيْلَةَ يَمُوتُ مِثْلُهُمْ وَهَذَا مِنْهُمْ ــ وَأَوْمَى بِيَدِهِ إِلَى سَعْدِ بْنِ مَسْعَدَةَ الحَارِثِيّ وَكَانَ جَاسُوساً لِلْخَوَارِجِ فِي عَسْكَرِهِ ــ فَظَنّ المَلْعُونُ أَنّهُ يَقُولُ : خُذُوهُ ، فَأُخِذَ بِنَفْسِهِ فَمَاتَ . فَخَرّ الدّهْقَانُ سَاجِداً . فَلَمّا أَفَاقَ ، قَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ : أَلَمْ أُرَوّكَ مِنْ عَيْنِ التّوْفِيقِ ؟ قَالَ : بَلَى . فَقَالَ : أَنَا وَصَاحِبِي لَا شَرْقِيّونَ وَلَا غَرْبِيّونَ ، نَحْنُ نَاشِئَةُ القُطْبِ وَأَعْلَامُ الفُلْكِ .

أَمّا قَوْلُكَ انْقَدَحَ مِنْ بُرْجِكَ النّيرَانُ ، فَكَانَ الوَاجِبُ أَنْ تَحْكُمَ بِهِ لِي لَا عَلَيّ . أَمّا نُورُهُ وَضِيَاؤُهُ فَعِنْدِي ، وَأَمّا حَرِيقُهُ وَلَهَبُهُ فَذَهَبَ عَنّي . وَهَذِهِ مَسْأَلَةٌ عَمِيقَةٌ احْسِبْهَا إِنْ كُنْتَ حَاسِباً . (٨٠) فَقَالَ الدّهْقَانُ : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللّهُ وَأَنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللّهِ ، وَأَنّكَ عَلِيّ وَلِيّ اللّهِ . (٨١)

(٨١)

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الحساب

ومن جملة العلوم ، علم الحساب وكان أمير المؤمنين عليه السلام أوفر العلماء نصيباً .

[قال] ابن أبي ليلى : إنّ رجلين تغدّيا في سفر ومع أحدهما خمسة أرغفة ، ومع الآخر ثلاثة . فجاء شخص ذلك وواكلها ، فأعطاهما ثمانية دراهم عوضاً . فاختصما وارتفعا إلى أمير المؤمنين عليه السلام . فقال : هذا أمر فيه دناءة ، والخصومة فيه غير جميلة والصلح أحسن . فأبى صاحب الثلاثة إلّا مُرّ القضاء وقال : احكم بيننا بالقضاء الحتميّ وتعيين المقدار الحقيقيّ .

فقال الإمام : إذا كنت لا ترضى إلّا بمُرّ القضاء ، فإنّ لك واحد من ثمانية ، ولصاحبك سبعة . أليس كان لك ثلاثة أرغفة ولصاحبك خمسة ؟ قال : بلى .

قال : فهذه أربعة وعشرون ثلثاً . أكلتَ منه ثمانية ، والضيف ثمانية . فلمّا أعطاكما الثمانية الدراهم ، كان لصاحبك سبعة ولك واحد . (٨٢)

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الكيمياء

ومن جملة العلوم ، علم الكيمياء . وكان أمير المؤمنين عليه السلام أكثر أصحاب الكيمياء حظّاً فيه . وقد سئل عليه السلام عن هذه الصنعة ، فَقَالَ : هِيَ أُخْتُ النّبُوَةِ ، وَعِصْمَةُ المُرُوّةِ ، وَالنّاسُ يَتَكَلّمُونَ فِيهَا بِالظّاهِرِ ، وَأَ نّي لَأَعْلَمُ ظَاهِرَهَا وَبَاطِنَهَا . هِيَ وَاللَهِ مَا هِيَ إلّا مَاءٌ جَامِدٌ ، وَهَوَاءٌ رَاكِدٌ ، وَنَارٌ جَائِلَةٌ ، وَأَرْضٌ سَائِلَةٌ .

وسئل عليه السلام في أثناء خطبته : هل الكيمياء كانت ؟ فقال : كانت وهي كائن . فقيل : من أيّ شيء ؟ فقال : إنّهَا مِنَ الزّيْبَقِ الرّجْرَاجِ ، وَالأُسْرُبِ وَالزّاجِ ، وَالحَدِيدِ المُزْعَفَرِ ، وَزِنْجَارِ النّحَاسِ الأَخْضَرِ الخَوَرِ (الحبور ــ خ ل) إلّا تَوَقّفَ عَلَى عَابِرِهِنّ .

فقيل له : فهمنا لا يبلغ ذلك . فَقَالَ : اجْعَلُوا البَعْضَ أَرْضَاً ، وَاجْعَلُوا البَعْضَ مَاءً ، وَأَفْلِحُوا الأَرْضَ بِالمَاءِ ، وَقَدْ تَمّ .

فقيل له : زدنا يا أمير المؤمنين . فَقَالَ : لَا زِيَادَةَ عَلَيْهِ ، فَإِنّ الحُكَمَاءَ القُدَمَاءَ مَا زَادُوا عَلَيْهِ كَيمَا يَتَلَاعَبَ بِهِ النّاسُ . (٨٣)

(٨٤)

وقال ابن رَزّيك أبو الطّلايع :

عَلِيّ الّذِي قَدْ كَانَ نَاظِرُ قَلْبِهِ

يُرِيهِ عِيَاناً مَا وَرَاءَ العَوَاقِبِ

عَلِيّ الّذِي قَدْ كَانَ أَفْرَسَ مَنْ عَلَا

عَلَى صَهَواتِ الصّافِناتِ الشّوَارِبِ

(وتتميّز هذه الخيول على أمثالها ، وأنّ امتطاءَها أعسر من امتطاء غيرها) .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الطبّ

روي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول :

إذَا كَانَ الغُلَامُ مُلْتَاثَ الأُدْرَةِ ، صَغِيرَ الذّكَرِ ، سَاكِنَ النّظَرِ ، فَهُوَ مِمّنْ يُرْجى خَيْرُهُ ، وَيُؤْمَنُ شَرّهُ . وَإذَا كَانَ الغُلَامُ شَدِيدَ الأُدْرَةِ ، كَبِيرَ الذّكَرِ ، حَادّ النّظَرِ ، فَهُوَ مِمّنْ لَا يُرْجَى خَيْرُهُ ، وَلَا يُؤْمَنُ شَرّهُ .

وعن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً : أنّه قال : يعيش الولد لستّة أشهر ولسبعة ولتسعة ولا يعيش لثمانية أشهر .

وعنه عليه السلام : لبن الجارية وبولها يخرج من مثانة أُمّها . ولبن الغلام يخرج من العضدين والمنكبين .

وعنه أيضاً : يشبّ الصبي كلّ سنة أربع أصابع بإصابع نفسه .

وسأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام عن الولد : ما باله تارة يشبه أباه وأُمّه ، وتارة يشبه خاله وعمّه ؟ فقال للحسن عليه السلام : أجبه .

فقال الإمام الحسن عليه السلام : أمّا الولد ، فإنّ الرجل إذا أتى أهله بنفس ساكنة وجوارح غير مضطربة ، اعتلجت النطفتان كاعتلاج المتنازعين . فإن علت نطفة الرجل نطفة المرأة ، جاء الولد يشبه أباه . وإذا علت نطفة المرأة نطفة الرجل ، يشبه أُمّه .

وإذا أتاها بنفس منزعجة وجوارح مضطربة غير ساكنة ، اضطربت النطفتان فسقطتا عن يمنة الرحم ويسرته ، فإن سقطت عن يمنة الرحم سقطت على عروق الأعمام والعمّات . فأشبه أعمامه وعمّاته . وإن سقطت عن يسرة الرحم ، سقطت على عروق الأخوال والخالات ، فأشبه أخواله وخالاته . فقام الرجل وهو يقول :

اللَهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ . (٨٥)

ورُوي أنّ هذا الرجل هو الخضر .

وسئل النبيّ الأكرم : كيف تؤنّث المرأة وكيف يذكّر الرجل ؟ فقال : يلتقي الماءان ، فإذا علا ماء المرأة ماء الرجل ، أُنثت . وإن علا ماء الرجل ماء المرأة ، أُذكرت .

تقدّم أمير المؤمنين عليه السلام في علم الاقتصاد والمعاملة

ومن جملة العلوم ، علم المعاملة على طريق السوقيّة ومجرى المعاملات والمقايضات . ويعترف التجّار والسوقيّة أنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو الأصل في علومهم . ولا

يوجد لغيره إلّا اليسير حتّى قال مشايخهم : لو تفرّغ عليّ عليه السلام إلى إظهار ما علم من علومنا ، لأغنى في هذا الباب .

إحاطة أمير المؤمنين عليه السلام بالتوراة

ومن فرط حكمته عليه السلام ما روي عن أُسامة بن زيد ، وأبي رافع في خبر أنّ جبرئيل عليه السلام نزل على النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ، فقال : يا محمّد ! ألا أُبشّرك بخبيئةٍ لذرّيّتك ، فحدّثه بشأن التوراة أنّه قد وجدها رهط من أهل اليمن بين حجرين أسودين ، وسمّاهم له . فلمّا قدموا على رسول الله ، قال لهم : كما أنتم حتّى أُخبركم بأسمائكم وأسماء آبائكم ، وأنتم وجدتم التوراة ، وقد جئتم بها معكم . فدفعوها إليه وأسلموا . فوضعها النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله عند رأسه ، ثمّ دعا الله باسمه ، فأصبحت عربيّة ففتحها ونظر فيها ، ثمّ رفعها إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام وقال :

هَذَا ذِكْرٌ لَكَ وَلِذُرّيّتِكَ مِنْ بَعْدِي .

وروي عن أمير المؤمنين عليه السلام في قوله تعالى : رُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ ــ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ ، [٨٦] بعث الله نبيّاً أسوداً لم يقصّ علينا قصّته .

وكتب معاوية إلى أبي أيّوب الأنصاريّ : أمّا بَعْدُ ؛ فَحَاجَيْتُكَ (فَحُجّيْتُكَ ــ خ ل) بِمَا لَا تَنْسَى شَيْبَاءُ . قال أميرالمؤمنين عليه السلام : أَخْبَرَهُ أَنّهُ مِنْ قَتَلَةَ عُثْمَانَ ، وَأَنّ مَنْ قُتِلَ عِنْدَهُ مِثْلُ الشّيْبَاءَ لَا تَنْسَى قَاتِلَ بِكْرَهَا وَلَا أَبَا مُخَدّرِهَا (مُحَذّرِهَا ــ خ ل) أَبَدَاً . [٨٧]

علم أمير المؤمنين عليه السلام بلغة الحيوانات والملائكة

ومن وفور علمه عليه السلام أنّه عبّر منطق الطير والوحوش والدوابّ . روى زرارة عن الصادق عليه السلام أنّه قال : قال أمير المؤمنين عليه السلام : عُلّمْنَا مَنْطِقَ الطّيْرِ كَمَا عُلّمَهُ سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ عَلَيهِ السّلَامُ ، وَكُلّ دَابّةٍ فِي بَرّ أَوْ بَحْرٍ . [٨٨]

وروي عن ابن عبّاس أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : صياح الديك : اذْكُرُوا اللّهَ يَا غَافِلِينَ . وصهيل الفرس : اللّهُمّ انْصُرْ عِبَادَكَ المُؤْمِنِينَ عَلَى عِبَادِكَ الكَافِرِينَ . ونهيق الحمار : أَنْ يَلْعَنَ العَشّارِينَ ، وينهق في عين الشيطان . ونقيق الضفدع : سُبْحَانَ رَبّيَ المَعْبُودِ المُسَبّحِ فِي لُجَجِ البِحَارِ . وأنيق القبّرة (عصفورة خاصّة تتّخذ من الجبال والصحارى منزلاً لها غالباً) : اللّهُمّ الْعَنْ مُبْغِضِي آلِ مُحَمّدٍ .

قال العبديّ :

وَعَلّمَكَ الّذِي عَلّمَ البَرَايَا
وَأَلْهَمَكَ الّذِي لَا يَعْلَمُونَا

فَزَادَكَ فِي الوَرَى شَرَفاً وَعِزّاً
وَمَجْدَاً فَوْقَ وَصْفِ الوَاصِفِيَنَا

وروى سعيد بن ظريف عن الصادق عليه السلام ، وروى أبو أُمامة الباهليّ كلاهما عن النبيّ الأكرم في خبر طويل ــ واللفظ لأبي أُمامة ــ أنّ الناس دخلوا على النبيّ صلّى الله عليه وآله وهنّؤوه بمولود رزقه الله به . ثمّ قام رجل في وسط الناس ، فقال : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله ، رأينا من عليّ عجباً في هذا اليوم .

قال النبيّ صلّى الله وآله : وما رأيتم ؟

قالوا : أتيناك لنسلّم عليك ونهنّئك بمولودك الحسين فحجبنا عنك وأعلمنا أنّه هبط عليه مائة وأربعة وعشرون ألف مَلَك ، فعجبنا من إحصائه وعدّه الملائكة .

فأقبل رسول الله صلّى الله عليه وآله بوجهه إلى عليّ مبتسماً وقال : ما علّمك أنّه هبط عَلَيّ مائة وأربعة وعشرون ألف ملك ؟

قال عَلِيّ عليه السلام : بأبي أنت وأُمّي يا رسول الله سمعت مائة وأربعة وعشرين ألف لغة فعلمتُ أنّهم مائة وأربعة وعشرون ألف مَلَك .

قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

زَادَكَ اللَهُ عِلْماً وَحِلْمَاً يَا أَبَا الحَسَنِ .

وروى الزمخشريّ في كتاب «الفائق» أنّ شُريح القاضي سُئل عن امرأة طُلّقت فذكرت أنّها حاضت ثلاث حيضات في شهر واحد .

فقال شُريح : إن شهدت ثلاث نسوة من بطانة أهلها أنّها كانت تحيض قبل طلاقها في كلّ شهر ، فالقول قولها .

فقال عليّ عليه السلام : قالون (فالون ــ خ ل) أي : أصبتَ (بالروميّة) . وهذا إذا اتّهمت المرأة (أي : الحاجة إلى الشهادة عند الاتّهام بالكذب ، ولا حاجة إليها في غير الاتّهام) .

وروي في «بصائر الدرجات» عن سعد القمّيّ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام نزل قَطْقَطا عند مجيئه إلى النهروان ، فأجتمع إليه أهل باد وريا فشكوا ثقل خراجهم ، وكلّموه بالنبطيّة فقالوا : لنا جيران أوسع أرضاً منّا وأقلّ خراجاً . فأجابهم عليه السلام بالنبطيّة قائلاً : زعرا وطائه من زعرا رباه . ومعناه بالعربيّة : دُخْنٌ صَغِيرٌ خَيْرٌ مِنْ دُخْنٍ كَبِيرٍ . (٨٩)

وروي أنّه قال عليه السلام لابنة يزدجرد : ما اسمكِ ؟ قالت : جهان بانويه . فقال عليه السلام : بل اسمك شهربانويه ، وأجابها بالعجميّة .

تفسير أمير المومنين عليه السلام صوت الناقوس

فسّر أمير المؤمنين عليه السلام صوت الناقوس .

روى صاحب كتاب «مصباح الواعظ» وجمهور أصحابنا عن الحارث الأعور ، وزيد بن صُوحان ، وصَعْصَعَة بن صُوحان ، والبراء بن سيرة ، والأصبغ بن نباتة ، وجابر بن شَرَحْبيل ، ومحمود بن الكوّاء أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال : يَقُولُ الناقوس : سُبْحَانَ اللَهِ حَقّاً حَقّاً ، إنَ المَوْلَى صَمَدٌ يَبْقَى ، يَحْلُمُ عَنّا رِفْقاً رِفْقاً ، لَوْلَا حِلْمُهُ كُنّا نَشْقَى .

حَقّاً حَقّاً صِدْقاً صِدْقاً ، إنّ المَوْلَى يُسَائِلُنَا ، وَيُوَافِقُنَا وَيُحَاسِبُنَا ، يَا مَوْلَانَا لَا تُهْلِكُنَا ، وَتَدَارَكْنَا وَاسْتَخْدِمْنَا ، وَاسْتَخْلَصنَا حِلْمُكَ عَنّا ، قَدْ جَرّانَا عَفْوُكَ عَنّا ، إنّ الدّنْيَا قَدْ غَرّتْنَا وَاشْتَغَلْتَنَا ، وَاسْتَلْهتْنَا وَاسْتَغْوَتْنَا ، يَا بْنَ الدّنْيَا جَمْعاً جَمْعاً ، يَابْنَ الدّنْيَا مَهْلاً مَهْلاً .

يَا بْنَ الدّنْيَا دَقّاً دَقّاً ، تُفْنِي الدّنْيَا قَرْناً قَرْناً ، مَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنّا ، إلّا يَهْوِي مِنّا رُكْناً ، قَدْ ضَيّعْنَا دَاراً تَبْقَى ، وَاسْتَوْطَنّا دَاراً تَفْنَى ، تُفْنِي الدّنْيَا قَرْناً قَرْناً ، كُلّاً مَوْتاً كُلّاً مَوْتاً ، كُلّاً مَوْتاً كُلّاً دَفْناً ، كُلّاً فِيهَا مَوْتاً كُلّاً فَنَاءً كُلّاً فِيهَا مَوْتاً ، نَقْلاً نَقْلاً دَفْناً دَفْناً ، يَا بْنَ الدّنْيَا مَهْلاً مَهْلاً ، زِنْ مَا يَأْتِي وَزْناً وَزْناً ، لَوْلَا جَهْلِي مَا إنْ كَانَتْ عِنْدِي الدّنْيَا إلّا سِجْناً ، خَيْراً خَيْراً شَرّاً شَرّاً ، شَيئاً شَيئاً حُزْناً حُزْناً ، مَاذَا مَنْ ذَاكَمْ ذَا أَمْ ذَا ، هَذَا أَسْنَا ، تَرْجُو تَنْجُو ، تَخْشَى تَرْدَى ، عَجّلْ قَبْلَ المَوْتِ الوَزْنَا ، مَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنّا ، إلّا أَوْهَنَ مِنّا رُكْناً ، إنّ المَوْلَى قَدْ أَنْذَرَنَا إنّا نُحْشَرُ غُرْلاً بُهْمَاً .

قال الراونديّ : ثمّ انقطع صوت الناقوس ، [٩٠] فسمع الديرانيّ ذلك وأسلم وقال : إنّي وجدتُ في الكتاب أنّ في آخر الأنبياء من يفسّر ما يقول الناقوس . [٩١]

أجمعوا : أنّ خِيَرَة الله من خلقه هم المتّقون لقوله : إِنّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَهِ أَتقَكُمْ [٩٢] ثمّ أجمعوا على أنّ خيرة المتّقين الخاشعون ، لقوله تعالى : وَأُزْلِفَتِ الْجَنّةُ لّلْمُتّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ، إلى قوله : مّنِيبٍ . [٩٣]

ثمّ أجمعوا على أنّ أعظم الناس خشية العلماء لقوله : إِنّمَا يَخْشَى اللَهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَآءُ . [٩٤]

وأجمعوا على أنّ أعلم الناس أهداهم إلى الحقّ وأحقّهم أن يكون متّبعاً ولا يكون تابعاً لقوله : أَفَمَنْ يَهدِى إِلَى الْحَقّ أَحَقّ أَن يُتّبَعَ أَمّن لّا يَهِدّى إِلّا أَن يُهْدَى . [٩٥]

وأجمعوا على أنّ أعلم الناس بالعدل أدلّهم عليه وأحقّهم أن يكون مُتّبَعاً ولا يكون تابعاً لقوله: يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنكُمْ . [٩٦]

فدلّ كتاب الله وسنّة نبيّه وإجماع الأُمّة على أنّ أفضل هذه الأُمّة بعد نبيّها عليّ عليه السلام . [٩٧]

وفتح سبط بن الجوزيّ فصلاً في كتابه «تذكرة خواصّ الأُمّة» في كلام عمر بن الخطّاب : أَعُوذُ بِاللَهِ مِنْ مُعْضَلَةٍ لَيْسَ لَهَ أَبُوحَسَنٍ . وفي الروايات المنقولة عنه بهذا المضمون . ثمّ روى عن أحمد بن حنبل في «الفضائل» بسنده عن ابن المسيّب قال : كان عمر بن الخطّاب يقول : أعوذ بالله من مُعضَلةٍ ليس لها أبو حسن .

قال ابن المسيّب : ولهذا القول سبب ، وهو أنّ ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل فعرضها على الصحابة ، فلم يجد عندهم جواباً . فعرضها على أمير المؤمنين عليه السلام ، فأجاب عنه في أسرع وقت بأحسن جواب .

أمّا المسائل : فقد ذكر ابن المسيّب كتاب ملك الروم ، وعرض المسائل كلّها إلى أن بلغ قوله : وعن صوت الناقوس ماذا يقول ؟

ثمّ بيّن ابن المسيّب جواب أمير المؤمنين عليه السلام المفصّل ، إذ أجاب عنها جميعها حتّى بلغ صوت الناقوس ، فقال : يقول : طَقّاً طَقّاً ، حَقّاً حَقّاً ، مَهْلاً مَهْلاً ، عَدْلاً عَدْلاً ، صِدْقاً صِدْقاً ، إنّ الدّنْيَا قَدْ غَرّتْنَا وَاسْتَهْوَتْنَا . تَمْضِي الدّنْيَا قَرْناً قَرْناً ، مَا مِنْ يَوْمٍ يَمْضِي عَنّا ، إلّا أَوْهَى مِنّا رُكْناً ، إنّ المَوْلَى قَدْ أَخْبَرْنَا ، إنّا نَرْحَلُ فَاسْتَوْطَنّا . .. إلى آخر المسائل .

قال ابن المسيّب : فلمّا قرأ قيصر الكتاب قال : ما خرج هذا الكلام إلّا من بيت النبوّة . ثمّ سأل عن المجيب ، فقيل له : هذا جواب ابن عمّ محمّد صلّى الله عليه وآله ، فكتب إليه :

سَلَامٌ عَلَيْكَ . أَمّا بَعْدُ : فقد وقفتُ على جوابك ، وعلمتُ أنت من أهل بيت النبوّة ، ومعدن الرسالة . وأنت موصوف بالشجاعة والعلم . وأُوثر أن تكشف لي عن مذهبكم ، والروح التي ذكرها الله في كتابكم ، في قوله : وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرّوحِ قِلِ الرّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبّى . (٩٨)

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السلام : أَمّا بَعْدُ : فَالرّوحُ نُكْتَةٌ لَطِيفَةٌ ، وَلُمْعَةٌ شَرِيفَةٌ مِنْ صَنْعَةِ بَارِيهَا ، وَقُدْرَةِ مُنْشِئِهَا ، أَخْرَجَهَا مِنْ خَزَائِنِ مُلْكِهِ وَأَسْكَنَها فِي مُلْكِهِ ، فَهِيَ عِنْدَهُ لَكَ سَبَبٌ ، وَلَهُ عِنْدَكَ وَدِيعَةٌ فَإِذَا أَخَذْتَ مَالَكَ عِنْدَهُ ، أَخَذَ مَالَهُ عِنْدَكَ . وَالسّلَامُ . (٩٩)

وها نحن نختم بحثنا عند هذه النقطة ، حريّ بنا أن نذكر أبياتاً شعريّة للمرحوم آية الله الحاجّ الميرزا حبيب الله الخراسانيّ متبرّكين بالمقام الأقدس لمولى الموحّدين أمير المؤمنين عليه السلام :

امروز كه روز دار و گير است
مى‌ده كه بپاله دلپذير است
از جام و سبو گذشت كارم
وقت خم و نوبت غدير است
برد از نگهى دلِ همه خلق
آهوى تو سخت شيرگير است (١٠٠)
در عشوه آن دو آهوى چشم
گر شير فلك بود ، اسير است

در چنبر آن دو هندوی زلف
خورشید سپهر دستگیر است
می‌نوش که چرخ پیر امروز
از ساغر خود پیاله گیر است
امروز به امر حضرت حق
بر خلق جهان علي أمير است
امروز به خلق گردد اظهار
آن سرّ نهان که در ضمیر است
آن پادشه ممالك جود
در مُلك وجود ، بر سریر است
چندانکه به مدح او سرودیم
یك نُکته ز صد نگفته بودیم (١٠١)

اللهمّ صلّ وسلّم على المصطفى محمّد ، والمرتضى عليّ ، والبتول فاطمة ، والسبطين الحسن والحسين ، وصلّ على زين العبّاد عليّ ، والباقر محمّد ، والصادق جعفر ، والكاظم موسى ، والرضا عليّ ، والتقيّ محمّد ، والنقيّ عليّ ، والزكيّ العسكريّ الحسن ، وصلّ على المهديّ الهاديّ صاحب العصر والزمان وخليفة الرحمن وقاطع البرهان وسيّد الإنس والجانّ صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين ، والعن أعداءَهم وظالميهم ومعانديهم ومبغضيهم وغاصبي حقوقهم ومنكري فضائلهم ومناقبهم أبد الآبدين ودهر الداهرين . آمين ربّ العالمين .

تعليقات:

١) الآية ١١ ، من السورة ٥٨ : المجادلة .

٢) الميزان في تفسير القرآن» ج ١٩ ، ص ٢١٦ و . ٢١٧

٣) قال آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» ص ٤٩ : وقيل الشروع في الكلام عن تقدّم الشيعة في علوم القرآن لابدّ من التنبيه على تقدّم أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام في تقسيم علوم القرآن ، فإنّه أملى ستّين نوعاً من أنواع علوم القرآن وذكر لكلّ نوع مثالاً يخصّه ، وذلك في كتاب نرويه عنه من عدّة طرق ، موجود بأيدينا إلى اليوم . وهو الأصل لكلّ مَن كتب في أنواع علوم القرآن .

٤) شرح نهج البلاغة» طبعة مصر ، دار الإحياء ، ج ١ ، ص . ١٧

٥) ذكر السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» القسم الثاني ، ص ٤٩٤ إلى ٤٩٧ ، الأحاديث الأربعة والعشرين التي نقلناها عن ابن أبي الحديد في ج ١١ من كتابنا هذا ، الدرس ١٦١ إلى ١٦٥ ، ثمّ أورد كلامه وبيانه في فضائل أمير المؤمنين عليه السلام ،

وعرض كثيراً من عبارات ابن أبي الحديد المأثورة في مقدّمة «شرح نهج البلاغة» ، وسرد سوابق أمير المؤمنين عليه السلام العلميّة وسبقه ، وقال في ختام كلامه : وقد أنصف الشافعيّ محمّد بن إدريس إذ قيل له : ما تقول في عليّ ؟ فقال : وماذا أقول في رجل أخفت أولياؤه فضائلهخوفاً ، وأخفت أعداؤه فضائله حَسَداً ، وشاع من بين ذين ما ملأ الخافقين .

٦) تحدّثنا عن هذه الأحاديث في الجزء ١١ من كتابنا هذا ، الدرس ١٥٧ إلى . ١٦٠

٧) استعرضنا هذه المسألة [المنبريّة] في الجزء ١١ ، الدرس ١٦١ إلى . ١٦٥

٨) قال السيّد حيدر الآمليّ رحمة الله عليه في كتاب «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» ص ٢٢٣ إلى ٢٢٨ ، طبعة ١٩٦٨ م ، تقديم هنري كربين وعثمان اسماعيل يحيى والقطب والمعصوم ، أو القطب والإمام لفظان مترادفان صادقان على شخص واحد ، وهو خليفة الله تعالى في أرضه . [إلى أن قال :] وأمّا ترتيب إسنادهم إلى المشايخ ، فمن جعفر الصادق عليه السلام إلى أبي يزيد البسطاميّ قدّس الله سرّه الذي كان تلميذه ، وسقّاء داره ، ومحرم أسراره ، كما ذكره علماء الشيعة والسنّة في كتبهم الكلاميّة ، عند نسبة جميع العلوم إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، ومنه إلى أولاده ومريديه . وكان الإمام جعفر عليه السلام من خلفائه (أي الإمام عليّ) في هذا الباب (أي : في نسبة جميع العلوم إليه) وإلى الآن أصحابه [أي جعفر] ومريدوه عليه . وترتيب إسنادهم أيضاً من موسى الكاظم عليه السلام إلى شقيق البلخيّ ، ومنه إلى تلامذته ومريديه . وترتيب إسنادهم كذلك من عليّ بن موسى الرضا عليه السلام إلى معروف الكرخيّ ، ومن معروف الكرخيّ إلى السريّ السقطيّ ، ومن السريّ إلى الجُنيد البغداديّ ، ومن الجُنيد إلى الشبليّ ، وهكذا الشأن إلى اليوم ، وهم على هذا ، وكذلك مريدوهم ، خلفاً عن سَلَف . فهذه الطائفة الحقّة المستحقّة لوديعة سرّ الولاية والتوحيد فيهم ، لمّا تحقّق حقيقتهم وإسناد علومهم وطريقتهم إلى الأئمّة المعصومين عليهم السلام لا ينبغي أن يحكم أحد بإبطال مذهبهم واعتقادهم ، خصوصاً الشيعة الإماميّة . وأنّ حكم أحد ببطلان علوم هذه الطائفة لا يخلو من أحد وجهين : إمّا عدم صحّة إسناد هذه العلوم والأسرار إليهم . وإمّا عدم اطّلاعهم على علوم البواطن . فإن كان الأوّل ، فهو ظاهر في غاية الظهور ، واتّفق العلماء على ذلك . وقد تقرّر تفصيله بطريق التواتر ، والإنكار على المتواترات يكون من قبيل المكابرات . (وقال بعد شرح وتفصيل جامعين :) وإن كان الثاني (أي : إن حَكَمَ أحد ببطلان علوم في هذه الطائفة لعدم اطّلاعهم على علوم البواطن) فهو أيضاً في غاية الشهرة والجلاء . ولا يقول به إلّا الجاهل بأُصول مشايخ الإماميّة وأُصول أرباب الطريقة ، لأنّ جميع المشايخ الإماميّة قد ذكروا في كتبهم إسناد جميع العلوم الرسميّة والحقيقيّة إلى عليّ عليه السلام ، منهم : الإمام الفاضل كمال الدين ميثم البحرانيّ قدّس الله سرّه فإنّه ذكر في «الشرح الكبير لنهج

البلاغة» وفي قواعده الكلاميّة مفصّلاً ومجملاً بأنّ جميع العلوم مستفادة من حضرة أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام . وكذلك الشيخ الأعظم جمال الدين بن المطهّر قدّس الله روحه في كتاب «مناهج اليقين» ، و«منهاج الكرامة» ، و«شرح النظم» ، وغير ذلك من الكتب . وكذلك السمرقنديّ . وكذلك المولى الأعظم ، أفضل المتقدّمين والمتأخّرين الخواجة نصير الدين الطوسيّ قدّس الله روحه في «التجريد» .

٩) شرح نهج البلاغة» ج ١ ، ص ١٧ إلى ٢٠ ، طبعة مصر ، دار الإحياء .

١٠) شرح نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٤ و٢٥ ، طبعة مصر ، دار الإحياء .

١١) شرح نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٧ و٢٨ ، طبعة مصر ، دار الإحياء .

١٢) المناقب» ج ١ ، ص ٢٦٢ ، الطبعة الحجريّة .

١٣) المناقب» ، ج ١ ، ص . ٢٦٣

١٤) الآيات ١٦ إلى ١٨ ، من السورة ٧٥ : القيامة .

١٥) ذكر ابن حجر العسقلانيّ في «تهذيب التهذيب» ج ٧ ، ص ٥٣٩ و٥٤٠ ، تحت الرقم ٥٤٠ قائلاً : عليّ بن رَباح (رباح بفتح الراء وتخفيف الباء الموحّدة والحاء المهملة) بن قصير اللّخميّ . ويقال له : أبو موسى ، والمشهور فيه بضمّ العين . وهو ممّن وفد على معاوية . ذكره ابن سعد في الطبقة الثانية من أهل مصر ، وقال : كان ثقة . وقال الليث : قال عليّ بن رباح : لاأجعل في حلّ مَن سمّاني عليّاً ، فإنّ اسمي عُليّ (بضمّ العين) . وقال المقري : كان بنو أُميّة إذا سمعوا بمولود اسمه عليّ ، قتلوه . فبلغ ذلك رباحاً ، فقال : هو عُلَيّ . وكان يغضب من عَلِيّ ويحرج على من سمّاه به . ولد سنة ١٠ ومات سنة ١١٤ أو . ١١٧ قال ابن سعد وابن معين : إنّ أهل مصر يقولونه بفتح العَين ، وإنّ أهل العراق يقولونه بالضمّ .

١٦) جاء في «تهذيب التهذيب» ج ٢ ، ص ٦١ و٦٢ تحت الرقم ٩٥ : جَبَلة بن سُحَيم التيميّ الكوفيّ . وثقّه شعبة ، والثوريّ ، ويحيى بن معين ، وابن مريم ، والعجليّ ، والنسائيّ ، وأبو حاتم . قال ابن سعد : توفّي في فتنة الوليد بن يزيد . وقال خليفة بن الخيّاط : مات سنة ١٢٥ ه في ولاية يوسف بن عمر . وقال القراب في تاريخه : مات سنة ١٢٦ ه .

١٧) جاء في النسخة الحجريّة المطبوعة من «المناقب» هكذا كما ذكرناه . وقال الجوهريّ في «صحاح اللغة» ج ١ ، ص ٣١ : ألب . الفرّاء : ألب الأبل يألِبها ويألَبها ألباً : جمعها وساقها . وألبتُ الجيش إذا جمعتُه . وتألّبوا : تجمّعوا . وهم ألبُ وإلب إذا كانوا مجتمعين . قال رؤبة :

قد أصبح الناس علينا ألبا

فالناس في جنبٍ وكنّا جنبا

وكذلك الأُلبة بالضمّ . والتأليب : التحريض ، يقال : حسود مؤلّب ، قال ساعدة بن جؤيه الهذليّ : ضبر لباسهم القتير المؤلّب . والتأ لّب مثال الثّعْلَبِ : شجرٌ .

ولكنّ المجلسيّ ضبطها في «بحار الأنوار» في باب ما جاء في كيفيّة جمع القرآن ، ج ١٩ ، ص ١٤ ، طبعة الكمبانيّ ، وج ٩٢ ، ص ٥٢ ، في الطبعة الحديثة : مع التّيْه نقلاً عن «مناقب ابن شهرآشوب» . وقال مصحّح «البحار» في هامش ص ٥٢ من ج ٩٢ ، الطبعة الحديثة : هكذا في الأصل ، وفي بعض النسخ : الإلبة ، بالكسر . أقول : الأنسب أُلْبَتِهِ بالضمّ ، وإن كان لقوله : مع التّيه معنى مناسب .

١٨) هكذا ورد في النسخة المطبوعة من «المناقب» ، وفي «بحار الأنوار» طبعة الكمبانيّ الذي رواه عن «المناقب» : الأمر ما جاء به أبو الحسن . بَيدَ أنّه ورد في الطبعة الحديثة ل «البحار» بنحو الاستفهام : لأمر ما جاء أبو الحسن ؟

١٩) الآية ١٨٧ ، من السورة ٣ : آل عمران .

٢٠) قال آية الله السيّد حسن الصدر في كتاب «الشيعة وفنون الإسلام» ص ٤٩ : وأوّل مصحف جمع فيه القرآن على ترتيب النزول بعد موت النبيّ صلّى الله عليه وآله هو مصحف أمير المؤمنين عليّ عليه السلام . والروايات في ذلك من طريق أهل البيت متواترة ، ومن طريق أهل السنّة مستفيضة أشرنا إلى بعضها في الأصل «تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام» وباحثنا فيه ابن حجر العسقلانيّ .

٢١) في الطبعة الحديثة لكتاب «مناقب آل أبي طالب» : فاستُعجمت أي فاستبهمت ولم تصحّ .

٢٢) هذا البيت من قصيدة للصاحب بن عبّاد مطلعها :

حُبّ النّبِيّ وَأَهْلِ البَيْتِ مُعْتَمَدِي
إذِ الخُطُوبُ أَسَاءَتْ رَأْيَهَا فِينَا

وذكرها سبط بن الجوزيّ برمّتها في «تذكرة الخواصّ» ص . ٨٨

٢٣) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٢٦٦ و٢٦٧ ، الطبعة الحجريّة .

٢٤) روى في «غاية المرام» القسم الثاني ، ص ٥١٣ ، الحديث ٢٦ ، عن السيّد ابن طاووس في كتاب «سعد السعود» عن طريق العامّة ، عن أبي حامد الغزّاليّ ، قال عليّ عليه السلام لمّا حكى عهد موسى : إنّ شرح كتابه كان أربعين حملاً ، لو أذِنَ الله ورسوله لي ، لَأشرع في شرح معاني ألف الفاتحة حتّى يبلغ مثل ذلك ، يعني أربعين وقراً أو جملاً . وهذه الكثرة في السعة والإفتاح في العلم لا تكون إلّا لَدُنّيّاً سماويّاً إلهيّاً . هذا آخر لفظ محمّد بن محمّد الغزّاليّ في كتاب بيان العلم اللدُنّيّ في وصف مولانا عليّ بن أبي طالب صلوات الله عليه وآله .

وروى في الحديث ٢٧ أيضاً عن طريق العامّة ، عن السيّد ابن طاووس ، عن أبي عمر الزاهد ، واسمه محمّد بن عبد الواحد في كتابه بإسناده إلى عليّ بن أبي طالب عليه السلام أنّه قال : يا ابن عباس ! إذا صلّيت عشاء الآخرة ، فالحقني إلى الجبّان . قال ابن عبّاس : فصلّيتُ ولحقته ، وكانت ليلة مقمرة . فقال لي : ما تفسير الألف من الحمد ؟ قلتُ : فما علمتُ حرفاً أُجيبه . فتكلّم في تفسيرها ساعة واحدة تامّة . قال : فما تفسير الحاء من الحمد ؟ فقلتُ : لا أعلم . فتكلّم فيها ساعة تامّة . ثمّ قال عليه السلام : فما تفسير الميم ؟ قال : قلتُ : لا أدري . قال : فتكلّم فيها ساعة تامّة . ثمّ قال : فما تفسير الدال من الحمد ؟ قال : قلتُ : لا أدري . فتكلّم فيها إلى برق عمود الفجر . ثمّ قال لي : قُمْ يا ابن عبّاس إلى منزلك وتأهّب لفرضك . قال أبو العبّاس عبد الله بن عبّاس : فقمتُ وقد وعيتُ كلّما قال ، ثمّ تفكّرتُ فإذا علمي بالقرآن في علم عليّ كالقرارة في الثّعجَر (الغدير وبركة الماء من البحر) .

٢٥) روى ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ج ٣ ، ص ١١٠٧ عن معمر ، عن وهب بن عبد الله ، عن أبي الطفيل قال : شهدتُ عليّاً يخطب وهو يقول : سَلُونِي ، فَوَاللَهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيءٍ ، إلّا أَخْبَرْتُكُمْ . وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَهِ ، فَوَاللَهِ مَا مِنْ آيَةٍ إلّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهارٍ ، أَمْ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ .

٢٦) قال السيّد حيدر الآمليّ قدّس الله سرّه في كتاب «جامع الأسرار ومنبع الأنوار» ص ٦٩٠ ، وهو يشرح الحقيقة الكلّيّة : واعلم أنّ هذه الحقيقة (الكلّيّة المتعيّنة بالتعيّن الأوّل) عند التحقيق ليس لها اسم ولا رسم ولا وصف ولا نعت ، لأنّ الحقّ التي هي صورته كذلك ... إلى أن قال في ص ٦٩٤ : و(تسمّى هذه الحقيقة الكلّيّة أيضاً) بالنقطة ، لأنّها أوّل نقطة تعيّن بها الوجود المطلق . وسمّي بالوجود المضاف (وذلك) كنقطة الباء مثلاً فإنّها أوّل نقطة تعيّن بها الألف في مظاهره الحروفيّة ، وصار باءً ، ولهذا قال أمير المؤمنين عليه السلام : «أنا النقطة تحت الباء» . وقال : «لو شئت لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم الله الرحمن الرحيم) . وقال : «العلم نقطة كثّرها جهلُ الجهلاء» .

وقال بعض العارفين : بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود . وقال الآخر : ظهر الوجود من باء بسم الله الرحمن الرحيم . وأمثال ذلك كثيرة في هذا الباب . وقد بسطنا الكلام في تفسيرها وتحقيقها في رسالتنا المسمّاة ب «منتخب التأويل في بيان كتاب الله وحروفه وكلماته وآياته» . ويواصل حديثه حتّى ص ٧٠٠ فيقول : وسرّ قوله عليه السلام : «لو شئتُ لأوقرت سبعين بعيراً من باء بسم الله الرحمن الرحيم» شاهد على هذا المعنى ، لأنّه لو شاء في تفسير هذا الباء والنقطة المذكورة تحته المتميّز بها عن الألف لم يكن يحمله سبعون بعيراً ولا سبعون ألف بعير ، وإلى هذا أشار الشيخ العارف الكامل ابن الفارض المصريّ قدّس الله سره في قصيدته التائيّة في قوله ــ ولو كنت بي

من نقطة الباء خفضة ــ البيت ، كما شرحه الشيخ العارف عزّ الملّة والدين الكاشيّ رحمة الله عليه . ونقل هنا شرح المولى عبد الرزّاق القاسانيّ كلّه . وكذلك قال في ص ٥٦٣ : وبالجملة أسرار (البسملة) ليست بقابلة للتقرير والتحرير ، ومن هذا المقام قيل : ظهر الوجود من باء بسم الله الرحمن الرحيم . وقيل : بالباء ظهر الوجود ، وبالنقطة تميّز العابد عن المعبود . وقال أمير المؤمنين عليه السلام : والله لو شئت لأوقرتُ سبعين بعيراً من (شرح) باء بسم الله الرحمن الرحيم» . وقال أيضاً : «أنا النقطة تحت الباء» لأنّه كنقطة بالنسبة إلى التعيّن الأوّل الذي هو النور الحقيقيّ المحمّديّ ، لقوله : «أوّل ما خلق الله نوري» المسمّى بالرحيم . ولقوله : «أنا وعليّ من نور واحد» . إلى آخر ما ذكره في شرح هذه العبارة .

٢٧) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٢٦٧ و٢٦٨ ، الطبعة الحجريّة .

٢٨) الآيات ١ إلى ٦ ، من السورة ٥١ : الذاريات .

٢٩) الميزان في تفسير القرآن» ج ١٨ ، ص ٣٩٥ و . ٣٩٦

٣٠) تفسير ابن كثير» ج ٦ ، ص ٤١٣ و٤١٤ ، طبعة دار الفكر ، بيروت .

٣١) الدرّ المنثور» ج ٦ ، ص . ١١١

٣٢) الدرّ المنثور» ج ٦ ، ص ١١١ ؛ و«تفسير ابن كثير» ج ٦ ، ص . ٤١٤

٣٣) الدرّ المنثور» ج ٦ ، ص . ١١١

٣٤) العراجين جمع العرجون . وعرجون النخلة جريدها المتّصل بجذعها ، وتعلّق به أعذاق التمر . ويعوّج ويبقى على النخل يابساً بعد قطع الشماريخ عنه ، ثمّ يؤخذ ويستعمل .

٣٥) وردت هذه القضيّة في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص ٢٧١ ، الطبعة الثانية ، وقال في هامشها : أخرجها أهل الأخبار ، وأرسلها المتتبّع الخبير ابن أبي الحديد فيأحوال عمر ، في «شرح نهج البلاغة» ج ٣ ، ص ١٢٢ ، طبعة مصر . وجاء اسم الشخص في جميعها : ضُبَيع بالضاد المعجمة والعين المهملة .

٣٦) الغدير» ، ج ٦ ، ص ٢٩٠ إلى ٢٩٢ ، تحت الرقم . ٩٠

٣٧) الإتقان» ج ١٢ ، ص ٤ (أقدم طبعة) طبعة المطبعة الموسويّة في ديار مصر ، سنة ١٢٧٨ ه .

٣٨) تفسير ابن كثير» ج ٦ ، ص ٤١٤ ، طبعة بيروت .

٣٩) شرح نهج البلاغة» ج ١ ، ص ١٨١ ، طبعة مصر ، دار الإحياء ؛ قال : كان يقال ... وذكر ابن أبي الحديد هنا أيضاً أنّه روي في الصحيح أنّ نسوة كنّ عند رسول الله صلّى الله عليه وآله قد كثر لغطهنّ ، فجاء عمر فهربن هيبة له ، فقال لهنّ : يا عُدَيّات أنفسهنّ ! أتهبنني ولا تهبن رسول الله ! قلن : نعم ، أنت أغلظ وأفظّ .

٤٠) تفسير «الكشّاف» للزمخشريّ ، في ذيل البحث حول هذه الآية المباركة من سورة التحريم .

٤١) معرفة الإمام» ج ١١ ، الدرس ١٦١ إلى . ١٦٥ ونقلت هذه العبارة هناك عن ابن أبي الحديد .

٤٢) تفسير ابن كثير» ج ٦ ، ص . ٤١٤

٤٣) من الجدير بالذكر أنّ هذا المصحف الذي بين أيدينا لا يزيد ولا ينقص آية أو حرفاً واحداً عن مصحف أمير المؤمنين عليه السلام ، كما لم يُحرّف ولم يُصَحّف . وإنّما تميّز مصحفه عليه السلام لأسباب هي : ١ ــ أنّه جمعت فيه الآيات والسور حسب ترتيب نزوله . ٢ ــ ذكر فيه شأن النزول ، وهذا أمر مهمّ وعظيم جدّاً كان القوم يخشونه . ٣ ــ كان معجماً ولذلك كان يُتلى دون احتمال معنى آخر ، أمّا المصاحف الأُخرى فكانت غير معجمة ، وإنّما أُعجمت أيّام الحجّاج بن يوسف الثقفيّ .

٤٤) رواه أحمد بن حنبل بهذا اللفظ في مسنده بطريقين : إنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَهِ ، وَأَهْلَ بَيتِي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . وكذلك رواه أحمد في مسنده ، والطبرانيّ في معجمه الكبير ، وصاحب «كنز العمّال» ج ١ ، ص ٤٧ ، ٤٨ ، بهذا اللفظ : قَالَ رَسُولُ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إنّي تَارِكٌ فِيكُمْ خَلِيفَتَيْنِ : كِتَابِ اللَهِ عَزّ وَجَلّ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مَا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ ، وَعِتْرَتِي أَهل بَيْتي ، وَإنّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتّى يَرِدَا عَلَيّ الحَوْضَ . وروى الشيخ الصدوق القمّيّ بإسناده عن الحسين بن يزيد بن عبد عليّ ، عن عبد الله بن الحسن ، عن أبيه ، عن الإمام الحسن عليه السلام قال : خطب رسول الله صلّى الله عليه وآله يوماً فقال بعد ما حمد الله وأثنى عليه : معاشر الناس ! كأنّي أُدعى فأجيب ، وَإنّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ : كِتَابَ اللَهِ ، وَعِتْرتِي أَهْلَ بَيْتِي ، أَمَا إنْ تَمَسّكْتُمْ بِهِمَا لَنْ تَضِلّوا ، فَتَعَلّمُوا مِنْهُمْ وَلَا تُعَلّمُوهُمْ فَإنّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ . لَا تَخْلُو الأَرْض مِنْهُمْ ، وَلَوْ خَلَتْ لَانْسَاخَتْ بِأَهْلِهَا ــ الخطبة («غاية المرام» ص ٢٣٦ ، الحديث الحادي عشر ؛ و«تفسير البرهان» ج ١ ، ص ٥١٧ و٥١٨) . ورواه ما يزيد على ثلاثين من الصحابة . وإذا عدونا علماء الشيعة ومصنّفاتهم الموثوقة ، فقد رواه ما يربو على مائتين من علماء العامّة الكبار بألفاظ مختلفة . وورد في ما ينيف على خمسمائة كتاب من كتبهم المعتبرة . («عبقات الأنوار» مقدّمة الطبعة ، الجزء الأوّل من المجلّد الثاني عشر ، القسم الأوّل مقابل الصفحة الأُولى ؛ فهرس مصادر سند حديث الثقلين من ص ١١٦٥ إلى ١١٨٨ ، من ملحق طبعة الجزء الأخير من المجلّد الثاني عشر) .

٤٥) الآية ٩٦ ، من السورة ٣ : آل عمران : إِنّ أَوّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلّذِى بِبَكّةَ مُبَارَكًا وَهدًى لّلْعَلَمِينَ * فِيهِ ءَايَتٌ بَيّنَتٌ مّقَامُ إِبْرَ هِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ ءَامِنًا وَلِلّهِ عَلَى النّاسِ حِجّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنّ اللَهَ غَنِىّ عَنِ الْعَلَمِينَ .

٤٦ــ٤٧ــ٤٨) «المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٢٦٨ ، الطبعة الحجريّة .

٤٩) ذكر السيّد عبد الحسين شرف الدين العامليّ في كتاب «النصّ والاجتهاد» ص ٢١٧ إلى ٢١٩ الطبعة الثانية ، في المورد الثلاثين الخاصّ بميراث الجدّ مع الإخوة أنّ البيهقيّ أخرج في سننه ، وفي «شعب الإيمان» ، والشيخ في كتاب «الفرائض» ، ونقله المتّقيّ الهنديّ في «كنز العمّال» ج ٦ ، ص ١٥ ، أنّ عمر سأل رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم عن ميراث الجدّ مع الإخوة ، فقال له رسول الله : ما سؤالك عن هذا يا عمر ؟ إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلمه . قال راوي هذا الحديث سعيد بن المسيّب : فمات عمر قبل أن يعلمه .

٥٠) قال العامليّ رضوان الله عليه : وقد اضطرب عمر في هذه المسألة أيّام خلافته حتّى قضى فيها ــ فيما قيل عنه ــ بسبعين حكماً . وأخرج ابن أبي شيبة ، والبيهقيّ في سننهما ، وابن سعد في طبقاته ، ونقله صاحب «كنز العمّال» ج ٦ ، ص ١٥ في الفرائض ، أنّ أبا عُبيدة السلمانيّ قال : لقد حفظتُ لعمر بن الخطّاب في الجدّ مائة قضيّة مختلفة . وأخرج البيهقيّ في «شعب الإيمان» كما في «كنز العمّال» ج ٦ ، ص ١٥ : أنّ عمر قال : إنّي قضيتُ في الجدّ قضيّات لم آل فيها عن الحقّ . ورجع أخيراً في هذه المعضلة إلى زيد بن ثابت . ونقل الدميريّ في مادّة حيّة من كتاب «حياة الحيوان» عن طارق بن شهاب الزهريّ أنّه قال : كان عمر بن الخطّاب قضى في ميراث الجدّ مع الإخوة قضايا مختلفة ، ثمّ إنّه جمع الصحابة ، وأخذ كتفاً ليكتب فيه وهم يرون أنّه يجعله أباً ، فخرجت حيّة فتفرّقوا . فقال عمر : لو أراد الله تعالى أن يمضيه لأمضاه . ثمّ أتى إلى منزل زيد بن ثابت ، فقال له : جئتك في أمر الجدّ ، وأريد أن أجعله أباً . فقال زيد : لا أُوافقك على أن تجعله أباً . فخرج عمر مغضباً ، ثمّ أرسل إليه في وقت آخر . فكتب زيد مذهبه فيه في قطعة قتب . وبعثه إليه . فلمّا قرأ عمر كتاب زيد ، خطب الناس ، ثمّ قرأ قطعة القتب عليهم . ثمّ قال : إنّ زيداً قد قال في الجدّ قولاً قد أمضيته .

قال آية الله العامليّ رضوان الله عليه في الهامش : من أراد الوقوف على ارتباك عمر في هذه القضيّة ، فعليه بالوقوف على ما حولها من صحاح السنّة ومسانيدها . وحسبك ما في الفرائض من «كنز العمّال» ، ومن «المستدرك» للحاكم .

ولمّا بلغ موضوعنا هذه النقطة من البحث ، يحسن بنا أن نذكر المورد الحادي والثلاثين من الموارد التي تأوّل فيها عمر مقابل السنّة النبويّة ، وقد أورده آية الله العامليّ في الفريضة المشتركة التي تُعرف بالحماريّة . ومجمل القضيّة أنّ امرأة ماتت عن زوج وأُمّ ، وأخوين آخرين لأُ مّها وأبيها معاً ، وذلك على عهد الخليفة الثاني فرفعت إليه هذه القضيّة مرّتين . فقضى في المرّة الأُولى بإعطاء زوجها فرضه وهو النصف ، وإعطاء أُمّها فرضها وهو السدس ، وإعطاء أخويها لأُ مّها خاصّة الثلث لكلّ منهما السدس ، فتمّ

المال ، وأُسقط أخواها الشقيقان . وفي المرّة الثانية أراد أن يحكم بذلك أيضاً ، فقال له أحد الشقيقين : هب أنّ أبانا كان حماراً فأشركنا في قرابة أُمّنا . فأشرك عمر بينهم بتوزيع الثلث على الإخوة الأربعة بالسواء . فقال له رجل : إنّك لم تشركهما عام كذا ؟ فقال عمر : تلك على ما قضينا يومئذٍ ، وهذه على ما قضينا الآن .

قال آية الله العامليّ رضوان الله عليه في الهامش : أخرجه البيهقيّ ، وابن أبي شيبة في سننهما ، وعبد الرزّاق في جامعه كما في أوّل الصفحة الثانية من فرائض «كنز العمّال» ج ٦ ، ص ٧ ، الحديث . ١١٠ وذكر في هذه القضيّة الفاضل الشرقاويّ في حاشيته على «التحرير» للشيخ زكريّا الأنصاريّ ، ونقل صاحب «مجمع الأنهر في شرح ملتقى الأبحر» : أنّ عمر كان أوّلاً يقول بعدم التشريك ثمّ رجع . وسبب رجوعه أنّه سئل عن هذه المسألة فأجاب كما هو مذهبه . فقام واحد من الأولاد لأبٍ وأُمّ وقال : يا أمير المؤمنين ! لئن سلّمنا أنّ أبانا كان حماراً ، ألسنا من أُمّ واحدة ؟ فأطرق رأسه مليّاً وقال : صدقتَ لأنّكم بنو أُمّ واحدة ، فشركهم في الثلث .

وذكر أحمد أمين هذه القضيّة بهذه الكيفيّة على سبيل الاختصار في كتابه «فجر الإسلام» ج ١ ، ص ٢٨٥ ، المخصوص بالحياة العقليّة . وقال آية الله العامليّ رضوان الله عليه في المتن أيضاً : وتعرف هذه المسألة بالفريضة الحماريّة لقول ذلك الرجل : هَبْ أنّ أَبانا كان حماراً . وربما سمّيّت بالحجريّة واليمّيّة . إذ روي أنّ بعضهم قال : هَبْ أنّ أبانا كان حَجَراً ملقىً في اليمّ . وقد تسمّى العمريّة لاختلاف قولي عمر فيها . ويقال لها : المشتركة . وهي من المسائل المعروفة عند فقهاء المذاهب الأربعة وهم مختلفون فيها . فأبو حنيفة وصاحباه ، وأحمد بن حنبل ، وزفر ، وابن أبي ليلى يرون حرمان الأخوين الشقيقين على ما قضى به عمر أوّلاً ، بخلاف مالك والشافعيّ ، فإنّهما يشركان الشقيقين مع الأخوين لأُمّ في الثلث على ما قضى به أخيراً .

٥١) الخلاف» ج ٢ ، ص ٧٢ ، المسألة ١٠٩ ، الطبعة الحديثة ، سنة ١٣٨٢ ه .

٥٢) جواهر الكلام» ج ٣٩ ، ص ١٦٢ ، الطبعة الحديثة .

٥٣) تحدّثنا عن هاتين المسألتين مفصّلاً في الجزء الحادي عشر من هذا الكتاب ، الدرس ١٦١ إلى ١٦٥ ، فراجع .

٥٤) ذكر الشريف الرضي رضوان الله عليه هذا الموضوع في «نهج البلاغة» الخطبة ١٦٨ ، وفي طبعة مصر وشرح محمّد عبده :ج ١ ،ص ٣١٧ و. ٣١٨ وفيه : كَلّم به بعض العرب وقد أرسله قوم من أهل البصرة لمّا قرب عليه السلام منها ليعلم لهم حقيقة حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهة من نفوسهم فبيّن له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنّه على الحقّ . ثمّ قال له : بايع ، فقال : إنّي رسول قوم ولا أُحدث حدثاً حتّى أرجع إليهم . فقال له عليه السلام : أرأيتَ لو أنّ الذين وراءك بعثوك رائداً تبتغي لهم

مساقط الغيث فرجعتَ إليهم وأخبرتهم عن الكلأ والماء فخالفوا إلى المعاطش والمجادب ، ما كنتَ صانعاً ؟ قال : كنتُ تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء . فقال عليه السلام : فامدد إذاً يدك . فقال الرجل : فو الله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّة عَلَيّ فبايعتُه عليه السلام . والرجل يعرف بكُليب الجَزميّ .

إنّ هذا الضرب من التعبير أبلغ في إلزام الخصم وتقرير الجدل من العبارة التي نقلناها عن ابن شهرآشوب في مناقبه (الطبعة الحجريّة ، ج ١ ، ص ٢٦٩ ، والطبعة الحديثة في المطبعة العلميّة بقم ، ج ٢ ، ص ٢٦) . ذلك أنّه لم يذكر في كلتا الطبعتين قوله : فخالفوا إلى المعاطش والمجادِب ، ما كنتَ صانعاً ؟ قال : كنتُ تاركهم ومخالفهم إلى الكلأ والماء . ومن الواضح أنّ عبارة «نهج البلاغة» أبلغ .

. ومن الواضح أنّ عبارة «نهج البلاغة» أبلغ .

٥٥) ذكره الشريف الرضي رضوان الله عليه في «نهج البلاغة» قسم الحِكَم ، رقم . ٣١٧

٥٦) الأنباط جمع النّبَط قوم كانوا يسكنون بين العراق والشام . وكانوا يسافرون إلى المدينة في الجاهليّة والإسلام لشراء وبيع أمتعتهم كالدرمك (دقيق القمح الأبيض) والزيت . وضبط المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ٦ ، ص ٦٢٤ ، طبعة الكمبانيّ : الدرثوك بدل الدرمك ، عن تفسير عليّ بن إبراهيم ، ونقل عن الجوهريّ أنّ الدرثوك ضرب من البُسُط ذو خُمل وتشبه به فروة البعير .

٥٧) النصف الأوّل من الآية ٣ ، من السورة ٩ : براءة : وَأَذَ نٌ مّنَ اللَهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النّاسِ يَوْمَ الْحَجّ الْأَكْبَرِ أَنّ اللَهَ بَرِىءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ . ويلاحظ أنّ قوله وَرَسُولُهُ مرفوع ، وهو معطوف على اللَه محلّاً . وهو مبتدأ مرفوع أو عطف على قوله إِنّ اللَهَ ، وهذا مرفوع محلّاً على الابتدائيّة أيضاً ، وقُرئ في بعض القراءات بالنصب وَرَسُولَهُ ، فيكون معطوفاً على اللَهَ . والمعنى في كلتا الحالتين واحد ، وهو صحيح . وأمّا إذا قرئ بالجرّ وَرَسُولِهِ ، كما فعل السوقيّ ، فالمعنى كلّه يتغيّر ، ويعطي العكس . فلهذا لمّا سمع الأعرابيّ ذو اللسان الصحيح ذلك ، عدّه كفراً ، وضرب السوقيّ على رأسه .

٥٨) قال المستشار عبد الحليم الجنديّ في كتابه الثمين «الإمام جعفر الصادق» هامش ص ٢٩ : روى الأنباريّ في «تأريخ الأُدباء» أنّ سبب وضع عليّ كرّم الله وجهه لهذا العلم ما روى أبو الأسود الدؤليّ حيث قال : دخلتُ على أمير المؤمنين عليّ ، فوجدتُ في يده رقعة . فقلتُ : ما هذه يا أمير المؤمنين ؟ فقال : إنّي تأمّلتُ كلام العرب فوجدته قد فسد بمخالطة هذه الحمراء (يعني الأعاجم) ، فأردتُ أن أضع شيئاً يرجعون إليه . ثمّ ألقى إليّ الرقعة ومكتوب فيها : الكلام كلّه اسم وفعل وحرف . فالاسم ما أنبأ عن المسمّى ، والفعل ما أُنبئ به ، والحرف ما أفاد معنى . وقال لي : انح هذا النحو ، وأضف إليه ما وقع عليك . واعلم يا أبا الأسود أنّ الأسماء ثلاثة : ظاهر ، ومضمر ، واسم لا ظاهر ولا مضمر . وإنّما يتفاضل الناس يا أبا الأسود فيما ليس بظاهر ولا مضمر (أراد بذلك الاسم المبهم) . قال [أبو الأسود] : ثمّ وضعتُ بابَي العطف والنعت ، ثمّ بابَي التعجّب والاستفهام إلى أن وصلتُ إلى باب إنّ وأخواتها ، فكتبتُها ما خلا لكنّ . فلمّا عرضتها على أمير المؤمنين عليه السلام ، أمرني بضمّ لكنّ إليها . وكلّما وضعتُ باباً من أبواب النحو ، عرضتُه عليه ، إلى أن حصلت مافيه الكفاية . فقال : ما أحسنَ هذا النحو الذيِنحوتَ ، فلهذا سمّي النحو . وأنّ المرء ليلاحظ أنّ هذا الفتح العظيم في العلم كان من اهتماماته ، وهو أمير المؤمنين ، ليس لديه يوم واحد خلا من معركة أو استعداد لمعركة . وأنّ أبا الأسود هو واضع علامات الإعراب في المصحف في أواخر الكلمات بصبغ يخالف لون المداد الذي كتب به

المصحف . فجعل علامة الفتح نقطة فوق الحرف . والضم نقطة إلى جانبه ، والكسر نقطة في أسفله ، والتنوين مع الحركة نقطتين . ثمّ وضع نصر بن عاصم ــ تلميذ أبي الأسود ــ النقط والشكل لأوائل الكلمات وأواسطها . ثمّ جاء الخليل بن أحمد فشارك في إتمام بقيّة الإعجام . والخليل شيعيّ كأبي الأسود . وهو واضع علم العروض وصاحب المعجم الأوّل وواضع النحو على أساس القياس . فاللغة العربيّة مدينة لعليّ وتلاميذ عليّ . وكمثلها البلاغة العربيّة . وعليّ معدود من خطباء التأريخ العالميّ بخطبه والمناسبات التي دعت إليها .

٥٩) إنّ أكبر دليل على فصاحة الإمام : «نهج البلاغة» الذي قال فيه جورج جرداق في كتابه : «الإمام عليّ صوت العدالة الإنسانيّة» ص ٦٨٤ : فكان له من بلاغة الجاهليّة وسحر البيان النبويّ ما حدا بعضهم إلى أن يقول في كلامه إنّه دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين . ولا غرو في ذلك ، فقد تهيّأت لعليّ جميع الوسائل التي تعدّه لهذا المكان بين أهل البلاغة .

٦٠) هذه الأبيات من قصيدة للحميريّ تقع في أربعة وعشرين بيتاً ، وهي في ص ٥٣ إلى ٦٠ من ديوانه . أخرجها [جامع «الديوان» أو محقّقه أو مصحّحه] عن «أعيان الشيعة» ، و«مناقب آل أبي طالب» ، وذكرها تحت الرقم ٥ ، وأوّلها :

بيت الرسالة والنبوّة والذين
نعدّهم لذنوبنا شفعاء

إلى أن بلغ قوله في البيتين ١٤ و١٥ :

مَنْ كَان أعلمهم وأقضاهم ومن
جعل الرعيّة والرّعاة سواء
مَن كان باب مدينة العلم الذي
ذكر النزول وفسّر الأنباء

والأبيات ١٦ إلى ١٩ هي الأبيات الأربعة التي ذكرناها في المتن نقلاً عن «المناقب» لابن شهرآشوب . وثمّة اختلاف يسير في بعض الكلمات . مثلاً ذكر في البيت الأوّل قَوْلَهُ مكان حولَهُ ، وفي الثاني حفاء بحاء مهملة وتخفيف الفاء بدل خفّاء بالخاء المعجمة وتشديد الفاء ، وفي الرابع عانوا بالنون مكان عاثوا بالثاء المثلثة .

٦١) قال المرحوم المغفور الآية الحجّة السيّد حسن اللواساني رضوان الله عليه جدّ قرّة عيني المكرّم وصهري المعظّم السيّد إبراهيم اللواساني دام عزّه في كتابه «كشكول لطيف» ص ٣٣ ، طبعة طهران : نُقل أنّ معاوية بن أبي سفيان كتب إلى أمير المؤمنين عليه السلام العبارة الآتية بلا تنقيط : (علا قدرى ، علا قدرى) وقصده من الأُولى علوّ قدره ، ومن الثانية غليان قدره كناية عن عظمة شأنه . (عَلا قَدْري ، غَلا قِدْري) . فكتب إليه أمير

المؤمنين عليه السلام ما يأتي بلا تنقيط : عرك عرك فصار فصار دلك دلك فاحس فاحس فعلك فعلك نهدى نهدى . فلم يفهم معناها ، وحار في أمره . وقصد الإمام هو : غَرّكَ عِزّكَ ، فَصَارَ قُصَارَ ذَلِكَ ذُلّكَ ، فَاخْشَ فَاحِشَ فِعْلِكَ ، فَعَلّكَ تَهْدِي بِهُدىً !

٦٢) ذكر المرحوم الآية الحجّة اللواساني هذه الخطبة الطويلة جدّاً في ص ٣٠ إلى ٣٣ من كشكوله .

٦٣) ذكر المرحوم اللواساني رضوان الله عليه خطبة أُخرى لأمير المؤمنين عليه السلام بلا نقطة وذلك في كتابه «كشكول» ص ٢٥ و. ٢٦ وأوّلها : الحمد للّه الملك المحمود ، المالك الودود ، مصوّر كلّ مولود ، ومآل كلّ مطرود .

٦٤) ورد هذا الكلام في خطبتين من خطب «نهج البلاغة» الأُولى : الخطبة ٢١ : فَإنّ الغاية أمامَكم ، وَإنّ وراءكم الساعة تَحدوكم ، تَخَفّفوا تَلْحَقوا ، فإنّما يُنْتظر بأوّلكم آخِرُكم . وقال الشريف الرضي هنا : هذا الكلام لو وزن بعد كلام الله سبحانه ، وبعد كلام رسول الله صلّى الله عليه وآله بكلّ كلام لمال به راجحاً وبرّز عليه سابقاً . فأمّا قوله عليه السلام : تَخَفّفُوا تَلْحَقُوا ، فما سُمع كلام أقلّ منه مسموعاً ولا أكثر محصولاً ، وما أبعد غورها من كلمة ، وأنقع نطفتها من حكمة . الثانية : الخطبة ١٦٥ إذ قال بعد كلام له في كتاب الله والنصيحة في العمل : بَادِرُوا أَمْرَ العَامّةِ وَخَاصّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ المَوْتُ ، فَإنّ النّاسَ أَمَامَكُمْ وَإنالسّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ ، تَخَفّفُوا تَلْحَقُوا ، فَإنّمَا يُنْتَظَر بِأَوّلِكُمْ آخِرُكُمْ ــ الخطبة . طبعة مصر وشرح الشيخ محمّد عبده ، الأُولى في ص ٥٨ و. ٥٩ والثانية في ص ٣١٤ و٣١٥ من الجزء الأوّل .

٦٥) الآية ٣٩ ، من السورة ٩ : التوبة : بَلْ كَذّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ وَلَمّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُ كَذَ لِكَ كَذّبَ الّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظّلِمِينَ .

٦٦) الآية ٣٠ ، من السورة ٤٧ : محمّد : وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَهُمْ وَلَتَعْرِفَنّهُمْ فِى لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ .

٦٧) جاء في «نهج البلاغة» ج ٢ ، الحكمة ٨١ : قِيمةُ كُلّ امْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ . قال الشريف الرضيّ : وهذه الكلمة التي لا تصاب لها قيمة ، ولا توزن بها حكمة ، ولا تقرن إليها كلمة . نهج البلاغة» ج ٢ ، ص ١٥٤ ، طبعة مصر ، شرح عبده) .

٦٨) الآية ٢٤٧ ، من السورة ٢ : البقرة : وَقَالَ لَهُمْ نَبِيّهُمْ إِنّ اللَهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مّنَ الْمَالِ قَالَ إِنّ اللَهَ اصْطَفَبهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِى الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَهُ يُؤْتِى مُلْكَهُ مَن يَشَآءُ وَاللَهُ وَ سِعٌ عَلِيمٌ .

٦٩) هذا التعليم من عجائب الأحكام القضائيّة ، إذ إنّ الحكم بالقصاص نفسه يحول دون الجريمة . وهو من الموارد التي يوجب الحكم بها عدم تحقّق مصداقها .

٧٠) الآية ١٧٩ ، من السورة ٢ : البقرة : وَلَكُمْ فِى الْقِصَاصِ حَيَوةٌ يَأُولِى الْأَلْبَبِ لَعَلّكُمْ تَتّقُونَ .

٧١) قال الاستاذ العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله عليه في «الميزان» ج ٢٠ ، ص ٣٢٣ : الموءُودة البنت التي تدفن حيّةً ــ انتهى . وعلى هذا يجب أن تولد هذه البنت حيّة ثمّ تُدفَن حيّة ليصدق عليها معنى الموءودة . وهذا هو ما عناه أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : يأتي عليها ... إذ ينبغي أن تمرّ بمراحل الجنين السبع وهي : سلالة الطين ، والنطفة ، والعلقة ، والمضغة ، والعظم ، وكسو العظم لحماً ، ونفخ الروح فيه ، ثمّ تأتي إلى الدنيا حيّة لينطبق عليها معنى الموءودة . وإلّا لو مرّ هذا الجنين ببعض المراحل دون بعض ، فلا يصدق عليه معنى الموءودة ، ولا يكون هو المقصود من الآية المباركة وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ . وأمّا تعبير الإمام عنه بالجنين الذي تأتي عليه الثارات السبع ، فالسبب فيه أنّ كلّ مرحلة من مراحل الجنين لو ضُيّعت أو أُسقطت ، فلها دية خاصّة يجب على الجاني دفعها . ودية النطفة ٢٠ ديناراً ، والعلقة ٤٠ ديناراً ، والمضغة ٦٠ ديناراً ، والعظم ٨٠ ديناراً ، واللحم الذي يكسو العظم ١٠٠ دينار . فهذه خمس مراحل تُسدّس بالمرحلة الأُولى المتمثّلة بسلالة الطين ، وإذا نفخت فيه الروح ، فديته دية إنسان كامل ، وهي ألف دينار . ويقول الإمام عليه السلام : إنّ الموءودة هي الجنين الذي أتت عليه هذه الثارات السبع كلّها . أي : إذا وُلد الجنين وقُتل ، فإنّه يستحقّ ثأر النطفة ، أي : تُدفع إليه دية النطفة . كما يستحقّ ثأر العلقة ، ويجب أن تدفع إليه دية العلقة ، وهنا اندكّت دية النطفة في دية العلقة . وله أيضاً ثأر المضغة ، وينبغي أن تدفع إليه ديتها . غاية الأمر أنّ دية النطفة والعلقة مندكّة في دية المضغة . وهكذا حتّى نبلغ مرحلة إنشاء الروح ونفخ النفس الناطقة فيه ، ولها ديتها . وأنّ جميع الديات السابقة مندكّة فيه . فهذا الجنين المولود حيّاً قد استحقّ سبع مراحل من الديات ، وطلب ثأره سبع مرّات ، واقتصّ من الجاني عليه . وقال الفيروزآباديّ في «شرح القاموس» : الثأر الدم نفسه ، وطلب الدم ، وقاتل حميمك ، وأثآر كأشجار ، وآثار كآجال جمعه . واسم المصدر ثؤرة وثوؤرة .

٧٢) الآيات ١٢ إلى ١٤ ، من السورة ٢٣ : المؤمنون : وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَنَ مِن سُلَلَةٍ مّن طِينٍ * ثُمّ جَعَلْنَهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مّكِينٍ * ثُمّ خَلَقْنَا النّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَمًا فَكَسَونَا الْعِظَمَ لَحْمًا ثُمّ أَنشَأْنَهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَلِقِينَ .

٧٣) غرر الحكم ودرر الكلم» للعالم الجليل عبد الواحد بن محمّد التميميّ الآمديّ . ويعرف ب «غُرَر ودُرَر الآمديّ» . جمع فيه مؤلّفه خمسين وإحدى عشرة ألف كلمة من الكلمات القصار لأمير المؤمنين عليه السلام . وشرحه المحقّق البارع جمال الدين محمّد الخوانساريّ . وطُبع في ستّة أجزاء سنة ١٣٨٣ ه مع مقدّمة وتصحيح وتعليق مير جلال الدين الحسينيّ الأُرمويّ . ومن الكتب التى جمعت الكلمات القصار للإمام كتاب العالم

الربّانيّ كمال الدين ميثم بن عليّ بن ميثم البحرانيّ ، وضمّ شرحاً لمائة كلمة من كلماته عليه السلام ، وطبعه الأُرمويّ أيضاً سنة ١٣٩٠ ه مع شرحين آخرين لهذه الكلمات المائة : الأوّل لعبد الوهاب ، والثاني لرشيد وطواط . وجمعت هذه الشروح الثلاثة في إضمامة . ومن الكلمات القصار للإمام : الحِكَم التي أوردها الشريف الرضيّ رحمه الله في «نهج البلاغة» بعد خطبه وكتبه عليه السلام . وتبلغ هذه الكلمات الحكميّة أربعمائة وثمانين كلمة كما جاء في «نهج البلاغة» المطبوع بمصر لشارحه محمّد عبده . وذكر ابن أبي الحديد في آخر شرحه للنهج تسعمائة وثماني وتسعين كلمة قصيرة من الكلمات المنسوبة إلى أمير المؤمنين عليه السلام . ونقل الشيخ سليمان القندوزيّ الحنفيّ سبعين حديثاً من الكلمات القصار للإمام عليه السلام وذلك في باب الفضائل السبعين لأهل البيت من كتابه «ينابيع المودّة» ص ٢٣٠ إلى ٢٤١ ، طبعة إسلامبول . ولا يخفى أنّ المؤرّخ الأمين المسعوديّ عرض في «مروج الذهب» ج ٢ ، ص ٢٩٩ إلى ٣٠٣ بعض الكلمات القصار لرسول الله صلّى الله عليه وآله وقال : هذه الكلمات لرسول الله ، ولم يتقدّمه بها أحد من الناس .

٧٤) معنى قوله : أنا النقطة مقام الوحدة . وأنا الخطّ مقام الكثرة ، إذ ينزل هنا من الوحدة . ومعنى أنا الخطّ أنا النقطة مقام الكثرة ، ثمّ يرتقي من هناك إلى مقام الوحدة . وأنا النقطة والخطّ مقام الجامعيّة بين الأثنين ، ومقام الوحدة في الكثرة ، والكثرة في الوحدة ، إذ سيكون هو النقطة الوحدة بين قوسي الأحديّة والواحديّة والفناء في الذات مع البقاء بالذات .

٧٥) ورد بحث موجز حول هذا الحديث الشريف في الجزء الثالث من كتابنا «معرفة المعاد» في سلسلة دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، المجلس . ١٧

٧٦) ذكر الشريف الرضي رحمة الله عليه هذه الكلمات مع مطالب نفيسة أُخرى في مقدّمته على «نهج البلاغة» . وقال المولى فتح الله الكاشيّ شارح «نهج البلاغة» بالفارسيّة في شرح الكلمات المشار إليها : ويدعم القول المذكور أنّ الإمام عليه السلام صلّى ليلة الهرير بصفّين ألف ركعة ، وأرسل خمسمائة وثلاثة وعشرين منافقاً إلى جهنّم ذخراً ليوم المعاد . وعلوّ مرتبة ذلك أعلى مرتبة على وجه أنّ العقل الحصيف لايدرك سرادق رفعته . ومن النظم قولهم :

علوّ اوست به جائى كه اختر از پروين
فشانده در قدمش جمله لولوئى منثور
زهي به علم ازل في البديهه حل كرده
نكات دفتر تورات و مشكلات زبور
كجا شوند به صد قرن ديگران چون او
ستاره ما جهانتاب كى شود به مرور

يقول : «بلغ علوّه مبلغاً أنّ النجمة والثريّا نثرتا اللؤلؤ على قدمه .

طوبى لمن أُوتي علم الأزل فحلّ ــ على البديهة ــ نكات التوراة ومشاكل الزبور .
أنّى للآخرين أن يكونوا مثله حتّى لو مضت مائة قرن ؟ وهل تبلغ النجمةُ القمر المنير على تواتر القرون ؟».

٧٧) استعرضنا هاتين القضيّتين في الجزء الحادي عشر من كتابنا هذا «معرفة الإمام» الدرس ١٦١ إلى . ١٦٥ في المبحث المتعلّق بقضاء أمير المؤمنين عليه السلام .

٧٨) سعيد بن جُبير ــ بضمّ الجيم ــ بن هشام الأسديّ الوالبيّ ، كوفيّ الأصل ، كان يسكن مكّة ، وهو أحد التابعين . عدّه الشيخ الطوسيّ من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام وذكره العلّامة الحلّيّ في القسم الأوّل من خلاصته . ورُوي عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ سعيد بن جبير كان يأتمّ بعليّ بن الحسين عليه السلام ، وكان الإمام يثني عليه . قُتل على يد الحجّاج ، وما كان سبب قتله إلّا على هذا الأمر ، وكان مستقيماً . ولمّا دخل على الحجّاج ، قال له : أنت شقيّ بن كسير ؟ قال سعيد : أُمّي كانت أعرف باسمي منك ، سمّتني سعيد بن جبير . قال الحجّاج : ما تقول في أبي بكر وعمر هما في الجنّة أو في النار ؟ قال : لو دخلتُ الجنّة ، فنظرتُ إلى أهلها ، لعلمتُ من فيها . ولو دخلتُ النار ورأيت أهلها لعلمتُ من فيها . فقال الحجّاج : فما قولك في الخلفاء ؟ قال سعيد : لستُ عليهم بوكيل . قال الحجّاج : أيّهم أحبّ إليك ؟ قال : أرضاهم لخالقي . قال : فأيّهم أرضى لخالقك ؟ قال : علم ذلك عند الذي يعلم سرّهم ونجواهم . قال : أبيتَ أن تصدقني ؟ قال : بل لم أُحبّ أن أكذبك . ثمّ أمر الحجّاج بنطع ، وقطع رأسه أمامه ، فقال سعيد عند ذبحه : اللهمّ لا تسلّطه على أحد يقتله بعدي . وكان قَتلُ سعيد في سنة ٩٥ ه وهو ابن ٤٩ سنة . ولم يلبث الحجّاج بعده إلّا خمس عشرة ليلة ، ولم يقتل أحداً بعده لدعائه عليه . وكان سعيد من مشاهير الثقات . وهو معروف بالزهد والعبادة والفقه وعلم التفسير . أخذ علمه من ابن عبّاس . وكان ابن عبّاس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه ، يقول : أليس فيكم ابن أُمّ الدهماء ؟ يعني سعيد بن جبير . وكان يسمّى : جِهبذ العلماء . والجِهبذ بكسر الجيم هو النقّاد الخبير . وكان يقرأ القرآن في ركعتين . قيل : وما على الأرض أحد إلاّ وهو محتاج إلى علمه .
(«رجال الطوسيّ» ص ٩٠ ؛ «خلاصة العلّامة الحلّيّ» ص ٧٩ ؛ «رجال الكشّيّ» ص ١١٠ ؛ «سفينة البحار» ج ١ ، ص ٦٢١ ؛ و«تهذيب التهذيب» ج ٤ ، ص ١١) .

٧٩) روى المرحوم السيّد هبة الله الشهرستانيّ في كتاب «الهيئة والإسلام» ص ٣٥٣ ، طبعة دار الثقافة ، عن كتاب «فرج المهموم» للسيّد ابن طاووس ، و«بحار الأنوار» بأسناد كثيرة عن امير المؤمنين عليه السلام أنّه قال للمنجّم الفارسيّ سرسفيل الدهقان على سبيل التعجيز والامتحان أخبرني عن طول الأسد وتباعده عن المطالع والمراجع ، وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ ثمّ قال الشهرستانيّ في شرح الفقرة الأخيرة : قد اشتهر بين المتأخّرين إطلاق التوابع على الأقمار من جهة أنّها تابعة في السير للكرات السيّارة ، وفي

المولد أيضاً على ما يقولون كمتابعة السيّارات للشمس . وقد يصفون الشموس بالجوامع نظراً إلى أنّها هي الجامعة بنظامها شمل السيّارات والحافظة بجذبها بناتها عن الشتات . ويعتقدون توسّط عنوان السيّارات بين عنوان الأقمار التابعة وبين عنوان الشموس الجامعة . وأنّ السيّارات بنات الجوامع وأُمّهات التوابع ومجذوبات لتلك وجاذبات لهذه . وهكذا في أكثر الجهات ترتبط السيّارات مع الجوامع والتوابع وتتوسّط بينهما في السير وفي الجذب وفي التكوين وفي المحلّ وفي الحجم وفي غير ذلك .

وعلى هذا يتّضح معنى قول وصيّ النبيّ : وما الزهرة من التوابع والجوامع ؟ أي : وما نسبة عنوان سيّارة زُهرة من عنوانيهما ؟ [هل هي من التوابع والأقمار أم من الجوامع ؟] ولو كان سرسفيل عالماً بالهيئة العصريّة لقال : نسبة عنوانها هي التوسّط بين التوابع والجوامع . أي : أنّ نسبة الأقمار إلى السيّارات كنسبة السيّارات إلى الشموس . وبناءً على هذا يكون مقصود الإمام من ذكر زهرة مطلق السيّارات كافّتها . وإنّما خصّ زُهرة بالذكر دون البقيّة لكونها أظهر أفراد السيّارات لدى الحواسّ ، وأعرفهنّ بين الناس .

٨٠) مضافاً إلى «المناقب» لابن شهرآشوب ، فقد ذكر الشيخ الطبرسيّ خبر الدهقان بحذافيره في «الاحتجاج» ج ١ ، ص ٣٥٥ إلى ٣٥٧ ، الطبعة الحديثة ــ النجف ، وسنده سعيد بن جبير .

٨١) ذكر الشيخ الطبرسيّ هذه الرواية في «الاحتجاج» ج ١ ، ص ٣٥٥ إلى ٣٥٧ ، طبعة مطبعة النعمان بالنجف ؛ ونقلها المجلسيّ عنه في كتاب «السماء والعالم» وقال في آخرها : ما قصّة صاحب الميزان ؟ أي الكواكب التي الآن في برج الميزان أو الكواكب المتعلّقة بذلك البرج المناسبة لها . وكذا صاحب السرطان . ومعنى : كم الطالع من الأسد ، أي : كم طلع من ذلك البرج الآن ؟ والساعات أي : كم مضى من الساعات من طلوع سائر المتحرّكات ؟ ولعلّ المراد بالسراري الكواكب الخفيّة ، تشبيهاً لها بالسريّة ، والدراريّ الكواكب الكبيرة المضيئة . أو اصطلاحان في الكواكب لا يعرفهما المنجّمون . والغرض أنّه لو كان هذا العلم حقّاً ، فإنّما يمكن الحكم به بعد الإحاطة بجميع أوضاع الكواكب وأحوالها وخواصّها في كلّ آن وزمان ، والمنجّمون لم يرصدوا من الكواكب إلّا أقلّها ، ومناط أحكامهم أوضاع السيّارات فقط مع عدم إحاطتهم بأحوال تلك أيضاً . ثمّ نبّهه عليه السلام على عدم إحاطته بذلك العلم ، أو عدم كفايته للعلم بالحوادث بجهله بكثير من الأُمور الحادثة .

وقال صاحب «القاموس» : البطريق ــ ككبريت ــ القائد من قوّاد الروم تحت يده عشرة آلاف رجل ــ انتهى . وديّان اليهود عالمهم ، وفي بعض النسخ بالنون جمع دنّ ، وهو الحبّ العظيم . وصاحبي أي النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله وسلّم . لا شرقيّ ولا غربيّ إيماء إلى قوله سبحانه : لَا شَرقِيّةً ولَا غَرْبِيّةً . والغرض : لسنا كسائر الناس حتّى

تحكم علينا بأحكامهم كالنجوم المنسوبة إلى العرب أو إلى الملوك أو إلى العلماء والأشراف فإنّا فوق ذلك كلّه . نحن ناشئة القطب أي الفرقة الناشئة المنسوبة إلى القطب . أي حقيقة لثباتهم واستقرارهم في درجات العزّ والكمال ، أو كناية عن أنّهم عليهم السلام غير منسوبين إلى الفلك والكواكب ، بل هي منسوبة إليهم وسعادتها بسببهم ، وأنّهم قطب الفلك ، إذ الفلك يدور ببركتهم . وهم أعلام الفلك بهم يتزيّن ويتبرّك ويسعد . ثمّ ألزم عليه السلام عليه في قوله : انقدح من برجك النيران بأنّ للنار جهتين : جهة نور ، وجهة إحراق . فنورها لنا وإحراقها على عدوّنا . ويحتمل أن يكون المراد به أنّ الله يدفع ضررها عنّا بتوسّلنا به تعالى وتوكّلنا عليه . فهذه مسألة عميقة أي كَوننا متميّزين عن سائر الخلق في الأحكام ، أو كون النيران خيراً لنا وشرّاً لعدوّنا ، أو أنّ التوسّل والدعاء يدفع النحوس والبلاء مسألة عميقة خارجة عن قانون نجومك وحسابك ،ويبطل جميع ما تظنّ من ذلك . («بحار الأنوار» ج ١٤ ، ص ١١٤ ، طبعة الكمبانيّ ؛ وج ٥٨ ، ص ٢٢١ و٢٢٢ الطبعة الحديثة) .

٨٢) تحدّثنا عن هذه المسألة في الجزء الحادي عشر من كتابنا هذا : «معرفة الإمام» الدرس ١٥٧ إلى . ١٦٠

٨٣) تحدّث المجلسيّ في «بحار الأنوار» ج ١٤ ، ص ٣٣٢ ، طبعة الكمبانيّ ، في كتاب السماء والعالم عن إمكان وعدم إمكان تبدّل بعض الفلزّات بنوع آخر . قال : ذهب كثير من العقلاء إلى أنّ تكوّن الذهب والفضّة بالصنعة . وذهب ابن سينا إلى أنّه لم يظهر له إمكان فضلاً عن الوقوع ، لأنّ الفصول الذاتيّة التي بها تصير هذه الأجساد أنواعاً أُمور مجهولة ، والمجهول لا يمكن إيجاده . نعم يمكن أن يعمل النحاس بصبغ الفضّة ، والفضّة بصبغ الذهب ، وأن يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص ، لكنّ هذه الأُمور المحسوسة يجوز أن لا تكون هي الفصول بل عوارض ولوازم .

٨٤) وأُجيب ابن سينا بأنّا لا نسلّم اختلاف الأجسام بالفصول والصور النوعيّة بل هي متماثلة لا تختلف إلّا بالعوارض التي يمكن زوالها بالتدبير . ولو سُلّم وقُبل كلامكم ، نقول : إن أُريد بمجهوليّة الصور النوعيّة والفصول الذاتيّة أنّها مجهولة من كلّ وجه فممنوع ، كيف وقد علم أنّها مبادٍ لهذه الخواصّ والأعراض . وإن أُريد أنّها مجهولة بحقائقها وتفاصيلها ، فلا نسلّم أنّ الإيجاد موقوف على العلم بذلك ، وأنّه لا يكفي العلم بجميع الموادّ على وجه حصل الظنّ بفيضان الصور عنده لأسباب لا تُعلم على التفصيل كالحيّة من الشعر ، والعقرب من البادروج ونحو ذلك . وكفى بصنعة الترياق وما فيه من الخواصّ والآثار شاهداً على إمكان ذلك . نعم ، الكلام في الوقوع وفي العلم بجميع الموادّ وتحصيل الاستعداد ، ولهذا جعل الكيمياء في اسمٍ بلا مسمّى .

وقال المجلسيّ هنا : أقول : ويظهر من بعض الأخبار تحقّقه ، لكنّ علم غير المعصوم به غير معلوم . ورأينا وسمعنا ممّن يدّعي علم ذلك منهم أصحاب خديعة وتدليس ، ومكر وتلبيس ولا يتبعهم إلّا مخدوع ، وصرف العمر فيه لا يسمن ولا يغني من جوع ــ انتهى كلام المجلسيّ رحمه الله .

وأنا أرى أنّ علم الإكسير وعلم الكيمياء كليهما ممكن . وأنّ مقصود أهل الصنعة من علم الإكسير هو إمكان تبديل النحاس فضّةً وذهباً بواسطة الحَجَر الفلسفيّ والحجر المكرّم . وفي ضوء ما قاله الخوارزميّ في «مفاتيح العلوم» المقالة الثانية من الباب التاسع ، فإنّ هذا الحجر يصنع من تركيب بعض الأجزاء الحيوانيّة وبعض الفلزّات المعدنيّة التي تُركّب وتقطّر وتصعّد وتعقّد وتشمّع وتُكلّس وتُلغَم وتُجرى عليها أعمال أُخرى بواسطة أدوية وعقاقير خاصّة لكي تتصلّب وتتحجّر ، واسم هذا هو الإكسير . ثمّ إذا سُحق هذا الحجر بمقدار معيّن كالزاج وخُلط بدهن الشعر ، وضُرب بالنحاس المذاب ، فإنّ الذهب أو الفضّة حسب الاختلاف يُستعمل للإكسير . ومقصودهم من علم الكيمياء هو إمكان إيجاد الذهب أو الفضّة الاصطناعيّة بواسطة تركيب بعض الأعمال الكيمياويّة وتطبيقها . ويرى رجال المختبرات اليوم أنّه يمكن صناعة الذهب أو الفضّة الاصطناعيين كما يصنع الياقوت والزمرّد والعقيق والأحجار الكريمة الأُخرى من خلال القيام ببعض الأعمال الكيمياويّة ، بَيدَ أنّ نفقات صنعها أكثر من الذهب والفضّة أنفسهما . نعم ، كان عند الأئمّة المعصومين عليهم السلام كيمياء ، ولم يؤثَر أنّهم مارسوها .

وذهبتُ يوماً إلى منزل أحد العلماء الخطباء لزيارته إذ حلّ ضيفاً في مدينتنا . فكان يقول : عندي كيمياء وأُريد أن أُعطيكها . قلتُ : لا حاجة بي إليها . قال : ولِمَ ؟ أنا لم أُعطها أحداً حتّى الآن . قلتُ : كنتُ مشغولاً بالدراسة في المدارس الدينيّة أيّام شبابي ، ونتيجة لكثرة الاشتغال والمطالعة رجوتُ الله تعالى أن لو مدّ اليوم إلى أكثر من ٢٤ ساعة ليتسنّى لي استيفاء حظّي من العلم . وإلى الآن لم يتّفق لي أن أقف عمري على جمع المال . وحقيق بي أن لا أحصل على الذهب والفضّة .

تو به غير علم عشق ار دل نهى
سنگ استنجا به شيطان مى دهى
لوح دل از فضله شيطان بشوى
أي مدرّس درس عشقى هم بگوى

فدعا لي ذلك العالم الكبير ، وأثنى عَلَيّ .

وتعريب البيتين : «إذا أُغريتَ بعلم غير علم العشق ، فإنّك تعطي الشيطان حجر الاستنجاء .

طهّر قلبكَ من رِجس الشيطان ، وأنتَ أيّها المدرّس علّم درس العشقَ أيضاً» .

٨٥) الآية ١٢٤ ، من السورة ٦ : الأنعام ، والآية هي : اللَهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ .

٨٦) الآية ١٦٤ ، من السورة ٤ : النساء . ونصّ الآية : وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَرُسُلًا لَّمْ نَقْصُصْهُمْ عَلَيْكَ .

٨٧) حكى الميدانيّ في «مجمع الأمثال» أنّ العرب تسمّي الليلة التي تُفترع فيها المرأة : ليلة شيباء . وتسمّي الليلة التي لا يقدر الزوج فيها على افتضاضها : ليلة حِرَة . فيقال : باتت فلانة بليلة حرة إذا لم يغلبها الزوج . وباتت بليلة شيباء إذا غلبها فافتضّها (حرة في الأصل وحر ، كعدِة في الأصل وعد . ومعنى الوَحْر الحقد والضغينة وشدّة الغضب) . البِكر بكسر الباء هي الباكرة . والعُذرَة ــ بضمّ العين ــ دم البكارة . وجاء في المثل : لا تنسى المرأة أبا عذرِها (أبا مخدرها ، أبا محذرها) (صاحب حجابها وبكارتها أو مسبّب خوفها) وقاتل بِكرها . ويقال للمرأة شيباء مجازاً تشبيهاً لها بالليلة الشيباء .

وأراد معاوية في كلامه هذا أن يقول لأبي أيّوب الأنصاريّ : أنت من قَتَلة عثمان ، ومثلك مثل الشيباء التي لا تنسى من افترعها وافتضّ بكارتها وأسال دمها أبداً . وأنتَ باشتراكك في قتل عثمان تستوجب مهاجمتي إيّاك وتعرّضي لك وطلبي بثأره منك . وفهم أمير المؤمنين عليه السلام هذه الإشارة في كلام معاوية بما أُوتي من فطنة ودهاء عظيم ، وهي ما احتاجت إلى ذلك الشرح والتفصيل . وجاء في الطبعة الحجريّة لمناقب ابن شهرآشوب : (شيئاً) مكان (شيباء) : أمّا بعد ؛ فحاجيتك بما لا تنسى شيئاً . وإذا كان كذلك ، فاستفادة هذا المعنى الدقيق والخافي من لفظ (شيئاً) أعجب .

٨٨) كثر الكلام حول منطق الطير . فبعضٌ يرى أنّ لها لغةً كالإنسان ، وأنّها تُفهِم جميع مفاهيمها ومقاصدها بواسطة تلك اللغة . وبعضٌ يذهب إلى أنّها تعبّر عن مقاصدها في حدود حاجتها بأنواع الأصوات والأشكال . وقيل الكثير أيضاً في من يطّلع على منطق الطير ويفهم كلامها كالنبيّ سليمان الذي قال تعالى فيه : عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ . ويعتقد البعض أنّ الله سبحانه علّمه لغات الطيور ، فعلم أنواعها وضروبها على أساس لغات مختلفة . بيد أنّ الذي يبدو هو أنّ تعليم سليمان عليه السلام ، ومولانا أمير المؤمنين عليه السلام ، وسائر الأئمّة صلوات الله عليهم ، والإمام الرضا عليه السلام الذي تكلّم مع الغزال ، والإمام الهاديّ عليه السلام الذي أُلقى في بركة السباع وتكلّم مع الوحوش ، كلّ ذلك ليس من باب تعليم اللغات وتعلّمها بواسطة وجود كثرتها ، بل من باب سيطرة نفس الإمام والنبيّ على ملكوتها ، وإدراك مقاصدها عبر الإحاطة النفسانيّة بها . وإذا صلبت نفس المؤمن واجتاز هواه ، فإنّه يتمتّع بالسعة والإحاطة ، فيقف على ملكوت الكائنات أيّاً كانت : طيوراً أم حيوانات مفترسة أم إنساً أم جنّاً أم حيوانات بحريّة أم نباتات وأشجار وجمادات . وحينئذٍ يتيسّر للمؤمن المحيط المسيطر على النفوس أن يتكلّم مع نفس كلّ موجود سواءً حرّك لسانه وفقاً للسانها أم لم يحرّكه . ومن هذا القبيل تكلّم المؤمن بلغته الأُمّ مع غير أهل

لغته . وربما شوهد في الحجّ أو في المشاهد المشرّفة الأُخرى أنّ بعض المؤمنين الوافدين من أقطار مختلفة ــ ولم يفهم أحدهم لغة الآخر ، كالترك والعرب والهنود ــ يتعارفون ويجلسون بعضهم مع بعض ساعات ، ويتحدّثون عمّا في طويّاتهم ، ويطّلع بعضهم على طريق ومسير وأحوال البعض الآخر تماماً . ويقال إنّ الحيوانات كلّها ذلولة ومطيعة للمؤمن العارف بالله . ونُقل في أحوال سعيد بن جبير أنّه لمّا قُبض عليه واقتيد إلى الحجّاج بن يوسف ، كان مشغولاً بالصلاة والقرآن ليلاً في طريق الصحراء ، فاجتمعت حوله الوحوش ولم تؤذه قطّ . وثمّة شواهد كثيرة مثل هذه الوقائع في التواريخ الثابتة المسلّمة . وما أروع وأعمق ما أنشده المرحوم آية الله الحاجّ الميرزا حبيب الله الخراسانيّ أعلى الله مقامه الشريف في هذا المجال ! ونِعَم ما نظم ! إذ قال :

از آن خسرو كه جمشيدش بود نام
نوشته ديدم اين خط بر لب بام
كه بايد درخدا جوئى چو پرگار
به گرد خويشتن زد روز و شب گام
رسد چون نقطه أوّل به آخر
يكى گردد همه آغاز و انجام
بجوى اين را ز جانى در دساتير
كز آن خسرو رقم شد دور أيّام
بگو جم كيست آن كس مرغ و ماهى
به افسون از هنرمندى كند رام
دم پير من است آن كز فسونش
خروس عرش نيز افتاده در دام
دل پير من است آن سحر مسحور
كه گه پر جوش ، گاهى هست آرام
اگر حق را هزار اسماء حسنى است
بود جمع آن هزار اندر يكى نام
بگو كاوّل علي ، آخر علي بود
بگو باطن علي ، ظاهر علي بود

(«ديوان حبيب» ص ٢٠١ ، الطبعة الثانية ــ طهران)

يقول : «رأيت هذا الخطّ مكتوباً على حافّة الكأس وهو لذلك الملك الذي كان اسمه جمشيد .

وعلى الذي يبحث عن الله أن يكون كالفرجار في حركة مستمرّة حول نفسه ليل نهار .

وإذا بلغت النقطة الأُولى آخر ما يخطّه الفرجار فإنّ مبدأه ومنتهاه يصبح واحداً .

ابحث عن هذا السرّ الروحيّ في الأساطير ، فإنّ دورة الأيّام بدأت من ذلك الملك (جمشيد) (أي : أنّ النقطة الأصليّة للفرجار كانت منه) .

قل : من هو جمشيد ؟ هو من ذلّل الطير في الجوّ والحيتان في الماء بسحره المنبعث من براعته .

إنّه نَفَس شيخي الذي من سحره سقط ديك العرش في الفخّ (أي أنّه جذّاب حتّى ذلّل ديك ...)

إنّه قلب شيخي ذلك السحر المسحور الذي يهيج تارة ، ويهدأ أُخرى .

إذا كان للحقّ (الله) ألف من الأسماء الحسنى ، فإنّها تُجمع في اسم واحد .

قل : إنّ الأوّل هو عليّ ، والآخر عليّ ، والباطن عليّ ، والظاهر عليّ» .

٨٩) قال في «أقرب الموارد» : الدّخن حبّة صغيرة وملساء جدّاً ، وهو غير الجاوَرس . بَيدَ أنّه جاء في «لغتنامه دهخدا» (مُعجم دِهْخُدا) في مادّة دخن ، ص ٢٩١ ، جزء الدال بعد بحث طويل : الدّخن إذا كان ناعماً وأصفر فهو : أرْزَن (بالفارسيّة) ، وإذا كان خشناً وأبيض فهو جاوَرس (بالعربيّة أيضاً : جاوَرس) وگاورس (بالفارسيّة) . ويستبين من جواب أمير المؤمنين عليه السلام لأهل باد ورَيا أنّه أراد أن يقول على سبيل التمثيل : لمّا كان الدخن الناعم أجود من الدخن الخشن ، والناس ترغب فيه أكثر ، وكانت أرضكم القليلة أجود من أرض جيرانكم الواسعة ، لذلك فإنّ خراجكم أكثر من خراجهم .

٩٠) يستفاد هنا أنّ تفسير الإمام عليه السلام كان متزامناً مع صوت الناقوس . وطفق يفسّره منذ بدأ صوته ، وختم تفسيره بانقطاعه .

٩١) ذكر ابن شهرآشوب في الطبعة الحجريّة من مناقبه ، ج ١ ، ص ٤٢٦ قصّة إسلام الأُسقُف النصرانيّ على أثر تفسير الناقوس بطريق آخر . وقال : روى زيد وصعصعة ابنا صوحان ، والبراء بن سبرة ، والأصبغ بن نباته ، وجابر بن شرحبيل ، ومحمود بن الكوّاء أنّه ذُكر بدَير الديلم من أرض فارس لأُسقُف قد أتت عليه عشرون ومائة سنة أنّ رجلاً قد فسّر الناقوس ، يعنون عليّاً عليه السلام . فقال : سيروا بي إليه فإنّي أجده أنزعَ بطيناً (من انحسر الشعر عن رأسه ونَتَأَت بطنُه) فلمّا وافى أمير المؤمنين عليه السلام ، قال : قد عرفتُ صفته في الإنجيل ، وأنا أشهد أنّه وصيّ ابن عمّه ، فقال له الإمام : جئتَ لتؤمن أزيدك رغبة في إيمانك . قال : نعم . قال عليه السلام : انزع مدرعتك (جبّة من الكتّان كان يلبسها الرهبان الكبار) فَأَرِ أصحابك الشامة التي بين كتفيك . فقال الأُسقُف : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللَهُ ، وَأَنّ مُحَمّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . وشهق شهقة فمات . فقال أمير المؤمنين عليه السلام : عَاشَ فِي الإِسْلَامِ قَلِيلاً ، وَنَعِمَ فِي جِوَارِ اللَهِ كَثِيراً .

٩٢) الآية ١٣ ، من السورة ٤٩ : الحجرات .

٩٣) الآيات ٣١ إلى ٣٣ ، من السورة ٥٠ : ق : وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِّلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ * هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ * مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ .

٩٤) النصف الثاني من الآية ٢٨ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٩٥) الآية ٣٥ ، من السورة ١٠ : يونس .

٩٦) قسم من الآية ٩٥ ، من السورة ٥ : المائدة .

٩٧) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٢٦٦ و٢٦٧ من الطبعة الحجريّة ؛ وج ٢ ، ص ٥٦ و٥٧ من الطبعة الحروفيّة طبعة المطبعة العلميّة ــ قم .

٩٨) الآية ٨٥ ، من السورة ١٧ : الإسراء .

٩٩) تذكرة الخواصّ» ص ٨٥ إلى . ٨٧ ونقلها العلّامة الأمينيّ في «الغدير» ج ٦ ، ص ٢٤٧ إلى ٢٤٩ عن «التذكرة» وعن «زين‌الفتى في شرح سورة هل أتى» للحافظ العاصميّ .

١٠٠) ديوان حبيب» ص . ٢٣٤

يقول : «في هذا اليوم الذي هو يوم الحرب والقتال ، ناولني الخمر فإنّ كأسها محبوب إلى قلبي .

لقد ولّى عهد الكأس والكوز ، ولات وقتَهما ، بل الوقت وقت غدير خم .

إنّ ظبيك فتن قلوب الناس جميعهم بنظرة واحدة ، إنّه صيّاد الأُسود حقّاً».

١٠١) يقول : «إنّ جاذبيّة عيون الظبي تفتن كلّ شيء حتّى لو كان أسد الدهر .

وشمس السماء أسيرة يديها في حلقة تينك الضفيرتين السوداوين .

احتس الخمر فإنّ الفلك العجوز اليوم يحتسي الخمر من كأسه أيضاً .

نُصب عليّ أميراً على الناس هذا اليوم بأمر الله .

واليوم انكشف للناس السرّ المودع في الضمير .

وإنّ مَلِكَ أقطار الجود على السرير في مُلك الوجود .

كلّما أنشدنا من شعر في مدحه ، فإنّا لم نَقُلْ نكتة واحدة من مائة» .

كلّما أنشدنا من شعر في مدحه ، فإنّا لم نَقُلْ نكتة واحدة من مائة» .

الدرس السابع والسبعون بعد المائة إلى الثمانين بعد المائة: أمير المؤمنين عليه السلام عالم بالتوراة والإنجيل وهو القائل: سَلُونِي

بِسْمِ اللَّهِ الرّحْمَنِ الرّحِيمِ

وصلّى اللهُ على محمّد وآله الطّاهرين

ولعنة اللَه على أعدائهم أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين ولا حول ولا قوّة إلّا باللَه العليّ العظيم

قال الله الحكيم في كتابه الكريم :

وَكَذَ لِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ الْكِتَبَ فَالّذِينَ ءَاتَينَهُمُ الْكِتَبَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِ وَمَا يَجْحَدُ بِايَتِنَآ إِلّا الْكَفِرُونَ * وَمَا كُنتَ تَتْلُوا مِن قَبْلِهِ مِن كِتَبٍ وَلَا تَخُطّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ * بَلْ هُوَ ءَايَتٌ بَيّنَتٌ فِى صُدُورِ الّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِايَتِنَآ إِلّا الظّلِمُونَ . (١)

وكذلك (يكون الإسلام للّه ، وتصديق كتبه ورسله) ... فالذين آتيناهم الكتاب ، وهم أهل الكتاب (اليهود والنصارى ، وهؤلاء بحسب طبعهم يؤمنون بالله وكتبه ورسله) ...

وعلى هذا فحقيقة القرآن لا كلام يجري على اللسان ، ولا كلمات تكتب خطّيّاً ، بل هو آيات بيّنات في صدور أُولي العلم . وصدر أُولي الألباب كنز الذخائر ودفينة النفائس لعلوم القرآن وحكمه ومعارفه .

وقد أجمعت الأُمّة على أنّ صدور الصحابة والتابعين والمخَضرمين وسائر العلماء الإلهيّين والحكماء الربّانيّين وأولياء الله ، حتّى الأنبياء السابقين والأوصياء الماضين لم تكن كصدر أمير المؤمنين عليه السلام في سعته وقابليّته لحمل العلوم والمعارف الباطنيّة والأسرار السبحانيّة وخفايا ورموز النبوّة والولاية . وكأنّ القرآن عُجن بوجوده ، واختمر بجبلّته وطينته ، وانطوت حقيقة القرآن في حقيقة وجوده . (٢)

قال ابن شهرآشوب : روى ابن أبي البُخْتَريّ من ستّة طرق ، وابن المفضّل من عشر طرق ، وإبراهيم الثقفيّ من أربعة عشر طريقاً منهم : عديّ بن حاتم ، والأصبغ بن نُباتة ، وعلقمة بن قيس ، ويحيى بن أُمّ الطويل ، وزرّ بن حُبَيش ، وعَباية بن ربعيّ ، وعَباية بن رفاعة ، وأبو الطّفيل أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال بحضرة المهاجرين والأنصار ، وأشار إلى صدره :

كَيْفَ مُلِئَ عِلْمَاً ؟ لَوْ وَجدتُ لَهُ طَالِباً . سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي . هَذَا سَفَطُ (٣) العِلْمِ ، هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللَهِ ، هَذَا مَا زَقّنِي رَسُولُ اللَهِ زَقّاً ، فَاسْأَلُونِي فَإِنّ عِنْدِي عِلْمَ الأَوّلِينَ وَالآخِرِينَ .

أَمَا وَاللَهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ [٤] ثُمّ أُجْلِسْتُ عَلَيْهَا ، لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلَ التّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الإِنْجِيلِ بِإِنجِيلِهِمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الزّبُورِ بِزَبُورِهِمْ ، وَبَيْنَ أَهْلِ الفُرْقَانِ بِفُرْقَانِهِمْ ، حَتّى يُنَادِيَ كُلّ كِتَابٍ بِأَنّ عَلِيّاً قَضَى بِحُكْمِ اللَهِ فِيّ .

وَفِي رِوَايَةٍ : حَتّى يُنْطِقَ اللَهُ التّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ . وَفِي رِوَايَةٍ : حَتّىَ يَزْهَرَ كُلّ كِتَابٍ مِنْ هَذِهِ الكُتُبِ وَيَقُولُ : يَا رَبّ إِنّ عَلِيّاً قَضَى بِقَضَائِكَ .

ثُمّ قَالَ : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَالّذِي فَلَقَ الحَبّةَ وَبَرَأَ النّسَمَةَ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ آيَةٍ فِي لَيْلَةٍ أُنْزِلَتْ أَوْ فِي نَهَارٍ أُنْزِلَتْ ؟ مَكّيّهَا وَمَدَنِيّهَا ؟ وَسَفَرِيّهَا وَحَضَرِيّهَا ؟ نَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا ؟ وَمُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا ؟ وَتَأْوِيلِهَا وَتَنْزِيلِهَا ؟ لَأَخْبَرْتُكُمْ .

وقال ابن العوديّ :

وَمَنْ ذَا يُسَامِيهِ بِمَجْدٍ وَلَمْ يَزَلْ
يَقُولُ : سَلُونِي مَا يَحِلّ وَيَحْرُمُ
سَلُونِي فَفِي جَنْبَيّ عِلْمٌ وَرِثْتُهُ
عَنِ المُصْطَفَى مَا فَاتَ مِنّي بِهِ الفَمُ
سَلُونِي عَنْ طُرُقِ السّمَاوَاتِ إِنّني
بِهَا عَنْ سُلُوكِ الطّرْقِ فِي الأَرْضِ أَعْلَمُ
وَلَوْ كَشَفَ اللَهُ الغِطَا لَمْ أَزْدِ بِهِ
يَقِيناً عَلَى مَا كُنْتُ أَدْرِي وَأَفْهَمُ

وروى أبو نُعَيم الحافظ الإصفهانيّ بإسناده عن زيد بن عليّ ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن عليّ عليه السلام قال : عَلّمَنِي رَسُولُ اللَهِ أَلْفَ بَابٍ ، يُفْتَحُ كُلّ بَابٍ إِلَى أَلْفَ بَابٍ .

وقد روى أبو جعفر بن بابويه هذا الخبر في «الخصال» من أربعة وعشرين طريقاً ، وسعد بن عبد الله القمّيّ في «بصائر الدرجات» من ستّة وستّين طريقاً .

وجاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله : كَانَ فِي ذُؤَابَةِ سَيْفِ النّبِيّ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ صَحِيفَةٌ صَغِيرَةٌ هِيَ الأَحْرِفُ الّتِي يَفْتَحُ كُلّ حَرْفٍ أَلْفَ حَرْفٍ ، فَمَا خَرَجَ مِنْهَا حَرْفَانِ حَتّى السّاعَةِ .

وفي رواية أنّ عليّاً عليه السلام دفع تلك الصحيفة إلى الحسن عليه السلام . فقرأ منها حروفاً . ثمّ أعطاها الحسين عليه السلام ، فقرأها أيضاً . ثمّ أعطاها محمّد ابن الحنفيّة فلم يقدر على أن يفتحها .

وقال أبو القاسم البُستيّ : وذلك نحو أن يقول : الرّبَا فِي كُلّ مَكِيلٍ فِي العَادَةِ أَيّ مَوْضِعٍ كَانَ وَفِي كُلّ مَوْزُونٍ .

ونحو أن يقول : يَحِلّ مِنَ البَيْضِ كُلّ مَا دَقّ أَعْلَاهُ وَغَلُظُ أَسْفَلُهُ .

ونحو أن يقول : يَحرُمُ مِنَ السّبَاعِ كُلّ ذِي نَابٍ ، وَذِي مِخْلَبٍ مِنَ الطّيْرِ ، وَيَحِلّ البَاقِي .

وكذلك قول الصادق عليه السلام : كُلّ مَا غَلَبَ اللَهُ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِهِ فَاللَهُ أَعْذَرُ لِعَبْدِهِ .

قال الحِميَريّ :

حَدّثَهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ
أَلْفَ حَدِيثٍ مُعْجِبٍ حَاجِبِ
كُلّ حَدِيثٍ مِنْ أَحَادِيثِهِ
يَفْتَحُ أَلْفَ عُدّةِ الحَاسَبِ
فَتِلْكَ وَفّتْ أَلْفَ بَابٍ لَهُ
فِيهَا جِمَاعُ المُحْكَمِ الصّائِبِ (٥)

وقال أيضاً :

وَكَفَاهُ بِأَلْفِ أَلْفِ حَدِيثٍ
قَدْ وَعَاهُنّ مِنْ وَحْيٍ مَجِيدِ
قَدْ وَعَاهَا فِي مَجْلِسٍ بِمَعَانِيهَا
وَأَسْبَابِهَا وَوَقْتِ الحُدُودِ (٦)

وقال كذلك :

عَلِيّ أَمِيرُ المؤمِنِينَ أَخُو الهُدَى
وَأَفْضَلُ ذِي نَعْلٍ وَمَنْ كَانَ حَافِيا
أَسَرّ إِلَيْهِ أَحْمَدُ العِلْمَ جُمْلَةً
وَكَانَ لَهُ دُونَ البَرِيّةِ وَاعِيَا
وَدَوّنَهُ فِي مَجْلِسٍ مِنْهُ وَاحِدٍ
بِأَلْفِ حَدِيثٍ كُلّهَا كَانَ هَادِيَا
وَكُلّ حَدِيثٍ مِنْ أُولَئِكَ فَاتِحٌ
لَهُ أَلْفَ بَابٍ فَاحْتَوَاهَا كَمَا هِيَا (٧)

وروى أبان بن تَغْلِب ، والحسين بن معاوية ، وسليمان الجعفريّ ، وإسماعيل بن عبد الله بن جعفر كلّهم عن أبي عبد الله (الصادق) عليه السلام أنّه قال : لمّا حضر رسول الله صلّى الله عليه وآله الممات ، دخل عليه عليّ عليه السلام ، فأدخل رأسه معه ، ثمّ قال : يَا عَلِيّ ! إِذَا أَنَا مِتّ فَغَسّلْنِي وكَفّنِي ، ثُمّ أَقْعِدْنِي وَسَايِلْنِي وَاكْتُبْ .

وفي «تهذيب الأحكام» بهذا اللفظ : فَخُذْ بِمَجَامِعِ كَفَنِي وَأَجْلِسْنِي ثُمّ اَسْأَلْنِي عَمّا شِئْتَ ، فَوَاللَهِ لَا تَسْأَلُنِي عَنْ شَيءٍ إِلّا أَجَبْتُكَ فِيهِ .

وجاء في رواية أبي عوانة بإسناده : قَالَ عَلِيّ : فَفَعَلْتُ فَأَنْبَأَنِي بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ . (٨)

وروى جميع بن عمير التيميّ عن عائشة في خبر أنّها قالت : وسَالَتْ نَفْسُ رَسُولِ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي كَفِّهِ (كفّ عليّ عليه السلام) ثُمّ رَدّهَا فِي فِيهِ .

وبلغني عن الصفوانيّ أنّه قال : حدّثني أبو بكر بن مهرويه بإسناده إلى أُمّ سلمة في خبر ، قالت : كنتُ عند النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ، فدفع إليّ كتاباً فقال : من طلب هذا الكتاب منكِ ممّن يقوم بعدي ، فادفعيه إليه ! ثمّ ذكرت قيام أبي بكر ، وعمر ، وعثمان ، وأنّهم ما طلبوه .

وقالت : فلمّا بويع عليّ عليه السلام ، نزل عن المنبر ، ومرّ ، وقال لي : يا أُمّ سلمة هاتي الكتاب الذي دفعه إليكِ رسول الله صلّى الله عليه وآله . فقلتُ له : أنتَ صاحبه ؟ فقال : نعم . فدفعته إليه . وسئل عليّ عليه السلام : ما كان في الكتاب ؟ قال : كُلّ شَيءٍ دُونَ قِيَامِ السّاعَةِ .

وفي رواية ابن عبّاس : فلمّا قام عليّ عليه السلام بأمر الخلافة ، أتاها وطلب الكتاب ، ففتحه ونظر فيه فقال : هَذَا عِلْمُ الأَبَدِ .

وقال الصادق عليه السلام : يَمُصّونَ الثّمَادَ وَيَدَعُونَ النّهْرَ العَظِيمَ . (الثماد جمع الثّمْد ، وهو الماء القليل والنزّ (٩) الذي يتجمّع في الشتاء وينضب في الصيف) .

فسئل عن معنى ذلك ، فقال : عِلْمُ النّبِيّينَ بِأَسْرِهِ أَوْحَاهُ اللَهُ إِلَى مُحَمّدٍ ، فَجَعَلَ مُحَمّدٌ ذَلِكَ كُلّهُ عِنْدَ عَلِيّ ، وَكَانَ عَلَيهِ السّلَامُ يَدّعِي فِي العِلْمِ دَعْوَىً مَا سُمِعَتْ قَطّ مِنْ أَحَدٍ .

وروى حنش الكنانيّ أنّه سمع عليّاً يقول : وَاللَهِ لَقَدْ عَلِمْتُ بِتَبْلِيغِ الرّسَالَاتِ وَتَصْدِيقِ العِدَاتِ وَتَمَامِ الكَلِمَاتِ .

وقوله عليه السلام : إِنّ بَيْنَ جَنْبَيّ لَعِلْمَاً جَمّاً لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً ، شاهد على ذلك .

وقوله أيضاً : لَوْ كُشِفَ الغِطَاءُ مَا ازْدَدْتُ يَقِيناً .

وروي عن سلمان أنّ عليّاً قال : عِنْدِي عِلْمُ المَنَايَا وَالبَلَايَا وَالوَصَايَا والأَنْسَابُ (تُعرف به الأنساب) ، وَفَصْلُ الخِطَاب (وبه يتميّز الحقّ عن الباطل بنحو جازم) ، وَمَوْلِدُ الإِسْلَامِ وَمَوْلِدُ الكُفْرِ (وبه يتّضح المخلوق من فطرة الإسلام ، والمخلوق من فطرة الكفر) ، وَأَنَا صَاحِبُ المِيسَمِ (حديدة أو شيء آخر يُوسَم به ويُختم ويُكْوَى . وبواسطة هذا الميسَم يسم الإمام المنافقين والمنكرين والظالمين يوم القيامة بعلامة جهنّم ليعرفوا أنّهم من أهلها) ، وَأَنَا الفَارُوقُ الأَكْبَرُ (أنا أكبر فاصل ومميّز بين السعادة والشقاء ، وأهل الجنّة وأهل النار ، والحقّ والباطل ، والإيمان والكفر) ، وَدَوْلَةُ الدّوَلِ (أي : موضع الانقلابات والتغييرات) . فَسَلُونِي عَمّا يَكُونُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَعَمّا كَانَ قَبْلِي وَعَلَى عَهْدِي وَإِلَى أَنْ يُعْبَدَ اللَهُ .

قال ابن المُسَيّب : مَا كَانَ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَحَدٌ يَقُولُ : سَلُونِي ، غَيْرُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِب . (١٠)

وقال ابن شُبْرُمة : مَا أَحَدٌ قَالَ عَلَى المِنْبَرِ : سَلُونِي ، غَيْرُ عَلِيّ .

وقال الله تعالى : تِبْيَانًا لِكُلّ شَىْءٍ . (١١) وقال : وَكُلّ شَىءٍ أَحْصَيْنَهُ فِى إِمَامٍ مّبِينٍ . (١٢) وقال أيضاً : وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلّا فِى كِتَبٍ مّبِينٍ . (١٣) فإذا كان ذلك غير موجود في ظاهره ، فهل يكون موجوداً إلّا في تأويله ؟

كما قال تعالى : وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللَهُ وَالرّ سِخُونَ فِى الْعِلْمِ . (١٤) وهو (أي الحقائق الباطنيّة وتأويل القرآن) الذي عنى عليه السلام بقوله : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي .

ولو كان قد عنى به ظاهره ، ففي الأُمّة كثير يعلم ذلك ولا يخطئ فيه حرفاً . ولم يكن عليه السلام ليقول من ذلك على رؤوس الأشهاد ما يعلم أنّه لا يصحّ من قوله ، وأنّ غيره يساويه فيه أو يدّعي على شيءٍ منه معه . فإذا ثبت أنّه لا نظير له عليه السلام في العلم ، صحّ أنّه أولى بالإمامة . قال ابن حمّاد :

قُلْتَ سَلُونِي قَبْلَ فَقْدِي إنّ لِي
عِلْمَاً وَمَا فِيكُمْ لَهُ مُسْتَوْدَعُ
وَكَذَاكَ لَوْ ثُنِي الوِسَادُ حَكَمْتُ
بِالكُتُبِ الّتِي فِيهَا الشّرَايِعُ تُشْرَعُ

وقال العونيّ :

وَكَمْ عُلُومٍ مَقَفَلَاتٍ فِي الوَرَى
قَدْ فَتَحَ اللَهُ بِهِ أَقْفَالَهَا
حَرّمَ بَعْدَ المُصْطَفَى حَرَامَهَا
كَمَا أَحَلّ بَيْنَهُمْ حَلَالَهَا
وَكَمْ بِحَمْدِ اللَهِ مِنْ قَضِيّةٍ
مُشْكِلَةٍ حَلّ بِهِمْ إِشكَالَهَا
حَتّى أَقَرّتْ أَنْفُسُ القَوْمِ بِأَنْ
لَوْلَا الوَصِيّ ارْتَكَبَتْ ضَلَالَهَا

وقال العونيّ أيضاً :

وَمَنْ رَكِبَ الأَعْوَادَ يَخْطُبُ فِي الوَرَى
وَقَالَ : سَلُونِي قَبْلَ فَقْدِي لِأُفْهِمَا

وقال ابن حمّاد :

هَلْ سَمِعْتُمْ بِقَائِلٍ قَبْلَهُ
قَالَ : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِ

وله أيضاً :

سَلُونِي أَيّهَا النّاسُ سَلُونِي قَبْلَ فِقْدَانِي
فَعِنْدِي عِلْمُ مَا كَانَ وَمَا يَأْتِي وَمَا يَأْنِي
شَهِدْنَا أَنّكَ العَالِمُ فِي عِلْمِكَ رَبّانِي
وَقُلْتَ الحَقّ يَا حَقّ وَلَمْ تَنْطِقْ بِبُهْتَانِ

وله كذلك :

مَن قَالَ بِالبَصْرَةِ لِلنّاسِ سَلُونِي
مِنْ قَبْلِ أَنْ أُفْقَدَ مِنْ طُرُقِ السّمَاء

وقال زيد المرزكيّ :

مَدِينَةُ العِلْمِ عَلِيّ بَابُهَا
وَكُلّ مَنْ حَادَ عَنِ البَابِ جَهَلْ
أَمْ هَلْ سَمِعْتُمْ قَبْلَهُ مِنْ قَائِلٍ
قَالَ : سَلُونِي قَبْلَ إِدْرَاكِ الأَجَلْ

وأنشد شاعر آخر قائلاً :

قَالَ : اسْأَلُونِي قَبْلَ فَقْدِي وَذَا
إِبَانَةٌ عَنْ عِلْمِهِ البَاهِرِ
لَوْ شِئْتُ أَخْبَرْتُ بِمَنْ قَدْ مَضَى
وَمَا بَقِي فِي الزّمَنِ الغَابِرِ (١٥)

وروى ابن شهرآشوب أيضاً عن مقاتل بن سليمان ، عن الضحّاك ، عن ابن عبّاس في تفسير الآية الشريفة : إِنّمَا يَخْشَى اللَهَ من عِبَادِهِ الْعُلَمَؤُا (١٦) أنّه قال : كَانَ عَلِيّ عَلَيهِ السّلَامُ يَخْشَى اللَهَ وَيُرَاقِبُهُ وَيَعْمَلُ بِفَرائِضِهِ وَيُجَاهِدُ فِي سَبِيلِهِ .

وروى الصفوانيّ في كتاب «الإحن والمحن» عن الكَلبيّ ، عن أبي صالح ، عن ابن عبّاس قال : حم ، اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ اللَهِ . عسق ، عِلْمُ عَلِيّ سَبَقَ كُلّ جَمَاعَةٍ وَتَعَالَى عَنْ كُلّ فِرْقَةٍ . (١٧)

وخاطب الزاهيّ أمير المؤمنين عليه السلام واصفاً بحر علمه الموّاج المتلاطم فقال :

مَا زِلْتَ بَعْدَ رَسُولِ اللَهِ مُنْفَرِدَاً
بَحْرَاً يَفِيضُ عَلَى الوُرّادِ أَزْخَرُهُ
أَمْوَاجُهُ العِلْمُ وَالبُرْهَانُ لُجّتَهُ
وَالحِلْمُ شَطّاهُ وَالتّقْوَى جَوَاهِرُهُ (١٨)

(فإذا ماج البحر ، تأ لّق ذلك العلم والوضوح والبرهان وأبرز حقيقته) . وحلمك وصبرك كجانبي البحر ، إذ يحفظان بحر العلم والمعرفة المتلاطم الزخّار (ولا يدعان

مياهه تنساب منه ، فتطغى كثرة العلم ، وينفلت الزمام ، ويُفرض على الناس كلام فوق طاقتهم ، أو تُحسم أُمورهم بالسيف) . وإنّ ما يعدّ من جواهر هذا البحر وأشيائه النفيسة ، وما يحصل منه من جوهرة ثمينة هو التقوى والعصمة والطهارة التي يُتْحَفُ بها عالم الإنسانيّة .

أجل ، إنّ ما أُثِر عن الإمام في العلوم الإلهيّة والمعارف السبحانيّة ووحدة ذات الحقّ تعالى وتقدّس ، وكشف رموز العالم وأسراره العجيبة ، سواء كان في «نهج البلاغة» أم في سائر الكتب ، على درجة عالية من العظمة والفخامة ، وله مرتبته السامقة الرفيعة البالغة ذروة العلوّ والرفعة بحيث حيّر العقول . ولم يكن أحد قبل الإمام وبعده يباريه في درجته أو يفاضله . وننقل فيما يأتي عدداً من الأخبار في هذا الموضوع :

الأوّل : حديث ذِعْلب الذي رواه الشيخ الصدوق عن أحمد بن الحسن القطّان ، وعليّ بن أحمد بن محمّد بن عِمران الدقّاق ، وهما روياه عن أحمد بن يحيى بن زكريّا القطّان ، وهو رواه عن محمّد بن العبّاس ، وهذا رواه عن محمّد بن أبي السّريّ ، ومحمّد نقله عن أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن سعد الكِنانيّ ، عن الأصبغ بن نُباتة قال : لمّا جلس عليّ عليه السلام في الخلافة وبايعه الناس ، خرج إلى المسجد متعمّماً بعمامة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، لابساً بردة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، متنعّلاً نعل رسول الله صلّى الله عليه وآله ، متقلّداً سيف رسول الله صلّى الله عليه وآله ، فصعد المنبر ، فجلس عليه متمكّناً ، ثمّ شبّك بين أصابعه فوضعها أسفل بطنه ، ثمّ قال :

يَا مَعْشَرَ النّاسِ ! سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، هَذَا سَفَطُ (نوع من الزنبيل أو الجوالق يوضع فيه الحِمل) العِلْمِ ، هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ ، هَذَا مَا زَقّنِي رَسُولُ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ زَقّاً زَقّاً ، سَلُونِي فَإنّ عِنْدِي عِلْمَ الأَوّلِينَ وَالآخِرِينَ . أَمَا وَاللَهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا لَأَفْتَيْتُ أَهْلَ التّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ حَتّى تَنْطِقَ التّوْرَاةُ فَتَقُولَ : صَدَقَ عَلِيّ ، مَا كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَهُ فِيّ .

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ الإنْجِيلِ بِإنْجِيلِهِمْ حَتّى يَنْطِقَ الإنْجِيلُ فَيَقُولَ : صَدَقَ عَلِيّ ، مَا كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَهُ فِيّ .

وَأَفْتَيْتُ أَهْلَ القُرْآنِ بِقُرْآنِهِمْ حَتّى يَنْطِقَ القُرْآنُ فَيَقُولَ : صَدَقَ عَلِيّ ، مَا كَذَبَ ، لَقَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَهُ فِيّ ، وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ القُرْآنَ لَيْلاً وَنَهَاراً . [١٩] (والقرآن كتاب يعنيكم وأنتم تشتغلون به وتأنسون إليه) فَهَلْ فِيكُمْ أَحَدٌ يَعْلَمُ مَا نَزَلَ فِيهِ ؟

وَلَوْلَا آيَةٌ فِي كِتَابِ اللَهِ لَأَخْبَرْتُكُمْ بِمَا كَانَ وَبِمَا يَكُونُ وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ وَهِيَ هَذِهِ الآيَةُ : «يَمْحُو اللَهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ أُمّ الْكِتَبِ» . [٢٠] (أصل الكتب والمقدّرات والقضاء الذي لا يقبل التبديل والتغيير) .

ثمّ قال : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَوَاللَهِ الّذِي فَلَقَ الحَبّةَ وَبَرَأَ النّسَمَةَ لَوْ سَأَلْتُمُونِي عَنْ آيَةٍ فِي لَيْلٍ أُنْزِلَتْ أَوْ فِي نَهَارٍ أُنْزِلَتْ ؟ مَكّيّهَا وَمَدَنِيّهَا ؟ سَفَرِيّهَا وَحَضَرِيّهَا ؟ نَاسِخِهَا وَمَنْسُوخِهَا ؟ مُحْكَمِهَا وَمُتَشَابِهِهَا ؟ وَتَأْوِيلِهَا وَتَنْزِيلِهَا ؟ لَأَخْبَرْتُكُمْ .

فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالَ لَهُ ذِعلِبٌ ، وَكَانَ ذَرِبَ اللّسَانِ ، بَلِيغاً فِي الخُطَبِ ، شُجَاعَ القَلْبِ ، فَقَالَ : لَقَدِ ارْتَقَى ابْنُ أَبِي طَالِبٍ مِرْقَاةً صَعْبَةً ، لَأُخجِلَنّهُ اليَوْمَ لَكُمْ فِي مَسْأَلَتِي إِيّاهُ .

فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! هَلْ رَأَيْتَ رَبّكَ ؟ قَالَ : وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ ! لَمْ أَكُنْ بِالّذِي أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ . قَالَ : فَكَيْفَ رَأَيْتَهُ ؟ صِفْهُ لَنَا .

قَالَ : وَيْلَكَ ! لَمْ تَرَهُ العُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ القُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإِيمَانِ . وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ ! إِنّ رَبّي لَا يُوصَفُ بِالبُعْدِ (ولا يمكن أن يقال له : بعيد) ، وَلَا بِالحَرَكَةِ ، وَلَا بِالسّكُونِ (لا يمكن أن يقال له : متحرّك أو ساكن) ، وَلَا بِالقِيَامِ قِيَامَ انْتِصَابٍ ، وَلَا بِجِيئَةٍ وَلَا بِذَهَابٍ (ولا يمكن أن يقال له : قائم ، وجائي وذاهب) ، لَطِيفُ اللّطَافَةِ لَا يُوصَفُ بِاللّطْفِ ، عَظِيمُ العَظَمَةِ لَا يُوصَفُ بِالعِظَمِ (ولا يمكن أن يقال له : عظيم) ، كَبِيرُ الكِبْرِيَاءِ لَا يُوصَفُ بِالكِبْرِ (ولا يمكن أن يقال له : كبير) ، جَلِيلُ الجَلَالَةِ لَا يُوصَفُ بِالغِلْظِ ، رؤُوفُ الرّحْمَةِ لَا يُوصَفُ بِالرّقّةِ ، [٢١] مُؤْمِنٌ لَا بِعِبَادَةٍ ، مُدْرِكٌ لَا بِمِجَسّةٍ ، قَائِلٌ لَا بِاللّفْظِ .

هُوَ فِي الأَشْيَاءِ عَلَى غَيْرِ مُمَازَجَةٍ (فتشتبه الخالقيّة والمخلوقيّة) ، خَارِجٌ مِنْهَا عَلَى غَيْرِ مُبَايَنَةٍ (ويظهر الانقطاع من حيث القيام الوجوديّ والذاتيّ بينها) ، فَوْقَ كُلّ شَيءٍ فَلَا يُقَالُ : شَيءٌ فَوْقَهُ ، وَأَمَامَ كُلّ شَيءٍ فَلَا يُقَالُ : لَهُ أَمَامٌ . دَاخِلٌ فِي الأَشْيَاءِ لَا كَشَيْءٍ فِي شَيْءٍ دَاخِلٍ ، وَخَارِجٌ مِنْهَا لَا كَشَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ خَارِجٍ .

فخرّ ذِعلب مغشيّاً عليه ، ثمّ قال : تاللهِ ما سمعتُ بمثل هذا الجواب . والله لا عدتُ إلى مثلها .

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي . فقام إليه الأشعث بن قيس ، فقال : يا أمير المؤمنين ! كيف يؤخذ من المجوس الجزية ولم ينزل عليهم كتاب ، ولم يُبعث إليهم نبيّ ؟

قال عليه السلام : بلى يا أشعث ؛ قد أنزل الله عليهم كتاباً وبعث إليهم رسولاً . حتّى كان لهم مَلِكٌ سكر ذاتَ ليلةٍ فدعا بابنته إلى فراشه فارتكبها ، فلمّا أصبح تسامع به قومه ، فاجتمعوا إلى بابه ، فقالوا : أيّها الملك ! دنّست علينا ديننا وأهلكته ، فاخرج نطهّرْك ونُقِم عليك الحدّ . فقال لهم : اجتمعوا واسمعوا كلامي ، فإن يكن لي مخرج ممّا ارتكبتُ ، وإلّا فشأنكم .

فاجتمعوا ، فقال لهم : هل علمتم أنّ الله لم يخلق خلقاً أكرم عليه من أبينا آدم وأُمّنا حوّاء ؟ قالوا : صدقتَ أيّها الملك . قال : أفليس قد زوّج بنيه من بناته وبناته من بنيه ؟

قالوا : صدقتَ أيّها الملك ، هذا هو الدين (فلا إشكال في نكاح المحارم والبنت والأُمّ والأُخت) . فتعاقدوا على ذلك (ومنذ ذلك الحين تزوّجوا بمحارمهم) . [٢٢]

وعلى هذا الأساس محا الله ما في صدورهم من العلم ، ورفع عنهم الكتاب . فهم كفرة يدخلون النار بلا حساب ، والمنافقون أشدّ حالاً منهم .

قال الأشعث : والله ما سمعتُ بمثل هذا الجواب . والله لا عدتُ إلى مثلها أبداً .

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي . فقام إليه رجل من أقصى المسجد متوكّئاً على عصاه ، فلم يزل يتخطّى الناس حتّى دنا منه عليه السلام ، فقال : يا أمير المؤمنين ! دلّني على عمل إذا عملتُه نجّاني الله من النار .

قَالَ لَهُ : اسْمَعْ يَا هَذَا ثُمّ افْهَمْ ثُمّ اسْتَيْقِنْ . قَامَتِ الدّنْيَا بِثَلَاثَةٍ : بِعَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ لِعِلْمِهِ ، وَبَغَنِيّ لَا يَبْخَلُ بِمَالِهِ عَلَى أَهْلِ دِينِ اللّهِ ، وَبِفَقِيرٍ صَابِرٍ ، فَإِذَا كَتَمَ العَالِمُ عِلْمَهُ ، وَبَخِلَ الغَنِيّ ، وَلَمْ يَصْبِرِ الفَقِيرُ ، فَعِنْدَهَا الوَيْلُ وَالثّبُورُ ، وَعِنْدَهَا يَعْرِفُ العَارِفُونَ بِاللّهِ أَنّ الدّارَ قَدْ رَجَعَتْ إِلَى بَدْئِهَا ، أَي : الكُفْرِ بَعْدَ الإِيمَانِ .

أَيّهَا السّائِلُ ! فَلَا تَغْتَرّنّ بِكَثْرَةِ المَسَاجِدِ وَجَمَاعَةِ أَقْوَامٍ أَجْسَادُهُمْ مُجْتَمِعَةٌ وَقُلُوبُهُمْ شَتّى . أَيّهَا السّائِلُ ! إِنّمَا النّاسُ ثَلَاثَةٌ : زَاهِدٌ وَرَاغِبٌ وَصَابِرٌ . فَأَمّا الزّاهِدُ فَلَا يَفْرَحُ بِشَيءٍ مِنَ الدّنْيَا أَتَاهُ وَلَا يَحْزَنُ عَلَى شَيءٍ مِنْهَا فَاتَهُ . وَأَمّا الصّابِرُ فَيَتَمَنّاهَا بِقَلْبِهِ ، فَإِنْ أَدْرَكَ مِنْهَا شَيْئَاً ، صَرَفَ عَنْهَا نَفْسَهُ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ سُوءِ عَاقِبَتِهَا . وَأَمّا الرّاغِبُ فَلَا يُبَالِي مِنْ حِلّ أَصَابَهَا أَمْ مِنْ حَرَامٍ .

قال له ذلك السائل : يا أمير المؤمنين ! فما علامة المؤمن في ذلك الزمان ؟ قَالَ : يَنْظُرُ إِلَى مَا أَوْجَبَ اللّهُ عَلَيهِ مِنْ حَقّ فَيَتَوَلّاهُ وَيَنْظُرُ إِلَى مَا خَالَفَهُ فَيَتَبَرّأُ مِنْهُ وَإِنْ كَانَ حَمِيمَاً قَرِيبَاً .

قال السائل : صدقت والله يا أمير المؤمنين . ثمّ غاب الرجل فلم نره ، فطلبه الناس ، فلم يجدوه ، فتبسّم أمير المؤمنين عليه السلام على المنبر ، ثمّ قال : ما لكم ؟ هذا أخي الخضر عليه السلام . [٢٣]

ثمّ قال أمير المؤمنين عليه السلام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي . فلم يقم إليه أحد . فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى عليه نبيّه صلّى الله عليه وآله ، ثمّ قال للحسن عليه السلام : يَا حَسَنُ ! قُمْ فَاصْعَدِ المِنْبَرَ فَتَكَلّمْ بِكَلَامٍ لَا تَجْهَلُكَ قُرَيْشٌ مِنْ بَعْدِي فَيَقُولُونَ : إِنّ الحَسَنَ بْنَ عَلِيّ لَا يُحْسِنُ شَيئَاً .

فقال الحسن عليه السلام : يا أبتِ كيف أصعد وأنت في الناس تسمع وترى ؟ قال له : بأبي وأُمّي أُواري نفسي عنك وأسمع وأرى وأنت لا تراني .

فصعد الإمام الحسن عليه السلام المنبر فحمد الله بمحامد بليغة شريفة ، وصلّى على النبيّ صلّى الله عليه وآله صلاة موجزة ، ثمّ قال : أَيّهَا النّاسُ ! سَمِعْتُ جَدّي رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : أَنَا مَدِينَةُ العِلْمِ وَعَلِيّ بَابُهَا ، وَهَلْ تُدْخَلُ المَدِينَةُ إلّا مِنْ بَابِهَا !

قال هذا ، ثمّ نزل فوثب إليه عليّ عليه السلام فحمله وضمّه إلى صدره . ثمّ قال للحسين عليه السلام : يا نور عيني ! اصعد المنبر وتكلّم بكلام لا تجهلك قريش من بعدي فيقولون : إنّ الحسين بن عليّ لا يبصر شيئاً ، وليكن كلامك تبعاً لكلام أخيك .

فصعد الإمام الحسين عليه السلام المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلّى على نبيّه صلّى الله عليه وآله صلاة موجزة ، ثمّ قال : مَعَاشِرَ النّاسِ ! سَمِعْتُ جَدّي رَسُولَ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ يَقُولُ : إنّ عَلِيّاً هُوَ مَدِينَةُ هُدَىً ، فَمَنْ دَخَلَهَا نَجَا ، وَمَنْ تَخَلّفَ عَنْهَا هَلَكَ .

فوثب إليه عليّ عليه السلام ، فضمّه إلى صدره وقبّله ، ثمّ قال : مَعَاشِرَ النّاسِ ! اشْهَدُوا أَنّهُمَا فَرْخَا رَسُولِ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ وَوَدِيعَتُهُ الّتِي اسْتَوْدَعَنِيهَا وَأَنَا أَسْتَوْدِعُكُمُوهَا مَعَاشِرَ النّاسِ ، وَرَسُولُ اللَهِ صلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَائِلُكُمْ عَنْهُمَا . (٢٤)

الثاني : حديث ذِعلب أيضاً ، وقد رواه الشيخ الصدوق أيضاً عن عليّ بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رحمه الله ، عن محمّد بن أبي عبد الله الكوفيّ ، عن محمّد بن إسماعيل البرمكيّ ، عن الحسين بن الحسن ، عن عبد الله بن داهر ، عن الحسين بن يحيى الكوفيّ ، عن قُثم بن قتادة ، عن عبد الله بن يونس ، عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال : بَيْنَا أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيهِ السّلَامُ يَخْطُبُ عَلَى مِنْبَرِ الكُوفَةِ ، إذْ قَامَ إلَيْهِ رَجُلٌ يُقَالُ لَهُ : ذِعْلِبٌ ذَرِبُ اللّسَانِ ، بَلِيغٌ فِي الخِطَابِ ، شُجَاعُ القَلْبِ . فَقَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! هَلْ رَأَيْتَ رَبّكَ ؟ فَقَالَ وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ ؟ مَا كُنْتُ أَعْبُدُ رَبّاً لَمْ أَرَهُ . قَالَ : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! كَيْفَ رَأَيْتَهُ ؟

قَالَ : وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ ! لَمْ تَرَهُ العُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ الأَبْصَارِ وَلَكِنْ رَأَتْهُ القُلُوبُ بِحَقَائِقِ الإيمَانِ . وَيْلَكَ يَا ذِعْلِبُ ! إنّ رَبّي لَطِيفٌ اللّطَافَةِ (أي : أنّه لطيف بالنسبة إلى معنى اللطافة ومفهومها) فَلَا يُوصَفُ بِاللّطْفِ (بل هو أعلى من اللطف ، وخالق اللطف) ، عَظِيمُ العَظَمَةِ (أي : هو عظيم بالنسبة إلى معنى العظمة ومفهومها) لَا يُوصَفُ بالعِظَمِ (بل هو يفوق العظمة ، وهو خالق العظمة وموجدها) ، كَبِيرُ الكِبْرِيَاءِ (أي : هو كبير بالنسبة إلى معنى الكبرياء ومفهومها مع سعة مفادها) لَا يُوصَفُ بِالْكِبَرِ (بل هو أعلى من الكبرياء ، وهو خالق الكِبر) ، جَلِيلُ الجَلَالَةِ (أي : هو جليل بالنسبة إلى معنى الجلال ومفهومه مع إطلاقه وعمومه) لَا يُوصَفُ بِالغِلَظِ .

قَبْلَ كُلّ شَيءٍ فَلَا يُقَالُ : شَيءٌ قَبْلَهُ . وَبَعْدَ كُلّ شَيءٍ فَلَا يُقَالُ : شَيءٌ بَعْدَهُ . شَائِي الأَشْيَاءِ لَا بِهِمّةٍ ، دَرّاكٌ لَا بِخَدِيعَةٍ . هُوَ فِي الأَشْيَاءِ كُلّهَا غَيْرُ مُتَمَازِجٍ بِهَا وَلَا بَائِنٌ عَنْهَا . ظَاهِرٌ لَا بِتَأْوِيلِ المُبَاشَرَةِ ، مُتَجَلّ لَا بِاسْتِهْلَالِ رُؤْيَةٍ ، بَائِنٌ لَا بِمَسَافَةٍ ، قَرِيبٌ لَا بِمُدَانَاةٍ ،

لَطِيفٌ لَا بِتَجَسّمٍ ، مَوْجُودٌ لَا بَعْدَ عَدَمٍ ، فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَارٍ ، مُقَدّرٌ لَا بِحَرْكَةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهَمَامَةٍ ، سَمِيعٌ لَا بِآلَةٍ ، بَصِيرٌ لَا بِأَدَاةٍ ، لَا تَحْوِيهِ الأَمَاكِنُ ، وَلَا تَصْحَبَهُ الأَوْقَاتُ ، وَلَا تَحُدّهُ الصّفَاتُ ، (من العلم والقدرة والحياة وما يتفرّع منها) وَلَا تَأْخُذُهُ السّنَاتُ . (لا يغفل لحظة واحدة) .

سَبَقَ الأَوْقَاتُ كَوْنُهُ ، وَالعَدَمَ وُجُودُهُ ، وَالإِبْتِدَاءَ أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ المَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ ، وَبِتَجْهِيرِهِ الجَوَاهِرَ (الطبائع والجبلّات والكائنات الموضوعة لعروض العوارض) عُرِفَ أَنْ لَا جَوْهَرَ لَهُ ، وَبِمُضَادّتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ .

ضَادّ النّورَ بِالظّلْمَةِ ، وَالجَسْوَ بِالبَلَلِ ، وَالصّرْدَ بِالحَرُورِ ، [٢٥] مُؤَلّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا ، مُفَرّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا ، دَالّةً بِتَفْرِيقِهَا عَلَى مُفَرّقِهَا ، وَبِتَأْلِيفِهَا عَلَى مُؤَلّفِهَا ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ عَزّ وَجَلّ : «وَمِن كُلّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ» [٢٦] (واعلموا أنّ هذا العالم الفسيح المخلوق من ذَكَرٍ وأُنثى هو تحت عناية الله تعالى) [٢٧] ففَرّقَ بِهَا بَيْنَ قَبْلٍ وَبَعْدٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا قَبْلَ لَهُ وَلَا بَعْدَ . شَاهِدَةً بِغَرَائِزِهَا عَلَى أَنْ لَا غَرِيزَةَ لِمُغَرّزِهَا (هو خالق الغريزة) ، مُخْبِرَةً بِتَوْقِيتِهَا أَنْ لَا وَقْتَ لِمُوَقّتِهَا .

حَجَبَ بَعْضَهَا عَنْ بَعْضٍ لِيُعْلَمَ أَنْ لَا حِجَابَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ خَلْقِهِ غَيْرُ خَلْقِهِ . (نفس مخلوقيّتها وإنّيّتها حجاب) كَانَ رَبّاً إِذْ لَا مَرْبُوبٌ ، وَإِلَهاً إِذْ لَا مَأْلُوهٌ ، وَعَالِماً إِذْ لَا مَعْلُومٌ ، وَسَمِيعاً إِذْ لَا مَسْمُوعٌ .

ثُمّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

وَلَمْ يَزَلْ سَيّدِي بِالحَمْدِ مَعْرُوفَا
وَلَمْ يَزَلْ سَيّدِي بِالجُودِ مَوْصُوفَا
وَكُنْتَ [٢٨] إِذْ لَيْسَ نُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ
وَلَا ظَلَامٌ عَلَى الآفَاقِ مَعْكُوفَا
وَرَبّنَا بِخِلَافِ الخَلْقِ كُلّهِمْ
وَكُلّ مَا كَانَ فِي الأَوْهَامِ مَوْصُوفَا
فَمَنْ يُرِدْهُ عَلَى التّشْبِيهِ مُمْتَثِلاً
يَرْجِعْ أَخَا حَصَرٍ بِالعَجْزِ مَكْتُوفَا
وَفِي المَعَارِجِ يَلْقَى مَوْجُ قُدْرَتِهِ
مَرْجَاً يُعَارِضُ طَرْفَ الرّوحِ مَكْفُوفَا
فَاتْرُكْ أَخَا جَدَلٍ فِي الدّينِ مُنْعَمِقَاً
قَدْ بَاشَرَ الشّكّ فِيهِ الرَأْيَ مَأْوُوفَا
وَاصْحَبْ أَخَا ثِقَةٍ حُبّاً لِسَيّدِهِ

وَبِالكَرَامَاتِ مِنْ مَوْلَاهُ مَحْفُوفَا
أَمْسَى دَلِيلَ الهُدَى فِي الأَرْضِ مُنْتَشِراً
وَفِي السَّمَاءِ جَمِيلَ الحَالِ مَعْرُوفَا

لمّا سمع ذِعلب وصف أمير المؤمنين عليه السلام هذا ، خَرّ مغشيّاً عليه ، ثمّ أفاق ، وقال : ما سمعتُ بهذا الكلام ولا أعود إلى شيء من ذلك .

وقال المرحوم الصدوق ــ أبو جعفر محمّد بن عليّ بن حسين بن بابويه القمّيّ ــ قال مصنّف هذا الكتاب : في هذا الخبر ألفاظ قد ذكرها الإمام الرضا عليه السلام في خطبته . وهذا تصديق قولنا في الأئمّة عليهم السلام : إنّ علم كلّ واحد منهم مأخوذ عن أبيه حتّى يتّصل ذلك بالنبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله . (٢٩)

الثالث : الخطبة الأُولى من خطب «نهج البلاغة» :

الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ القَائِلُونَ ، وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ العَادّونَ ، وَلَا يُؤَدّي حَقّهُ المُجْتَهِدُونَ ، الّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الهِمَمِ ، وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الفِطَنِ ، الّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدّ مَحْدُودٌ ، وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ ، وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ ، وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ . فَطَرَ الخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ وَنَشَرَ الرّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ وَوَتّدَ بِالصّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ .

أَوّلُ الدّينِ مَعْرِفَتُهُ ، وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التّصْدِيقُ بِهِ ، وَكَمَالُ التّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ الإِخْلَاصُ لَهُ ، وَكَمَالُ الإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ الصّفَاتِ عَنْهُ ، لِشَهَادَةِ كُلّ صِفَةٍ أَنّهَا غَيْرُ المَوْصُوفِ ، وَشَهَادَةِ كُلّ مَوْصُوفٍ أَنّهُ غَيْرُ الصّفَةِ . (وهذه الغيريّة توجب التعدّد والتركيب في ذاته المقدّسة . تعالى الله عن ذلك علوّاً كبيراً) .

فَمَنْ وَصَفَ اللّهَ سُبْحَانَهُ (ومدحه بصفة زائدة على الذات ممّا يلزم المحدوديّة بحدّ الصفة ومفهومها المشخّص والمنحصر بها) فَقَدْ قَرَنَهُ ، وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنّاهُ ، وَمَنْ ثَنّاه فَقَدْ جَزّأَهُ ، وَمَنْ جَزّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ ، وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ (لأنّ الإشارة من لوازم الممكنات التي تحتاج إلى جهة) ، وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدّهُ ، وَمَنْ حَدّهُ فَقَدْ عَدّهُ (وهو واحد لا بعدد ، لأنّ كلّ واحد عدد محدود ومركّب . والحدّ والتركيب في الذات الأحديّة يستلزمان الفقر والاحتياج) ، وَمَنْ قَالَ : فِيمَ : فَقَدْ ضَمّنَهُ ، وَمَنْ قَالَ : عَلَامَ ؟ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ .

كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ ، مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ ، مَعَ كُلّ شَيءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ (لا بنحو الحلول والاتّحاد ، بل بنحو الوجود الأصيل والواجب والاستقلاليّ مع الوجود التبعيّ والمجازيّ والظلّيّ) ، وَغَيْرُ كُلّ شَيءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ . فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الحَرَكَاتِ وَالآلَةِ (بل هو يريد ويبلغ مراده بنفس الإرادة والمشيئة القاهرة بدون حركة واستعمال آلة) ، بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ (أي : أنّ بصيرته ليست بالإبصار الحسّيّ حتّى تحتاج إلى منظور إليه حسّيّ . هو بصير بالذات لا بآلة بصريّة) ، مُتَوَحّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ ... إلى آخر الخطبة . (٣٠)

الرابع : الخطبة الثالثة والستّون من خطب «نهج البلاغة» :

الحَمْدُ للّهِ الّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا ، فَيَكُونَ أَوّلاً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِراً ، وَيَكُونَ ظَاهِراً قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِناً (لأنّ جميع أوصاف الله هي صفات ذاته ، وصفاته واجبة أيضاً بوجوب ذاته . ولمّا لا تتغيّر ذاته ولا تتبدّل بسبب وجوب الوجود ، فكذلك أوصافه لا تتغيّر ولا تتبدّل ولا تزول ولا تتدرّج . ولا تتقدّم صفة من صفاته على صفة أُخرى ، ولا تتأخّر عنها أيضاً ، هو الأوّل كما هو الآخر ، وهو الآخر كما هو الأوّل . وأوّليّته وآخريّته وأزليّته وأبديّته شيء واحد ، وظهوره وبطونه واحد) .

كُلّ مُسَمّىً بِالوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ (الله كثير مع وحدته ، لأنّ كلّ موجود غير الله الواحد ، هو وحده بلا معين ولا شريك ولا ناصر ، وهو حقير ــ طبعاً ــ لضعفه ، ولا اعتبار ولا شأن له لعدم وجود المعاضد والمعاون . أمّا وحدة الله ، فهي علوّ ذاته المقدّسة المنزّهة عن التركيب ، ومعناها بساطة وجوده وإطلاقه وسعته وتفرّده في العظمة والقدرة والحياة ، وفناء جميع الموجودات واندكاك كافّة الكائنات في ذاته المقدّسة . وعلى هذا ، فالوحدة في غير الله وحدة عدديّة تستلزم التقليل والنقص ، وكمالها بالتكثير والاعتبار الزائد . والوحدة في الله توجب سعة الوجود والعموميّة والتكثير . وعلى هذا القياس تكون سائر أوصافه) .

وَكُلّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ . وَكُلّ قَوِيّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ . وَكُلّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ . وَكُلّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلّمٌ . وَكُلّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ . وَكُلّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمّ عَنْ لَطِيفِ الأَصْوَاتِ وَيُصِمّهُ كَبِيرُهَا وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا . وَكُلّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ خَفِيّ الأَلْوَانِ ، وَلَطِيفِ الأَجْسَامِ ، (والله هو الذي عنده جميع الأصوات : قويّها وضعيفها ، وكبيرها وصغيرها متساوية . وكافّة الألوان والأجسام ، خفيّها وظاهرها ، ولطيفها وغليظها متساوية أيضاً) .

وَكُلّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ ، وَكُلّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ (لأنّ كلّ موجود وجوده بعناية الله كرمه . فهو في ذاته وماهيّته مخفيّ وباطن . أمّا وجود الحقّ تعالى فهو مخفيّ في حال ظهوره الذي شمل العوالم كلّها ، وهو ظاهر في حال بطونه وخفائه : يا باطناً في ظُهوره ، ويا ظاهراً في بطونه) .

لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا تَخَوّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدّ مُثَاوِرٍ (الذي يحاول المحاربة والمنازعة) ، وَلَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ ، وَلَا ضِدّ مُنَافِرٍ ، وَلَكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ ، وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ .

لَمْ يَحْلُلْ فِي الأَشْيَاءِ فَيُقَالَ : هُوَ فِيهَا كَائِنٌ ، وَلَمْ يَنَأَ عَنْهَا فَيُقَالَ : هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ . لَمْ يُؤَدْهُ خَلْقُ مَا ابْتَدَأَ ، وَلَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ ، وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمّا خَلَقَ ، وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدّرَ ، بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ ، المَأْمُولُ مَعَ النّقَمِ ، وَالمَرْهُوبُ مَعَ النّعَمِ . (٣١)

الخامس : الخطبة الخمسون والمائة في «نهج البلاغة» :

الحَمْدُ لِلّهِ الدّالّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ ، وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيّتِهِ ، (إذ إنّ الحوادث ينبغي أن تنتهي بالواجب حتماً ، وإلّا تستلزم الدّور والتسلسل . ووجوب وجود الدليل على الأزليّة والسرمديّة . ولذلك فإنّ ظهور الحوادث دليل على أزليّته) وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ .

لَا تَسْتَلِمُهُ المَشَاعِرُ ، (لأنّ شرط المحسوس وقوعه في جهة وناحية ، والله ليس في جهة ، وهو محيط بكلّ مكان) وَلَا تَحْجُبُهُ السّوَاتِرُ . (حُجُب إنّيّات الموجودات من عالم الملك والملكوت لا تستطيع أن تستره) لِافْتِرَاقِ الصّانِعِ وَالمَصْنُوعِ ، وَالحَادّ وَالمَحْدُودِ ، وَالرّبّ وَالمَرْبُوبِ .

وكذلك الحمد للّه الأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ ، (أي : أنّ العدد (٢) في مقابل ذلك محال ليس في الوجود والتحقّق ، بل في الفرض والتصوّر . وهذه الوحدة وحدة بالصرافة ، إذ ينتهي إليه كلّ ما يُفرض غيره بواسطة عمومه وشموله) وَالخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ ، وَالسّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ ، وَالبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ (وهي نشر النور وتفريق الأمواج البصريّة من العين) ، وَالشّاهِدِ لَا بِمُمَاسّةٍ ، وَالبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ ، وَالظّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ . بَانٍ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالقَهْرِ لَهَا وَالقُدْرَةِ عَلَيْهَا ، وَبَانَتِ الأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالخُضُوعِ لَهُ وَالرّجُوعِ إِلَيْهِ .

مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدّهُ ، وَمَنْ حَدّهُ فَقَدْ عَدّهُ ، وَمَنْ عَدّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ (إذ لابدّ من تحرّي المعدودات في المحدودات ، ولمّا كان وجود الحدّ يناقض وجوب وجوده وأزليّته . لهذا من قال بعدّ البارى تعالى ، فقد أبطل وجوب وجوده ، ومن ثمّ أزليّته وسرمديّته) . وَمَنْ قَالَ : كَيْفَ ؟ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ . وَمَنْ قَالَ : أَيْنَ ؟ فَقَدْ حَيّزَهُ . عَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ . وَرَبّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ . وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ . [٣٢] (صفاته الذاتيّة كالعلم ، والقدرة ، والربوبيّة من ذاته . ولذلك ، فهذه الحقائق موجودة في ناحية الذات بحقيقتها ، وإن لوحظ متعلّقها من معلوميّة الموجودات ومقدوريتّها ومربوبيّتها في مراتب واطئة) .

السادس : الخطبة الحادية والستّون والمائة من «نهج البلاغة» :

الحَمْدُ لِلّهِ خَالِقِ العِبَادِ ، وَسَاطِحِ المِهَادِ ، وَمُسِيلِ الوِهَادِ ، وَمُخْصِبِ النّجَادِ . لَيْسَ لِأَوّلِيّتِهِ ابْتِدَاءٌ ، وَلَا لِأَزَلِيّتِهِ انْقِضَاءٌ . هُوَ الأَوّلُ لَمْ يَزَلْ ، وَالبَاقِي بِلَا أَجَلٍ (لأنّه قديم بِقِدَم ذاتيّ ودهريّ وزمانيّ) . خَرّتْ لَهُ الجِبَاهُ ، وَوَحّدَتْهُ الشّفَاهُ . حَدّ الأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا (بدون حدّ وقيد) لَا تُقَدّرُهُ الأَوْهَامُ بِالحُدُودِ وَالحَرَكَاتِ ، وَلَا بِالجَوَارِحِ وَالأَدَوَاتِ .

لَا يُقَالُ لَهُ : مَتَى ؟ (لأنّه ليس في زمان ، بل الزمان ذاته مخلوقه والمحاط به من قبله) وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتّى (لأنّ هذه الكلمة لتعيين النهاية والغاية ، والله لا غاية له وهو محيط بالغايات والأزمنة) ، الظّاهِرُ لَا يُقَالُ : مِمّا ؟ (إذ إنّه ليس ممكن الوجود ، وليس له

مادّة ومدّة) ، وَالبَاطِنُ لَا يُقَالُ : فِيمَا ؟ (ذلك أنّه ليس له مادّة ومحلّ ومكان) ، لَا شَبَحٌ فَيَتَقَضّى ، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوى . لَمْ يَقْرُبْ مِنَ الأَشْيَاءِ بِالتِصَاقٍ ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِافْتِرَاقٍ . لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ ، وَلَا كُرُورِ لَفْظَةٍ ، وَلَا ازْدِلَافُ رَبْوَةٍ (اقتراب محلّ مرتفع) ، وَلَا انْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ دَاجٍ وَلَا غَسَقِ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ القَمَرُ المُنِيرُ ، وَتَعْقُبُهُ الشّمْسُ ذَاتُ النّورِ فِي الأُفُولِ وَالكُرُورِ ، وَتَقَلّبِ الأَزْمِنَةِ وَالدّهُورِ مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ ، وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . (في جميع هذه الليالي المظلمة التي تتعاقب وتتخالف إلى أبد الدهر بهذه الوسيلة ، لا يخفى على الله ــ حتّى في لحظة واحدة ــ شيء مختصر منها ولو بقدر لحظة وخطوة) .

قَبْلَ كُلّ غَايَةٍ وَمُدّةٍ وَكُلّ إِحْصَاءٍ وَعِدّةٍ (هو أزَلُ الآزال وأبد الآباد وهو السرمد على الإطلاق) . تَعَالَى عَمّا يَنْحَلُهُ المُحَدّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ الأَقْطَارِ ، وَتَأَثّلِ المَسَاكِنِ ، وَتَمَكّنِ الأَمَاكِنِ . فَالحَدّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ .

لَمْ يَخْلُقِ الأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيّةٍ ، وَلَا أَوَائِلَ أَبَدِيّةٍ . (بل أوجد الموجودات من عدم محض وكَتْم العدم) بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدّهُ ، وَصَوّرَ مَا صَوّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ . (بلا مادّة وأصل كان موجوداً من قبل) لَيْسَ لِشَيءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ شَيءٍ انْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالأَمْوَاتِ المَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالأَحْيَاءِ البَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي السّمَاوَاتِ العُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي الأَرَضِينَ السّفْلَى . (٣٣)

السابع : الخطبة الرابعة والثمانون والمائة من خطب «نهج البلاغة» :

مَا وَحّدَهُ مَنْ كَيّفَهُ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثّلَهُ (لأنّ مثل كلّ شيء إمّا مثله في ذاته أو في بعض أجزائه أو صفاته . والله تعالى لا مثل له ولا شريك في ذاته ، وإلّا كان محتاجاً إلى مميّز من خارج ذاته يميّزه عن الشريك . وليس له مثل في الأجزاء ، لأنّه ليس جزءاً أساساً ، وإلّا كان مركّباً ، والتركيب من صفات الإمكان ، وهو تعالى واجب . وليس له مثل في الصفات ، لعدم اتّصافه بصفات زائدة على الذات) . وَلَا إِيّاهُ عَنَى مَنْ شَبّهَهُ ، وَلَا صَمَدَهُ (قَصَدَهُ) مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهّمَهُ . (لأنّه ليس له جهة ، وهو منزّه من كلّ إشارة حسّيّة أو وهميّة أو عقليّة لعدم إحاطة الحسّ والوهم والعقل بكُنه ذاته المقدّسة من كلّ حيثيّة) كُلّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ ، وَكُلّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ ، مُقَدّرٌ لَا بِحَوْلِ فِكْرَةٍ ، غَنِيّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ الأَوْقَاتُ . (لأنّ الوقت والزمان معلولان له ، وفي مرتبة أوطأ) وَلَا تَرْفِدُهُ الأَدَوَاتُ . سَبَقَ الأَوْقَاتَ كَوْنُهُ ، وَالعَدَمَ وُجُودُهُ ، وَالابْتِدَاءَ أَزَلُهُ .

بِتَشْعِيرِهِ المَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ . (إذ إنّ تشعير المشاعر والحواسّ تجهيزها وإعدادها ومنحها الاستعداد بكيفيّة إذا دخلتها الموادّ تنفعل انفعالاً خاصّاً يقال له : الإحساس . ولهذا فكلّ حسّ من الحواسّ منفعل دائماً . أي : هو في حالة القبول . والله فاعل لا

منفعل . أمّا كَونُهُ فاعلاً فلأنّا قلنا : شعّر المشاعر وجعل فيها الإحساس ، ولذلك لا يمكن أن يكون منفعلاً من مصنوعاته) . وَبِمُضَادّتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدّ لَه . (لأنّه إذا كانت له طبيعة تضادّ شيئاً ، فإنّ ما أوجده من الموجودات ينحصر في الأشياء التي توافق وتلائم تلك الطبيعة لا أنّها تضادّها وتنافرها . إنّ خلق الأشياء المتضادّة دليل على عدم وجود ضدّ له) وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ . ضَادّ النّورَ بِالظُلْمَةِ ، وَالوُضُوحَ بِالبُهْمَةِ ، وَالجُمُودَ بِالبَلَلِ ، وَالحُرُورَ بِالصّرَدِ (الحرّ بالبرد) . مُؤَلّفٌ بَيْنَ مُتَعادِيَاتِهَا ، (كالماء والنار) مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا ، مُقَرّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا ، مُفَرّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا .

لَا يُشْمَلُ بِحَدّ ، (إنّ أيّ حدّ من الحدود والقيود في الملك والملكوت بالمعنى الأعمّ ، أي : عالم الطبع والحسّ والمثال والعقل ، والناسوت والملكوت بالمعنى الأخصّ والجبروت ، حتّى الأسماء والصفات بحدودها لا بحقائقها ، أي : اللاهوت ، كلّ ذلك لا يستوعبه ولا يحويه ، ولا يحدّ وجودَه البحت البسيط الدائم السرمديّ . حتّى أنّ اسم «لا يزال» واسم الوجود البسيط هو اسم وتعبير . وأنّ ذاته المقدّسة فوق كلّ اسم ورسم ، وفوق كلّ ما ينطبق عليه مفهوم الاسم) وَلَا يُحْسَبُ بِعَدّ ، وَإِنّمَا تَحُدّ الأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، (كالحواسّ والمدركات الفكريّة والذهنيّة) وَتُشِيرُ الآلَةُ إِلَى نَظَائِرِهَا (وذاته المقدّسة أسمى وأعلى من كلّ ضرب من ضروب التحديد بالأدوات الفكريّة والآلات النفسيّة والعقليّة) مَنَعَتْهَا «مُنْذُ» القِدَمِيّةَ (إنّ ما نقوله في الموجودات : إنّها وُجدت منذ ذلك الزمان (مُنْذ وُجِدَ) يمنع قِدَمَهَا ويدلّ على حدوثها . أمّا «الله» تعالى ، فلا يمكن أن يقال له : كان «منذ» ذلك الزمان) ، وَحَمَتْهَا «قَدْ» الأَزَلِيّةَ ، (وما نقوله : إنّ الموجود الفلانيّ (قد وُجِدَ) في وقت قريب لتقريب تناهي الزمان يزيل أزليّته . على عكس الخالق جلّ وعلا إذ لا يقال له : قَدْ وُجِدَ) وَجَنّبَتْهَا «لَوْلَا» التّكْمِلَةَ . (وأنّ قولنا : لولا خالق الموجودات ، ما وُجِدت (لولا خالقه ما وُجِدَ) يسلب كمالها ، ويختم على ناصيتها بختم النقصان . على عكس الباري تعالى ، فإنّه كامل بذاته ، ووجوده ليس من غيره ، ولا يقال له : لولا فلانٌ مَا وُجِدَ) . بِهَا تَجَلّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ العُيُونِ . لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السّكُونُ وَالحَرَكَةُ ، (ولا يمكن أن يقال له : ساكن ومتحرّك) وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ ؟ وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ ، وَيُحْدِثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ ؟ إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ ، وَلَتَجَزّأَ كُنْهُهُ ، (لأنّ الأجسام قابلة للتجزئة والانقسام) وَلَا مَنَعَ مِنَ الأَزَلِ مَعْنَاهُ ، وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ ، وَلَالْتَمَسَ التّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النّقْصَانُ ، (لتصل قواه إلى الفعليّة) وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ المَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ . (بعد أن كان وجوده الأقدس مدلولاً عليه بالموجودات والأشياء والممكنات ، فإذا الموضوع ينقلب فيصبح هو نفسه دليلاً على صانع وخالق) . وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثّرَ فِيهِ مَا يُؤَثّرُ فِي غَيْرِهِ .

الّذِي لَا يَحُولُ ، ولَا يَزُولُ ، ولَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الأُفُولُ ، ولَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً ، (إنّ التولّد ــ مهما كان ــ يستلزم الإمكان والمحدوديّة ، سواء كان عن طريق التناسل المعروف ، أم كان بواسطة النموّ كتولّد النباتات من العناصر ، أم كان عن طريق الإيجاد والإخراج من الذات . لذلك فإنّ الذين يرون وجود الله محدوداً بوجود الأشياء والممكنات ، ويعتقدون بوجود الأصالة والاستقلال في الموجودات ، ولو على نحو مختصر ومجمل ، يحسبون الموجودات منحازة ومنفصلة عن الحقّ تعالى ، ويخالون أنّ المتولّدات منه تعالى ، وإن لم يصرّحوا بهذا التولّد . وأنّ إيجاد الموجودات ليس على نحو الوجود الاستقلاليّ ، لا في الذات ، ولا في الصفة ، ولا في الفعل ، بل هو ظهور ذات الحقّ فقط في مجال الإمكان ومظاهره ، ووجودها تبعيّ وظلّيّ وغير استقلاليّ في مقابل وجود ذات الحقّ الذي هو وجود أصيل وحقيقيّ واستقلاليّ . وأنّ وجود الممكنات ظهور ، وإيجاد الحقّ تعالى إظهار وجود ذاته لا غير ، فتأمّل) ولَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً . جَلّ عَنِ اتّخَاذِ الأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الأَوْهَامُ فَتُقَدِرَهُ ، ولَا تَتَوَهّمُهُ الفِطَنُ فَتُصَوّرَهُ ، ولَا تُدْرِكُهُ الحَوَاسّ فَتَحُسّهُ ، ولَا تَلْمِسُهُ الأَيْدِي فَتَمَسّهُ . لَا يَتَغَيّرُ بِحَالٍ ، ولَا يَتَبَدّلُ بِالأَحْوَالِ ، ولَا تُبْلِيهِ اللّيَالِي وَالأَيّامُ ، ولَا يُغَيّرُهُ الضّيَاءُ وَالظّلَامُ ، ولَا يُوصَفُ بِشَيءٍ مِنَ الأَجْزَاءِ ، ولَا بِالجَوَارِحِ وَالأَعْضَاءِ ، ولَا بِعَرَضٍ مِنَ الأَعْرَاضِ ، ولَا بِالغَيْرِيّةِ وَالأَبْعَاضِ ، ولَا يُقَالُ : لَهُ حَدّ وَنِهَايَةٌ ، ولَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ ، ولَا أَنّ الأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ فَتُقِلّهُ (تسيطر عليه فترفعه) أَوْ تُهْوِيهِ (تُسقِطُه) ، أَوْ أَنّ شَيئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدّلَهُ .

لَيْسَ فِي الأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ ، ولَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يُلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفّظُ ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ ، يُحِبّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقّةٍ . يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ : «كُنْ» فَيَكُونَ ، لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ ؛ وَإِنّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ أَنْشَأَهُ . (كالقرآن وجميع الموجودات والكائنات التي هي كلماته) وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذَلِكَ كَائِناً ، (فيكون حادثاً) وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلَهاً ثَانِياً .

لَا يُقَالُ : كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِي عَلَيْهِ الصّفَاتُ المُحْدَثَاتُ ، وَلَا يَكُونُ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ فَيَسْتَوِي الصّانِعُ وَالمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأُ المُبْتَدِئُ (المُبْتَدِعُ) وَالبَدِيعُ .

خَلَقَ الخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ ، وَأَنْشَأَ الأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ ، وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ ، وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ ، وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ ، وَحَصّنَهَا مِنَ الأَوَدِ وَالاعْوِجَاجِ ، وَمَنَعَهَا مِنَ التّهَافُتِ وَالانْفِرَاجِ . أَرْسَى أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، (أقام الجبال في كلّ إقليم بما يناسبه من أجل حفظه) وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا ، وَخَدّ أَوْدِيَتَهَا . فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوّاهُ . هُوَ الظّاهِرُ عَلَيْهَا

بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ البَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرَفَتِهِ ، وَالعَالِي عَلَى كُلّ شَيءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السّرِيعُ مِنْهَا فَيَسبِقَهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ .

خَضَعَتِ الأَشْيَاءُ لَهُ وَذَلّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ، لَا تَسْتَطِيعُ الهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرّهِ ، وَلَا كُفوَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيهِ . هُوَ المفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا حَتّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا . (وتُسْتَبْدَلُ صفحة عالم العدم بصفحة عالم الوجود بمظاهرها وظواهرها) وَلَيْسَ فَنَاءُ الدّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا . وَكَيْفَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا ، وَمَا كَان من مُراحِهَا (ما أُخذ إلى حظيرته ليلاً) وَسَائِمِهَا (التي تُطلق وترعى في المراتع) وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا ، وَمُتَبَلّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بِعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا ، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا ، وَلَتَحَيّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً عَارِفَةً بِأَنّهَا مَقْهُورَةٌ ، (ومغلوبة بقوّة الله وسيطرة سلطانه) مُقِرّةً بِالعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا ، مُذْعِنَةً بِالضّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا . (لأنّ إفناءها أيضاً بأساب هي بِيَدِ الله ، فإذا لم يَشَأْ ، لم تستطع أن تُهيّئ الأسباب ، ويمكن أن يفيض الله تعالى على تلك البعوضة بقدرة تساوي قدرة أهل الدنيا كلّهم ، وتغلبهم بها) .

وَإِنّ اللّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيءِ مَعَهُ ، كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ . عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الآجَالُ وَالأَوْقَاتُ ، وَزَالَتِ السّنُونَ وَالسّاعَاتُ ، فَلَا شَيءَ إِلّا اللّهُ الوَاحِدُ القَهّارُ الّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الأُمُورِ .

بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا . وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الامْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَأْدْهُ (لم يعسر عليه) صُنْعُ شَيءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ ، وَلَمْ يُكَوّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ ، وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِلاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدّ مُكَاثِرٍ ، (شبيه له قويّ منازع) وَلَا لِلاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدّ مُثَاوِرٍ ، (ضدّ يخاصم ويعاند) وَلَا لِلازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ ، وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا .

ثُمّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا ، لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ ، وَلَا لِثِقْلِ شَيءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَمْ يُمِلّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا ، لَكِنّهُ سُبْحَانَهُ دَبّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لانْصِرَافٍ مِنْ حَالٍ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ ، وَلَا حَالِ جَهْلٍ وَعَمىً إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَالتِمَاسٍ ؛ وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ إِلَى غِنىً وَكَثْرَةٍ ، وَلَا مِنْ ذلّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزّ وَقُدْرَةٍ . (٣٤)

تمّت هذه الخطبة المباركة هنا ، ولمّا كانت تحتوي على موضوعات رائعة سامقة جدّاً ، فقد أتينا عليها كلّها مع بعض التوضيحات . قال الشريف الرضيّ جامع «نهج البلاغة» : تجمع هذه الخطبة من أُصول العلم ما لا تجمعه خطبة . (٣٥)

الثامن : جواب أمير المؤمنين عليه السلام لأعرابيّ يوم الجمل في معنى التوحيد : روى الشيخ الصدوق محمّد بن عليّ بن بابويه القمّيّ في كتاب «التوحيد» وكتاب «الخصال» بسند متّصل ، وفي كتاب «معاني الأخبار» بسند متّصل آخر ، وكلا السندين عن المقدام بن شُرَيحْ بن هانئ ، عن أبيه أنّ أعرابيّاً قام يوم الجمل إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، فقال :

يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! أَتَقُولُ : إنّ اللَهَ وَاحِدٌ ؟ قَالَ : فَحَمَلَ النّاسُ عَلَيْهِ ، قَالُوا : يَا أَعْرَابِيّ ! أَمَا تَرَى مَا فِيهِ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ مِنْ تَقَسّمِ القَلْبِ ؟ (أي سؤالٍ هذا في تلك الجلبة وهجوم الهموم والغموم؟) فَقَالَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَيهِ السّلَامُ : دَعوهُ فَإنّ الّذِي يُرِيدُهُ الأَعْرَابِيّ هُوَ الّذِي نُرِيدُهُ مِنَ القَوْمِ . (أصحاب الجمل) .

ثُمّ قَالَ : يَا أَعْرَابِيّ ! إنّ القَوْلَ فِي أَنّ اللَهَ وَاحِدٌ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ : فَوَجْهَانِ مِنْهَا لَا يَجُوزَانِ عَلَى اللَهِ عَزّ وَجَلّ ، وَوَجْهَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ .

فَأَمّا اللّذَانِ لَا يَجُوزَانِ عَلَيْهِ ، فَقُولُ القَائِلِ : وَاحِدٌ يَقْصِدُ بِهِ بَابَ الأَعْدَادِ . فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ ، لِأَنّ مَا لَا ثَانِيَ لَهُ لَا يَدْخُلُ فِي بَابِ الأَعْدَادِ . أَمَا تَرَى أَنّهُ كَفَرَ مَنْ قَالَ : ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ ؟ (الأب ، والابن ، ورُوحُ القُدُس . أو الذات ، والعلم ، والحياة) وَقَوْلُ القَائِلِ : هُوَ وَاحِدٌ مِنَ النّاسِ ، يُرِيدُ بِهِ النّوْعَ مِنَ الجِنْسِ . (٣٦) فَهَذَا مَا لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ ، لِأَنّهُ تَشبِيهٌ ، وَجَلّ رَبّنَا عَنْ ذَلِكَ وَتَعَالَى .

وَأَمّا الوَجْهَانِ اللّذَانِ يَثْبُتَانِ فِيهِ : فَقَوْلُ القَائِلِ : هُوَ وَاحِدٌ لَيْسَ لَهُ فِي الأَشْيَاءِ شِبْهٌ ، كَذَلِكَ رَبّنَا . وَقَوْلُ القَائِلِ : إنّهُ عَزّ وَجَلّ أَحَدِيّ المَعْنَى ، يَعْنِي بِهِ أَنّهُ لَا يَنْقَسِمُ فِي وُجُودٍ وَلَا عَقْلٍ وَلَا وَهْمٍ . كَذَلِكَ رَبّنَا عَزّ وَجَلّ . (٣٧)

التاسع : كلام الإمام ــ على ما نقل الشيخ المفيد في «الإرشاد» ــ في وجوب المعرفة بالله تعالى ، والتوحيد له ، ونفي التشبيه عنه ، والوصف لعدله ، وصنوف الحكمة والدلائل . فقد روى أبو بكر الهُذليّ ، عن الزُهريّ ، وعيسى بن يزيد ، عن صالح بن كيسان أنّ أمير المؤمنين عليه السلام قال في الحثّ على معرفة الله تعالى والتوحيد له :

أَوّلُ عِبَادَةِ اللَهِ مَعْرِفَتُهُ ، وَأَصْلُ مَعْرِفَتِهِ تَوْحِيدُهُ ، وَنِظَامُ تَوْحِيدِهِ نَفْيُ التّشْبِيهِ عَنْهُ . (٣٨) جَلّ عَنْ أَنْ تَحِلّهُ الصّفَاتُ ، لِشَهَادَةِ العُقُولِ أَنّ كُلّ مَنْ حَلّتْهُ الصّفَاتُ مَصْنُوعٌ ، وَشَهَادَةِ العُقُولِ أَنّهُ جَلّ وَعَلَا صَانِعٌ لَيْسَ بِمَصْنُوعٍ .

بِصُنْعِ اللَهِ يُسْتَدَلّ عَلَيْهِ ، وَبِالعُقُولِ يُعْتَقَدُ مَعْرِفَتُهُ ، وَبِالنّظَرِ تَثْبُتُ حُجّتُهُ . جَعَلَ الخَلْقَ دَلِيلاً عَلَيْهِ فَكَشَفَ بِهِ عَنْ رُبُوبِيّتِهِ . هُوَ الوَاحِدُ الفَرْدُ فِي أَزَلِيّتِهِ ، لَا شَرِيكَ لَهُ فِي إلَهِيّتِهِ ،

وَلَا نِدّ لَهُ فِي رُبُوبِيّتِهِ . بِمُضَادّتِهِ بَيْنَ الأَشْيَاءِ المُضَادّةِ ، عُلِمَ أَنْ لَا ضِدّ لَهُ ، وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الأُمُورِ المُقْتَرِنَةِ ، عُلِمَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ . فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ يَطُولُ بِإِثْبَاتِهِ الكِتَابُ . (٣٩)

وذكر الشيخ المفيد بعد هذا الكلام أيضاً أنّ ممّا حفظ عنه عليه السلام في نفي التشبيه عن الله تعالى ما رواه الشعبيّ ، قال : سمع أمير المؤمنين عليه السلام رجلاً يقول : وَالّذِي احْتَجَبَ بِسَبْعٍ طِبَاقٍ ، فعلاه بالدّرّة ، ثمّ قال له : وَيْلَكَ ! إنّ اللَهَ أَجَلّ مِنْ أَنْ يَحْتَجِبَ عَنْ شَيءٍ ، أَوْ يَحْتَجِبَ عَنْهُ شَيءٌ . سُبْحَانَ الّذِي لَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السّمَاءِ .

فقال الرجل : أفأكفّر عن يميني ، يا أمير المؤمنين ؟ قال : لَا ، إنّكَ لَمْ تَحْلِفْ بِاللَهِ فَتَلْزِمَكَ كَفّارَةُ الحَنْثِ ، وَإنّمَا حَلَفْتَ بِغَيْرِهِ . (٤٠)

العاشر : كلامه عليه السلام في خطبة أُخرى أحدثت انقلاباً حقّاً بعباراتها الموجزة في عرض التوحيد الخالص ، وعدم تعدّد ذات الحقّ تعالى . وذكر الشيخ الطبرسيّ هذه الخطبة في «الاحتجاج» فقال : قال عليه السلام :

دَلِيلُهُ آيَاتُهُ ، وَوُجُودُهُ إثْبَاتُهُ ، وَمَعْرِفَتُهُ تَوْحِيدُهُ ، وَتَوْحِيدُهُ تَمْيِيزُهُ مِنْ خَلْقِهِ ، وَحُكْمُ التّمْيِيزِ بَيْنُونَةُ صِفَةٍ لَا بَيْنُونَةُ عُزْلَةٍ . إنّهُ رَبّ خَالِقٌ غَيْرُ مَرْبُوبٍ مَخْلُوقٍ ، كُلّ مَا تُصُوّرَ فَهُوَ بِخَلَافِهِ .

ثمّ قال عليه السلام : لَيْسَ بِالَهٍ مَنْ عُرِفَ بِنَفْسِهِ . هُوَ الدّالّ بِالدّلِيلِ عَلَيْهِ ، وَالمُؤدّيّ بِالمَعْرِفَةِ إلَيْهِ . (٤١)

الحادي عشر : الخطبة الثالثة والثمانون والمائة من خطب «نهج البلاغة» :

الحَمْدُ لِلّهِ الّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ المَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النّوَاظِرُ ، وَلاَ تَحْجُبُهُ السّوَاتِرُ ، الدّالّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ . الّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ ، وَقَامَ بِالقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ .

مُسْتَشْهِدُ بِحُدُوثِ الأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ العَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا اضْطَرّهَا إلَيْهِ مِنَ الفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ .

وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ ، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ .

تَتَلَقّاهُ الأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ ، وَتَشْهَدُ لَهُ المَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلّى لَهَا بِهَا (إذ إنّ معرفة الله تتمّ عبر هذه الأفكار) ، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا (ذلك أنّ القوى الوهميّة عاجزة عن إدراك المعاني الكلّيّة والمجرّدات ، بما فيها واجب الوجود المجرّد من جميع الجهات) ، وَإلَيْهَا حَاكَمَهَا (لأنّ الأوهام جميعها حائرة في معرفته ، معترفة بعدم إمكانها ، مذعنة بعجزها وحقارتها أمام عظمته وعلوّ شأنه ورفعته) . لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدّتْ

بِهِ النّهَايَاتُ فَكَبّرَتْهُ تَجْسِيَماً ، ولَا بِذِي عِظَمٍ تَنَاهَتْ بِهِ الغَايَاتُ فَعَظّمَتْهُ تَجْسِيداً ، بَلْ كَبُرَ شَأْناً ، وَعَظُمَ سُلْطَاناً ــ الخطبة . (٤٢)

الثاني عشر : رواية رواها الشيخ الصدوق في «معاني الأخبار» بسنده المتّصل عن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، عن أبيه أمير المؤمنين عليه السلام أنّه قال : قال رسول الله صلّى الله عليه وآله :

التّوْحيدُ ظَاهِرُهُ فِي بَاطِنِه ، وَبَاطِنُهُ فِي ظَاهِرِهِ . ظَاهِرُهُ مَوْصُوفٌ لَا يُرَى ، وَبَاطِنُهُ مَوْجُودٌ لَا يَخْفَى ، يُطْلَبُ بِكُلّ مَكَانٍ ، ولَمْ يَخْلُ مِنْهُ مَكَانٌ طَرْفَةَ عَيْنٍ . حَاضِرٌ غَيْرُ مَحْدُودٍ ، وَغَائِبٌ غَيْرُ مَفْقُودٍ . (٤٣)

هذه الأحاديث الأثنا عشر تمثّل نموذجاً من الأحاديث المأثورة عن أئمّة الشيعة في توحيد الذات الإلهيّة المقدّسة . وأنّ أمير المؤمنين عليه السلام هو فاتح هذا الباب ، وحلّال هذه المسألة للأُمّة ، إذ بيّن للناس بمنطقهِ البليغِ التوحيدَ الذيمنحه الحقّ سبحانه وتعالى خاتمَ أنبيائه صلّى الله عليه وآله .

ومجمل هذه الحقيقة هو أنّ الذات الإلهيّة المقدّسة تامّة ، بل فوق التمام ، وما لا يتناهى بما لا يتناهى ، أي : هي غير متناهية أزلاً وأبداً وسرمداً ووجوداً وسعة وعموماً وإطلاقاً واسماً وصفة وفعلاً . ولا تخضع لحدّ وقيد وقياس بأيّ وجه من الوجوه . وما يلزم هذا الوجود هو الوجوب والوحدة . والوحدة أعظم صفة من صفات الله عزّ شأنه ، وهي ليست من سنخ الوحدات العدديّة ، والنوعيّة ، والجنسيّة وما شابهها ممّا تتّصف به الممكنات ، بل هي الوحدة الحقّة الحقيقيّة المعبّر عنها بالوحدة بالصّرافة . أي : الوحدة التي يستحيل مع وجودها فرض إمكان تعدّدها ، وكلّ ما يُفْرَضُ في قبالها ، يعود إليه نفسه . وأنّ ما تستلزمه هذه الوحدة هو تشخّص الوجود والأصالة والثبوت ، التي هي عين الوجود والتحقّق .

فلهذا ، أنّ وجوده المقدّس على درجة من السعة والإطلاق وعدم التناهي بالحدود ، بحيث إنّه حاضر في كلّ مكان ، ومراقب في كلّ زمان ، وهو مع الموجودات كلّها ، وَبِأَسْمَائِكَ الّتي مَلَأَتْ أَرْكَانَ كُلّ شَيءٍ ... وَبِنُورِ وَجْهِكَ الّذِي أَضَاءَ لَهُ كُلّ شَيءٍ . (٤٤)

ولا يمكن فرض شيء في مكان وزمان لا يكون فيه حاقّ وجوده ولبّ ثبوته ، وإلّا ينعزل منه ، ويُحَدّ وجوده به . وذات الله بوحدتها وبساطتها موجودة مع كلّ شيء . وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَمَا كُنتُمْ . (٤٥) وكلّ شيءٍ قائم به ، وحاضر عنده .

والله تعالى لا يغيب عن شيء ، ولا يغيب عنه شيء ، ولا يفقد منه شيء ، ولا يخلو منه مكان ولو بقدر غمضة عين . هو في كلّ مكان ، وهو محيط بكلّ شيء . وَهُوَ عَلَى كُلّ شَيْءٍ شَهِيدٌ . (٤٦) أَلَآ إِنّهُ بِكُلّ شَيْءٍ مّحِيطٌ . (٤٧)

إنّ وجود الموجودات أوّلا وبالذات قائم به ، وثانياً وبالعرض من أجله . ولقد طُبع على ناصيتها بختم الإمكان ، وإنّها لمعلولة ومخلوقة وضعيفة وفقيرة وعاجزة وإنّ وجود الله البحت والبسيط والمطلق قوام الموجودات بأسرها ، والأصل الأصيل للأشياء برمّتها . هُوَ الأَوّلُ وَالأَخِرُ وَالظّهِرُ وَالبطِنُ وَهُوَ بِكُلّ شَىْءٍ عَلِيمٌ . (٤٨)

إنّ الأوصاف التي تتّصف بها الذات الإلهيّة كالحياة ، والعلم ، والقدرة هي مفاهيم يدركها العقل ، ويثبت برهانها لذاته . وهذه المفاهيم بما هي مفاهيم محدودة ومتمايزة فيما بينها ، ولا سبيل لها في ذاته ، وإلّا يلزم التركيب والكثرة في ذاته ، وتجتمع الصفات المتضادّة والمتعدّدة فيها .

وشأن المفهوم الكلّيّة والكثرة ، ولو ضممنا إليها ألف قيد ، فلا يخرج عن الكثرة والمفهوم . مثلاً لو قلنا : علمه كبير ولا يتناهى ، فهو مفهوم . ولو قلنا : علمه ليس كعلم سائر الموجودات ، فهو أيضاً مفهوم ومثار الكثرة . فتكثير القيود لا يصنع منه شخصاً خارجيّاً ، ولا يفصله عن الكثرة والمفهوم . وأنّ مصداق هذه المفاهيم في الخارج ، إذ هي الوجود الخارجيّ للأسماء والصفات ، محدودة ومتمايزة بعنوانها ، ولا مكان لها في الذات الإلهيّة ، وليس لها سبيل إلى تلك الذروة العالية ، حتّى تحوز عنوان الصفات والكثرة . نعم ، إذا فقدت صفة العلم والحياة والقدرة وما شابهها كثرتَها ، وخُلصت من الحدود ، أي : صارت حقيقة العلم بدون مفهومه وحدّه ، وحقيقة الحياة بدون مفهومها وحدّها ، وحقيقة القدرة بدون مفهومها وحدّها ، فحينئذٍ أصبحت حقيقة واحدة هي نفس الذات ، وعين العلم ، وعين الحياة ، وعين القدرة . لذلك لا صفة للذات في باطنها ، وأنّ ما فيها هو عينها .

وسرّ هذا المطلب هو أنّ شأن المفهوم التناهي والمحدوديّة . وكلّ مفهوم منعزل عن المفهوم الآخر . فمفهوم العلم ــ وإن كان لا يتناهى ــ هو غير مفهوم القدرة ، ومفهوم كلّ منهما هو غير مفهوم الحياة . ولذلك فهذه الأسماء والصفات (٤٩) كانت محدودة ، وهي غير ذات الحقّ . وعلى الرغم من أنّها كلّها لا تتناهى ، لكنّها لمّا كانت لها صبغة الغيريّة ، فهي ما دون الذات ، وفي درجة أوطأ .

إنّ ما في الذات هو حاقّ العلم الذي هو ما فوق حدّه المفهوميّ ، وحاقّ القدرة والحياة الذي هو ما فوق حدّه المفهوميّ أيضاً . وفي ذات الحيّ العليم القدير بساطة محضة ووحدة محضة . وهذه المفاهيم اندكّت واضمحلّت وفنيت هناك ، وفقدت حدودها بواسطة عظمتها وسيطرتها وقدرتها وبساطتها المحضة ووحدتها الصافية الخالصة . وهناك تكون الحياة عين الذات ، والعلم والقدرة عين الذات ، والعلم عين القدرة ، والقدرة عين الحياة ، وكلّ واحدة من الصفات هي عين الصفات الأُخرى .

هي عين الصفات الأُخرى .

وعلى أساس سعة ذاته هذه ، وبساطته وعموميّته وإطلاقه الوجوديّ هذا ، لا يمكن أن نتصوّر مكاناً وزماناً ليس فيهما الله الأحد بوجوده ووحدته ونوره وحياته وعلمه وقدرته . إذ لا سبيل إلى تجزئة وجوده الأقدس وتكثيره ، ولا تغاير ولا تمايز بين ظاهره وباطنه . فظاهره في باطنه ، وباطنه في ظاهره . وإنّ اختلاف الظاهر والباطن يعود إلى الحدّ الذي يفصل بينهما . وإذا رفعنا هذا الحدّ الذي هو في الله اعتباريّ لا حقيقيّ ، يكونان شيئاً واحداً .

من هذا المنطلق هو موجود بوجوده في جميع الأشياء ، بَيدَ أنّ عنوان الولوج والدخول لا يعني الحلول والاتّحاد . إذ لا معنى للثنائيّة هنا ، ولا نلحظ إلّا التوحيد فحسب ، بمعنى السعة الوجوديّة للتوحيد وتحقّقه ، وهو ليس في الأشياء بسبب محدوديّة إنّيّتها وماهيّتها . وهذا هو المقصود من دُرر كلم أمير المؤمنين عليه السلام ، إذ إنّ بينونته من الأشياء هي بينونة الصفة ، لا بينونة العزلة .

أجل ، إنّ هذا الضرب من تفسير التوحيد مختصّ بالقرآن الكريم وخاتم الأنبياء والمرسلين صلّى الله عليه وآله أجمعين ، ولم يُؤثَر عن سائر الكتب السماويّة والأنبياء السابقين . وهذا هو أعظم أمر يدلّ على أشرفيّة القرآن وأفضليّة النبيّ الأعظم بالنسبة إلى سائر الكتب والأنبياء .

وقال غوستاف لوبون الفرنسيّ في كتاب «حضارة العرب» : «إنّ التوحيد الذي أتى به نبيّ الإسلام محمّد أعلى وأرقى من توحيد عيسى المسيح» .

لقد أخذ أمير المؤمنين عليه السلام حاقّ التوحيد وحقيقته من النبيّ الأكرم صلّى الله عليه وآله ، ورسّخ ذلك في صُقع وجوده بقدم الثبات وسير العوالم اللامتناهية ، وبلغ أعلى ذروة من مقام الإنسان الكامل ، وإنّ التعابير التي أطلقها على الذات الأحديّة المقدّسة وصفاتها في هذه الخطب كلّها وجدانيّاته ومشاهداته الباطنيّة والسرّيّة ، ومدركاته الحضوريّة ومكاشفاته الحقّة الحقيقيّة وعلومه السرمديّة ، إذ يرفع عنها الحجاب كالشمس المتألّقة ، ويعرّف الناسَ محبوبه ومعشوقه ومولاه .

وقام سماحة أُستاذنا الأكرم العلّامة الطباطبائيّ رضوان الله تعالى عليه بتفسير وتوضيح بعض هذه الخطب في تفسير «الميزان» بنحو مفصّل . [٥٠] ثمّ ذكر بعدها في بحث تأريخيّ قائلاً : القول بأنّ للعالم صانعاً ، ثمّ القول بأنّه واحد من أقدم المسائل الدائرة بين متفكّري هذا النوع (البشريّ) تهديه إليه فطرته المركوزة فيه ، حتّى أنّ الوثنيّة المبنيّة على الإشراك ، إذا أمعنّا في حقيقة معناها وجدناها مبنيّة على أساس توحيد الصانع ، وإثبات شفعاء عنده مَا نَعْبُدُهُمْ إِلّا لِيُقَرّبُونَا إِلَى اللَهِ زُلْفَى ، [٥١] وإن انحرفت بعد عن مجراها ، وآل أمرها إلى إعطاء الاستقلال والأصالة لآلهة دون الله .

والفطرة الداعية إلى توحيد الإله ، وإن كانت تدعو إلى إله واحد غير محدود العظمة والكبرياء ذاتاً وصفة ، غير أنّ إلفة الإنسان وأنّه في ظرف حياته بالآحاد العدديّة من جانب ، وبلاء الملّيّين بالوثنيّين والثنويّين وغيرهم لنفي تعدّد الآلهة من جانب آخر سجّل عدديّة الوحدة ، وجعل حكم الفطرة المذكورة كالمغفول عنه .

ولذلك ترى المأثور من كلمات الفلاسفة الباحثين في مصر القديمة واليونان والإسكندريّة وغيرهم ممّن بعدهم يعطي الوحدة العدديّة ، حتّى صرّح بها مثل الشيخ الرئيس ابن سينا في كتاب «الشفاء» . وعلى هذا المجرى يجري كلام غيره ممّن بعده إلى حدود الألف من الهجرة النبويّة . وأمّا أهل الكلام من الباحثين فاحتجاجاتهم على التوحيد لا تعطي أزيد من الوحدة العدديّة أيضاً في عين أنّ هذه الحجج مأخوذة من الكتاب العزيز عامّة ؛ فهذا ما يتحصّل من كلمات أهل البحث في هذه المسألة .

فالذي بيّنه القرآن الكريم من معنى التوحيد ، فهو أوّل خطوة خطيت في تعليم هذه الحقيقة من المعرفة ، غير أنّ أهل التفسير والمتعاطين لعلوم القرآن من الصحابة والتابعين ، ثمّ الذين يلونهم أهملوا هذا البحث الشريف ، فهذه جوامع الحديث وكتب التفسير المأثورة منهم لا ترى فيها أثراً من هذه الحقيقة لا ببيان شارح ، ولا بسلوك استدلاليّ . ولم نجد ما يكشف عنها غطاءها إلّا ما ورد في كلام الإمام عليّ بن أبي طالب عليه أفضل السلام خاصّة . فإنّ كلامه هو الفاتح لبابها ، والرافع لسترها وحجابها على أهدى السبيل وأوضح طريق من البرهان ، ثمّ ما وقع في كلام الفلاسفة الإسلاميّين بعد الألف الهجريّ ، [٥٢] وقد صرّحوا بأنّهم إنّما استفادوه من كلامه عليه السلام .

وهذا هو السرّ في اقتصارنا في البحث الروائيّ السابق على نقل نماذج من غرر كلامه عليه السلام ، لأنّ السلوك في هذه المسألة وشرحها من مسلك الاحتجاج البرهانيّ لايوجد في كلام غيره عليه السلام ... والجميع مبنيّة على صرافة الوجود وأحديّة الذات جلّت عظمته .

ثمّ ذكر العلّامة رضوان الله عليه في الهامش قائلاً : وللناقد البصير والمتدبّر المتعمّق أن يقضي عجباً من ما صدر من الهفوة من عدّة من العلماء الباحثين [٥٣] حيث ذكروا أنّ هذه الخطب العلويّة الموضوعة في «نهج البلاغة» موضوعة دخيلة ، وقد ذكر بعضهم أنّها من وضع الشريف الرضي رحمه الله . [٥٤]

وليت شعري : كيف يسع للوضع والدسّ أن يتسرّب إلى موقف علميّ دقيق لم يقو بالوقوف عليه أفهام العلماء حتّى بعد ما فتح عليه السلام بابه ورفع ستره قروناً متمادية إلى أن وفّق لفهمه بعد ما سير في طريق الفكر المترقّيّ مسير ألف سنة ، ولا أطاق حمله غيره من الصحابة ، ولا التابعون .

بل كلام هؤلاء الرامين بالوضع ينادي بأعلى صوته إنّهم كانوا يظنّون أنّ الحقائق القرآنيّة والأُصول العلميّة العالية ليست إلّا مفاهيم مبتذلة عامّيّة ، وإنّما تتفاضل باللفظ الفصيح والبيان البليغ . (٥٥)

ذكرنا هذا النموذج هنا ليستبين أنّ ما جاء في الخطب والروايات ليس مطالب مبتذلة عامّيّة ، بل إنّ كثيراً منها يحتاج إلى فهم قويّ وبرهان قويم . ومن هذا المنطلق كان أُستاذنا سماحة العلّامة الطباطبائيّ قدّس الله نفسه الزكيّة يرى أنّ تقوية الفكر وتصحيح القياس ، وبعامّة ، تعلّم المنطق والفلسفة أشياء ضروريّة ، وكان يعتقد أنّ الفلسفة حلّالة العُقَد والدليل الوحيد في هذا الباب قبل الرجوع إلى هذه الخزائن العلميّة والدفائن الملكوتيّة لأهل البيت عليهم السلام .

وعند هذه النقطة نختم بحثنا في توحيد ذات الأحد المقدّس سبحانه وتعالى في ضوء هذه الخطب الثمينة العصماء ، واكتفينا ببحث مجمل حولها . وسيأتي بحث استدلاليّ مفصّل حول الوحدة الإلهيّة الحقّة الحقيقيّة ، والإفادة المفصّلة من هذه الخطب المباركة في كتابنا «الله شناسى» (معرفة الله) من دورة العلوم والمعارف الإسلاميّة بِحَوْلِ اللَهِ وَقُوّتِهِ ، ولَا حَوْلَ ولَا قُوّةَ إلّا بِاللَهِ العَلِيّ العَظِيمِ .

ونعود الآن إلى كلام الإمام عليه السلام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، وقوله الآخر : لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ ، وبشأن الكلام الأوّل ، روى العلّامة البحرانيّ في «غاية المرام» عن طريق العامّة سبع روايات عن «مسند أحمد بن حنبل» ، والخوارزميّ ، والحمّوئيّ ، وابن أبي الحديد ، وغيرهم ، وروى عن طريق الخاصّة سبع روايات أيضاً عن الصدوق في «الأمالي» وغيره ، وتفسير محمّد بن عبّاس بن مروان ، و«الأمالي» للشيخ الطوسيّ ، ومحمّد بن الحسن الصفّار في «بصائر الدرجات» ، والشيخ المفيد في «الأمالي» . (٥٦)
وبشأن الكلام الثاني ، روى فيه أربع روايات عن طريق العامّة ، عن الخوارزميّ وابن المغازليّ ، والحمّوئيّ ، وروى تسع عشرة رواية عن طريق الخاصّة ، عن الكلينيّ في «الكافي» ، والمفيد في «الاختصاص» ، والصفّار في «بصائر الدرجات» ، والشيخ الطوسيّ في «الأماليّ» . (٥٧)

وكان عبد الله بن الكوّاء أحد الخوارج الذين قُتلوا في النهروان . وعندما كان في عداد أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، كان يسأله أسئلة في غير سَدَد ليؤذيه ويحرجه ، متربّصاً صدور زلّة منه ، حتّى يتّخذها مستمسكاً للتشهير به والإرجاف عليه .

وروى الشيخ الطبرسيّ عن الأصبغ بن نُباتة أنّه قال : كنتُ جالساً عند أمير المؤمنين عليه السلام ، فجاء ابن الكوّاء فقال : يا أمير المؤمنين ! من البيوت في قول الله عزّ وجلّ : وَلَيْسَ الْبِرّ بِأَن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنّ الْبِرّ مَنِ اتّقَى وَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا . (٥٨)

(فأجابه الإمام جواباً وافياً) . ثمّ سأل عن معنى قوله تعالى : وَعَلَى الأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلّا بِسِيمَاهُمْ [٥٩] (فأجاب الإمام أيضاً جواباً كافياً) . [٦٠]

وعن الأصبغ بن نُباتة في رواية أُخرى قال : سأل ابن الكوّاء أمير المؤمنين عليه السلام فقال : أخبرني عن بصير بالليل وبصير بالنهار ؟ وعن أعمى بالليل وأعمى بالنهار ؟ وعن أعمى بالليل بصير بالنهار ؟ وعن أعمى بالنهار بصير بالليل ؟

فقال له : وَيْلَكَ ! سَلْ عَمّا يَعْنِيكَ وَلَا تَسْأَلَ عَمّا لَا يَعْنِيكَ . (ثمّ أجابه الإمام جواباً تامّاً) قال في آخره : وَيْلَكَ يَا بْنَ الكَوّاء ! فَنَحْنُ بَنُو أَبِي طَالِبٍ ، بِنَا فَتَحَ اللَّهُ الإِسْلَامَ وَ بِنَا يَخْتِمُهُ .

قال الأصبغ : لمّا نزل أمير المؤمنين عليه السلام من المنبر ، تبعتُه ، فقلتُ يا سيّدي يا أمير المؤمنين قوّيت قلبي بما بيّنتَ . فقال لي أمير المؤمنين عليه السلام :

يَا أَصْبَغُ ! مَنْ شَكّ فِي وَلَايَتِي فَقَدْ شَكّ فِي إِيمَانِهِ ، وَمَنْ أَقَرّ بِوَلَايَتِي فَقَدْ أَقَرّ بِوَلَايَةِ اللَّهِ عَزّ وَجَلّ . وَلَايَتِي مُتّصِلَةٌ بِوَلَايَةِ اللَّهِ كَهَاتَيْنِ ــ وَجَمَعَ بَيْنَ اصْبَعَيهِ ــ يَا أَصْبَغَ ! مَنْ أَقَرّ بِوَلَايَتِي فَقَدْ فَازَ ، وَمَن أَنْكَرَ وَلَايَتِي فَقَدْ خَابَ وَخَسِرَ وَهَوَى فِي النّارِ ، وَمَنْ دَخَلَ فِي النّارِ لَبِثَ فِيهَا أَحْقَابَاً . [٦١]

وروى الطبرسيّ أيضاً عن الأصبغ قال : خطبنا أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثمّ قال : أَيّهَا النّاسُ ! سَلُونِي فَإِنّ بَيْنَ جَوَانِحِي عِلْمَاً جَمّاً . فقام إليه ابن الكوّاء فقال : يا أمير المؤمنين ! ما الذّرِيَاتِ ذَرْوًا ؟ [٦٢] قال : الرياح . قال : ما الْحَمِلَاتِ وِقْرًا ؟ قال : السحاب . قال ما الْجَرِيَاتِ يُسْرًا ؟ قال : السفن . قال : ما الْمُقَسّمَاتِ أَمْرًا ؟ قال : الملائكة . قال : يا أمير المؤمنين ؛ وجدتُ كتاب الله ينقض بعضه بعضاً .

قال الإمام : ثَكِلَتْكَ أُمّكَ يَابْنَ الكَوّاء ، كِتَابُ اللَّهِ يُصَدّقُ بَعْضُهُ بَعْضَاً وَلَا يَنْقُضُ بَعْضُهُ بَعْضَاً ، فَسَلْ عَمّا بَدَا لَكَ .

قال : يا أمير المؤمنين ؛ سمعته يقول : رَبّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . [٦٣] وقال في آية أُخرى : رَبّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبّ الْمَغْرِبَيْنِ . [٦٤] وقال في آية أُخرى : رَبّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . [٦٥]

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام: ثكلتك أُمّك يا ابن الكوّاء ، هذا المشرق وهذا المغرب . وأمّا قوله : «ربّ المشرقين وربّ المغربين» فإنّ مشرق الشتاء على حدّة ، ومشرق الصيف على حدة . أما تعرف بذلك من قُرب الشمس وبُعدها ؟ وأمّا قوله : «ربّ المشارق والمغارب» فإنّ لها ثلاثمائة وستّين برجاً تطلع كلّ يوم من برج وتغيب في آخر ، فلا تعود إليه إلّا من قابلٍ في ذلك اليوم .

قال : يا أمير المؤمنين ! كم بين موضع قدمك إلى عرش ربّك ؟ قال : ثكلتك أُمّك يا ابن الكوّاء ! سل متعلّماً ، ولا تسأل متعنّتاً . من موضع قدمي إلى عرش ربّي أن يقول قائل ــ مخلصاً ــ : لَا إِلَهَ إِلّا اللَهُ . قال : يا أمير المؤمنين ! فما ثواب من قال : لا إله إلّا الله ؟ قال : من قال : لا إله إلّا الله مخلصاً طمست ذنوبه ، كما يطمس الحرف الأسود من الرقّ الأبيض . فإن قال ثانية : لا إله إلّا الله ــ مخلصاً ــ خُرقت أبواب السماوات وصفوف الملائكة ، حتّى يقول الملائكة بعضها لبعض : اخشعوا لعظمة الله . فإذا قال ثالثة : لا إله إلّا الله ــ مخلصاً ــ تنته دون العرش ، فيقول الجليل : اسكني فوعزّتي وجلالي لأغفرنّ لقائلك بما كان فيه . ثمّ تلا الإمام هذه الآية : إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطّيّبُ وَالْعَمَلُ الصّلِحُ يَرْفَعُهُ . [٦٦] يعني : إذا كان عمله صالحاً ، ارتفع قوله وكلامه .

قال : يا أمير المؤمنين ! اخبرنيّ عن قوس قزح . قال : ثَكِلَتْكَ أُمّكَ ! لا تقل : قوس قزح ، فإنّ قزحاً اسم شيطان ، ولكن قل : قوس الله إذَا بَدَتْ يَبْدُو الخَصْبُ وَالرّيفُ .

(يواصل ابن الكوّاء أسئلته هنا ، فيسأل عن المجرّة ، وعن المحو الذي يكون في القمر ، وعن أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله كأبي ذرّ الغفاريّ ، وسلمان الفارسيّ ، وحُذيفة بن اليمان ، وعمّار بن ياسر ، وعن الإمام نفسه ، ويسمع منه جواباً كافياً ووافياً) .

ثمّ قال : يا أمير المؤمنين ! أخبرني عن قول الله عزّ وجلّ : قُلْ هَلْ نُنَبّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَلًا الّذِينَ ضَلّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوةِ الدّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنعًا . [٦٧]

قال : كفرة أهل الكتاب ، اليهود والنصارى ، وقد كانوا على الحقّ فابتدعوا في أديانهم ، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعاً .

ثمّ نزل عن المنبر ، وضرب بيده على منكب ابن الكوّاء ، ثمّ قال : يا ابن الكوّاء ؛ وما أهل النهروان منهم ببعيد . فقال : يا أمير المؤمنين ! ما أريدُ غيرك ، ولا أسأل سواك . قال الأصبغ بن نُباتة : فرأينا ابن الكوّاء يوم النهروان . فقيل له : ثكلتك أُمّك ، بالأمس تسأل أمير المؤمنين عمّا سألته ، وأنت اليوم تقاتله ، فرأينا رجلاً حمل عليه فطعنه فقتله . [٦٨]

وروى الشيخ الطبرسيّ عن الإمام الصادق عليه السلام ، عن آبائه عليهم السلام أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان ذات يوم جالساً في الرحبة ، والناس حوله مجتمعون ، فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! أنت بالمكان الذي أنزلك الله به ، وأبوك معذّب في النار ؟

فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : مَه ؛ فضّ الله فاك ، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً لو شفع أبي في كلّ مذنب على وجه الأرض ، لشفعه الله فيهم . أبي معذّب في النار وابنه قسيم الجنّة والنار ؟! والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً ، إنّ نور أبي يوم القيامة ليطفئ أنوار الخلائق كلّهم إلّا خمسة أنوار : نور محمّد صلّى الله عليه وآله ، ونوري ، ونور الحسن ،

ونور الحسين ، ونور تسعة من ولد الحسين ، فإنّ نوره من نورنا ، خلقه الله تعالى قبل أن يخلق آدم عليه السلام بألفي عام . (٦٩)

وذكر ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» أنّ عبد الرحمن بن أُذينةَ الغَنَويّ روى عن أبيه أُذَيْنة بن مُسْلَمة أنّه قال : ذهبت عند عمر بن الخطّاب وقلت : من أين أعتمر ؟ قال : امض إلى عليّ واسأله ... ثمّ ساق الحديث ، وفيه أنّ عمر قال له : مَا أَجِدُ لَكَ إلّا مَا قَالَ عَلِيّ . (٧٠)

وفي «الاستيعاب» أيضاً بسنده المتّصل عن سعيد بن المسيّب أنّه قال : مَا قَالَ أَحَدٌ مِنَ النّاسِ يَقُولُ : سَلُونِي غَيْرُ عَلِيّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَهُ تَعَالَى عَنْهُ . (٧١)

وذكر ابن عساكر في «تاريخ دمشق» روايتين بسنده المتّصل عن ابن شِبرَمَة أنّه قال : مَا كَانَ أَحَدٌ عَلَى المِنْبَرِ يَقُولُ : سَلُونِي عَنْ مَا بَيْنَ اللّوْحَيْنِ إلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . (٧٢)

وكذلك رواية عن سعيد بن المسيّب بهذا المضمون ، (٧٣) ورواية عن عمير بن عبد الله أنّه قال : خَطَبَنَا عَلِيّ (بْنُ أَبِي طَالِبٍ) عَلَى مِنْبَرِ الكُوفَةِ فَقَالَ : أَيّهَا النّاسُ ! سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَبَيْنَ الجَنْبَينِ مِنّي عِلْمٌ جَمّ . (٧٤)

وذكر أيضاً رواية بسنده المتّصل عن خالد بن عرعرة قال : أتيتُ الرحبة فإذا أنا بنفر جلوس قريب من ثلاثين أو أربعين رجلاً ، فقعدتُ فيهم ، فخرج علينا عليّ ، فما رأيته أنكر أحداً من القوم غيري ، فقال : أَلَا رَجُلٌ يَسْأَلُني فَيَنْتَفِعَ وَيَنْفَعَ نَفْسَهُ ؟ (٧٥)

وروى محبّ الدين الطبريّ عن أبي الطفيل أنّه قال : كنتُ عند عليّ وهو يقول : سَلُونِي ، فَوَاللَهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيءٍ إلّا أَخْبَرْتُكُمْ . وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَهِ ، فَوَاللَهِ مَا مِنْ آيَةٍ إلّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ أَمْ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ . (٧٦) (أخرجه أبو عمر) .

ورواه ابن حَجَر العَسْقَلَانيّ عن وهب بن عبد الله ، عن أبي الطفيل بهذا اللفظ : كَانَ عَلِيّ يَقُولُ : سَلُونِي ، سَلُونِي ، سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَهِ تعَالَى فَوَاللَهِ مَا مِنْ آيَةٍ إلّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَنَزَلَتْ بِلَيْلٍ أَوْ نَهَارٍ . (٧٧)

عن عبد العزيز الجَلوديّ في كتاب «الخطب» قال : خطب أمير المؤمنين عليه السلام فقال : سَلُونِي فَإنّي لَا أُسْأَلُ عَنْ شَيءٍ دُونَ العَرْشِ إلّا أَجَبْتُ فِيهِ لَا يَقُولُهَا بَعْدِي إلّا جَاهِلٌ مُدّعٍ أَوْ كَذّابٌ مُفْتَرٍ . فقام رجل من جانب مجلسه ، وفي عنقه كتاب كأنّه مصحف . وهو رجل آدم ضرب ، أي : خفيف اللحم ، طُوال ، جعد الشعر كأنّه من مهوّدة العرب فقال رافعاً صوته : أَيّهَا المُدّعِي مَا لَا يَعْلَمُ ، وَالمُقَلّدُ مَا لَا يَفْهَمُ ، أَنَا السّائِلُ فَأَجِبْ .

فوثب إليه أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام وشيعته من كلّ ناحية فهمّوا به ، فنهرهم عليّ عليه السلام فقال لهم : دَعُوهُ وَلَا تَعْجَلُوهُ فَإنّ الطّيْشَ لَا يَقُومُ بِهِ حُجَجُ اللَهِ وَلَا بِهِ تَظْهَرُ بَرَاهِينُ اللَهِ .

ثمّ التفت إلى الرجل وقال : سَلْ بِكُلّ لِسَانِكَ وَمَا فِي جَوَانِحِكَ فَإنّي أُجِيبُكَ . ثمّ سأله الرجل عن مسائل فأجابه أمير المؤمنين عليه السلام ، فحرّك الرجل رأسه وقال : أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلّا اللَهُ ، وَأَنّ مُحَمّداً رَسُولُ اللَهِ . (٧٨)

ونقرأ في «نهج البلاغة» خطبة لأمير المؤمنين عليه السلام قال في آخرها : إنّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لَا يَحْمِلُهُ إِلّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ . أَيّهَا النّاسُ ! سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلأَنَا بِطُرُقِ السّمَاءِ أَعْلَمُ مِنّي بِطُرُقِ الأَرْضِ ، (أنا بعالم الملكوت والأنوار والمجرّدات وطرق الصلاح وطيّ الطريق إلى لقاء الله أعلم منّي بعالم الملك والمادّة والطبع وكيفيّة جمع الأموال وغير ذلك) قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ (بحيث لا يمكن دفعها) تَطَأُ فِي خِطَامِهَا ، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا . (٧٩)

قال ابن أبي الحديد في شرحه حول كلام الإمام : إنّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَحْتَمِلُهُ إِلّا عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَهُ تَعَالَى قَلْبَهُ لِلْإِيْمَانِ : هذه من ألفاظ القرآن العزيز . قال تعالى : أُولَئِكَ الّذِينَ امْتَحَنَ اللَهُ قُلُوبَهُمْ لِلتّقْوَى . (٨٠)

وقال بعد شرح مختصر : وهذه الكلمة قد قالها أمير المؤمنين عليه السلام مراراً ، ووقفتُ في بعض الكتب على خطبته من جملتها :

إنّ قُرَيْشاً طَلَبَتِ السّعَادَةَ فَشَقِيَتْ ، وَطَلَبَتِ النّجَاةَ فَهَلَكَتْ ، وَطَلَبَتِ الهُدَى فَضَلّتْ . أَلَمْ يَسْمَعُوا ــ وَيْحَهُمْ ــ قَوْلَهُ تَعَالَى : «وَالّذِينَ ءَامَنُوا وَاتّبَعَتْهُمْ ذُرّيّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحِقْنَا بِهِمْ ذُرّيّتَهُمْ» (٨١) (أي : نلحق بهم ذرّيّتهم ونجعلهم في درجتهم ، مع أنّ أعمالهم على حالها) . فَأَيْنَ المَعْدِلُ وَالمَنْزَعُ عَنْ ذُرّيّةِ الرّسُولِ الّذِينَ شَيّدَ اللَهُ بُنْيَانَهُمْ فَوْقَ بُنْيَانِهِمْ ، وَأَعْلَى رُؤُوسَهُمْ فَوقَ رُؤُوسِهِمْ ، وَاخْتَارَهُمْ عَلَيْهِمْ ؟

أَلَا إنّ الذّرّيّةَ أَفْنَانٌ أَنَا شَجَرَتُهَا ، وَدَوْحَةٌ أَنَا سَاقُهَا ، وَإِنّي مِنْ أَحْمَدَ بِمَنْزِلَةِ الضّوْءِ مِنَ الضّوْءِ . كُنّا ظِلَالاً تَحْتَ العَرْشِ قَبْلَ خَلْقِ البَشَرِ ، وَقَبْلَ خَلْقِ الطّينَةِ الّتِي كَانَ مِنْهَا البَشَرُ أَشْبَاحاً عَالِيَةً ، لَا أَجْسَاماً نَامِيَةً .

إنّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ لَا يَعْرِفُ كُنْهَهُ إِلّا ثَلَاثَةٌ : مَلَكٌ مُقَرّبٌ أَوْ نَبِيّ مُرْسَلٌ أَوْ عَبْدٌ امْتَحَنَ اللَهُ قَلْبَهُ لِلإِيمَانِ . فَإِذَا انْكَشَفَ لَكُمْ سِرّ ، أَوْ وَضَحَ لَكُمْ أَمْرٌ فَاقْبَلُوهُ وَإِلّا فَاسْكُتُوا تَسْلَمُوا ، وَرُدّوا عِلْمَنَا إِلَى اللَهِ فَإِنّكُمْ فِي أَوْسَعِ مِمّا بَيْنَ السّمَاءِ وَالأَرْضِ .

وقال في كلام الإمام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي : أجمع الناس كلّهم على أنّه لم يقل أحد من الصحابة ولا أحد من العلماء : سلوني ، غير عليّ بن أبي طالب عليه السلام .

ذكر ذلك ابن عبد البرّ المحدّث في كتاب «الاستيعاب» . وقال : المراد من قوله : فَلَأَنَا أَعْلَمُ بِطُرُقِ السّمَاءِ مِنّي بِطُرُقِ الأَرْضِ ، ما اختصّ به من العلم بمستقبل الأُمور ، ولا سيّما في الملاحم والدول . وقد صدّق هذا القول عنه ما تواتر عنه من الإخبار بالغيوب

المتكرّرة لا مرّة ولا مائة مرّة حتّى زال الشكّ والريب في أنّه إخبار عن علم ، وأنّه ليس على طريق الاتّفاق . وقد ذكرنا كثيراً من ذلك فيما تقدّم من هذا الكتاب .

وقد تأوّله قوم على وجه آخر قالوا : أراد : أنا بالأحكام الشرعيّة والفتاوى الفقهيّة أعلم منّي بالأُمور الدنيويّة ، فعبّر عن تلك بطرق السماء لأنّها أحكام إلهيّة ، وعبّر عن هذه بطرق الأرض لأنّها من الأُمور الأرضيّة . والأوّل أظهر ، لأنّ فحوى الكلام وأوّله يدلّ على أنّه المراد .

ثمّ نقل ابن أبي الحديد هنا حكاية لطيفة وظريفة عن بعض وعّاظ بغداد في زمان الناصر لدين الله : أبي العبّاس أحمد بن المستضيء بالله ، جاء فيها أنّ الواعظ المذكور زعم أشياء على المنبر ، فتصدّى له رجل من شيعة بغداد واسمه أحمد بن عبد العزيز الكزّيّ ، وكان عارفاً بالعلم ففضحه . وختم ابن أبي الحديد موضوعه بذكر هذه القضيّة . (٨٢)

ونقل ابن أبي الحديد عن القاضي عبد الجبّار ، في سياق عرضه الطعن الأوّل من مطاعن عمر التي دحضها القاضي عبد الجبّار في كتاب «المغني» ، وأثبتها الشريف المرتضى في كتاب «الشافي» عند تفنيده ردود القاضي ، نقل عنه أنّه كان يقرّ بحديث : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، وحديث إنّ هَا هُنَا عِلْماً جَمّاً ، وحديث لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ لَحَكَمْتُ بَيْنَ أَهْلِ التّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الإِنْجِيلِ بِإِنجِيلِهِمْ وَبَيْنَ أَهْلِ الزّبُورِ بِزَبُورِهِمْ وَبَيْنَ أَهْلِ القُرآنِ بِقُرْآنِهِمْ ، وحديث كُنْتُ إِذَا سَأَلْتُ أُجِبْتُ ، وَإِذَا سَكَتّ ابْتُدِيتُ ، وقد ذكرها وعدّها من مسلّمات التأريخ والحديث . (٨٣)

أجل ، أراد كثير من الأشخاص بعد أمير المؤمنين عليه السلام أن يتشدّقوا بقولهم : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، وَسَلُوا عَمّا شِئْتُمْ ، ونظائرهما ، لكنّهم أفحموا وأُدينوا .

فقد روى الزمخشريّ في «الكشّاف» عن قتادة أنّه لمّا دخل الكوفة ، التفّ عليه الناس ، فقال : سَلُوا عَمّا شِئْتُمْ . فقال أبو حنيفة وكان شابّاً : سلوه عن النملة التي كلّمت سليمان أذكراً كانت أم أُنثى ؟ فسألوه ، فأُفحم .

فقال أبو حنيفة : كانت أُنثى . فقيل : كيف لك ذلك ؟ قال : لأنّ الله عزّ وجلّ قال : قَالَتْ نَمْلَةٌ ، ولو كانت ذكراً لقال : قَالَ نَمْلَةٌ . قال أحمد : لا أدري العجب منه أم من أبي حنيفة أن يثبت ذلك عنه ، وذلك أنّ النملة كالحمامة والشاة تقع على الذكر وعلى الأُنثى ، لأنّه اسم جنس . يقال : نملة ذكر ، ونملة أُنثى كما يقولون : حَمَامَةٌ ذَكَرٌ ، وَحَمَامَةٌ أُنثَى ، وَهُوَ وَهِيَ . (٨٤)

ونقل المجلسيّ رضوان الله عليه في «بحار الأنوار» عن ابن الحاجب في بعض تصانيفه أنّه قال : إنّ تأنيث مثل الشاة والحمامة والنملة من الحيوانات تأنيث لفظيّ . ولذلك كان قول من زعم أنّ النملة في قوله تعالى : قَالَتْ نَمْلَةٌ أُنثى لورود تاء التأنيث في «قالت»

وهما الجوازان ، يكون مذكّراً في الحقيقة ، وورود تاء التأنيث كورودها في فعل المؤنّث اللفظيّ . ولذا قيل : إِفْحَامُ قَتَادَةَ خَيْرٌ مِنْ جَوَابِ أَبِي حَنِيفَةَ . ثمّ قال المجلسيّ : هذا (كلام ابن الحاجب) هو الحقّ ، وقد ارتضاه الرضيّ رضي الله عنه وغيره . والحمد للّه الذي فضح من أراد أن يدّعي رتبة أمير المؤمنين عليه السلام بهذه البضاعة من العلم ، هذا الناصبيّ الآخر الذي أراد أعوانه إثبات علوّ شأنه بأنّه تكلّم في بدو شبابه بمثل ذلك (سلوني) . [٨٥]

ونقل المجلسيّ رحمه الله عن كتاب «الصراط المستقيم» للبياضيّ العامليّ ، وغيره من الكتب أنّ ابن الجوزيّ قال يوماً على المنبر : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي . فسألته امرأة عمّا روي أنّ عليّاً عليه السلام سار من المدينة إلى المدائن في ليلة فجهز سلمان وكفّنه ودفنه ورجع ، فقال : رُوي ذلك . قالت : فعثمان ثَمّ ثلاثة أيّام منبوذاً في المزابل ، وعليّ عليه السلام حاضر . قال : نعم .

قالت : فقد لزم الخطأ لأحدهما (إمّا عليّ بن أبي طالب أو عثمان) . فقال : إن كنتِ خرجتِ من بيتك بغير إذن زوجكِ فعليكِ لعنة الله ، وإلّا فَعَلَيْهِ . فقالت : خرجت عائشة إلى حرب عليّ عليه السلام بإذن النبيّ صلّى الله عليه وآله أو لا ؟ [٨٦] فانقطع ولم يحر جواباً . [٨٧]

ونقل العلّامة الأمينيّ رحمة الله عليه خطبة عن عمر في الجابية قال فيها : من أراد أن يسأل عن القرآن ، فليأت أُبيّ بن كعب . ومن أراد أن يسأل عن الحلال والحرام ، فليأت معاذ بن جبل . ومن أراد أن يسأل عن الفرائض ، فليأت زيد بن ثابت . ومن أراد أن يسأل عن المال ، فليأتني فإنّي له خازن . وفي لفظ : فإنّ الله تعالى جعلني خازناً وقاسماً . ثمّ نقل سند هذا الحديث بنحو مفصّل من ثلاثة طرق . وذكر كتب علماء العامّة التي أوردته ك «سنن البيهقيّ» و«مستدرك الحاكم» و«العقد الفريد» ، وغيرها . وقال بعد ذلك :

في هذه الخطبة الثابتة المرويّة عن الخليفة بطرق صحيحة كلّ رجالها ثقات ، وصحّحها الحاكم ، والذهبيّ اعترف بأنّ المنتهى إليه في العلوم الثلاثة أُولئك النفر المذكورين فحسب ، وليس للخليفة إلّا أنّه خازن مال الله . وهل ترى من المعقول أن يكون خليفة رسول الله صلّى الله عليه وآله على أُمّته في شرعه ودينه وكتابه وسنّته وفرائضه فاقداً لهاتيك العلوم ؟ ويكون مرجعه فيها لفيفاً من الناس كما تُنبئ عنه سيرته ؟

فعلامَ هذه الخلافة ؟ وهل تستقرّ بمجرّد الأمانة ؟ وليست بعزيزة في أُمّة محمّد صلّى الله عليه وآله وما وجه الاختصاص به ! نعم ، وقع النصّ عليه ممّن سبقه في الخلافة على غير طريقة القوم في الخليفة الأوّل .

وشتّان بين هذا القائل ، وبين من لم يزل يعرض نفسه لعويصات المسائل ومشكلات العلوم ، فيحلّها عند السؤال عنها من فوره ، ويرفع عقيرته على صهوات المنابر بقوله سلام الله عليه : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ لَا تَسْأَلُونِي ، ولَنْ تَسْأَلُوا بَعْدِي مِثْلِي . (٨٨)

وقوله عليه السلام : لَا تَسْأَلُونِي عَنْ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَهِ تَعَالَى ولَا سُنّةٍ عَنْ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ إلّا أَنْبَأْتُكُمْ بِذَلِكَ . (٨٩)

وقوله عليه السلام : سَلُونِي ، وَاللَهِ لَا تسأَلُونِي عَنْ شَيءٍ يَكُونُ إلَى يَوْمِ القِيَامَةِ إلّا أَخْبَرْتُكُمْ ، وَسَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَهِ ، فَوَاللَهِ مَا مِنْ آيَةٍ إلّا وَأَنَا أَعْلَمُ أَبِلَيْلٍ نَزَلَتْ أَمْ بِنَهَارٍ فِي سَهْلٍ أَمْ فِي جَبَلٍ . (٩٠) وقوله عليه السلام : أَلَا رَجُلٌ يَسْأَلُ فَيَنْتَفِعَ وَيَنْفَعَ جُلَسَاءَهُ ؟ (٩١)

وقوله عليه السلام : وَاللَهِ مَا نَزَلَتْ آيَةٌ إلّا وَقَدْ عَلِمْتُ فِيمَ أُنْزِلَتْ ، وَأَيْنَ أُنْزِلَتْ ، إنّ رَبّي وَهَبَ لِي قَلْبَاً عَقُولَاً ، ولِسَاناً سُؤُولاً . (٩٢)

وقوله عليه السلام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، سَلُونِي عَنْ كِتَابِ اللَهِ ، وَمَا مِنْ آيَةٍ إلّا وَأَنَا أَعْلَمُ حَيْثُ أُنْزِلَتْ بِحَضِيضِ جَبَلٍ أَوْ سَهْلِ أَرْضٍ . وَسَلُونِي عَنِ الفِتَنِ ، فَمَا مِنْ فِتْنَةٍ إلّا وَقَدْ عَلِمْتُ مَنْ كَسَبَهَا وَمَنْ يُقْتَلُ فِيهَا . (٩٣)

وقوله عليه السلام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَإنّمَا بَيْنَ الجَوَانِحِ مِنّي عِلْمٌ جَمّ . هَذَا سَفَطُ العِلْمِ ، هَذَا لُعَابُ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، هَذَا مَا زَقّنِي رَسُولُ اللَهِ زَقّاً زَقّاً . فَوَاللَهِ لَوْ ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا ، لَأَفْتَيْتُ أَهْلَ التّوْرَاةِ بِتَوْرَاتِهِمْ ، وَأَهْلَ الإنْجِيلِ بِإنْجِيلِهِمْ ، حَتّى يُنْطِقَ اللَهُ التّوْرَاةَ وَالإنْجِيلَ فَيَقُولَانِ : صَدَقَ عَلِيّ قَدْ أَفْتَاكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَهُ فِيّ وَأَنْتُمْ تَتْلُونَ الكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ؟

قال أمير المؤمنين عليه السلام هذا الكلام وهو على منبر الكوفة ، وعليه مدرعة رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ، وهو متقلّد بسيفه ، ومتعمّم بعمامته صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فجلس على المنبر ، وكشف عن بطنه ، وأشار إلى العلم المذخور فيها .

وقال سعيد بن المسيّب : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَ الصّحَابَةِ يَقُولُ : سَلُونِي إلّا عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ . (٩٤) وكَانَ إذَا سُئِلَ عَنْ مَسْأَلَةٍ يَكُونُ فِيهَا كَالسّكّةِ المُحْمَاةِ وَيَقُولُ : (٩٥)

إذَا المُشْكِلَاتُ تَصَدّيْنَ لِي
كَشَفْتُ حَقَائِقَهَا بِالنّظَرْ
فَإنْ بَرِقَتْ فِي مَخِيلِ الصّوَا
بِ عَمْيَاءُ لَا يَجْتَلِيهَا البَصَرْ
مُقَنّعَةً بِغُيُوبِ الأُمُورِ
وَضَعْتُ عَلَيْهَا صَحِيحَ الفِكَرْ
لِسَاناً كَشِقْشِقَةِ الأَرْحَبِيّ
أَوْ كَالحُسَامِ اليَمَانِيّ الذّكَرْ

وَقَلْباً إِذَا اسْتَنْطَقَتْهُ الفُنُو
نُ أَبَرّ عَلَيْهَا بِوَاهٍ دُرَرْ
وَلَسْتُ بِإِمّعَةٍ [٩٦] فِي الرّجَا
لِ يُسَائِلُ هَذَا وَذَا مَا الخَبَرْ
وَلَكِنّنِي مِذْرَبُ الأَصْغَرِينِ
أُبِينُ مَعَ مَا مَضَى ، مَا غَبَرْ [٩٧]

لفت نظر

لم أر في التأريخ قبل مولانا أمير المؤمنين عليه السلام من عرض نفسه لمعضلات المسائل وكراديس الأسئلة ، ورفع عقيرته بجأشٍ رابط بين الملأ العلمي بقوله : سَلُونِي ، إلّا صنوه النبيّ الأعظم صلّى الله عليه وآله وسلّم ، فإنّه كان يكثر من قوله : سَلُونِي عَمّا شِئْتُمْ . وقوله : سَلُونِي ، سَلُونِي . وقوله : سَلُونِي ، وَلَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيءٍ إلّا أَنْبَأْتُكُمْ بِهِ . [٩٨] فكما ورث أمير المؤمنين عليه السلام علمه صلّى الله عليه وآله وسلّم ورث مكرمته هذه وغيرها ، وهما صنوان في المكارم كلّها . وما تفوّه بهذا المقال أحد بعد أمير المؤمنين عليه السلام إلّا وقد فضح ووقع في ربيكة ، وأماط بيده الستر عن جهله المطبق ، نظير :

١ ــ إبراهيم بن هشام بن إسماعيل بن هشام بن الوليد بن المغيرة المخزوميّ القرشيّ والي مكّة والمدينة والموسم لهشام بن عبد الملك . حجّ بالناس سنة ١٠٧ ، وخطب بمنى ، ثمّ قال : سَلُونِي ، فَأَنَا ابْنُ الوَحِيدِ ، لَا تَسْأَلُوا أَحَدَاً أَعْلَمُ مِنّي . فقام إليه رجل من أهل العراق ، فسأله عن الأُضْحِيّةِ أواجبة هي ؟ فما درى أيّ شيء يقول له ، فنزل عن المنبر . [٩٩]

٢ ــ مقاتل بن سليمان . قاتل إبراهيم الحربيّ : قعد مقاتل بن سليمان فقال : سَلُونِي عَمّا دُونَ العَرْشِ إِلَى لَوَيَانَا . [١٠٠] فقال له رجل : آدم حين حجّ ، مَن حلق رأسه ؟ فقال له : ليس هذا من عملكم ، ولكنّ الله أراد أن يبتليني بما أعجبتني نفسي . [١٠١]

٣ ــ قال سُفيان بن عُيينة : قال مقاتل بن سليمان يوماً : سَلُونِي عَمّا دُونَ العَرْشِ . فقال له إنسان : يا أبا الحسن ! أرايتَ الذرّة أو النملة (الذرّة : النملة الصغيرة) أمعاؤها في مقدّمها أو مؤخّرها ؟ فبقي الشيخ لا يدري ما يقول له . قال سفيان : فظننت أنّها عقوبة عوقب بها .

٤ ــ قال موسى بن هارون الحمّال : بلغني أنّ قتادة قدم الكوفة فجلس في مجلسٍ له ، وقال : سَلُونِي عَنْ سُنَنِ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ حَتّى أُجِيبَكُمْ . فقال جماعة لأبي حنيفة : قم إليه فسله . فقام إليه ، فقال : ما تقول يا أبا الخطّاب في رجل غاب عن أهله ،

فتزوّجت امرأته ، ثمّ قدم زوجها الأوّل فدخل عليها وقال : يا زانية ، تزوّجتِ وأنا حيّ ؟ ثمّ دخل زوجها الثاني ، فقال لها : تزوّجتِ يا زانية ولكِ زوج ؟ كيف اللعان ؟

فقال قتادة : قد وقع هذا ؟

فقال له أبو حنيفة : وإن لم يقع ، نستعدّ له .

فقال له قتادة : لا أُجيبكم في شيءٍ من هذا ، سلوني عن القرآن .

فقال له أبو حنيفة : ما تقول في قوله عزّ وجلّ : «قَالَ الّذِى عِنْدَهُ عِلْمٌ مّنَ الْكِتَبِ أَنَا ءَاتِيكَ بِهِ» ، مَن هُوَ ؟

قال قتادة : هذا رجل من ولد عمّ سليمان بن داود كان يعرف اسم الله الأعظم .

فقال أبو حنيفة : أكان سليمان يعلم ذلك الاسم ؟

قال : لا .

قال أبو حنيفة : سبحان الله ، ويكون بحضرة نبي من الأنبياء من هو أعلم منه ؟

قال قتادة : لا أُجيبكم في شيء من التفسير ، سلوني عمّا اختلف الناس فيه .

فقال له أبو حنيفة : أمؤمن أنتَ ؟ قال قتادة : أرجو .

قال له أبو حنيفة : فهلّا قلت كما قال إبراهيم فيما حكى الله عنه حين قال له : أَوَلَمْ تُؤْمِنْ ؟ قَالَ : بَلَى ؟

قال قتادة : خذوا بيدي ، والله لا دخلتُ هذا البلد أبداً . (١٠٢)

٥ ــ حكاية سؤال أبي حنيفة قتادةَ عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أُنثى ، وقد مرّ ذكرها .

٦ ــ قال عبيد الله بن محمّد بن هارون : سمعتُ الشافعيّ : بمكّة يقول : سَلُونِي عَمّا شِئْتُمْ أُحَدّثْكُمْ مِنْ كِتَابِ اللَهِ وَسُنّةِ نَبِيّهِ . فقيل : يا أبا عبد الله ! ما تقول في محرم قتل زنبوراً ؟

قال : وَمَآ ءَاتَاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ . (١٠٣)

وروى المجلسيّ عن «جامع الأخبار» أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : جئتُكَ لأسأل عن أربع مسائل ، فقال عليه السلام : سل وإن كانت أربعين .

قَالَ أَخْبِرْنِي : مَا الصّعْبُ وَمَا الأَصْعَبُ ؟ وَمَا القَرِيبُ وَمَا الأَقْرَبُ ! وَمَا العَجَبُ وَمَا الأَعْجَبُ ؟ وَمَا الوَاجِبُ وَمَا الأَوْجَبُ ؟

فقال عليه السلام : الصعب المعصية ، والأصعب فوت ثوابها . والقريب كلّ ما هو آت ، والأقرب هو الموت . والعجب هو الدنيا ، وغفلتنا فيها أعجب ، والواجب هو التوبة ، وترك الذنوب هو الأوجب .

وقيل : جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام وقال : جئتك من سبعين فرسخاً لأسألك عن سبع كلمات . فقال : سل ما شئت . فقال الرجل : أَيّ شَيءٍ أَعْظَمُ مِنَ السّمَاءِ ؟

وَأَيّ شَيءٍ أَوْسَعُ مِنَ الأَرْضِ ؟ وَأَيّ شَيءٍ أَضْعَفُ مِنَ اليَتِيمِ ؟ وَأَيّ شَيءٍ أَحَرّ مِنَ النّارِ ؟ وَأَيّ شَيءٍ أَبْرَدُ مِنَ الزّمْهَرِيرِ ؟ وَأَيّ شَيءٍ أَغْنَى مِنَ البَحْرِ ؟ وَأَيّ شَيءٍ أَقْسَى مِنَ الحَجَرِ . (١٠٤)

فقال عليه السلام : البهتان على البريء أعظم من السماء . والحقّ أوسع من الأرض . ونمائم الوشاة أضعف من اليتيم . والحرص أحرّ من النار . وحاجتك إلى البخيل أبرد من الزمهرير . والبدن القانع أغنى من البحر . وقلب الكافر أقسى من الحجر .

قال في كتاب «الصراط المستقيم» : روى قاسم بن سلام عن أبي بكر أنّه قال على منبر المدينة : أَعِينُونِي وَقَوّمُونِي . (١٠٥) ومن المعلوم أنّ المحتاج إلى الرعيّة أحوج إلى الإمام . وأين ذلك من قول عليّ عليه السلام : سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ؟ أورده شارح «المصابيح» وغيره . (١٠٦)

وفي «الغدير» : أخرج الخطيب في رواة مالك ، والبيهقيّ في «شعب الإيمان» ، والقرطبيّ في تفسيره بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمر قال : تعلّم عمر سورة البقرة في اثنتي عشرة سنة ، فلمّا ختمها ، نحر جَزوراً . (١٠٧)

ونحن ذكرنا في الجزء الحادي عشر من كتابنا هذا : «معرفة الإمام» أنّ عمر كان لا يفهم معنى الكلالة . وقد راجع النبيّ الأكرم مراراً ولم يفهم حتّى قال له النبيّ صلّى الله عليه وآله : إنّي أَظُنّكَ تَمُوتُ قَبْلَ أَنْ تَعْلَمَ ذَلِكَ . ولمّا طلب من ابنته حفصة أن تسأله صلّى الله عليه وآله ، قال لها النبيّ : مَا أَرَى أَبَاكِ يَعْلَمُهَا . وقوله : مَا أَرَاهُ يُقِيمُهَا . (١٠٨)

وأورد العلّامة الأمينيّ في «الغدير» أيضاً أنّ مسلماً أخرج في صحيحه عن عبيد بن عمير أنّ أبا موسى (الأشعريّ) استأذن على عمر ثلاثاً ، فكأنّه وجده مشغولاً ، فرجع ، فقال عمر : ألم تسمع صوت عبد الله ابن قيس ؟ ائذنوا له . فدُعي به . فقال : ما حملك على ما صنعتَ ؟ قال : إنّا كنّا نؤمر بهذا (نؤمر بالاستئذان ، وإذا لم يؤذن لنا ، نرجع) قال عمر : لتقيمنّ على هذا بيّنة ، أو لأفعلنّ (وفي لفظ : فوالله لاوجعنّ ظهرك وبطنك . وفي لفظ الطحاويّ : والله لأضربنّ بطنك وظهرك ، أو لتأتينّي بمن يشهد لك) .

فخرج (أبو موسى) فانطلق إلى مجلس من الأنصار ، فقالوا : لا يشهد لك على هذا إلّا أصغرنا . فقام أبو سعيد (الخُدريّ) فقال (لعمر) : كنّا نؤمر بهذا . فقال عمر : خَفِيَ عَلَيّ هَذَا مِنْ أَمْرِ رَسُولِ اللَهِ صَلّى اللَهُ عَلَيهِ وَآلِهِ . أَلْهَانِي عَنه الصّفْقُ بِالأَسْوَاقِ . (١٠٩)

قال أمير المؤمنين عليه السلام في موضعين من «نهج البلاغة» : آل محمّد الذين ينبغي للناس أن يرجعوا إليهم هُمْ عَيْشُ العِلْمِ وَمَوْتُ الجَهْلِ . أي : هم حياة العلم ، وموت الجهل حقّاً وحقيقة ، وبكلّ ما للكلام من معنى . أمّا الموضع الأوّل ، فهو الخطبة (١٣٧) وفيها : هُمْ عَيْشُ العِلْمِ وَمَوْتُ الجَهْلِ إلى آخر الخطبة (١١٠) التي نذكرها في الهامش . وأمّا الثاني ، فهو الخطبة (١٤٥) التي قال في آخرها :

وَاعلَمُوا أَنّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا الرّشْدَ حَتّى تَعْرِفُوا الّذِي تَرَكَهُ ، ولَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ الكِتَابِ حَتّى تَعْرِفُوا الّذِي نَقَضَهُ ، ولَنْ تَمَسّكُوا بِهِ حَتّى تَعْرِفُوا الّذِي نَبَذَهُ . فَالْتَمِسُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدَ أَهْلِهِ ، فَإنّهُمْ عَيْشُ العِلْمِ وَمَوْتُ الجَهْلِ . هُمُ الّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ . لاَ يُخَالِفُونَ الدّينَ ولَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . (١١١)

سأل رجل ذات يوم متعجبّاً : كيف ناوأ حملة لواء الغصب ومدّعو الخلافة مثل هذا الرجل الذي مُلئ علماً وحكمة من قرنه إلى أخمص قدمه ؟

فأجابه عالم في المجلس من فوره أنّ هذا الأمر واضح وطبيعيّ جدّاً ، لأنّ الإمام عليه السلام نفسه قال : النّاسُ أعْدَاءُ مَا جَهِلُوا . (١١٢)

وعندما نجد الجهل بشقّيه المركّب والبسيط عند مخالفينا ، ونلاحظ العلم الوجدانيّ والحضوريّ والحصوليّ عند آل محمّد بنحو أتمّ وبكلّ ضروبه ، فإنّ عداء المخالفين قائم على أساس الحقد والضغن والحسد وحبّ الرئاسة ، إذ لا يتمكّنون من العلم ، ويصرّون على جهلهم . وقال أمير المؤمنين عليه السلام في الديوان المنسوب إليه :

لَا فَضْلَ إلّا لِأَهْلِ العِلْمِ إنّهُمُ
عَلَى الهُدَى لِمَن اِسْتَهْدَى أَدِلّاءُ
وَقِيمَةُ المَرْءِ مَا قَدْ كَانَ يُحْسِنُهُ
وَالجَاهِلُونَ لِأَهْلِ العِلْمِ أَعْدَاءُ
فَقُمْ بِعِلْمٍ وَلَا نَبْغِي لَهُ بَدَلًا
النّاسُ مَوْتَى وَأَهْلُ العِلْمِ أَحْيَاءُ (١١٣)

إنّ حبّ النفس ذاتيّ وغريزيّ . فإذا كان امرؤ عالماً ، فهو يحبّ ذاته وعلمه . ومن الطبيعيّ أنّه ينهض لتقويض أركان الجهل ، ويشدّ عُقَدَ مآزره لمكافحته ، إذ يمثّل أُمّ الفساد ، وينبوع الرذائل والآثام كلّها . أمّا إذا كان جاهلاً ، فهو أيضاً يحبّ ذاته وجهله ، ولمّا كان يرى نفسه محور الكمال ومركز الأصالة ، فإنّه يخال مخالفيه ناقصين حتّى لو كانوا في الدرجة العليا من العلم والدراية ، ويهبّ لقطع دابرهم ، ويرى وجودهم النورانيّ الطاهر دامساً وملوّثاً . (١١٤)

حَسَدُوا الفَتَى إذْ لَمْ يَنَالُوا فَضْلَهُ
فَالنّاسُ أَعْدَاءٌ لَهُ وَخُصُومُ
كَضَرَائِرِ الحَسْنَاءِ قُلْنَ لِوَجْهِهَا
حَسَدًا وَبُغْضاً إنّهُ لَدَمِيمُ
يَا سَائِلِي عَنْ عَلِيّ وَالّذِي فَعَلُوا
بِهِ مِنَ السُوءِ مَا قَالُوا وَمَا عَمِلُوا

لَمْ يَعْرِفُوهُ فَعَادُوهُ لِمَا جَهِلُوا
والنّاسُ كُلّهُمْ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا [١١٥]

إنّ معرفة الإمام أسمى مقام إنسانيّ في طريق الوصول إلى منزلة توحيد ذات الحقّ ، وهي سبيل السعادة الوحيد . أمّا عدم المعرفة ، فإنّها تؤدّي إلى الانطماس في غار النفس الأمّارة ، وطامورة الشيطان المظلمة ووساوسه ، ومن ثمّ الانتهاء إلى الشقاء .

اللهمّ بحقّ الصالحين والمتيّمين في سبيلك ، وبحقّ الطاهرين والمخلَصين في طريق معرفتك ولقاء ذاتك الأحديّة المقدّسة ، مُنّ علينا وعلى سائر طلّاب معرفة أسماء وصفات جمالك وجلالك وكمالك وأحديّتك بعرفان أُولئك العظماء ، أئمّة طريق السلام وسُبُل المعرفة بالأخصّ قِوام هذه الشجرة الطيّبة وجذرها أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والسلام .

هر سو كه دويديم همه سوى تو ديديم
هر جا كه رسيديم سر كوى تو ديديم
هر قبله كه بگزيد دل از بهر عبادت
آن قبله دل را خم ابروى تو ديديم
هر سرو روان راكه در اين گلشن دهر است
بر رسته به بستان و لب جوى تو ديديم
از باد صبا بوى خوشت دوش شنيديم
با باد صبا قافله بوى تو ديديم [١١٦]
روى همه خوبان جهان بهر تماشا
ديديم ولى آينه روى تو ديديم
در ديده شهلاى بتان همه عالم
كرديم نظر ، نرگس جادوى تو ديديم
تا مِهر رخت بر همه ذرّات بتابيد
ذرّات جهان را به تك و پوى تو ديديم
در ظاهر و باطن به مجاز و به حقيقت
خلق دو جهان را همه رو سوى تو ديديم
هر عاشق ديوانه كه در جملگى توست
بر پاى دلش سلسله موى تو ديديم
سر حلقه رندان خرابات مغان را
دل در شكن حلقه گيسوى تو ديديم
از مغربى أحوال مپرسيد كه ما را

سودا زده طرّه هندوى تو ديديم [١١٧]

اللهمّ بحقّ المصطفى محمّد ، والمرتضى عليّ ، والبتول فاطمة ، والسبطين الحسن والحسين ، وبحقّ زين العابدين عليّ ، والباقر محمّد ، والصادق جعفر ، والكاظم موسى ، والرضا عليّ ، والتقيّ محمّد ، والنقيّ عليّ ، والزكيّ العسكريّ الحسن ، وبحقّ المهديّ الهاديّ صاحب الزمان وخليفة الرحمن وقاطع البرهان وإمام الإنس والجانّ ، صلواتك عليهم أجمعين ، وفّقنا لما تُحبّ ويُرضيك ، وأَبْعِدْنا عمّا يُبغضك ويقليك ، واجعلنا من المؤمنين الموقنين ، بمحمّد نبيّك ، وبعليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين ، وبالأئمّة الطيّبين الطاهرين من ذرّيّته ، واجعلنا من الموقنين برجعتهم ، ومن المنتظرين لأمرهم ودولتهم . اللهمّ العن الذين بدّلوا دينك ، وسخروا بإمامك ، وغيّروا سنّتك وشريعتك . اللهمّ العن أعداء آل محمّد أجمعين من الآن إلى قيام يوم الدين .

للّه الحمد وله الشكر إذ تمّ هذا الجزء من كتاب «معرفة الإمام» وهو الجزء الثاني عشر من سلسلة العلوم والمعارف الإسلاميّة ، وذلك يوم العاشر من شهر جمادى الأُولى سنة ثمان وأربعمائة وألف من الهجرة قبل الغروب بساعة ونصف ، في مدينة مشهد المقدّسة الطيّبة ، على ثاويها آلاف الصلاة والسلام والتحيّة والإكرام بمحمّد وآله الطاهرين .

وأنا الفقير إلى رحمة ربّه السيّد محمّد الحسين الحسينيّ

الطهرانيّ عفا الله عنه وعن جرائمه وآثامه

الطهرانيّ عفا الله عنه وعن جرائمه وآثامه

تعليقات:

١) الآيات ٤٧ إلى ٤٩ ، من السورة ٢٩ : العنكبوت .

٢) قال المستشار عبد الحليم الجنديّ في كتاب «الإمام جعفر الصادق» ص ٢٨٨ : يقول الشافعيّ عن مكانة عليّ في علوم الإسلام : كان عليّ كرّم الله وجهه قد خُصّ بعلم القرآن والفقه ، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله دعا له . وأمره أن يقضي بين الناس . وكانت قضاياه ترفع إلى النبيّ صلّى الله عليه وآله فيُمضيها . ولقد آلى على نفسه بعد الفراغ من تجهيز رسول الله صلّى الله عليه وآله ألّا يرتدي إلّا للصلاة ، أو يجمع القرآن ــ كما أسلفنا ــ فجمعه مهتمّاً بأُمور أُصوليّة في الشريعة وفقهها تتعلّق بالمحكم والمتشابه ، أي : بما لا يحتمل الاجتهاد ، وما يحتمله ، وبالنصوص التي نُسخت والتي هي واجبة التطبيق ، وبالمطلق منها والذي يحتمل التخصيص ، والعزائم والرخص ، وبالفروض والمندوبات ، وفيها المحرم والمكروه ، وما هو تهذيب للأُمّة من فضائل وآداب .

وقال في الهامش : بهذا كان عليّ إمام المفسّرين . قال سعيد بن جُبير : قلتُ لابن عبّاس : ألِمَنْ قتل مؤمناً متعمّداً توبة ؟ قال : لا . فتلوتُ عليه الآية التي في «الفرقان» . قال : هذه مكّيّة ، نسختها آية مدنيّة : وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنّمَ خَالِدًا فِيهَا . ورووا أنّ ابن عبّاس ناظر عليّاً في الآية . فقال عليّ : من أين لك أنّها محكمة ؟ قال : تكاثف الوعيد . قال عليّ : إنّ الله نسخها بآيتين آية قبلها وآية بعدها في النظم . الأُولى : قوله تعالى : إِنّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَ لِكَ لِمَن يَشَآءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا . وأمّا التي بعدها في النظم ، فهي قوله تعالى : إِنّ اللّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكْ بِهِ وَمَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ ضَلّ ضَلَالًا مّبِينًا . والمفسّرون يضيفون إلى الآيات قوله تعالى : وَالّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النّفْسَ الّتِى حَرّمَ اللّهُ إِلّا بِالْحَقّ ــ إلى قوله تعالى : وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا . ثمّ استثنى بقوله : إِلّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا . [هنا] لكم صدق ابن عبّاس عندما سئل عن علمه وعلم ابن عمّه (عليّ) فقال : كالقطرة إلى جوار البحر المحيط .

٣) وعاء كالقُفّة أو الجوالق .

٤) قوله : لو ثُنِيَتْ لِيَ الوِسَادَةُ كناية عن تولّي شؤون الحكومة والإمامة . لأنّ الوسادة هي ما يُتّكأ عليها . وكانت تُثنى ــ عادةً ــ من وسطها للحكّام والأُمراء وتوضع لهم لكي يكون مسندهم أفضل . وثني الوسادة عطفها وطويها . فلهذا أراد الإمام من هذه العبارة أن يقول : أنا الآن لستُ متصدّراً للحكم ، ولو أُجلست في مسنده ، أي يسلّم الناس لأمري ، ويكون مسندي في الحكم وطيداً ، فإنّي أحكم بين أهل كلّ كتاب بكتابهم . ويبيّن الإمام

هنا سعة علمه وتمكّنه منه بدرجة عالية رفيعة لا تعلوها درجة ، ولا يُتَصَوّرُ حدّ أعلى منها .

٥) عدد هذه الأبيات خمسة . وهي في «ديوان الحميريّ» ص . ١٢٨ أُخرجت من «أعيان الشيعة» ، و«مناقب آل أبي طالب» . والبيتان الأوّل والثاني منها هما :

مُحَمّدٌ خَيْرُ بَنِي غَالِبِ
وَبَعْدَهُ ابْنِ أَبِي طَالِبِ
هَذَا نَبِيّ وَوَصِيّ لَهُ
وَيُعْزَلُ العَالَمُ فِي جَانِبِ

ثمّ ذكر الأبيات الثلاثة التي نقلناها عن «مناقب آل أبي طالب» لابن شهرآشوب بالألفاظ نفسها ما عدا البيت الأوّل ، إذ أوردناه : «معجب حاجب» بالحاء نقلاً عن «مناقب ...» وجاء في «ديوان الحميريّ» : «معجب عاجب» بالعين المهملة ، أي : إنّ الأحاديث الألف كلّها عجيبة وتثير الإعجاب .

٦) هذان البيتان ضمن أبيات مجموعها اثنا عشر بيتاً ، أُخرجت في «ديوان الحميريّ» ص ١٧٨ و١٧٩ ، من «أعيان الشيعة» . و أوّلها :

وارث السيف والعمامة والرا
ية مطويّة وذات القيود

٧) هذه الأبياتالأربعة في «ديوان الحميريّ» ص ٤٦٠ ، أُخرجت من «أعيان الشيعة» و«مناقب آل أبي طالب» .

٨) من هنا انطلق الشاعر الشيعيّ الناشئ الأكبر شاعر أهل البيت في أشعاره ، فوصف المنزلة العلميّة لأمير المؤمنين عليه السلام بنحولم يطقه الناس ، وكانوا يخشونه . قال :

بِآلِ محمّدٍ عُرف الصوابُ
وفي أبياتهم نزل الكتابُ
وهم حجج الإله على البرايا
بهم وبجدّهم لا يُستَرابُ
طعامُ سيوفهم مُهج الأعادي
وفيضُ دمِ الرقاب لها شرابُ
ولا سيّما أبا حسنٍ عليّاً
له في العلم مرتبة تُهابُ
إذا نادت صوارمُهُ نفوساً
فليس لها سوى نعمٍ جوابُ

ل وبين سنانه والدرع صُلحٌ
وبين البيض والبيض اصطحابُ
هو النبأ العظيم وفلك نوح
وباب الله وانقطع الخطابُ

بحث صاحب «نامه دانشوران ناصرى» (كتاب الحكماء الناصرى) ج ٥ ، ص ٤٠٥ إلى ٤٠٧ حول مُنشد هذه الأبيات ، وقال : نسبها المحدّث النيسابوريّ إلى العارف المشهور ابن الفارض المصريّ ، وعدّها دليلاً صريحاً على تشيّعه . وذهب سبهر القاسانيّ في «ناسخ التواريخ» ، وكذلك صاحب «كفاية الخصام» ــ وكتابه ترجمة لكتاب «غاية المرام» ــ إلى أنّها لعمرو بن العاص ، حتّى قال صاحب «كفاية الخصام» : نصّ الإمام الفخر الرازيّ على ذلك في تفسيره ، وذكرها أيضاً بعض المحدّثين كمهذّب الدين أحمد بن رضا في «تحفة الذخائر» إذ أوردها في جملة القصائد التي أُنشدت في يوم غدير خم ، ونسبها إلى عمرو بن العاص . وعندما نقل سبهر هذه الأبيات عن عمرو بن العاص في ذيل يوم الغدير ، أضاف إليها البيتين الآتيين قبل البيت الأخير :

عليّ الدّرّ والذهب المصفّى
وباقي الناس كلّهم ترابُ
هو البكّاء في المحراب ليلاً
هو الضحّاك إذا اشتدّ الضرابُ

ثمّ قال : ويستفاد من ترجمة الشاعر الشيعيّ عليّ بن عبد الله ــ الذي يقال له : الناشئ الأكبر ــ أنّها له . قال الناشئ : كنتُ أُملي شعري في جامع الكوفة سنة ثلاثمائة وخمس وعشرين من الهجرة ، والناس يكتبون . وكان أبو الطيّب المتنبّيّ حاضراً ، وهو لم يشتهر يومئذٍ ولم يعرف بلقب المتنبّيّ . وكنتُ ذات يوم أُملي القصيدة التي مطلعها :

بآل محمّد عُرفَ الصوابُ
وفي أبياتهم نزل الكتابُ

ولمّا بلغتُ البيتين الآتيين وهما في مدح أمير المؤمنين عليه السلام :

كأنّ سنان ذابله ضميرٌ
فليس عن القلوب له ذهابُ
وصارمه كبيعته بخُمّ
معاقده من القوم الرقابُ

رأيتُ أبا الطيّب المتنبّيّ قد كتبهما معاً واحتفظ بهما ، ليأتي بمضمونهما في أشعاره فيما بعد . أجَل ، إنّ مؤلّف «نامه دانشوران» يرى انتساب هذه الأبيات إلى الناشئ الأكبر أقرب من انتسابها إلى غيره لجهاتٍ ذكرها . إذ إنّ أُسلوبها وسياقها ومضمونها ونظمها

كلّ ذلك لا ينسجم مع أُسلوب الصدر الأوّل ، ولا مع أُسلوب شرف الدين عمر بن الفارض .

٩) في «أقرب الموارد» : نَزّ الأَرْضُ نَزّاً وَنَزِيزاً من باب ضرب : تَحَلّب مِنْها النّزّ . وفي «المصباح» : نَزّتِ الأَرْضُ نَزّاً من باب ضرب : كَثُرَ نَزّهَا . والنّزّ ــ بالفتح والكسر ، وهو أجود ــ : ما يتحلّب من الماء فارسيّ معرّب . وفي «المصباح» : تسمية بالمصدر ، ومنهم من يكسر النون ، ويجعله اسماً ، وهو النّدَى السائل .

١٠) أخرجها محبّ الدين الطبريّ في «ذخائر العقبى» ص ٨٣ عن أحمد في مناقبه ، والبغويّ في معجمه ، وعن أبي عمر .

١١) قسم من الآية ٨٩ ، من السورة ١٦ : النحل : وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِى كُلّ أُمّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مّن أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَآءِ وَنَزّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَبَ تِبْيَنًا لِكُلّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ .

١٢) نصف الآية ١٢ ، من السورة ٣٦ : يس : إِنّا نَحْنُ نُحْىِ الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدّمُوا وَءَاثَرَهُمْ وَكُلّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَهُ فِى إِمَامٍ مّبِينٍ .

١٣) بعض من الآية ٥٩ ، من السورة ٦ : الأنعام : وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبّةٍ فِى ظُلُمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلّا فِى كِتَبٍ مّبِينٍ .

١٤) بعض من الآية ٧ ، من السورة ٣ : آل عمران : هُوَ الّذِى أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَبَ مِنْهُ ءَايَتٌ مّحْكَمَتٌ هُنّ أُمّ الْكِتَبِ وَأُخَرُ مُتَشَبِهَتٌ فَأَمّا الّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَآءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلّا اللَهُ وَالرّ سِخُونَ فِى الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنّا بِهِ كُلّ مّنْ عِندِ رَبّنَا وَمَا يَذّكّرُ إِلّآ أُوْلُوا الْأَلْبَبِ .

١٥) المناقب» لابن شهرآشوب ، ج ١ ، ص ٢٦٣ إلى ٢٦٦ ، الطبعة الحجريّة .

١٦) قسم من الآية ٢٨ ، من السورة ٣٥ : فاطر : وَمِنَ النّاسِ وَالدّوَآبِ وَالأَنْعَمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَ نَهُ وَكَذَ لِكَ إِنّمَا يَخْشَى اللَهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَؤُا إِنّ اللَهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ .

١٧) المناقب» ج ١ ، ص ٢٥٨ ، الطبعة الحجريّة .

١٨) المناقب» ج ١ ، ص . ٢٦٤

١٩) روى الحمّوئيّ هذه الخطبة إلى هنا في «فرائد السمطين» ج ١ ، ص ٣٤٠ و٣٤١ بسنده المتّصل عن أبي البختريّ تحت الرقم ٢٦٣ ، وعبارتها الأخيرة هي قوله : وَ أَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَبَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ [قوله تعالى] وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مّنْهُ . ورواها الخوارزميّ في مناقبه ، ص ٤٧ ، في باب غزارة علمه ، طبعة النجف ، بسنده المتّصل عن أبي البختريّ أيضاً ، إلى قوله : أَفَلَا تَعْقِلُونَ .

٢٠) الآية ٣٩ ، من السورة ١٣ : الرعد .

٢١) يريد الإمام عليه السلام من هذه العبارات نفي الصفات عن الذات الأحديّة تعالى وتقدّس . ومعنى ذلك أنّ كلّ صفة لها حدّ ومفهوم معيّن تتميّز بهما عن سائر الصفات . فالعلم غير القدرة ، والقدرة غير الحياة . وهذه الغيريّة ناتجة عن مفهوم هذه الأشياء ، وهذا المفهوم محدود . ولمّا لم يجد الحدّ طريقه إلى الذات الأحديّة المقدّسة فلهذا فإنّ ما كان في الذات متّحداً بها هو حقيقة العلم والقدرة والحياة بدون عنوانها . والعناوين محدودة وفي مرتبة أوطأ من الذات . وعلى هذا الأساس ، قال الإمام : «الله لطيف اللطافة ولا يوصف باللطف» ، أي : أنّ اللطافة صفة ، ويمكن أن يقال للشيء : لطيف في مقابل غير اللطيف ، «والله لطيف اللطافة» ، أي : بالنسبة إلى مفهوم اللطافة لطيف بنحو مطلق ، أي : أعلى من مفهوم اللطيف ، وبالسنبة إلى مصاديقها لطيف ، أي : موجدها . وفي ضوء ذلك ، لن يوصف باللطافة بحدود مفهوم اللطافة وقيودها . وهكذا بالنسبة إلى سائر الصفات . مثلاً ، العظمة صفة ، ويقال للشيء : عظيم إذا كان في مقابله شيء صغير ، أمّا الله ، فهو غير عظيم بالنسبة إلى شيء صغير ، بل هو عظيم بالنسبة إلى مفهوم العظمة ، أي : أعلى من مفهوم العظمة ووصفها . فهو عظيمالعظمة ، ولا ينبغي أن تطلق عليه صفة العظيم . وفي مصاديق العظمة ، الله موجد جميع المصاديق ، فهو خالق العظمة وفاطرها . وبصورة عامّة نلاحظ في كافّة أسماء ذات الحقّ تعالى وصفاته أنّ مفاهيمها محدودة ، ومصاديقها محدودة أيضاً . ونظراً إلى وجود الحدّ ، فليس لها حقّ العينيّة مع ذات الحقّ . وهذا هو معنى كلام الإمام في الخطبة الأُولى من خطب «نهج البلاغة» إذ قال : وَكَمَالُ الإخلاص نَفيُ الصفات عنه ، لشهادة كلّ صفة أنّها غير الموصوف ، وشهادة كلّ موصوف أنّه غير الصفة .

٢٢) الآية الأُولى من السورة ٤ : النساء هي قوله تعالى : يَأَيّهَا النّاسُ اتّقُوا رَبّكُمْ الّذِى خَلَقَكُمْ مّن نّفسٍ وَ حِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً وَاتّقُوا اللَهَ الّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنّ اللَهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا . تنصّ هذه الآية على أنّ النسل الإنسانيّ ينتهي إلى آدم وحوّاء . ويلزم ذلك أنّ أولادهما تزوّجوا بناتهما ، ولا يستدعي ذلك محذوراً ، لأنّ قبح نكاح المحارم ليس من المستقلّات العقليّة ، بل من الأُمور الاعتباريّة التي كانت حلالاً يومئذٍ ثمّ حُرّمت . ووردت روايات في هذا المجال ، منها ما جاء في «الاحتجاج» عن الإمام السجّاد عليه السلام في حديث له مع قرشيّ يصف فيه تزويج هابيل بلوزا أُخت قابيل ، وكانا توأمين ، وتزويج قابيل باقليما أُخت هابيل ، وكان توأمين أيضاً . فقال له القرشيّ : فأولداهما ؟ قال الإمام : نعم . فقال له القرشيّ : فهذا فعل المجوس اليوم . فقال : إنّ المجوس فعلوا ذلك بعد التحريم من الله . ثمّ قال له : لا تنكر هذا إنّما هي شرائع الله جرت . أليس الله قد خلق آدم وخلق زوجته منه ، ثمّ أحلّها له ؟ فكان ذلك شريعة من شرائعهم في الحلّيّة ، ثمّ أنزل الله التحريم بعد ذلك .

هذا الحديث يوافق ظاهر القرآن والاعتبار ، لأنّنا إذا قدّمنا روايات أُخرى ، فإنّ الروايات المعارضة لها التي تدلّ على أنّ الله أنزل لهابيل حوريّة من الجنّة ، وزوّج قابيل بامرأة من الجنّ ، يلزمها أنّ بني آدم ليسوا من أولاد آدم ، بل من أولاد آدم والملائكة والجنّ ، وينتهي نسب الإنسان بهؤلاء الثلاثة ، لا بآدم وحوّاء . ومن الثابت أنّ هذا القول غير صحيح وأنّ جميع بني آدم ينتهي نسبهم إلى آدم ، وهم بنو آدم لا بنو الجنّ والحُور . ناهيك عن أنّ هذه الروايات ضعيفة السند . ويضاف إلى ذلك أنّها مخالفة لظاهر الكتاب كما رأينا . فلهذا هي مرفوضة بناءً على قاعدة العرض على كتاب الله . هذا هو مجمل الموضوع الذي ذُكر هنا ، وورد تفصيله في تفسير سماحة الأُستاذ العلّامة روحي فداه : «الميزان في تفسير القرآن» ج ٤ ، ص ١٤٣ إلى . ١٦٠

وأمّا ما قاله أمير المؤمنين عليه السلام في الرواية التي تعنينا ، في جواب الأشعث بن قيس ، فإنّه يدلّ على أنّ ذلك الملك قد غالط ، وخلط الحكم العقليّ بالحكم الاعتباريّ الشرعيّ ، وفي ضوء تزاوج بنات آدم وأبنائه ، أهمل الحكم الوارد في شريعته والقاضي بحرمة نكاح البنت ، ونَسَخَهُ ، وأغفل الناس ، وروّج نكاح المحارم . إذَنْ لم يكن عند المجوس نكاح المحارم في أصل الشريعة ، وكانت شريعتهم من الله . فلهذا عليهم أن يدفعوا الجزية والخراج كاليهود والنصارى . ولم يعدّ عمر المجوس من أهل الكتاب ، وكان يتعامل معهم كمشركين . بَيدَ أنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يرى أنّهم من أهل الكتاب ، ولم يطبّق عليهم أحكام الشرك . وعَزّ هذا الأمر على الأشعث بن قيس ، الذي كان من المنافقين ومن أعداء الإمام ، فاعترض عليه .

٢٣) روى الشيخ الطبرسيّ هذه الرواية إلى قوله عليه السلام : «هذا أخي الخضر عليه السلام» فقط ، وذلك في «الاحتجاج» ج ١ ،ص ٣٨٤ و٣٨٥ ، طبعة النجف ، عن الأصبغ بن نباتة بدون ذكر السند ، ولم يذكر الأشعث بن قيس في ذلك السؤال ، ولكن ورد فيها سؤال ذِعلب بعنوان : فقام إليه رجل فقال : يا أمير المؤمنين ! هل رأيتَ ربّك ؟ ولكنّه لا يذكر متن الجواب ، ويقول : أجابه الإمام عليه السلام بما تقدّم ذكرنا إيّاه . وهذا إشارة إلى ما ذكره في ص ٣١٢ : روى أهل السّيَرِ أنّ رجلاً جاء إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال : خبّرني عن الله أرايَته حين عبدته ؟ فقال عليه السلام : لم أك بالذي أعبد من لم أره . فقال الرجل : كيف رأيته يا أمير المؤمنن ؟ فقال : ويلك ! لم تره العيون بمشاهدة العيان ، ولكن رأته العقول بحقائق الإيمان ، معروف بالدلالات ، منعوت بالعلامات ، لا يقاس بالناس ، ولا يُدرَك بالحواسّ . فرجع الرجلوهو يقول مع نفسه : الله أعلم حيث يجعل رسالته .

٢٤) التوحيد» للشيخ الصدوق ، ص ٣٠٤ ، إلى ٣٠٨ ، طبعة مكتبة الصدوق ، سنة ١٣٩٨ ه ، الحديث الأوّل من الباب ٤٣ ؛ ورواها الصدوق أيضاً في «الأمالي» ص

٢٠٥ إلى ٢٠٨ بثلاثة أسناد عن أحمد بن الحسن القطّان ، وعن عليّ بن أحمد بن موسى الدقّاق ، وعن محمّد بن أحمد السنانيّ ، وهؤلاء الثلاثة عن أبي العبّاس أحمد بن يحيى بن زكريّا القطّان ، عن محمّد بن العبّاس ، عن محمّد بن أبي السريّ ، عن أحمد بن عبد الله بن يونس ، عن سعد بن طريف الكنانيّ ، عن الأصبغ بن نُباتة (المجلس الخامس والخمسون ، يوم الجمعة الرابع من ربيع الآخر ، سنة ثلاثمائة وثماني وستّين) ، وذكر ذيلها المتعلّق بالحسنين عليهما السلام وصعودهما المنبر . ورواها السيّد هاشم البحرانيّ في «غاية المرام» القسم الثانى ، ص ٥٢١ ، الحديث الأوّل عن الخاصّة ، عن ابن بابويه في «الأمالي» بالأسناد الثلاثة المذكورة . ولمّا كان الكلام يدور حول الحديث النبويّ الشريف : أَنَا مَدينةُ العِلْمِ وَعليّ بَابُهَا ، لذلك قطّع الرواية المشار إليها ، ولكنّه رواها تامّة في ص ٥٢٤ و٥٢٥ ، الحديث الأوّل عن الخاصّة ، إذ كان الكلام يدور حول الحديث : سَلُوني ... .

أقول : إنّ ما يبدو لي هو أنّ صدر هذه الرواية ، المتعلّق بخطبة أمير المؤمنين عليه السلام ، وذيلها المرتبط بأمره الحسنين عليهما السلام بصعود المنبر روايتان منفصلتان ، وقد دمجهما أحد الرواة وجعل منها رواية واحدة سهواً . والدليل على ذلك أنّ صدر الرواية صريح بأنّ الإمام عليه السلام خطب خطبته المذكورة عندما بويع بالخلافة ، وكان ذلك في سنة خمس وثلاثين للهجرة ، والإمام الحسن عليه السلام يومئذٍ ابن ثلاث وثلاثين سنة ، والإمام الحسين عليه السلام ابن اثنتين وثلاثين سنة . وأنّ العبارة الواردة في ذيل الرواية ــ إذ أمرهما الإمام عليه السلام بالتكلّم لئلّا تجهلهما قريش بعده ــ غير مناسبة ، ذلك أنّ قريش عرفتهما كما ينبغي خلال بضع وثلاثين سنة . ثانياً : أنّ قول الإمام عليه السلام للحسن عليه السلام : «أُواري نفسي عنك وأسمع وأرى وأنت لا تراني» لا يليق بشأن رجل عظيم مثله ، بل يليق برجل يرغّب طفلاً له في الخطبة . ثالثاً : أنّ الكلمتين الموجزتين للحسنين عليهما السلام ــ وفي كلّ منهما حديث نبويّ قصير ــ دليل آخر على ما نقول . رابعاً : جاء في الرواية أنّ الإمام الحسن عليه السلام لمّا نزل من المنبر حَمَلَهُ (الإمام أمير المؤمنين عليه السلام) وَضَمّهُ إلَى صَدْرِهِ ، وهذا صريح بأنّه فعل ذلك مع طفل صغير . وعلى هذا ينبغي أن نقول : إنّ ذيل الرواية يُشعر أنّ خطبة أمير المؤمنين عليه السلام كانت بعد وفاة رسول الله صلّى الله عليه وآله ، وانتقال الإمامة إليه ، وكان للحسن عليه السلام يومئذٍ ثماني سنين وللحسين عليه السلام سبع سنين . ولمّا خطب أمير المؤمنين عليه السلام آنذاك لبيان فضائله ، أمر الحسنين عليهما السلام بذلك . وخَالَ الراوي أنّهما خطبة واحدة فذكرهما معاً .

٢٥) ذكر الشيخ المفيد مثل هذه الرواية في «الإرشاد» ، ص ١٢٥ ، الطبعة الحجريّة . قال : روى أهل السيرة وعلماء النقلة أنّ رجلاً جاء إلى أميرالمؤمنينعليه السلام فقال

له : يا أمير المؤمنين ! خبّرني عن الله تعالى أرأيته حين عبدتَه ؟ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : لم أكُ بالذي أعبد من لم أره . فقال له : كيف رأيتَه ؟ فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويحك ! لم تره العيون بمشاهدة الأبصار ، ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ، معروف بالدلالات ، منعوت بالعلامات ، لا يقاس بالناس ، ولا تدركه الحواسّ . فانصرف الرجل وهو يقول : الله أعلم حيث يجعل رسالاته .

٢٦) الآية ٤٩ ، من السورة ٥١ : الذاريات .

٢٧) كانوايظنّون في القديم أنّ الذكورة والأُنوثة مخصوصة بالإنسان والحيوان ، ثمّ ثبت أنّ الأشجار والنباتات مشمولة بهذا الاختلاف ، فبعضها ذكر ، وبعضها أُنثى . وقوله تعالى : وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ يصرّح بهذا المعنى . أمّا الجمادات والأحجار فلا توالد ولا تناسل ولا ذكورة ولا أُنوثة فيها أبداً . والآية الكريمة : وَمِن كُلّ شىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلّكُمْ تَذَكّرُونَ أثبتت أنّ الله خلق من كلّ شيء زوجين ذكر وأُنثى . وثبت اليوم في علم الفيزياء أنّ جميع الأجسام وذرّاتها حاملة لإحدى القوّتين المختلفتين : إمّا فيها كهربائيّة موجبة أو سالبة . وإذا كان هذان النوعان من جنس واحد واجتمعا في مكان واحد ، كرقّاصَي الساعة اللذين فيهما شحنتان موجبتان أو سالبتان ، فإنّهما يتدافعان . وإذا كانا من جنسين كالرقّاص الذي له شحنة موجبة مع الرقّاص الذي له شحنة سالبة ، فإنّهما يتجاذبان . وأنّ الكلام المعجز لأمير المؤمنين عليه السلام : مؤلّف بين متعادياتها ، مفرّق بين متدانياتها ، ثمّ استشهاده عليه السلام بالآية الكريمة : وَمِن كُلّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ يبيّن موضعه ومحلّه جيّداً .

٢٨) قال في «بحار الأنوار» : وفي نسخة (ج) و(و) : وكان ... إلى آخره .

٢٩) التوحيد» للشيخ الصدوق ، ص ٣٠٨ و٣٠٩ ، الحديث الثاني من الباب ٤٣ ؛ ورواه (سؤال ذعلب) الكلينيّ في «أصول الكافي» ج ١ ، ص ١٣٨ و١٣٩ ، الحديث الرابع ، باب جوامع التوحيد ، طبعة حيدري ، عن محمّد بن أبي عبد الله مرفوعاً ، عن الصادق عليه السلام ، عن أمير المؤمنين عليه السلام في خطبته . ورواه الشريف الرضي رحمه الله في «نهج البلاغة» الخطبة ١٨٤ ، شرح محمّد عبده ، طبعة مصر ، ص ٣٥٤ إلى ٣٦١ مع إضافات ؛ و«التوحيد» ص ٣٤ إلى ٤١ ؛ و«عيون أخبار الرضا» للصدوق أيضاً ، ج ١ ، ص ١٥٠ إلى ١٥٣ ، طبعة انتشارات جهان (إصدارات العالم) ، مع إضافات في العبارات ، عن الإمام الرضا عليه السلام . وفي «عيون أخبار الرضا» و«التوحيد» عن محمّد بن الحسن بن أحمد بن الوليد ، عن محمّد بن عمرو الكاتب ، عن محمّد بن زياد القلزميّ ، عن محمّد بن أبي زياد الجُدّيّ ، عن محمّد بن يحيى بن عمر بن عليّ بن أبي طالب ، قال : سمعتُ أبا الحسن الرضا عليه السلام يتكلّم بهذا الكلام في التوحيد عند المأمون . قال ابن أبي زياد : ورواه لي أيضاً

أحمد بن عبد الله العلويّ مولى لهم وخالاً لبعضهم عن القاسم بن أيّوب العلويّ أنّ المأمون لمّا أراد أن يستعمل الرضا عليه السلام على هذا الأمر ، جمع بني هاشم (بني العبّاس) فقال : إنّي أُريد أن استعمل الرضا على هذا الأمر من بعدي ، فحسده بنو هاشم ، وقالوا : أتولّي رجلاً جاهلاً ليس له بصيرة بتدبير الخلافة ؟ فابعث إليه رجلاً يأتنا فنرى من جهل ما يستدلّ به عليه ، فبعث إليه فأتاه ، فقال له بنو هاشم : يا أبا الحسن ! اصعد المنبر وانصب لنا عَلَماً في التوحيد نعبد الله عليه . فصعد عليه السلام المنبر ، فقعد مليّاً لا يتكلّم مطرقاً ، ثمّ انتفض انتفاضة ، واستوى قائماً ، وحمد الله وأثنى عليه . وصلّى عليه نبيّه وأهل بيته ، ثمّ قال : أوّل عبادة الله معرفته ... إلى آخر الخطبة .

٣٠) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ١٤ إلى ١٦ ، الخطبة الأُولى ، طبعة مصر ، شرح وتعليق الشيخ محمّد عبده ؛ وذكرها الطبرسيّ أيضاً في «الاحتجاج» ج ١ ، ص ٢٩٤ إلى ٢٩٨ ، طبعة النجف .

٣١) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ١١٢ إلى ١١٤ الخطبة ٦٣ ، طبعة مصر ، شرح وتعليق عبده .

٣٢) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٢٧٤ و٢٧٥ ، الخطبة ١٥٠ ، من طبعة مصر وشرح عبده .

٣٣) نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٣٠٠ إلى ٣٠٢ ، الخطبة ١٦١ ، طبعة مصر وتعليق عبده .

٣٤) نهج البلاغة» الخطبة ١٨٤ ، طبعة مصر وشرح عبده ، ج ١ ، ص ٣٥٤ إلى ٣٦١ ؛ وذكرها الشيخ الطبرسيّ في «الاحتجاج» ج ١ ، ص ٢٩٩ إلى ٣٠٤ من كلامه عليه السلام : لَا يُشْمَلُ بِحدّ ، ولَا يُحْسَبُ بِعَدّ ، وَإنّما تحدّ الأوقات أنفسها ــ إلى آخر الخطبة .

٣٥) نهجالبلاغة» طبعة مصر وشرح عبده ، ج ١ ، ص . ٣٥٤

٣٦) المراد من النوع هنا المعنى اللغويّ ، والقِسم . مثلاً يقول القائل : زيد واحد . أي : زيد نوع من جنس الإنسان ، وحصّة واحدة ، وقسم واحد من هذا الجنس ، لذلك سيشمل الوحدة الفرديّة ، والنوعيّة ، والجنسيّة . مثلاً نحن نقول : زيد واحد ، أي : نوع واحد من جنس الإنسان . والإنسان واحد ، أي : نوع واحد من جنس الجسم والمادّة . وفي ضوء ذلك نلحظ في كلام الإمام أنّ النوع والجنس بمعناهما اللغويّ يشملان جميع أقسام الوحدة العدديّة الفرديّة مثل زيد ، والوحدة النوعيّة مثل الإنسان ، والوحدة الجنسيّة مثل الحيوان وأعمّ من ذلك ، وينفي الجميع . ولا يريد الإمام من النوع والجنس هنا معناهما الاصطلاحيّ المنطقيّ .

٣٧) التوحيد» للصدوق ، ص ٨٣ و٨٤ ، طبعة مكتبة الصدوق ، ١٣٩٨ ه ؛ و«الخصال» للصدوق أيضاً ، ص ٢ ، طبعة مكتبة الصدوق ؛ و«معاني الأخبار» له أيضاً ، ص ٤ ، وطبعة المكتبة المذكورة .

٣٨) جاء في «الاحتجاج» للطبرسيّ ، ج ١ ، ص ٢٩٨ ، الذي نقل هذه الخطبة عن «الإرشاد» للمفيد : نفي الصفات عنه ، المصدر المذكور .

٣٩) الإرشاد» ص ١٢٤ و١٢٥ الطبعة الحجريّة ؛ و«الاحتجاج» للشيخ الطبرسيّ ، ج ١ ، ص ٢٩٨ و٢٩٩ ، طبعة النجف .

٤٠) الإرشاد» ص . ١٢٥

٤١) الاحتجاج» ج ١ ، ص . ٢٩٩

٤٢) نهج البلاغة» الخطبة ١٨٣ ، طبعة مصر وشرح عبده ، ج ١ ، ص ٣٥٠ و٣٥١ ؛ وذكرها الطبرسيّ كلّها في «الاحتجاج» ج ١ ، ص ٣٠٥ ، طبعة النجف .

٤٣) معاني الأخبار» ص ١٠ ، باب التوحيد والعدل ، الحديث رقم ١ ، طبعة مكتبة الصدوق .

٤٤) من فقرات دعاء كميل .

٤٥) قسم من الآية ٤ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٤٦) الآية ٤٧ ، من السورة ٣٤ : سبأ .

٤٧) القسم الأخير من الآية ٥٤ ، من السورة ٤١ : فصّلت .

٤٨) الآية ٣ ، من السورة ٥٧ : الحديد .

٤٩) لا فرق بين الأسم والصفة إلّا بالاعتماد على التلبّس بقيّومهما ، وإذا لوحظت صفة تلقائيّة ، فهي تُسمّى صفة بدون هذا اللحاظ كالحياة ، والعلم ، والقدرة . وإذا لوحظت بهذا اللحاظ ، فهي اسم كالحيّ ، والعالم ، والقادر .

٥٠) الميزان في تفسير القرآن» ج ٦ ، ص ٩٦ إلى . ١٠٨

٥١) الآية ٣ ، من السورة ٣٩ : الزمر .

٥٢) المقصود من هؤلاء الملّا صدرا الشيرازيّ ، صدر المتألّهين وإمام المحقّقين . فهو يعتقد في كتبه بوحدة ذات الحقّ بالصرافة ، وأثبت هذا المعنى بأبلغ وجه . ونفى كلام الشيخ الرئيس ابن سينا في الوحدة العدديّة لذات الحقّ . ولد صدر المتألّهين بشيراز في حدود سنة ٩٧٩ ه .

٥٣) المراد بعض علماء العامّة .

٥٤) قال ابن أبي الحديد في «شرح نهج البلاغة» ج ١ ، ص ٦٩ من الطبعة ذات الأربعة أجزاء : حدّثني شيخي أبو الخير مصدّق بن شبيب الواسطيّ في سنة ٦٠٣ قال : قرأت على الشيخ أبي محمّد عبد الله بن أحمد المعروف بابن الخشّاب هذه الخطبة ... [

الشقشقيّة] (إلى أن قال :) قلت له : أتقول أنّها منحولة ؟ قال : لا ، والله ، وإنّي لأعلم أنّها كلام أمير المؤمنين عليه السلام ، كما أعلم أنّك مصدّق . فقلتُ له : إنّ كثيراً من الناس يقولون : إنّها من كلام الرضيّ رحمه الله تعالى . فقال : أنّى للرضيّ ولغير الرضيّ هذا النّفَس وهذا الأُسلوب ؟ قد وقفنا على رسائل الرضيّ ، وعرفنا طريقته وفنّه في الكلام المنثور ، وما يقع مع هذا الكلام في خلّ ولا خمر . ثمّ قال : والله لقد وقفتُ على هذه الخطبة في كتب صنّفت قبل أن يخلق الرضيّ بمائتي سنة ، ولقد وجدتها مسطورة بخطوط أعرفها ، وأعرف خطوط من هو من العلماء وأهل الأدب قبل أن يُخلَق النقيب أبو أحمد والد الرضيّ . ثمّ قال ابن أبي الحديد : وقد وجدتُ أنا كثيراً من هذه الخطب في تصانيف شيخنا أبي القاسم البلخيّ إمام البغداديّين من المعتزلة ، وكان في دولة المقتدر قبل أن يُخلَق الرضيّ بمدّة طويلة . ووجدتُ أيضاً كثيراً منها في كتاب أبي جعفر بن قبّة أحد متكلّمي الإماميّة ، وهو الكتاب المشهور المعروف بكتاب «الإنصاف» . وكان أبو جعفر هذا من تلامذة الشيخ أبي القاسم البلخيّ رحمه الله تعالى ومات في ذلك العصر قبل أن يكون الرضيّ رحمه الله تعالى موجوداً .

٥٥) الميزان في تفسير القرآن» ج ٦ ، ص ١٠٩ و . ١١٠

٥٦) غاية المرام» القسم الثاني ، الباب الخامس والثلاثون والسادس والثلاثون ، ص ٥٢٤ إلى . ٥٢٦

٥٧) غاية المرام» الباب الثالث والأربعون والرابع والأربعون ، ص ٥٣٦ إلى . ٥٣٩

٥٨) الآية ١٨٩ ، من السورة ٢ : البقرة .

٥٩) الآية ٤٦ ، من السورة ٧ : الأعراف .

٦٠) الاحتجاج» ج ١ ، ص ٣٣٧ و٣٣٨ ، طبعة النجف .

٦١) الاحتجاج» ج ١ ، ص ٣٣٩ و٣٤٠ ، الحقب ثمانون سنة . وجاء أيضاً أنّه المدة الطويلة .

٦٢) هذه الآية والآيات الثلاث التي تليها هي الآيات ١ إلى ٤ من السورة ٥١ : الذاريات .

٦٣) الآية ٤٠ ، من السورة ٧٠ : المعارج .

٦٤) الآية ١٧ ، من السورة ٥٥ : الرحمن .

٦٥) الآية ٢٨ ، من السورة ٢٦ : الشعراء .

٦٦) الآية ١٠ ، من السورة ٣٥ : فاطر .

٦٧) الآية ١٠٤ ، من السورة ١٨ : الكهف .

٦٨) الاحتجاج» ج ١ ، ص ٣٨٥ إلى ٣٨٨ ، والزرنديّ في «نظم درر السمطين» ص ١٢٥ إلى . ١٢٧ وقال المامقانيّ في «تنقيح المقال» ج ٢ ، ص ٢٠٤ : عدّه الشيخ من أصحاب أمير المؤمنين عليه السلام ، وقال : خارجيّ وملعون . ثمّ قال بعد شرح موجز : قبّح الله مثله من شيعيّ خارجيّ ملعون . وجد عليّاً عليه السلام يوماً يخطب ، فلمّا انتهت خطبته ، قال ابن الكوّاء ، مخاطباً الإمام : قَاتَلَكَ اللَهُ مِنْ شَيْطَانٍ مَا أَفْهَمَكَ ــ أَوْ مَا أَفْصَحَكَ ! وأكثر يوماً في إهراق الماء في وضوئه ، فقال أمير المؤمنين عليه السلام : أسرفتَ في الماء . فقال ذلك الملعون : ما أسرفتَ به من دماء المسلمين أكثر ! وذكر المحدّث القمّيّ في «الكنى والألقاب» ج ١ ، ص ٣٨٣ أنّ اسمه عبد الله . وهو الذي قرأ خلف أمير المؤمنين عليه السلام ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الّذِينَ مِن قَبْلِكَ لِئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنّ عَمَلُكَ وَلَتُكونَنّ مِنَ الْخَسِرِينَ (الآية ٦٥ ، من السورة ٣٩ : الزمر) ، وكان عليّ عليه السلام يؤمّ الناس ويجهر بالقرءاة ، فسكت أمير المؤمنين عليه السلام حتّى سكت ابن الكوّاء . ثمّ عاد في قراءته ، حتّى فعله ابن الكوّاء ثلاث مرّات . فلمّا كان في الثالثة ، قال أمير المؤمنين : فَاصْبَرِ إِنّ وَعْدَ اللَهِ حَقّ وَلَا يَسْخِفَنّكَ الّذِينَ لَا يُوقِنُونَ (الآية ٦٠ ، من السورة ٣٠ : الروم) .

٦٩) الاحتجاج» ج ١ ، ص . ٣٤١

٧٠) الاستيعاب» ج ٣ ، ص . ١١٠٣

٧١) الاستيعاب» ج ٣ ، ص ١١٠٣ ؛ ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ج ٣ ، ص ٢٤ عن سعيد بن المسيّب في ترجمة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ؛ وفي «الاستيعاب» المطبوع في هامش «الإصابة» ج ٣ ، ص ٤٠ : (ما كان) بدل (ما قال) .

٧٢) إلى ٦ــ «الاستيعاب» ص ٢٤ و . ٢٥

٧٣)

٧٤)

٧٥) الاستيعاب» ص . ٢٥

٧٦) ذخائر العقبى» ص . ٨٣

٧٧) الإصابة» ج ٢ ، ص ٥٠٢ و . ٥٠٣

٧٨) سفينة البحار» ج ١ ، ص ٥٨٦ ، مادّة سأل .

٧٩) نهج البلاغة» الخطبة ١٨٧ ، طبعة مصر وشرح عبده ، ج ١ ، ص ٣٦٤ و . ٣٦٥

٨٠) بعض من الآية ٣ ، من السورة ٤٩ : الحجرات .

٨١) النصف الأوّل من الآية ٢١ ، السورة ٥٢ : الطور ، ونصفها الثاني : وَمَا أَلَتْنَهُمْ مّن عَمَلِهِم مّن شَىْءٍ كُلّ امْرِىءٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ .

٨٢) شرح نهج البلاغة» ج ١٣ ، ص ١٠٥ و١٠٦ ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

٨٣) شرح نهج البلاغة» ج ١٢ ، ص ١٩٧ ، طبعة دار إحياء الكتب العربيّة .

٨٤) تفسير «الكشّاف» ج ٢ ، ص ١٤٠ ، الطبعة الأُولى ، مصر ، مطبعة الشرفيّة ، في ذيل الآية المباركة ١٨ ، من السورة ٢٧ : النمل : حَتّى إِذَا أَتوا عَلَى وَادِ النّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ : يَأَيّهَا النّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنّكُمْ سُلَيْمَنُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . وذكر الدميريّ هذه القضيّة أيضاً في «حياة الحيوان» في أواخر الكتاب ، باب النون ، مادّة نمل ، الطبعة الحجريّة .

٨٥) بحار الأنوار» ج ٥ ، ص ٣٥٥ ، طبعة الكمبانيّ ، باب تفسير قوله تعالى : فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسّوْقِ وَالْأَعْنَاقِ .

٨٦) أرادت المرأة أن تقول له : إذا كانت عائشة ــ على قولك ــ قد خرجت بغير إذن رسول الله ، فعليها لعنة الله ، وإلّا فعليه [نعوذ بالله] . ولمّا كنّا نقرّ أنا وإيّاك أنّ اللعنة لا تَرِد على رسول الله ، فإنّ عائشة خرجت بغير إذنه ، فعليها لعنة الله . ولمّا كان ابن الجوزيّ من علماء العامّة ، وكان يقدّس عائشة ، فلهذا عدّتها المرأة المذكورة بكلامها ملعونة مطرودة من رحمة الله ، وابن الجوزيّ لم يحر جواباً .

٨٧) بحار الأنوار» ج ٨ ، ص ١٨٣ باب شكاية أمير المؤمنين عمّن تقدّمه ، طبعة الكمبانيّ .

٨٨) أخرجه الحاكم في «المستدرك» ج ٢ ، ص ٤٦٦ ، وصحّحه هو والذهبيّ في «تلخيص المستدرك» .

٨٩) أخرجه ابن كثير في تفسيره ، ج ٤ ، ص ٢٣١ من طريقين ، وقال : ثبت أيضاً من غير وجه .

٩٠) أخرجه أبو عمر في «جامع بيان العلم» ج ١ ، ص ١١٤ ؛ ومحبّ الدين الطبريّ في «الرياض النضرة» ج ٢ ، ص ١٩٨ ؛ ويوجد في «تاريخ الخلفاء» للسيوطيّ ، ص ١٢٤ ؛ و«الإتقان» ج ٢ ، ٣١٩ ؛ و«تهذيب التهذيب» ج ٧ ، ص ٣٣٨ ؛ و«فتح الباري» ج ٨ ، ص ٤٨٥ ؛ و«عمدة القاري» ج ٩ ، ص ١٦٧ ؛ و«مفتاح السعادة» ج ١ ، ص . ٤٠٠

٩١) أخرجه أبو عمر في «جامع بيان العلم» ج ١ ، ص ١١٤ ؛ وفي مختصره ، ص ٥٧ .

٩٢) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» ج ١ ، ص ٦٧ ؛ و«مفتاح السعادة» ج ١ ، ص . ٤٠٠

٩٣) أخرجه أحمد بن حنبل ، وقال : روي عنه عليه السلام نحو هذا كثيراً . («ينابيع المودّة» ص ٢٧٤) .

٩٤) أخرجه أحمد بن حنبل في «المناقب» ؛ والبغويّ في «المعجم» ؛ وأبو عمر في «العلم» ج ١ ، ص ١١٤ ؛ وفي مختصره ص ٥٨ ؛ ومحبّ الدين الطبريّ في «الرياض النضرة» ج ٢ ، ص ١٩٨ ؛ وابن حجر في «الصواعق المحرقة» ص . ٧٦

٩٥) روى الزبيديّ في «تاج العروس» ج ٥ ، ص ٢٨٦ في مادّة أَمَعَ بسنده المتّصل عن الحارث الأعور أنّ أمير المؤمنين عليه السلام سئل عن مسألة ، فدخل مبادراً ، ثمّ خرج في رداء وحذاء ، وهو مبتسم ، فقيل له : يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ ! إنّكَ كُنْتَ إذَا سُئِلْتَ عَنِ المَسْأَلَةِ تَكُونُ فِيهَا كَالسّكّةِ المُحْمَاةِ ؟ قَالَ : إنّي كُنْتُ حَاقِنَاً ، ولَا رَأْيَ لِحَاقِنٍ . ثُمّ أَنْشَأَ يَقُولُ : إذَا المُشْكِلَاتُ ... إلى آخر الأبيات .

٩٦) قال في «تاج العروس» ج ٥ ، ص ٢٦٨ بعد إيراد أربعة أبيات منها : الإمّعة : المتردّد في غير صنعة . وروي عن ابن مسعود أنّه سئل : ما الإمّعة ؟ قال : من يقول : أَنَا مَعَ النّاسِ . وقال الليث : رَجُلٌ إمّعَةٌ يقول لكلّ أحد : أنا معك .

٩٧) أخرجها أبو عمر في «العلم» ج ٢ ، ص ١١٣ ؛ وفي مختصره ، ص ١٧٠ ؛ والحافظ العاصميّ في «زين الفتى شرح سورة هل أتى» ؛ والقالي في أماليه ؛ والحصريّ القيروانيّ في «زهر الآداب» ج ١ ، ص ٣٨ ؛ والسيوطيّ في «جمع الجوامع» كما ترتيبه ، ج ٥ ، ص ٢٤٢ ؛ والزبيدي الحنفيّ في «تاج العروس» ج ٥ ، ص ٢٦٨ نقلاً عن «الأمالي» ؛ وذكر منها البيتين الأخيرين الميدانيّ في «مجمع الأمثال» ، ج ٢ ، ص . ٣٥٨

٩٨) صحيح البخاريّ» ج ١ ، ص ٤٦ ؛ وج ١ ، ص ٢٤٠ و٢٤١ ؛ و«مسند أحمد» ج ١ ، ص ٢٧٨ ؛ و«مسند أبي داود» ص . ٣٥٦

٩٩) تاريخ ابن عساكر» ج ٢ ، ص . ٣٠٥

١٠٠) قال في «أقرب الموارد» : اللويّة ما هيّأته وأخفيته عن غيرك من الطعام ، كما يقول الرجل لأهله : قومي فغذّينا من اللويّة . وجمعها لَوَايَا . وكأنّ مقاتل بن سليمان أراد أن يكون في كلامه هذا كالمسيح عليه السلام الذي كان يقول : وَأُنَبّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَوَمَا تَدّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُم .

١٠١) تاريخ بغداد» للخطيب البغداديّ ، ج ٣ ، ص . ١٦٦

١٠٢) الانتقاء» لأبي عمر بن عبدالبرّ صاحب «الاستيعاب» .

١٠٣) طبقات الحفّاظ» للذهبيّ ، ج ٢ ، ص ٢٨٨ ؛ و«الغدير» ، ج ٦ ، ص ١٩١ إلى . ١٩٦

١٠٤) بحار الأنوار» ج ١٧ ، ص ١٢٥ كتاب الروضة ، طبعة الكمبانيّ .

١٠٥) انظر : «تاريخ الطبريّ» ، ج ٣ ، ص ٢١٠ ؛ و«سيرة ابن هشام» ج ٢ ، ص ٦٦١ ؛ و«الإمامة والسياسة» ج ١ ، ص . ١٦

١٠٦) الصراط المستقيم إلى مستحقّي التقديم» للعلّامة الشيخ زين الدين عليّ بن يونس العامليّ النباطيّ البياضيّ المتوفّى سنة ٨٧٧ ، ج ٢ ، ص . ٢٩٦

وفيه أيضاً ، ج ٢ ، ص ٢٦ : نكتة : قيل لابن بابويه : أتفضّل عليّاً على أبي بكر ؟ قال : لا . قيل : أتفضّل أبا بكر على عليّ ؟ قال : لا . قيل : فلا تفاضل بينهما ؟ قال : نعم . قيل : وكيف تقول ؟ قال : الأشياء إمّا أضداد ، وظاهر أنّه لا تفاضل بينهما . أو أشباه وأمثال ، وأبو بكر لا يشابه عليّاً لما عُلم من مساواته للنبيّ صلّى الله عليه وآله حين واخاه .

١٠٧) الغدير ، ج ٦ ، ص . ١٩٦

١٠٨) روى السيوطيّ في «جمع الجوامع» كما في ترتيبه ، في ج ٦ ، ص ١٥ : نقلاً عن عبد الرزّاق ، والبيهقيّ ، وأبي الشيخ في فرائضه ، وكذلك روى الهيثميّ في «مجمع الزوائد» ج ٤ ، ص ٢٢٧ عن سعيد بن المسيّب ، عن عمر أنّه قال : سألتُ النبيّ صلّى الله عليه وآله كيف قسم الجدّ ؟ قال : ما سؤالك عن ذلك يا عمر ؟ إنّي أظنّك تموت قبل أن تعلم ذلك . قال سعيد بن المسيّب : فمات عمر قبل أن يعلم ذلك .

١٠٩) صحيح مسلم» ج ٢ ، ص ٢٣٤ في كتاب الآداب ؛ «صحيح البخاريّ» ج ٣ ، ص ٨٣٧ طبعة الهند ؛ «مسند أحمد» ج ٣ ، ص ١٩ ؛ «سنن الدارميّ» ج ٢ ، ص ٢٧٤ ؛ «سنن أبي داود» ج ٢ ، ص ٣٤٠ ؛ «مشكل الآثار» ، ص ٤٩٩ ؛ و«الغدير» ج ٦ ، ص ١٥٨ ؛ وأخرج مسلم في صحيح آخر : قال أُبيّ بن كعب : يا ابن الخطّاب فلاتكوننّ عذاباً على أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وآله . قال : سبحان الله إنّما سمعتُ شيئاً فأحببتُ أن أتثبّت . وفي لفظ : قال أبو سعيد قلتُ : أنا أصغر القوم . قال النوويّ في «شرح صحيح مسلم» : معناه أنّ هذا حديث مشهور بيننا ، معروف لكبارنا وصغارنا حتّى أنّ أصغرنا يحفظه وسمعه من رسول الله صلّى الله عليه وآله .

١١٠) نهج البلاغة» الخطبة ٢٣٧ ، طبعة مصر ، شرح عبده ، ج ١ ، ص ٤٦٧ : (ومن خطبة له عليه السلام) يذكر فيها آل محمّد صلّى الله عليه وآله : هم عيش العلم ، وموت الجهل ، يخبركم حلمهم عن علمهم ، وصمتهم عن حكم منطقهم . لا يخالفون الحقّ ولا يختلفون فيه . هم دعائم الإسلام وولائج الاعتصام . بهم عاد الحقّ إلى نصابه ، وانزاح الباطل عن مقامه ، وانقطع لسانه عن منبته . عقلوا الدين عقل وعاية ورعاية ، لا عقل سماع ورواية ، فإنّ رواة العلم كثير ورعاته قليل .

١١١) نهج البلاغة» الخطبة ١٤٥ ، طبعة مصر ، شرح عبده ؛ ج ١ ، ص . ٢٦٧ وذكرنا هذه الخطبة أيضاً في الجزء الرابع من كتابنا هذا : «معرفة الإمام» الدرس ٥٧ إلى . ٦٠

١١٢) نهج البلاغة» ج ٢ ، الحكمة ١٧٢ و . ٤٣٨

١١٣) هذه الأبيات الثلاثة وأبيات ثلاثة أُخرى غيرها موجودة في ديوان الشعر المنسوب إلى الإمام الوصيّ عليّ بن أبي طالب أمير المؤمنين عليه السلام ، ذكرها جامع الديوان وشارحه عبد العزيز سيّد الأهل في ص ١١ و. ١٢ والأبيات المذكورة هي الأبيات الأخيرة ، أمّا الأبيات الثلاثة الأُخرى ، فهي الأبيات الأُولى ، وهي قوله :

الناس من جهة التمثال أكفاء
أبوهم آدم والأُمّ حوّاء
فإن يكن لهم من أصلهم شرفٌ
يُفاخرون به فالطين والماء
وإن أتيتَ بفخرٍ من ذوي نسبٍ
فإنّ نسبتَنا جودٌ وعلياءُ

وقال سيّد الأهل : ذكرها الغزّاليّ في «إحياء العلوم» ، والشبلنجيّ في «نور الأبصار» ، ولويس شيخو في «مجاني الأدب» ، والشريشيّ في شرحه على «المقامة الكَرجيّة» من «مقامات الحريريّ» مع اختلاف في بعض الألفاظ ، واقتصر الشريشيّ على البيتين الأوّلين منها . ولكن ورد البيت الآتي في الديوان المطبوع طبعة حجريّة ، ص ١ مضافاً إلى هذه الأبيات :

وإنّما أُمّهاتُ النّاس أوعيةٌ
مستَوْدعاتٌ وللأحساب آباءُ

وهذا البيت ليس للإمام على نحو اليقين ، وإنّما أضافه الآخرون ، لأنّ مفاده خلاف الحقيقة . وأجمعت الآيات القرآنيّة والروايات على أنّ الابن يطلق على أبناء البنت كما يطلق على أبناء الابن . ولا تفاوت في النسب سواء من ناحية الابن أم من ناحية البنت . وللعلّامة الطباطبائيّ بحث حول هذا الموضوع في «الميزان» ج ٤ ، ص . ٣٣١ ويرى أنّ هذا البيت والبيت الآتي الذي ينسب إلى قول القائل ذوا مضمون جاهليّ :

بنونا بنو أبنائنا وبناتنا
بنوهنّ أبناء الرجال الأباعدِ

وحاول العبّاسيّون أن لا ينسبوا أئمّة أهل البيت عليهم السلام إلى رسول الله صلّى الله عليه وآله فأُدينوا .

١١٤) ونقرأ لأمير المؤمنين عليه السلام شعراً آخر في الديوان المنسوب إليه ، وهو حقيق بالإمعان :

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله
وأجسادهم قبل القبور قبورُ
وإنّ امرئً لم يُحيَ بالعلم ميّتٌ
وليس له حتّى النشور نُشورُ

وهذان البيتان رائيّان . وأُثر بيتان آخران في قافية الألف هما :

ولا تصحب أخا جهلٍ وإيّاك وإيّاه
فكم من جاهلٍ أردى حكيماً حين آخاهُ
يُقاسُ المرءُ بالمرء إذا ما هو ماشاهُ
وللشيء من الشيء مقاييسُ وأشباهُ

١١٥) الصراط المستقيم» ج ٢ ، ص . ١٩

١١٦) ديوان مغربي» ص . ٨٥

يقول : «أنّى ذهبنا رأينا جهاتك كلّها . وحيثما وصلنا رأينا أوّل الزقاق الذي تقيم فيه .

إنّ كلّ قِبلة اختارها القلب لعبادتك ، رأيناها حاجبك المتقوّس .

وكلّ شجرة سرو متمايلة في روضة الدهر ، رأيناها نامية في بستانك وضفة نهرك .

شممنا البارحة رائحتك الطيّبة من نسيم الصبا ، ورأينا ركب عطرك مع هذا النسيم» .

١١٧) يقول : «تصفّحنا وجوه الصالحين كلّها متفرّجين ، بَيْدَ أنّا رأينا مرآة وجهك .

نظرنا في العيون الشهلاء للوسّام جميعهم ، فرأينا نرجسك الفتّان .

لمّا أشرقت شمس وجهك على الذرّات بأسرها ، رأيناها قد انجذبت إليك .

في الظاهر والباطن مجازاً وحقيقة ، رأينا أهل الدارين (الدنيا والآخرة) متوجّهين إليك .

كلّ عاشق مجنون في عالم وجودك ، رأينا قلبه مصفّداً بسلسلة شعرك [مأسور إليك] .

ورأينا رئيس حلقة الهائمين في معابد العُرفاء قلبه في ثنايا ضفيرتك .

لا تسأل المغربيّ [اسم الشاعر] عن أحواله ، فإنّي أراني مفتوناً بضفيرتك السوداء» .